عباس محمود العقاد

بين الصحافة والأدب



د. محمد عبد المنعم خفاجي

د. عبد العزيز شرف

عباس محمود العقاد

بين الصحافة والأدب

د. محمد عبد المنعم خفاجي　　د. عبد العزيز شرف

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــديم

بقلم الكاتب الكبير : جلال الدين الحمامصى

الشخصيات الصحفية ليست كلها فى مرتبة واحدة عند الجمهور ، بعضــها يظهــر ، ويكتب ، ويقــرأ له القــراء ، ولــكن لا تلبث أن تختفى باختفــاء انتاجها ، ولا يذكره الناس الا اذا ارتبط اســمه بواقعة ما ، ثــم ينطوى بعد ذلك فى عــالم النســيان ٠

والبعض القليل يظهر ، ويكتب ، ويقــرأ له القــراء بشغف ومتابعة نادرة ، ومع هذا فان ذكراه لا تختفى . واذا توقف عن الكتابة ، أو دخــل السجن ، أو احيــل بينه وبين قرائه ، أو انتقل الى رحمة الله متمما كان قد أدى واجبه العــام ٠

ومن هــؤلاء ٠٠ أو على رأس هــؤلاء « عبــاس محمــود العقــاد » ولعــل أهــم المميزات التى حققت لعبــاس محمــود العقــاد هذه الميــزة على غيره من الكتــاب الصحفيين تمسكه بكرامته ، وبرأيه ، وباحساسه بأن الحاجــة الى لقمة العيش لاتعنى أن يدوس هذه الكرامة ، وأن يبدل رأيه كما يبدل الفرد العــادى حــذاءه ٠

ومن هــذا الواقع القــوى ٠٠ بدأ العقــاد دائما « كالعملاق » أو « كالجبل » الذى تشــع من قمته أضواء القــوة والحق والكرامة فى كل الظروف والأوقــات والأزمنــة ٠

عــرف العقــاد الحيــاة بمرها وحلوها ٠٠ بل أنه عاش حياته كلها على مزيج المــر والحــلو من هذه الحيــاة ٠٠ ولهذا نجح فى أن يظل دائمــا الرجل الذى يواجــه العواصف أيا كانت ، ولا يطاطىء لهــا رأســه ، أو أن يسمح للعاصفة بأن تمــر دون مواجهة ، فاما أن تهزمه أو أن يهزمها ٠٠ ولقد كان رصيد حسابه من هذه المعارك كلهــا فى جانبه دون أن يتطلع مرة واحدة الى الجــانب المــادى البحت فى هذا الرصــيد أو أن يتساءل : « كــم أملك ؟ ٠٠ وهــل أستطيع أن أعيش « بمــا أملك » ؟٠

ولهــذا عاش العقــاد متواضعا ، ومات فى تواضع ٠ يســير على قدميه ويركب المترو من ضاحية مصر الجديدة ، اما الى مقــر عمله ــ اذا كان يعمل فى احدى الصــحف ، أو الى واحدة من مكتبات القاهــرة ليجمع منهــا أحدث ما وصــل اليها من الكتب فى كل فــرع من فــروع العلوم والأدب والاجتماع والسياســة ٠

وكانت له فى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ندوة فى منزله المتواضع بضاحية مصر الجديدة يجلس اليه فيهـا مجموعات من الشـباب والشيوخ يستمعون اليه ويناقشونه فى الآراء المختلفة ، ولم يكن يتردد ـ قـط ـ فى أن يقـول رأيه صريحا واضحا محددا ، لأنه كان يعتبر نفسـه ـ وبحق ـ صاحب رسـالة ٠٠ وصاحب الرسالة يسقط عنـه حقـه فى التبشير بهذه الرسالة اذا فقد شجاعته أو لم يقـل رأيه صريحا واضحا لا لبس فيـه ولا ابهـام ٠

وكان العقـاد يعتبر نفسه ـ مع تواضعه « كبيرا » ٠٠ وكان يصر على أن يضع تحت عنوان مقـاله : « بقـلم الكاتب (الكبير) عبـاس محمـود العقـاد » ٠٠ وأعترف أنى كنت أظهر دهشتى من هـذا الاصرار من جانبه ، ومع هذا فانه وضـح لى ، مع مرور الزمن ، وازدياد معرفتى بصلابة الرجـل وقوته أنه كان محقـا فى هذا الاصرار ، بل لقد ذهبت الى أبعد من هـذا ، فازددت ايمانا واعتقادا بأن العقـاد لا يستحق أن يتمسك فقط بكلمة « الكبير » بل انه كان جديرا بأن يقـال أنه « الكاتب الأكبر » ٠

ذلك لأن هـذا الرجـل لم يكن هـو الكاتب الوحيد فى الصحف ، بل انه عـاش فى زمن تعدد فيه الكتـاب وكثروا ٠٠ ومعظمهم كان على مستوى كبير من العـلم والثقـافة ، ولـكن العقـاد تميز عنـهم بالشجاعة والاصرار على الدفـاع عن رأيه وضرب الحزبية بحذائه ، **اذا ما لعبت هذه الحزبية بمـا اعتادت أن تنادى به أو خرجت على مبادئها الأصـلية ٠**

لم يكن العقـاد فى يوم ما من أصـحاب « الـولاء المـزدوج » أو « الـولاء **المتعدد الاتجاهات » بل كان ولاؤه واحدا للرأى الذى آمن بأنه يخدم به وطنه وشـعبه ٠**

وقد يفهم من هـذا أن العقـاد كان متكبرا ومتعاليا ٠٠ ربمـا كان الأمر كذلك ، ولكن هـل يعـاب على العقـاد ذلك ، وهـو يرى نفسه فعـلا يؤدى واجبه بصورة تكـاد أن تصل الى مرتبة السمو والكمـال ؟

ومع هـذا فأسارع فأقول : ان صورة العقـاد الظاهرية كانت تبدو فعـلا متعالية أو متكبرة ، ولكنه كان يحمل داخـل نفسه صورة العـالم المتواضع البسيط الذى نبـع من صميم صعيد مصر ، وعـلم نفسه بنفسه ، ثم ارتفع بعلمه الى مرتبة « العظمـاء » لا فى مصر وحدها ، بل فى كـافة أنحـاء العـالم العربى ، ثم عرفه العـالم الخارجى بمـا ينتج ويتكلم ٠

ألم يكن العقـاد بشرا ؟ وهـل يستطيع بشر واحد أن يرى نتائج ما تحقق على يديه فى كـافة مجالات المعـرفة ، وأن يرى الاقبـال يزداد على مدرسته

« الخاصة » ٠٠ ولا يحس بفخر واعتزاز ، فسره قلة من الناس بأنه : « تكبر » ٠

ولقد سرنى أن أجد الزميل الدكتور عبد العزيز شرف مؤلف الجانب الصحفى فى هذا الكتاب يبذل هذا الجهد الكبير فى متابعة بعض المعارك الصحفية التى خاضها العقاد فى حياته ٠٠ ولذا أحسست وأنا أقرأ هذه الصفحات ٠٠ التى عشت معظمها مع العقاد : أن المؤلف حرص الحرص كله على أن ينقل الى قراء الجيل الذى لم يسعده أن يعيش فى « عصر العقاد » ـ صورة لما كانت عليه مقدرة وعظمة كتاب هذا العصر ، ٠٠

ولعل قراء هذا الجيل يتساءلون بعد أن يقرأوا هذا الكتاب : أليس ممكنا أن تتكرر الصورة ، وأن يكون منا فى الحاضر والمستقبل مثل العقاد أو فى القليل من قد يكون على مستوى العقاد من العلم والقدرة ٠٠ والشجاعة

« جلال الدين الحمامصى »

مارس ١٩٦٤

الباب الأول

العقــاد والصـحافة

الفصل الأول

صورة الصحافة فى مطلع القرن العشرين

حديث عن العصر

مرت حياة العقاد الصحفية بثلاثة أدوار ، يتميز كل دور منها بطابع خاص وتفرد مميز ٠٠ وقد رأينا أن تسير دراستنا لحياة العقاد الصحفية وفق هذا التقسيم حتى تتفق الدراسة ومجرى هذه الحياة الصحفية التى عاشها العقاد وعايشها بقلمه وفكره لمدة تزيد على نصف قرن بكثير ٠

أما المرحلة الأولى من مراحل الحياة الصحفية للعقاد فهى تبدأ من سنة ١٩٠٧ حتى ١٩١٤ ، ويمكننا أن نوسع هذه الفترة قليلا فنقول : أنها بدأت من بداية حياته الصحفية حتى الحرب العالمية الأولى ٠

والمرحلة الثانية تبدأ مع ثورة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٦ ، وتبدأ المرحلة الثالثة من هذه السنة ١٩٣٦ حتى وفاته فى مارس ١٩٦٤ ٠

وتتسم المرحلة الأولى بما يمكن أن نسميه ظاهرة « الصراع » فى كل نواحى الحياة المصرية ، وينعكس هذا الصراع بوضوح على مرآة الصحافة ، على اعتبار بديهى وهو أن الصحافة مرآة عصرها وزمانها ٠

■ فالاحتلال البريطانى يجثم على قلب مصر :

ويصدر صحيفة يومية يسميها « **المقطم** » وينتقى شابين سوريين ليقوما باصدارها هما يعقوب صروف وفارس نمر ، بالاشتراك مع شاهين مكاريوس وذلك فى أوائل عام ١٨٨٩ م ٠

وكانت هذه الصحيفة لسانا انجليزيا صرفا يقف فى وجه كل دعوة وطنية ، وما أيسر عندها أن تصف الوطنيين بـ « الخونة » وعلى هذا المقياس يمكن رد جميع مواقف هذه الصحيفة من الحركات الوطنية فى هذه المرحلة ، وطوال المدة التى صدرت فيها ٠ فقد بدأت حياتها بمهاجمة العرابيين ، وقد مزق موقفها من حادث دنشواى القناع الشفاف عن وجهها فهى ترى أن فى هذا الحادث التاريخى « عارا ارتكبه رعاع من أسفل طبقة من طبقاتها ٠٠ ولا خلاف فى أن أهل دنشواى قد ارتكبوا دنيئة يجل عنها كل شرقى وتأباها نفس كل مصرى وهى ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحدا منهم » (١) ، ولم تأل المقطم جهدا فى الرد على كل ما يكتب عن بريطانيا والدفاع عن مصالحها فى مصر ٠

---

(١) المقطم : عدد ١٩ يونيو ١٩٠٦ ٠

والواقع ان الصلة التى تربط المقطم بسلطات الاحتلال . لم تكن خافية على احد ، ولذلك كانت الجهات الحكوميه تؤثرها على غيرها من الصحف ، وبلغ الأمر بهذه الصحيفة انها كانت تنشر آحيانا بعض الاحكام فى القضايا الوطنية قبل النطق بها بعدة أيام ٠

والصحف التى عاصرت المقطم لم تتجاهل هذه الصلة بين المقطم وسلطات الاحتلال ، فتصفها جريدة « الشعب » لامين الرافعى وهى جريدة وطنية بأنها « سياسية انجليزية صرفة ، تكتب بحروف عربية ، بلغت بها ثقة الاحتلال حدا متناهيا واصحاب المقطم اغنى الصحف مالا واكثرهم اطيانا ، ورغم ان الصحافة فى مصر مجلبه خسارة فانهم جمعوا بها ثروة يعجز عن جمعها اكثر ارباب المشروعات ٠ وهم اندر الصحفيين فى الضغط على عواطفهم ودس أشد المطاعن واكبرها افعاما بالسموم فى قالب نصيحة مرقشة »(١) ٠

وشارك المقطم فى الدفاع عن الاحتلال جريدة « الوطن » التى استقبلت الاحتلال بحماس شديد ، وحملت على قيادة الثورة العرابية فى شماتة يشوبها شىء غير قليل من التعصب الدينى(٢) ٠

وقد وصفتها جريدة «الشعب» الوطنيةكذلك ، بأنها « سياسية احتلالية أكثر من المقطم ، حتى أن محررها كان يدعو الانجليز الى ضم مصر الى المستعمرات الانجليزية ورفع الراية عليها ــ ولا يخلو عدد من أعدادها من الطعن فى الوطنيين والمسلمين وايلام عواطفهم ، وهو اول من أحدث الشقاق بين المسلمين والاقباط(٣) ٠

وكما رحبت بالاحتلال البريطانى وهزيمة العرابيين ، هللت للحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ ، وهى تحمد الله « لأننا خلصنا من تهوسات الفتية الذين كانوا يطلقون على أنفسهم أسم « الحزب الوطنى » والوطن برىء منهم ، أولئك الذين كانوا يدعون فى الظاهر بأنهم يريدون استقلال مصر عن كل سيادة ٠ وفى الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمة باردة ٠ واذا كان المصريون قد جنوا كل هذه الثمرات الطيبة والانجليز محتلون احتلالا مهددا بالانقضاء فكم ينتظرون من آيات السعادة والانجليز باقون هنا الى الأبد » (٣) ٠

---

(١) الشعب : عدد ٨ مايو ١٩١٢ ٠

(٢) راجع : د٠ أحمد حسين الصاوى : معالم تاريخ الصحافة المصرية ــ محاضرات بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣ ٠

(٣) الشعب : عدد ٨ مايو ١٩١٢ ٠

وكان من أسس سياسة الاحتلال التى خططها دوفرين وطبقها كرومر ترك شىء من الحرية بالنسبة للصحف ـ تنفيسا عما قد يعن لمحرريها من آراء أو ملاحظات قد تفيد منها سلطات الاحتلال ٠٠ مع أغفال قانون المطبوعات ، وكان كرومر يؤمن بأن الصحف المصرية مهما تقل فلن تستطيع أن تغير من الأمر الواقع شيئا ٠٠ ثم أن الحكومة شديدة التيقظ لكل ما تنشره الصحف ، وجيش الاحتلال فى نظره كفيل بحماية السلطة الاستعمارية من أى تطرف قد تندفع اليه الصحافة(١) ٠

وما لبث الوطنيون أثر صدور المقطم أن أحسوا بأن ثمة فراغا فى الحقل الصحفى يجب أن يملأ ، حتى يمكن مواجهة هذا الاستعمار الصحفى للبلاد الذى عبر بوضوح عن مطامع الاحتلال البريطانى ، ولذلك اتفقوا على أصدار صحيفة تكون لسانا لهم ، ومن ثم ظهرت صحيفة « المؤيد » اليومية فى نهاية عام ١٨٨٩ ، وهو نفس العام الذى ولد فيه عباس العقاد لأبوين مصريين بمدينة أسوان ٠

ويمكن القول أن طرفى الصراع فى هذه الفترة هما الاحتلال البريطانى بصحفه من جهة ، ومن جهة أخرى الكفاح الوطنى للشعب المصرى ، الذى ما لبث أن تمخض عن تيارات ثلاث ، تشكل أطراف الحركة الوطنية التى نهضت فى مواجهة الاحتلال البريطانى والنفوذ الأجنبى ٠

وكانت صحيفة « المؤيد » ممثلة للتيار الأول من هذه التيارات الوطنية الثلاثة ، وما لبثت معالم هذا التيار أن تحددت واتسمت بسمات مميزة له عن غيره ولعل أهمها ويميزه تأييده للخديو عباس حلمى الثانى فى الحل الأول وهذا ما حدا بالقائلين الى القول بأن الشيخ على يوسف صاحب المؤيد كان « نصفه للأمير ونصفه للجماهير » ٠

والشيخ على يوسف استطاع بذكائه وموهبته ودماء الصحفى الفطرى فيه وتفكير الشيوخ ، أن يكسف المحافظين ـ ان صحت هذه التسمية ـ من المصريين والأتراك فى « المؤيد » ٠

وقد استلفت الشيخ على يوسف أنظار عديد من مفكرى الغرب فعلى الرغم من نشأته الأزهرية فأنهم يشهدون له بالتفوق الصحفى الذى يقتضى مواهب عديدة لا تتوقع الا فى أمثال السيد على يوسف ٠

---

(١) د٠ أحمد حسين الصاوى : معالم تاريخ الصحافة المصرية ٠

أنظر كذلك : د٠ خليل صابات : الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم الطبعة الثانية ص ٩٥ وما بعدها ٠

فهذا تشارلز آدمز يقول عنــه فى « الاســلام والتجديد » :

« كان الســيد على يوسف صحفيا ماهــرا له دهــاء ومكر أحيانا ولقد رفــع المؤيد الى مكان الصدارة فى العالم العربى ، فأحاط الخديو عباس هــذه الصحيفة برعايته وشملها بحمايته وأصبح الســيد على يوسف يسير فى ركاب الخديو حيث ســار وأخلص له اخلاصا يفوق اخلاص مصطفى كامل لهذا الجالس على العــرش . وقد وجــه السيد على يوسف سياسة المؤيد وجهــة خاصة ، فجعله يوما للدعــوة الى الرأى المحافظ ، وكان فى نظــر خصومه ــ على الاقــل ــ يهيج كوامن التعصب الدينى » . وكتب الخديو عباس عنــه فى مذكراته يصــور علاقته بجريدة المؤيد : « كنت أود أن يكون لى صحيفة قــادرة على أن تثير الشــعب المصرى وتقوده شيئا فشيئا الى ادراك أكثر وضوحا لكلمة الوطن وواجبات المواطن فدعوت كاتبا من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه ــ هو الشيخ على يوسف ، وكان خارجا من الجامعة الأزهرية وكان قد لفت اليه الأنظــار ــ ان لم يكن باتساع أفقــه الفكرى فبحماسته فى المناقشة وبموهبته الحقيقية فى الجدل . وبقدرته المعروفة فى هضــم المسائل وخاصــة اذا ذكرنا أنــه لم يكن يتكلم الا العربية ، ولم يدرس الا فى الجــوامع » .

وهذا التيــار الممالىء للخديو لم يواكب التجمع الوطنى الذى كان فى كل يوم جديد يزداد قــوة ، فمصطفى كامل يخطب فى أوربا ويندد بالاحتلال فى كتاباته وخطبه ، وكانت حــاجة الجماهير ملحة الى صحيفة من لــون جديد فأصدر مصطفى كامل جريدة « اللــواء » فى أول عــام ١٩٠٠ ، وكان الاعداد لهــا ضخما من حيث المــال والادارة والتحرير حتى تتمكن من مناقشة الصحف الأخــرى .

وتمثل « اللــواء » التيــار الثانى من تيارات الحركة الوطنية ، وقــد قامت بدورها فى نشر الوعى الوطنى ومحاربة الاحتلال والدعــوة الى حيــاة دستورية سليمة ، وقد كتب مصطفى كامل فى افتتاحية العــدد الأول محددا اتجــاه اللــواء فيبين أن هدفها هو « خدمة الوطن والاســلام بأشرف السبل وأنفعها والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهــة وبين كــافة المسلمين من جهــة أخرى . والعمل لتربية أبنــاء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجــارة والصناعة » .

وهذا التيــار الوطنى ، اقترنت وطنيته بعاطفة اسلامية ، فوقف الى جــانب الخــلافة العثمانية ، وأيد استمرار مصر بهــا روحيــا . وقد أكــد

مصطفى كامل هذا الاتجـاه عندما قال : « حقـا ان سياسة التقـرب من الدولة العلية لأحكم السياسات وأرشدها »(١) ٠

ويرى الدكتور أحمد حسين الصـاوى أن هذا الاتجـاه من « اللـواء » والحركة السياسية التى تعبر عنهـا راجع الى أن مفهوم الوطنية المصرية فى ذلك الوقت لم يكن قد خلص تماما من فكرة التبعية الروحية لخليفة المسلمين والى أن مصطفى كامل كان يحتاج الى تأييد الباب العـالى فى كفاحه ضـد الاستعمار البريطانى وهو ما افتقرت اليه الثورة العرابية ٠٠ وعلى أى حـال فقد خلصت كتابات مصطفى كامل الوطنية فى اللـواء قبيل وفـاته من شائبة الاتجاه نحـو الباب العـالى ٠٠ وبرزت وطنيته مصرية خالصة تستهدف تحـرير البـلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معـا ، ويمثل توقيع الاتفـاق الودى بين انجلترا وفرنسا عـام ١٩٠٤ نقطة تحول خطيرة فى اتجاهات الصحافة ٠٠ فقد توطد مركز الانجليز فى البـلاد ، واشـتد ضغطهم على الحريات ، ومن ثم ازدادت لهجـة « المؤيد » هدوءا ولينـا وفترت حماسة غيرها من الصحف الوطنية بينما ظلت « المقـطم » والتزمت « الأهـرام » السلبية ٠٠ أما اللـواء فسرعان ما أفاقت من الصدمة بعد أن كشفت فرنسا عن نفسها وأعلن فيهـا مصطفى كامل أن الدول الأوربية كلها سـواء وأن المصريين يجب أن يعتمدوا على أنفسهم فى الكفـاح الوطنى ٠٠ وتأكد هـذا الاتجـاه من « اللـواء » بفتور العلاقة بينهـا وبين الخديو بعد أن تخـاذل أمام الضغط البريطانى وبذلك ازدادت اللـواء قسوة وشعبية وأصبحت أولى الصحف الوطنية المكافحة ، غير أن « اللـواء » مع تخلصها من فكرة التماس تأييد فرنسا ومن صلتها بصاحب العـرش ظلت متمسكة بفكرة الخـلافة الاسلامية وارتباط مصر بهـا ، حتى قبيل وفـاة مصطفى كامل ٠٠ ثم بدا من كتاباته الأخيرة تخليه الى حـد كبير عن هذه الفكرة واتجـاه دعوته نحـو تخليص البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معـا ٠

وتتمخض الحركة الوطنية عن تيارها الثالث ، وهو التيـار الداعى لأن تكون « مصر للمصريين » والذى تزعمه أحمد لطفى السـيد ، ومثلته جريدة « الجريدة » التى صدرت عـام ١٩٠٧ ٠

وقد اختطت الجريدة لنفسها تيـارا متميزا مختلفا تمـام الاختلاف عن التيارين الأولين ، فكانت دعوتها للقومية المصرية الخالصة باعتبارها هـدف الاستقلال الصحيح ، دعـوة جديدة تتميز بطـابع فكرى ٠
والى جـانب ذلك أخذت الجريدة بالمذهب « الليبرالى » الذى يدعـو الى

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ص ٣٥٠ ط ٢ القاهرة ٠

زيادة نصيب الأفـراد من الحرية وتحديد تدخل الحكومة فى مختلف القطاعات حتى تعتـاد الأمة أن تعتمد على نفسها بدلا من الاعتماد على الحكومة فى كل أمورها ٠٠ ومن هنـا نادت بحرية التعليم والمرأة والصحافة والقضـاء وما الى ذلك ٠

ويربط الأستاذ رجـاء النقاش بين هذا التيار وبين الفابيين فى انجلترا لا من ناحية الأهداف والمبادئ، ولكن من ناحية الأسلوب ، ذلك لأن الخـلاف كان كبيرا بين الفابيين وبين تيـار لطفى السيد وحـزب الأمة الذى ينتسب اليه ، بل ويعتبر زعيمه الروحى ومفكره الأكبر ، فالفابيون اشتراكيون بمعنى من معـانى الاشتراكية ، ولطفى السيد مع أعضاء حـزب الأمة لم يتحدثوا عن الاشتراكية بأى معنى من المعـانى ، بل كان مطلبهم الأساسى هو تحرير مصر سياسيا من السيطرة الانجليزية ، ولكن الاتفـاق الأساسى بينهم وبين الفابيين هو الاعتدال والتدرج(١) ٠

وتنفرد « الجريدة » بدعـوتها الوطنية لأن تكـون « مصر للمصريين » ومعارضتهاالفكرة الجامعة الاسلامية التىتزعم وتنادىبربط مصر بتركيا،وهى الفكـرة التى كانت تؤمن « المؤيد » بهـا واختلطت النزعة العثمانية بوطنية « اللـواء » الى حـد ما ٠٠ وبذلك كانت الجريدة تمثل تيـارا جديدا يمكن أن نطلق عليه « التيـار المصرى » بلا تحفظ ، لأنه يتخلص من الارتباط بجانب معين أو التمـاس التأييد من أية قـوة داخلية أو خارجية ٠

ونصـل من هذا الحديث الى أن الصحافة مثلت التيارات المتصارعة تمثيلا صـادقا فرأينا كيف أن التيـار المعادى للانجليز مثلته « اللـواء » وبرز على قمته مصطفى كامل ، والتيـار المؤيد للخديو مثلته « المؤيد » وصاحبها السـيد على يوسف ، والتيـار الداعى الى أن « تكون مصر للمصريين » مثلته « الجريدة » ومحررها لطفى السـيد ٠

وتستلفت النظـر فى هذه الفترة ظاهرة عربية فريدة فى نوعها ٠٠ فمن المألوف لدينـا اليوم أن تنشـأ الأحزاب أو ثم تثبت أركانها ، وبعد ذلك تتخذ من الصحافة وسيلة لنشر مبادئها والدفاع عنهـا وفق مخططات مرسومة لا تحيد عنهـا ٠٠ هذا هو الأمر الطبيعى فى نشـوء الأحزاب ، لكن نشـأة الأحزاب فى مصر شذت عن نشأتها فى غير مصر ، فنشأت الأحزاب فى أحضان الصحافة ٠ وكانت الصحافة هى الأم ، فصدرت « اللـواء » فى سـنة ١٩٠٠ م وما لبثت أن نشـأ فى أحضانها « الحـزب الوطنى » ، وقبل اللـواء صدرت « المؤيد » سـنة ١٨٨٩ ، وما لبث أن تكـون حولها حـزب « الاصلاح على المبـادئ الدستورية » وفى سـنة ١٩٠٧ صدرت « الجريدة » ثم احتضنت « حـزب الأمـة » ٠

(١) رجـاء النقاش : مقال بمجلة الكاتب ـ نوفمبر ١٩٦٤ ٠

والمتأمل فى هذه الفترة يدرك مدى ما بلغته الدعـوة القلمية فى مصر من قـوة تصل الى حـد احتضانها الأحـزاب ٠٠ هذا من جهـة ٠٠ ومن جهـة أخـرى كان هناك لون آخـر من الصراع جعل العصر أشـبه ما يكون ببرج بابل على حـد تشبيه العقـاد ٠

وتبرز حـركة الاصلاح الدينى التى قـام بهـا الامام محمد عبده بعد أن يئس من السياسة أثـر هزيمة العرابيين ، وبعد أن هاجـر أستاذه جمال الدين الأفغـانى من مصر مخلفـا فيهـا بذوره التى ما لبثت وترعرعت فى كل ميادين الاصـلاح ـ السياسى والدينى والفكرى ٠

وكان محـور حركة الاصلاح الدينى عند الأستاذ الامام هو ازالة التناقض الشكلى ، الذى روج له أصحاب المصلحة من وراء ذلك ، بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغـربية ٠

وكانت آراء الأسـتاذ الامام متحررة الى حـد كبير من قيـود التقليد والجمود ، وقـد سـاهم بقسط كبير فى الدعوة لتحرير المـرأة وتعليمها ، وقد بلـغ بأعدائه الادعـاء الى حـد القـول بأنه هو الذى ألف كتابى قاسم أمين المعروفين « تحـرير المـرأة » و « المـرأة الجديدة » وأنه تخفى تحت اسـم قاسـم أمين حرصـا على مركزه الدينى ٠

* * *

ووسـط هذا الصراح نجـد عباس العقـاد يبدأ حياته مستقلا عن الأحزاب « كنت من فريق الشباب القلائل الذين نفـروا من الأحزاب منذ اللحظة الأولى فلم يكن لى حزب أتعصب له وأنتمى اليه ، ولم تكن لى صحيفة اتسـع لسياستها ومنهجها فى كتابتها ، ولكنى كنت أفضل « الجريدة » فى جـانب الثقافة ، وأفضل « اللـواء » فى شدته على الاحتلال والوزارة ، وأقـرأ « المؤيد » لمقالاته الشرقية والاسلامية وأعتقد أن الخطة المثلى هى خطة « مصر للمصريين » تمييزا لهـا من خطـة للمحافظة على السيادة العثمانية وكان بعضهم يترخص فى تسمية هذه الخطـة وأصحابها باسـم « حـزب المفتى » لأن الأستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ، كان أشهر المعروفين بذلك الرأى فى تلك الفترة وهو فى ذلك سـعد زغـلول وأحمد لطفى السـيد(١) ٠

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٢٧ ٠

والموقف الذى اتخذه عباس العقـاد من هذه التيارات المتصارعة يستند على أسـاس قـوى من شخصية عباس العقـاد ، وتفضيله لاتجاه على آخـر انمـا يرجع الى مكونات هذه الشخصية ، واذا نظرنا الى موقفه ازاء « اللـواء » وصاحبها وحـزبه الوطنى الذى اجتذب اليه معظـم الشبان المصريين ، نجد فى نفس عباس العقـاد الشـاب المتطلع الى الاشتغال بالصحافة ، بقـايا من حـادث لم يستطع نسيانه يجعله لا يميل الى مصطفى كامل ٠٠ ذلك أن مصطفى كامل أصطحب معـه الكاتبة الفرنسية « مدام جولييت آدم » وكاتبة انجليزية من حـزب الأحرار تدعى « مسز يونج » لزيارة أسـوان ، وكان ناظـر المدرسة التى يعمل فيهـا عباس العقـاد مدرسا ، يراسـل « اللـواء » فما لبث أن دعـا مصطفى كامل الى زيارة مدرسته ومعـه رفيقتيه ٠٠ ودخل غـرفة السنة الرابعة وفيهـا درس اللغة العربية فجلس مكان التلميذ الذى كان يـكتب على اللوحـة وأملى عليه عـذا البيت لأبى العـلاء ليعربه ويشرح معنـاه :

والمـرء مالـم تفـد نفعـاً اقامتـه

غـيم حمى الشـمس لم يمطـر ولم يسر

وترجم مصطفى كامل هذا البيت الى اللغـة الفرنسية فى طـلاقة وثقـة ، وناقش التلميذ فى شرح معنـاه فتعلثم التلميذ ولم يجب بطائل فأسعفه العقـاد معتذرا له بأن الغـيم الذى لا يمطر فى أسوان ولا يسير نعمة محبوبة ، وأن الغـيم المطر وغير المطر عندنا قليل !

ولاح لى أن « الباشـا » لم يسترح لهـذا التعقيب ، ولم يتقبل منـه الاشارة الى خطئه فى اختياره ! وان لم يكن فى الأمر غير فكـاهة تلاقى فيهـا التخطئة والتصويب ٠٠(١)٠٠

كان لهذا الحـادث أثـر وأى أثـر فيما بعد فى تكوين صورة لمصطفى كامل فى ذهن العقـاد ٠٠ لقد أيقظ هذا الحـادث البسيط فى محتواه كوامن التحدى لدى الشـاب الباحث عن المثل الذى ينشـده للزعيم ، والذى يتفق معـه فى تكوينه الفكـرى والعقـلى ٠

■ صورة مصطفى كامل التى بقيت فى خلدى مدى الحيـاة هى الصورة التى أنطبعت فيه من أثـر هذه الرؤية الأولى ٠٠

■ حركاته كلها كانت تنم على احساسه بدقـة تكوينه ، يبدو ذلك من

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٤ ٠

شموخه وزهـوه كمـا يبدو من طـول طربوشه وارتفاع كعبه ، ومن سترة « البنجـور » التى كانت لا تلائم سـنه وهو دون الثلاثين ٠٠

وهذا البيت من قصيدة أبى العـلاء ــ اليس فيه تعريض بالأجسـام التى تسـد عين الشمس فتحجب الضـياء ولا تجـود بقطرة من المـاء ؟

وربمـا شغلته دقـة تكوينه بسمت الوقـار ، فـلم تسمح له بمجاراة روح الفكاهة ولاسـيما الفكاهة على حسابه ، والفكاهة التى فيهـا تخطئة لاختبـاره(١) ٠

والزعيم الذى ينشده عباس العقـاد هو « المصرى » فى طباعه وأفكاره ، وأهـم ما يميز المصرى هذه الروح الفكاهية التى أفتقدها عند مصطفى كامل لجديته وأخذه الأمور مأخذ الجـد ، وعزوفه عن روح الفكاهة بصورة مطلقة وهذه الروح التى تميز المصرى لم يفتقدها العقـاد عند سـعد زغـلول مثـلا وكانت سـمة من سمات مصريته ، والتى تربطه بالمصريين تماما ٠

« وليست اللباقة وبراعة الحديث ولطف النادرة وحسن المؤانسـة بالخصال المستغربة فى أمة قديمة الحضارة عريقة الآداب منصرفة فى أكثر الاحيان الى السلم والمعيشة الوادعة ، وأخلق بهذه الخصال وحـدها أن تكون ينبوعا فياضا للنكتة ولباقة التعبير فى الجد والهزل على السواء ، فاذا أضيفت اليها عبر الأيام ونقائض التاريخ وأطوار الحوادث المتعاقبة ففى ذلك مدد للفكاهة لا ينضب واغراء بالترويح عن النفس لا يزال يهديها الى التبسيط والمزاج ٠

« لذلك كن المصرى مزاحا بحكم لباقته المستفادة من قدم الحضارة ، ومزاجا بحكم الحوادث التى تلجئه الى التخفيف وقلة الاكتراث ، ومزاحـه فى جميع الأحوال متسم بالصبغة المصرية ، مطبوع بطابع اقليمه وتاريخه ، بحيث ينم على خصائصه الفكرية والنفسية ويميزه نمطا وحـده قليل النظائر بين أنماط الفكاهة والتنكبت » ٠٠ نقـول أن الزعيم الذى ينشده العقـاد هـو ذلك المصرى الذى يتمتع بطبيعة مصرية فهـو مناضل وجياش الطبيعة على مقـربة من الميدان الذى يدعـوه الى النضـال ، وهو ــ لأنه حى جياش الطبيعة ــ حسن المـودة والأنس بالناس والارتياح الى المعاشرة ، والزعيم الذى يحبـه العقـاد هو ذلك الذى يكون فى مجالسه الخاصة من أقدر

---

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٥ ٠

الناس على مؤانسة الجلساء بالحديث الشائق والفكاهة الحاضرة والحدب المطبوع (١) ٠

هذه الشخصية « المصرية » التى يحبها العقاد ، لم يجدها لدى مصطفى كامل ، وانما وجدها فيما بعد لدى سعد زغلول الذى تمتع بمميزات الشخصية المصرية ففكاهته حاضرة على البديهة يستعين بها على لطف مؤاخذة أورد مكيدة أو الزام حجة أو صرف حادثة مؤلمة بكلمة مضحكة ، فهى تارة بلسم جراح وتارة عدة كفاح ، وهى مؤنة تصلح حينا لمساجلة الأصدقاء كما تصلح حينا لمناجزة الأعداء (٢) ٠

وسنرى أن عباس العقاد يسير فى تيار الأستاذ الامام محمد عبده وتلاميذه من بعده ومنهم سعد زغلول لأنهم بحثوا عن الشخصية المصرية ووجدوها وسط التيارات المتصارعة التى كادت الشخصية المصرية فيها أن تتلاشى ٠ فمصطفى كامل لا يرى غضاضة فى ارتباط مصر بالدولة العثمانية ، وتلاميذ الشيخ يرون أن استقلال مصر عن كل ارتباط من شأنه أن يقيدها هو الهدف المنشود من وراء كفاحهم ونضالهم الفكرى والسياسى ٠

لم أشترك فى الحزب (الوطنى) بعد اعلان تأليفه كما اشترك فيه زملاؤنا الصحفيون ٠٠ ولا يخطر لى الآن ، ولم يخطر لى قبل الآن ان تلك الصورة التى ارتسمت فى ذهنى من لقاء مصطفى كامل للمرة الأولى هى التى أخرتنى عن طلب الاشتراك فى حزبه ، فلم يزل مصطفى كامل أحب المجاهدين الينا فى حومة القضية الوطنية بين أصحاب الصحف وأعلام القضية المصرية يومئذاك ، وكنت أتشيع له اذا نشبت المعركة بينه وبين خصومه ٠٠ وفى المعارك القلمية كنت أجد نفسى الى جانب مصطفى كامل ، كلما نشبت الخصومة الحامية بينه وبين على يوسف ــ صاحب المؤيد ــ وبعد أن عرفت من حقائق الدعوة الوطنية وحقيقة نفسى ما لم أكن أعرف ، أستطيع أن أقول أن اختلاف الطبيعة البعيد قد رسم أمامى مثالا للامامة المذهبية غير هذا المثال ، فان مصطفى كامل كان من أصحاب الطبيعة الخطابية الشعورية وكانت الطبيعة الأدبية والفكرية أقرب الى وأدعى بالاتباع ، فضلا عن نفور أصيل عندى من التقيد بالحزبية فى الرأى أيا كان مقصدها فى السياسة أو الأدب أو الثقافة على الاجمال (٣) ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : نفس المرجع ص ٥٥٠ ٠
(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص٥٥٠ ٠
(٣) عباس محمود العقاد : سعد زغلول ص ٣٠ ٠

واختلاف الطبيعة هو الذى جعـل لى سبيلا فى المسائل القومية غـير السبيل التى كان يختارها مصطفى كامل فى كثير من مواقفه العـامة ٠٠ فـلم يعجبنى موقف المصرى المتوسل أمام تمثـال فرنسـا يناجيها ويناديها :

يـا فرنسـا يـا من رفـعت البلايـا
عـن شـعوب تهـزها ذكـراك
انقـذى مصـر ان مصـر بسـوء
وارفـعى النيـل من مهـاوى الهـلاك

« ولم يكن أدب فرنسـا ، ولا ما اطلعنا عليه من تاريخ ثورتها ، داعيا عندنا للثقـة بنجدتها واستعدادها لانقـاذ مصر أو سواها ، ولم تكن طبيعتى التى تأبى طلب المعـونة من القادرين عليهـا كما تأبى طلبها من العاجزين عنهـا مما يقنعنى بامكان التمويل فى قضية الاستقلال على معونة دولة قـط ، من الدول الكبـار أو الصـغار(١) » ٠

ولهذا أيضـا لم يعجبنى تعليق الاستقلال المصرى بالسيادة العثمانية ، لأننـا على عطفنا الدائم على الدولة العثمانية فى مكافحتها للتعصب الأوربى لم نكن نفهم أن هذا العطف ينتهى بجهادنا الى الرضـا باستقلال تشرف عليه سيادة دولة اخـرى ، وقـد كان مصطفى كامل يمزج كثيرا بين المصرية والعثمانية حتى فى احاديثه الخاصـة ٠٠ كمـا قال فى جوابه لسؤال الجنرال « بارنج » شقيق لورد كرومر : هـل أنت مصرى أو عثمانى ؟ فكان جوابه : مصرى عثمانى ، وعجب الجنـرال بارنج فعـاد يسأله : وكيف تجتمـع الجنسيتان ؟

قال مصطفى : ليس فى الأمر جنسيتان ، بل فى الحقيقة جنسـية واحدة ، لأن مصر بلد تابع للدولة العلية ، والتابع لا يختلف عن المتبوع فى شىء من أحكـامه(٢) ٠

وكان العقـاد ينشـد من ثورة مصر أن تبدل النظـم الاجتماعية أو السياسية ٠٠ وهذا ما يأخذه على ثورة مصطفى كامل فى أنهـا تنحصر فى الثورة على الاحتلال فـلم يكن فى نزعات نفسـه ، ولو قبس ضعيف من

---

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٤٦ وما بعدها ٠

(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٨ وما بعدها ٠

الثورة على المساوىء الخديوية ، ولم يختلف فى كثير ولا قليل عن أبنــاء عصره فى تعظيم الألقــاب الرسمية واعتبارها « انعامات » مشرفة لــن يتلقاها(١) ٠

ولعله من المفيد فى هذا الصــدد أن نذكر أن وطنية مصطفى كامل كانت وطنية عاطفية فكان خطيبا قبــل أن يكون مفكرا ، أو بمعنى آخــر كانت عقليته عقلية ثورية تقترب من عقلية الأستاذ الامام عقلية تطورية لا ثورية ، وهو ما يمكن قــوله بالنسبة لعقلية عباس العقــاد ، فهى عقلية تطورية بمفهــوم هذه الكلمة الواســع ٠

وعندما فكــر عباس العقــاد فى أى طريق يختــار كان يدرك أن الزعامة السياسية لا تخــلو من أخطــاء فى الحيــاة العــامة أو الخاصة وربما كانت زعــامة مصطفى كامل أقــل الزعامات خطــأ فى أوائل دعوتهــا !

يقول العقــاد : « لست أذكر أننى تبينت هذه الأخطاء أو تبينت غيرها من الأخطاء السياسية بحثــا وتفكيرا وامعانا فى تحقيق المطــالب الوطنية وتحقيق أساليب العمل لها والوصول اليها ٠٠ فان هذا البحث جهد لا يطيقه عقل صبى فى الخامسة عشرة أو شــاب فيمــا دون العشرين وهى سنى يوم عملت فى الصحافة اليومية ، فــلا أذكر ــ اذن ــ أننى أحجمت عن الاشتراك فى حــزب مصطفى كامل بعد البحث المفصل والموازنة الواعية بين مقاصد الزعامات السياسية وطرائق الزعمــاء فى ذلك الحين ، ولكن الذى أذكره جيدا أننى كنت أقــرأ مقالات مصطفى كامل وأسمع خطبه فأحمد له غيرته واعجب بصدقه فى جهــاده ، ولكننى أرانى أمام منهج من الكتابة والقــول غير المنهج الذى أتلقى منــه رسالة الفكــر والعاطفة وتستجيب اليهــا بديهتى المتطلعة الى الوعى والمعرفة فــان ذلك الأسلوب « الخطابى الشعورى » الذى كان له أبلغ الأثــر فى جمهور مصطفى كامل لم يكن هو ذلك الأسلوب المختــار الذى عهدته فيما أطلعت عليه من كلام مقــروء أو كلام مسموع ٠

ولعــل شهر الأمثلة للأسلوب « الخطابى الثورى » اذى كان ذريعــة التأثير الكبرى فى خطب مصطفى كامل قوله فى خطبة زيزينيا الكبرى وهى أقــوى خطبه وآخرها قبل وفــاته اذ يقــول :

« بــلادى ٠٠ بــلادى ٠٠ لك حبى وفــؤادى ، لك حيــاتى ووجــودى ، لك دمى ونفسى ، لك عقــلى ولســانى ، لك لبى وجنــانى ، فــأنت أنت الحيــاة ، ولا حيــاة الا بــك يا مصــــر ٠٠ »

ويعقب العقاد على هذه الخطة قائلا :

« فان هذا الاطنــاب وما شابهه لا يعطينى ما أتطلبه من الاقتنــاع ولا

---

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٨ ٠

من العبــارة الأدبية عن العواطف ، وانمــا هو أشــبه بدقــات النفير تتكرر على وتيرة واحدة لتحتفظ بأعصــاب السامعين فى طبقــة مشدودة من الانفعال والتنبيه ، سواءكان هذا الانفعال للوطنية أو لغيرها منالعقائد الشعورية(١)»

ونخلص من ذلك الى ان مصطفى كامل ــ كمــا يقول العقــاد بحق ــ كان نعــم الزعيم على منهجه وسجيته ، ولكن زعامته كانت تتسع فى عصره ــ وبعد عصره ــ لزعمــاء آخرين على مناهجهم وسجاياهم ، لأن الوطنية المصرية كانت تشمل مصطفى كامل بكل ما احتواه من غيرة وحماسة ، ولكنه رحمــه الله لم يكن يستوعب الوطنية المصرية بكل ما تحتويه أو ينبغى أن تحتويه(٢)

ويجد العقــاد ما يفتقده فى الحــزب الوطنى ، لدى تيار « مصر للمصريين » الذى ارتفع مناديا به صوت لطفى الســيد فى حــزب الأمــة ، مع خيرة من تلاميذ الأستاذ الامام ·

وفى الواقع لقد كانت « الجريدة » مدرسة فكرية استقامت على مذهب ودعــوة وأســلوب ، وقــد جــذبت اليهــا كثيرا من الرواد الذين اعتنقوا مذهبها ودعوتها وأسلوبها كمــا التفت حولها ونشــأ فى رحــابها كثير من الشباب النــابه من الجنسين وكانوا موضع رعــاية وعناية رئيس تحريرها أحمد لطفى الســيد فكان من اهتمامهم بهم أن أفسح لهم مجــال الكتابة على صفحات الجريدة ، كمــا تعهد أساليبهم ومعارفهم بالصقل والتهذيب وقراءاتهم بالتوجيه والارشاد ، بل بلغ به هذا الاهتمام أن كان يستقدم لهم خــيرة المحاضرين فى مختلف العلوم فيحاضرونهم فى دار الجريدة ·

وقد فتحت صفحات « الجريدة » للكتابة الأدبية بأقلام ناشئة الجيل الحديث ، وكانت تفسح فى صفحاتها الأولى ــ الى جانب المقــال الافتتاحى ــ موضعا لقصيدة عاطفية أو مقــال طريف من مقالات الوصف والنقد اللغوى ، وترددت على صفحاتها أسماء محمد حسين هيكل وطــه حسين ومحمد السباعى وعبد الرحمن شكرى وابراهيم عبد القــادر المزنى والغاياتى وسلامة موسى ومحمد توفيق دياب وعباس العقــاد ·

وكان عباس العقــاد يرسل مقالاته أو مقطوعاته الشعرية بالبريد فتنشر

---

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٥٠ ·
(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٥١ ·

بعد يوم أو يومين من وصولها ، ويذكر العقـاد ، انه قدر لاحدى مقالاته انهـا لا تحل عند قلم التحـرير محـل الترحاب اذا وصلت اليـه محـولة من مدير التحرير ، فتعمد أن يسلمها الى المدير يدا بيد ، ولم يجد صعوبة فى لقـائه عندما قصـد الى مكتبه على غير ميعـاد ٠٠ وكانت المقالة نقدا لكتـاب الأستاذ محمد لطفى جمعة عن « كلمات نابليون » ٠٠ وكان الأستاذ جمعـة قد نقـل بعض هذه الكلمات كمـا ترجمها العقـاد بحروفها ولم يشر الى هذه الترجمة ، كمـا ذكر العقـاد ، ولمـا نبـه الى ذلك فى تعليقه على كتـاب الأستاذ محمد لطفى جمعة تذكر انه صديق لاكثر المحررين « بالجريدة » ٠٠ فكان ذلك من دواعى التفكير لدى العقـاد فى لقـاء لطفى السيد لتسليمه المقالة ، ولا رضـاء فضول الشباب برؤية ذلك « الفيلسوف » الكبير الذى كان الشباب يقراون له ولا يرونـه ٠

ويذكر العقـاد أن مدير الجريدة استقبله استقبال الرعاية والترحاب ثم تصفح المقالة على عجـل وامر بارسالها الى المطبعة على الاثـر ، وهو يقول مبتسـما : ألا تخـاف من نابليون يا ابنى ؟! ٠٠

قال العقـاد وهو « يعلم أن كلمة الديمقراطية من أحب الكلمات الى لطفى السـيد وأكثـرها ترددا على لسـانه وقلمـه : » الحمـد لله على نعمـة الديمقراطية(١) !! ٠٠

والواقع أن هذا التيـار كان أقـرب ما يكون الى العقـاد ، لمـا يتسم به من طـابع فكرى وعلمى ، وهذا الطابع يتفق مع تكوين العقـاد الفكرى والثقافى وبديهته المتطلعة الى الوعى والمعرفة ٠

ولكن هـل انتمى العقـاد الى تيـار حـزب الأمة وجريدة الجريدة ؟! ٠
الواقع أن العقـاد لم ينتم الى هذا الحـزب كما لم ينتم الى اى حزب آخـر من الأحزاب الثلاثة ٠

ويرجع ذلك الى تكوين العقـاد الاجتماعى قبل كل شىء ، وتكوين حزب الأمة الاجتماعى الذى ضـم بين أعضائه أبنـاء العائلات وفئـة كبيرة من السروات وأصحاب الجـاه والثراء فى البلاد ، وكانت الصـلة الجامعة بينهم كافة أنهم من « غير الرضى » عنهم فى قصر الأمير (٢) ٠ ولذلك فقد كان العقـاد كواحد من أبنـاء الطبقة الوسطى الصغيرة فى تكوين المجتمع المصرى ، يحس بأن أعضاء هذا الحـزب بعيدون عن الشعب الحقيقى تماما ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٢٣٧ ٠

(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٢٣٦ ٠

ونرجح أن الموقف الذى اتخذه العقـاد من التيارات المتصارعة كان متفقا تماما مع شخصيته ومتسقا مع تفكيره ، وكان لابد من البحث عن طريق جديد يشـقه العقـاد وسـط هذه التيارات العنيفة التى كان وجودها مجتمعة ضرورة اقتضتها الحـركة الوطنية فى ذلك الوقت ٠

خلفيـــة الصـــورة

إذا كان لاختلاف الأيديولوجيات اثرها العميق فى توجيه الجريدة من الجرائد فـان هناك جانبا لا ينبغى أغفاله له أعمق الاثر فى خط سير الصحيفة ، ونعنى به المقومات المادية التى تعتمد عليها الصحيفة فى القيـام بتكاليفها ، فـان الصحيفة التى ينفق عليها حـزب ذو برنامج معلوم غير الصحفة التى تنفق عليها شركة تجارية ، وغير الصحيفة التى تقـوم على التوزيع أو تقوم على الاعلانات أو تقـوم على الاشتراكات السنوية والدورية ، ويمثل هـذا الجـانب ما يمكن أن نسميه « خلفيـة الصـورة » ٠

واذا كنـا فى الفصل السابق قد حاولنا رسم المقومات السياسية التى تمثل الملامح الرئيسية للعصر ، فاننا نجد فى خليفة الصـورة ظلال أشخاص « كالوكـلاء » مثـلا لهـم دورهم فى حيـاة الصحيفة من الصحف ، بينما المحررون ذوو الأقـلام هـم الشخصيات ذوات السمات المحددة ٠

ولقد كتب العقـاد فصـلا عن « الصحافة قبل خمسين سنة » فى مذكراته ، عالج فيه الصحافة من بابها الخلفى ، والواقع أن هذه الزاوية ما كان للمؤرخ الذى لم يعاصرها أن ينفذ اليهـا ٠

ولقـد كانت الصحافة فى هذه الفترة ـ كمـا يحب أستاذنا الدكتـور عبد اللطيف حمزة ـ أن يسميها « فى عهد البداوة » فلقد كان يكفى لرجـل من رجـال الصحافة العربية فى القـرن الماضى ـ كأديب اسحق ـ أن يقـول أنه يريد أن يصدر صحيفة وأن يصدر بالفعل هذه الصحيفة وليس معـه آن ذلك أكثر من عشرين فرنكا(١) ٠

كمـا كان يكفى لرجـل كالسيد عبد الله النديم أن يحصل على أمـر من نظـارة الداخلية باصدار مجـلة أو جريدة حتى يصدرها فى اليوم التـالى وليس فى جيبه الا بضع جنيهات هى جـزء من تكاليف الورق والطباعة (٢)٠

---

(١) د٠ عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة ط ١ ص ٣٠ وما بعدها ٠

(٢) نفس المرجع السابق ٠

ويحدثنا التاريخ عن السيد على يوسف انه أصدر صحيفة المؤيد اليومية وهى الصحيفة التى لعبت دورا كبيرا فى حياة مصر السياسية والاجتماعية واستمرت تلعب هذا الدور الخطير زهاء خمس وعشرين سنة كاملة ـ ولم يكن عند السيد على يوسف من المال كثير ولا قليل فاقترض من صديق له هو الشيخ أحمد ماضى ـ مائة جنيه أصدر بها الجريدة . ثم اختلف الرجلان بعد ذلك .. وكادت المؤيد أن تتوقف عن الصدور لولا أن قيض الله اذ ذاك رجلا عظيما من رجالات مصر هو « سعد زغلول » فأمد صاحب المؤيد ببعض المال الذى سدد به دين صديقه الشيخ أحمد ماضى .. وبالجزء الباقى من هذا المال القليل استمر فى اصدار الجريدة (١) .

ومن المعروف أن موارد الصحيفة تتكون من خمسة مصادر رئيسية ، منها ثلاثة مشروعة واثنان غير مشروعين .

فأما المصادر المشروعة فهى :

١ ـ التوزيع والاشتراكات .

٢ ـ الاعلانات .

٣ ـ عمليات الطباعة التجارية لحساب آخرين .

وأما المصدران غير المشروعين فهما :

١ ـ المساعدات المالية من الدول الأجنبية ، التى تستغل الصحيفة لأغراض الدعاية لها .

٢ ـ الرشوة سواء من الداخل أو الخارج ، من الحكومات أو الهيئات الأهلية والأفراد(١) .

وفى الواقع لقد كانت الصحافة فى عهد بداوتها قليلة التكاليف والمطالب ، ولكن هذه المطالب مهما كانت قليلة ، فان الموارد التى كانت تعتمد عليها الصحيفة من الصحف كالاشتراكات وثمن النسخ الموزعة وأجور الاعلانات ، وهى موارد مشروعة ، هذه الموارد لم تكن تكفى للانفاق على الصحيفة الى أمد طويل ، ولكنها مع ذلك لم تكن خالية من عقباتها وموانعها ولا من جرائر الخلل الدائم فى وسائلها ومواعيدها .. فلم يكن للصحيفة المنتظمة بد من مورد آخر غير الاشتراكات وغير البيع وغير الاعلانات ، وهو كذلك مورد

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٢ .

(٢) د. حسنين عبد القادر : ادارة الصحف ص ٤٧ .

مضطرب معــرض بطبيعته للفوضى وتبدل الأحوال ويعنى به مورد « الاعلانات السريه » من أصحاب الدعايات ، ومعظمها دعايات تصدر من قصور الملوك والامراء او من دواوين وزارات الخارجية والسفارات (١) ٠

ويعتبر التوزيع فى حقيقة الأمر المصدر الأساسى لايرادات الصــحف ، فالصحيفة تطبع أولا قبل كل شىء ليشتريها القــراء ويدفعوا ثمنها نقــدا ، ســواء عن طريق الاشتراكات التى تدفع مقدما أو عن طريق البيع بالنسخة واستلام الثمن فى الحال (٢) ٠

وكانت الاشتراكات الصحفية قبل خمسين ســنة ــ من الموارد الثابتة المنتظمة بالقياس الى موارد الصحف فى العصر الحاضر لأن الصحف فى العصر الحاضر تعتمد على البيع فى الاقاليم ولا تعــول كثيرا على الاشتراكات ولم تكن وسائل البيع فى الأقاليم ميسورة للصحف اليومية فضــلا عن الأسبوعية أو الشهرية الى زمن قريب(٢) ٠

ويقول العقاد أن الاشتراكات كانت خليقة أن تمـد الصحف بمورد نافع لو خلت من موانعها وعثراتها ولكنها كانت فى الواقع مولودة بموانعها وعثراتها ٠

وكانت الاشتراكات تعكس ظاهرة اجتماعية ، فأعيان الريف يحبون أن يشتركوا فى الصحف اليومية لأنهــا مظهر من مظاهر الوجاهة و « الأهمية » فى القرية أو البلدة الصغيرة ولم يكن بالقليل بين مظاهر الوجاهة اليومية أن يحضر ساعى البريد الى الدار يوميا ليدق الباب على مسمع من الجيران وينادى بصوت مسموع يشــبه صوت المنادى باســم « المحكمة » فى ساحة القضــاء :

ــ « بوســــــــــطة » ! ٠٠

فاذا بالحى كــله يترقب « ســماعا » جديدا بعد هذا النداء ، يحيط بأنباء الأرض والســماء ويتحدث عن المسكوف و « الانجلاطيرا » وملك « الفرنسا » أو الجمهور كمــا كانوا يسمعون عنه منذ أيام حمــلة نابليون ، ويتخللها بالأسطورة الطريفة التى تسمى بالترنسفال وبينهــا وبين السودان ألوف الأميال ، وياله من « واقــع » وراء الخيــال ! ٠٠

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة قلم ص ٧٤ وما بعدها ٠

(٢) د٠ حسنين عبد القادر : نفس المرجع ص ٤٨ ٠

ولم يكن الوجيه الريفى يماطل الصحيفة بقيمة الاشتراك حبا فى المطال .
فلم يكن يبخل بثمن هذا المظهر ولكنه يجود به عن طيب خاطر لو وجد امامه من يقبضه لحساب الصحيفة واين هذا الذى يقبضه لحساب الصحيفة ويؤديه بالامانة والوفاء(١) ؟ ٠٠

ولقد كانت الصحف تنشر بين اونة واخرى ، خبرا مكررا عن الوكيل « فلان » الذى الغى توكيله واصبح غير معتمد فى تحصيل الاشتراكات ٠٠ وكانت هذه الصحف تنشر قبل ذلك اعلانا موجها الى وكيلها فى هذا الاقليم او ذاك تنبهه الى موعد السداد وتلوح له بالتهديد والانذار ٠٠ وقد ينفع التهديد مرة ولا ينفع مرات ، ولكنه يعاد ثم يعاد ويتجدد مع الوكيل الجديد مرة ومع الوكيل القديم تارات ولا تستغنى الصحيفة عن مراجعة الوكيل القديم لقلة الوكلاء المتخصصين لهذه الصناعة او المدربين عليها فى معاملة الصحف والمشتركين والموظفين وافراد « الجمهور الصحفى » على التعميم ٠ ويذكر العقاد ان الوكيل كانت له فنون فى معاملة الموظفين واغرائهم بالثناء او تهديدهم بالتشهير والانتقاد ولا غنى له عن هذه الفنون لانه كان يستعين على الدوام بالموظف الكبير والموظف الصغير فى تحصيل « حق » الصحيفة و « حقه » هو فى سوقه السوداء من وراء الستار ٠٠

والواقع ان الصحف كانت مضطرة على مضض، ان تقبل الوكيل فى تحصيل الاشتراكات ولا حيلة فى قبوله على معاملاته ، لان معاملات الصحف لم تكن فى ذلك العهد قد ثبتت ذلك الثبات الذى يسمح « بتكوين » طائفة من الاعوان المدربين ينقطعون لها ويثابرون عليها ، فاذا نجح من الوكلاء واحد من عشرات فانما ينجح بعد ابتلاء الصحيفة بخسائر هؤلاء العشرات ، على دفعات !٠٠

ويذكر العقاد ان الوكيل على عيبه هذا ــ لا يستطيع أن يعمل فى بلاد يجهلها ولا يقيم بين ظهرانيها ٠٠ فلابد له من مواطن فى اقليم يعرفه ، ولا يتسع هذا الاقليم الجديد لأكثر من مئتى مشترك على أكبر تقدير ٠

ولا يصل الى خزانة الصحيفة الا القليل ٠٠ جد القليل ، من بعد المطال والعمولة والسوق السوداء !٠٠

وكل صحيفة احتاجت الى هذا القليل ، فقد كان عليها أن تقبل وسائله وتتجرع غصصه وتغضى عما تعمله من عيوبه ومحظوراته ٠٠ ويذكر العقاد

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة قلم ص ٧٥ ٠

منهـا ان الصحيفة تنشر كل ما يصل اليهـا من رسائل الوكيل أو من مدائحه وأهاجيه فى الواقع لأنهـا « عـدة الفعـل » التى يعمل بهـا ، ولا عمل له بغيرها ، بين الاعيـان والموظفين ·· فمن تصدى لتحصيل الاشتراكات ـ وتحصيل غيرها فى السـوق السوداء ـ فـلا أمل له فى محصول ينفعه وينفع الصحيفه بغير تخويف واغـراء ، ولا ضمير بالتخويف والاغـراء فى سبيل الخدمه العـامه والمصلحة القوميه ولكنه الضير كل الضير على الوكيل « الاريب » الذى يستطيع ان يجمع المئـات من لذعه هنـا واحدوبه هنـاك ثم يتركها ليقنع بالعشرات وما دون العشرات(١) ·

ويذكر العقـاد صحافة تخصصت فى « الهجـاء الاجتماعى » وأصـحاب هذه الصحافه كانوا يقومون « بتحصيل ضريبه الوجاهه والهيبه » فى المجتمع المصرى اذ ذاك ·

وكان « أحمد فـؤاد » صاحب صحيفة الصاعقة أشهر الصحفيين من أبنـاء جيـله فى تمثيل ذلك الدور الذى عرفناه فى صحافتنا بعد ظهور الصحف السيارة عندنا وانتشارها فى أواسط القـرن التاسع عشر ·· ويرى العقاد أن « فـؤاد الصاعقة » كان ممثـلا فى المجتمع المصرى لدور واحد على صورتين : صورة تظهر فى محيط الادب الشعبى وهى صورة « الادباتى » المتجـول بين بين بـلاد الريف والحضر ··

وصورة « مفصـحة » من هذا الأدباتى وهى صورة الأديب « الأريب » المحتـال لعيشه فى لغـة المقامات ، واسـم « أبو زيد السروجى » فى مقامات الحريرى عنوان عليه (٢) ·

والصورة التى يرسمها العقـاد لوكيل الصحيفة ليست قاتمة الى هذا الحـد ، فهو يذكر أيضـا أنه رأى فى ذلك العهد أناسا عملوا فى وكالة الصحف يدينون أنفسهم بنزاهة القاضى وأمانة الطبيب ، ويشتغلون بهذه الصناعة لأنهـا (هـواية) تمـلأ الفـراغ بالرحلات والمقابلات فى غير عنف ولا اضطرار ولكنهم شـذوذ القاعدة الذى يبعث فينـا التفاؤل كلمـا أطبقت علينا ظلمات الشـؤم والقنوط ·· أما القاعدة المطـردة يومئذ فقد كانت صفحة من صفحات الصحافة الحالكة فى تطورها الأخير ، كمـا يقول العقـاد ، وكانت « تصنيفة » الوكـلاء الصحفيين فى القـرن العشرين تدل على المـورد الذى تتسرب منه اشتراكات الأقاليم فهى « تصنيفة » يتلاقى فيهـا الكاتب العمومى المتجول

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة قلم ص ٧٤ ·

(٢) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ٢٦٤ ·

وقارىء الأعراس والمآتم ومأذون الشرع المفصول ، وصاحب الصناعات التى لا تحصى ٠٠ لأنه « متشرد » عام يشتغل بجميع الصناعات(١) !٠٠

التوزيـــــع :

وأما من حيث التوزيع فكانت النسـخ توزع عن طريق المتعهدين الذين يقسمون النسـخ على الصبية من باعة هذه الصـحف فى الطرقات العـامة ، ويذكر العقـاد فى مذكراته عن الصحافة من ٥٠ سنة أن التوزيع بأيدى الباعة كان موردا للصحف اليومية أعـم من مورد الاشتراكات وأيسر منه فى متاعب التحصيل . ولكنه لو اجتمع برمته من جميع الصحف الكبرى التى كانت تصدر فى القاهرة قبل خمسين سنة ، لما كان فيه الكفاية لاصدار صحيفة يومية واحدة فى هذه الأيـام ٠

ويذكر العقـاد أن أربعة أخمـاس النسخ المعـدة للبيع كانت توزع فى القاهرة وضواحيها ٠٠ ولولا أن الاسكندرية كانت مستعدة بموزعيها المشتغلين ببيع الصحف الأجنبية لما تأتى تدبير مسألة التوزيع فيهـا ٠٠

وفى الحديث عن التوزيع يصور العقـاد شخصية « المعـلم عكريشة » وهى وان كانت تكمن اليوم كظل خافت فى خلفية الصورة الى جـانب صور « الوكيل » وغيرهما من الشخصيات التى تمثل دور الظـلال فى تاريخ الصحافة المصرية ، كانت فى وقتهـا تتربع فى مقدمة الصـورة ٠

يقول العقـاد أن المعلم عكريشة كان يجلس الى ناحية المكتب وفى يده الجـوزة التى لا تفارقه ، وأذناه الى الكاتب الذى يسأل « أولا فأول » عن عـدد الوارد من كل صحيفة ، الى أن يتم الوارد من جميع الصحف اليومية ثم تبدأ عملية التفريق على المساعدين من المتعهدين فأنصاف المتعهدين فالباعة المتفرقين ولا يكلفك الأمر أكثر من جـولة سريعة بالنظر فى هذه الزاوية الضيقة لتحصر كل ما صـدر من صحف مصر الكبرى فى ذلك النهـار : المؤيد واللـواء ، والأهـرام ، والمقطـم ، والوطن ، ومصر ، والظـاهر ، والراوى ، والجـوانب المصرية ، والمحروسة فى بعض الأحايين ٠

وكانت هذه الصحف تصدر معـا فى وقت واحد بين السـاعة الثانية والسـاعة الثالثة فى المسـاء ، ويحملها عمـال عكريشة أو عمـال الصحف من مطابعها الى الزاوية المعروفة فـلا تلبث « عملية » النقـل والصف والتفريق أكثر من ساعة واحدة بنصف حمولتها ٠٠ وما كانت صحف القاهرة الكبرى

(١) عباس محمود العقاد : حياة قلم ص ٧٤ وما بعدها ٠

تحتـاج الى مكان للتوزيع أوسـع من « زاوية عكريشة » على جـانب من رصيف المحكمة المختلطة بجـوار العتبة الخضراء ٠٠

ولم تكن « زاوية عكريشة » هذه مكتبـا ولا شـبه مكتب ، ولكنها كانت منضدة من مناضد الكتبة العموميين على ذلك الرصيف ٠٠ وكان المعلم « عكريشة » متعهد بيع الصحف جميعا يستعيرها فى مبدأ الأمر من كاتبها الذى يستغنى عنهـا بعد الظهر ـ أى بعد الفـراغ من كتابة العرائض للمحكمة وكتابة الرسائل لصندوق البريد ـ ثم بدا له أن يشتريها وكاتبها جملة واحدة ، لاتساع دائرة العمل وزيادة الاقبـال على الصحف اليومية بعد قيام الأحـزاب السياسية ٠ على أثـر قضية دنشـواى ٠٠

ثم يخـلو الرصيف الا من المعـلم عكريشة وكاتبه ومنضدته وقلمه الذى يحمله وراء أذنه الى أن يودعه مكانه فى الدواة النحاسية الصفراء ٠٠ ومتى خـلا الرصيف هنـاك لم يبق مكان فى القاهرة خلوا من صبى من صبيان

المعـلم الكبير ، تكـاد تحسبهم أسرع من الترام لأنهم يصلون حيث لا يصل الترام ، وتكـاد تختلط أصواتهم بأصوات بائعى الخضر والفاكهة ، ومنهـا النداء على « الوطن ومصر العــال »(١) ! ٠

ولم يكن توزيع الصحف فى ذلك الوقت يزيد على خمسة آلاف للصحيفة الواحدة ، لأنه الحـد الأقصى الذى تبلغه طـاقة المكنات الطباعية ، قبل وصول مكنات البخـار والكهرباء ٠ وان كانت جريدة « المؤيد » سبقت فى استخدام ماكينة الروتاتيف ، وقد ارتفع رقـم توزيعها عن الصحف الأخرى الى حد كبير ٠ ويذكر مؤرخوا الصحافة فى مصر(٢) أن عـدد قـراء الصحف قـد بلغ فى الوقت الحاضر أضعاف أضعاف ما كان عليه فى أواخـر القـرن الماضى ٠ وكان هذا نتيجة طبيعية للعوامل الآتية التى خلقت وعيـا قوميا جديدا فى الشـعب :

أولا : زيادة عـدد السكان وتضاعفهم فقد قفـز عددهم من ٥ر٩ مليون نسمة تقريبا فى سنة ١٨٩٧ الى ما يزيد على ١٩ مليون نسمة سنة ١٩٤٧ وهو الآن يربو على ٤٧ مليون نسمة ٠ ويعنى أن عـدد السكان قد بلغ نحـو خمسة أمثال ما كان عليه فى مطلع القرن العشرين ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ٠

(٢) راجع ، د٠ حسنين عبد القادر : ادارة الصحف ص ١٥٦ ٠

ثانياً : النهضة التعليمية فى مصر خصوصا بعد دستور (سنة ١٩٢٣) والتعليم الالزامى للجنسين وانشـاء الجامعات المصرية وفتح أبوابها للجنسين والتوسع فى التعليم الابتدائى والمتوسط والثانوى والفنى ممـا جعله بالمجـان ، ومكافحة الأمية بين أفـراد الشعب من الذكور والاناث ، وانشـاء ادارات للثقافة الجماهيرية التى تنشر الثقافة بين الكبـار الملمين بالقـراءة والكتابة ، مع الزيادة الهائلة فى عـدد المدارس الحـرة الابتدائية والثانوية واعانة الحكومة لهـا ، وتكفل الدولة بدفع مرتبات مدرسيها .

ثالثاً : تضـاعف عـدد موظفى الحكومة والهيئات الشـبيهة بالحكومة والشركات والمصارف للتوسع فى الأعمال العمرانية ، وتحسين مرتباتهم فى السنوات الأخيرة مجاوراة لروح العدالة الاجتماعية ، التى تسود هذا العصر .

رابعاً : النهضة الاقتصادية فى مصر وزيادة الدخل القومى وتحول البلاد تدريجيا نحـو الصناعة بجـانب الزراعة . والزيادة المطردة فى عـدد العمال والصناع .. ومعروف أن المجتمع الصناعى يكون عـادة أكثر حيوية واهتماما بالمسائل العـامة والحيـاة الثقافية من المجتمع الزراعى ، وذلك بحكم ارتفاع مستوى المعيشة نسـبيا بين الصناع . ومعنى هذا أن التطور الصناعى فى مصر جـلب فئـة جديدة من قـراء الصحف لم تعهدها الصحافة المصرية من قبـل .

خامساً : دخـول المـراة المصرية ميدان العمل بجانب الرجـل ومساهمتها فى النهضة السياسية والاجتماعية والثقافية . وقـد بدأ هذا على نطـاق ضيق بعد الحـرب العالمية الأولى . ثـم أخـذ يتزايد بالتدريج بين الحـربين العالميتين ، وتضاعف بعد الحـرب العالمية الثانية . فهؤلاء النسـاء يكون قسمـا لا بأس به من قـراء الصحف(١) .

الإعـــلانات :

مما لا شـك فيه أن الصحافة الحديثة أصبحت تعتمد على « الاعـلان » اعتمادا كليـا ، فأصبح الاعلان يشكل ٦٠٪ من دخـل الصحيفة وأموالها وأما الـ ٤٠٪ الباقية فعن طريق التوزيع والاشتراكات .. ولذلك فالصحيفة لا تستطيع أن تسقط الاعلانات من حسابها ثم تطمع فى البقـاء واستيفاء أبواب الأخبـار والتعليقات ، ولكن الصحيفة فى عهد البداوة كانت تستطيع ـ كمـا

---

(١) د. حسنين عبد القادر : المرجع السابق ص ١٥٧ .

يقـول العقـاد ـ بـلا تردد أن تسقط اعلاناتها من عددها الأول ثم لا تفقد شيئا يعوقها أسبوعا عن الصـدور ٠

ويرجع ذلك فى نظـر العقـاد ، الى وجـود عائقين طبيعيين لظهـور « الاعلان الصحفى » الى سنوات قليلة مضت ، لعلها هى السنوات التى ظهرت فيهـا أول شركة للاعلان الصحفى فى هذه البلاد ٠ وهذان العائقان الطبيعيان همـا التقاليد الموروثة والأمية معـا ٠

كان من التقاليد الموروثة أن يشترى الانسان لوازمه (المهمـة) من حيث اشتراها أبوه وجـده ٠٠

وكان الريفى ينزل القاهرة لشراء لوازم الفـرح ، أو لوازم البنـاء والأثاث فيذهب الى أمكنة معروفة بأسمائها لا تتغير من جيـل الى جيـل ، وكلهم يعـرف عناوين مدكور والماوردى والجمـال والحمصانى ومخـازن الحدائد والأخشاب فى ناحية القلعـة وسوق السـلاح ، ولا نظن أن متجرا من متاجر القاهرة المشهورة نشر اعلانا واحدا ليكسب به « زبونـا » لم يكن يعرفه قبل ذلك الاعـلان(١) ٠٠

أما المتاجر الصغيرة التى تبـاع فيها لوازم البيوت اليومية ، فقد كانت معروفة فى أحيائها وقراها بغير حـاجة الى اعلان مكتوب ٠

لهذا بقيت اعلانات الصحف سنوات عـدة وهى مقصورة على اعلانات البيوع القضائية اعلانات الوفيات أو اعلانات « ختمى فقد منى وليست على ديون ولم أوقع على سندات أو كمبيالات ٠

ويقول العقـاد أن « اعلانات (الأختـام) وحدها عنوان صادق لنصيب الصحف من قـراء الاعلانات ٠٠ لأنهـا عنوان للأمية التى تعجز عن كتابة الأسماء ومع هذه الأمية لا اعـلان ، ولا قـراء للاعلان ! » ٠

والاعلانات كمورد من موارد الصحيفة مورد مشروع ، ولكن الحكومات السابقة فى مصر حولتها من مورد مشروع الى مورد غير مشروع ، ويذكـر

---

(١) عباس محمود العقاد : نفس المرجع ٠

الأستاذ سلامة موسى ان الاعلانات كانت توزع على الصحف المصرية لا للانتفاع بانتشارها حتى تصل الى المحتاجين اليها فيعرف منها المقاول مثلا أخبار المزايدة أو المناقصة أو نحو ذلك ، وانما كانت توزع « بالمحاباة » الصريحة بحيث تعود هدية أو رشوة من أحد الوزراء لأحد الصحفيين فحسب ٠

اما خدمة الدولة فى مصالحها المالية فلا شأن لها اى شأن فى نظر الوزير ٠ بل كانت هناك مجلات أسبوعية لا يتكلف أصدار العدد منها خمسين قرشا يحمل من الاعلانات الحكومية ما كانت تبلغ قيمته عشرين جنيها أو اكثر ٠٠ وبعض الجرائد ، فى بعض الأحيان ، يزيد ثمن الورق الذى تطبع به على ثمنه وهو جريدة مطبوعة ٠ بل يزيد أضعافا فى بعض الأحيان ٠ وانما يحصل أصحاب الجريدة على الربح من الأجور العالية للاعلانات(١) ٠

وقد ذكرنا مصدرين غير مشروعين من موارد الصحيفة ، وهما المساعدات المالية من الدول الأجنبية التى تستغل الصحيفة لأغراض الدعاية لها ، والرشوة سواء من الداخل أو الخارج ، من الحكومات أو الهيئات الأهلية والأفراد ، ويذكر العقاد فى مذكراته أن مصاريف الصحف كانت على التحقيق أكبر من مواردها التى تدل عليها حساب البيع والاشتراكات والاعلان ٠٠ ولولا أنها أعتمدت فى وقت من الأوقات على مورد « الاعلانات السرية » لما طال بها الأجل شهورا ، فضلا عن سنوات ٠ وقد يتضح مبلغ الحاجة الى هذه الاعانة اذا علمت أن شركات البرق ـ كشركة روتروهافاس ـ كانت تتلقى اعانة رسمية من الحكومة المصرية ، وأن مطبوعات السفارات كانت تحال علانية الى بعض الصحف لطبعها ، مع وجود المطبعة الأميرية ٠ ولم تكن مصادر الاعانة مجهولة بين العاملين فى الصحافة والسياسة ، وان لم تبلغ من الصراحة فى زمن من الأزمان مبلغ الاعتراف المكتوب ٠

وربما انقسمت هذه المصادر فى جملتها الى مصدرين اثنين على شئ من الدوام والانتظام وهما القصور الملكية ودواوين السفارات ووزارات الخارجية ، وقصر « يلدز » فى الاستانة كان مصدر القسط الأوفر من اعانات الصحافة والصحفيين المتطوعين ٠٠ وقصر « عابدين » بمصر كان المصدر الآخر الذى ينافسه يوما بيوم ويعمل معه يدا بيد فى عامة الأيام ٠٠

---

(١) سلامة موسى : الصحافة حرفة ورسالة ، ص ٢٨ ٠

ويضيف العقــاد الى ذلك أن نجـل عباس المشهور كان يغـل يده عن التبرع بالمـال من خزانته الخاصة فكان يحيل أعوانه من الصحفيين تارة الى ديوان الأوقـاف وتارة الى ديوان الرتب والنياشين(١) ٠

وبعد ٠٠ هذه صفحة مطوية من تاريخ الصحافة المصرية ساعدنا العقـاد فى الاطلاع عليها بما كتبه فى مذكراته ، وكشفه للصحافة فى بدء تطورها من الباب الخلفى ، رأينا أن نفـرد لهـا هذا المكان لنرى بعد ذلك ، كيف اندفع العقـاد بكل ثقله الى احتراف الصحافة وهى المهنة المزدراة ، وهـل هبطت به صناعة الصحافة ، أم أن عباس العقـاد وهو الذى ارتفع بصناعة الصحافة ٠

ونقول أن الصحافة كانت مهنة « مزدراة » لأنهـا غير الصحافة التى نعرفها اليوم ، ويكفى أن نذكر عنـا عـدة أمثلة تبين كيف كانت هذه المهنة « مزدراة » تماما كمهنة « المحاماة » التى لم تكن بالمهنة الشريفة التى نعرفها اليوم ، وانمـا كانت صناعة وضيعة مبتذلة يشتغل بهـا من لا يحسـب (المرافعة) الا مجـالا للبذاء وطـول اللسـان ، ومن لا يحسب النجـاح فى القضايا الا ضربا من الاحتيال و (الشـطارة) يغش به القاضى ويغش به الموكل ، ويعتمد فيه على الكذب والمراوغة والاختلاس ، ولم تكن للمحامى منزلة فى نظـر القضـاء ولا فى نظـر العلية ولا السـواد(٢) ٠

يذكر المفكر المصرى الكبير سلامة موسى الذى عمل بالصحافة فى الفترة التى عمل بهـا العقـاد ، أنه فى سنة ١٩٢٣ احتـاج الى أن يستأجر مسكنا بالقاهرة ، وقصد اليه وعاينه وارتضاه بأجرة شهرية قدرها سبعة جنيهات ، وشرع فى كتابة عقد الايجـار ٠ وماهـو أن فهمت مالكة المسكن أنه صحفى حتى انتفضت من مقعدها وهى تقـول : « جورنالجى » ويدفع منين سـبعة جنيهات فى الشهر ؟ ورفضت التوقيع على العقد ٠ ولم تجد معهـا المناقشة والشرح ٠٠ يقول سلامة موسى : « وخرجت وأنا أتعثر فى ثوب الخيبة » (٣)٠

والواقــع أن هذه الحادثة توضح بجـلاء مدى نظـرة المجتمع لمهنـة « الصحفى » ، ولم يكن احتراف الصحافة أمرا مقبولا مستساغا عند الناس فقد كانوا يطلقون على الصحفى اسـم « الجورنالجى » وهو الاسم الذى كان يطلقه السـادة الأتراك على أصحاب هذه المهنة ٠ وانتقلت عدوى الحـط من قدر هذه المهنـة وعدم الاعتراف بهـا كمهنة شريفة الى المصريين ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : نفس المرجع ص ٧٦ وما بعدها ٠

(٢) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، ص ٧١ ٠

(٣) سلامة موسى : الصحافة حرفة ورسالة ، ص ١٧ ٠

وكان « الصــحفى » كـ « المحــامى » يأنف كل رجــل « مســتور » الحالة من معاملته فضــلا عن مزاملته ومصاهرته ٠٠ واذا نظرنا لمغزى قضية زواج الشــيخ على يوسف صاحب أكبر جريدة فى الشرق الاسلامى ونقصد بهــا « المؤيد » وتتلخص هذه القضية فى أن الشيخ على يوسف تزوج من بنت الشيخ الســادات على غير عــلم ٠وقدم السيد الســادات بلاغا الى النيابة يتهم فيه الشيخ على يوسف بأنه غــرر بابنته ٠٠ وبحثت النيابة الموضوع فوجدت أن السيدة صفية قد بلغت سن الرشــد فمن حقها شرعا أن تزوج نفسها ٠٠ وقد حضر القــران عدد كبير من أقــارب العروس ، فليست هناك أية شبهة يمكن أن يستنتج منهــا أن الشيخ قد غــرر بالسيدة صفية ٠٠ وحفظت النيابة البــلاغ ٠٠

ورفع السيد الســادات دعوى عليه يطلب الغــاء الزواج استنادا الى ان الشريعة تشترط لصحة الزواج وجــود تكافؤ بين الزوجين ٠٠ وقال السيد الســادات أنه يطعن فى كفاءة على يوسف لابنته من ناحيتين : النســب ٠٠ والحــرفة ! ٠٠ فالشيخ على يوسف من ناحية النسب لا ينتسب الى نسب رفيع كالسادات ، وهو من ناحية الحــرفة يحترف « مهنة الجرائد » التى هى كمــا قــال فى صحيفة دعــواه ــ « أحقــر الحرف ٠٠ وعــار وشنار عليه ! (١) « وحكمت المحكمة الشرعية بالغــاء الزواج على هذا الأساس أى أن الصحافة مهنة غير شريفة ، ومحترفها لا يليق لمصاهرة أسرة شريفة ٠

وانظر الى محامى السادات يقــارن بين موكله المحترم الذى يعيش على أمــلاك واسعة تركها له آباؤه الأماجد (وهذه ألفاظ المحامى) ، وبين الشيخ على يوسف الذى يضطر الى العمل لكسب رزقــه ، ويحترف مهنة حقيرة هى الصــحافة !! ٠٠

ثم أفتى المحامى بأن « حرفة الصحافة فى ذاتها دنيئة ويحرمها الدين الاسلامى ! ، ولمــاذا ؟ » لأنهــا تقوم على الجاسوسية والاشاعة وكشف الأسرار وهذا منهى عنه شرعا ! ٠

وفحوى هذه القصة أن المجتمع المصرى فى مطلع هذا القرن كان ينظــر الى حرفة الصحافة على أنهــا حرفة مزدارة فى حــد ذاتها ٠٠ وان قضــية زواج الشيخ على يوسف تبين أن الثــراء لا ينفى عنه تهمة احتراف الصحافة ، لكى تتقبله الأوساط الشريفة ٠

---

(١) راجع قضية زواج الشيخ على يوسف بالتفصيل فى كتاب الأستاذ أحمد بهاء الدين « أيام لها تاريخ » ٠

ولقد كان للحكومة الاستعمارية الاستبدادية أثرها فى تكوين هذه الفكرة لدى المجتمع المصرى ، فهى كمـا يقول سلامة موسى ، كانت تطـارد الصحافة باعتبار أنهـا تحمـل راية النقد لادارة يجب أن تبقى مستترة عن أعين الجمهور • وكانت أيضـا تدعو الى جـلاء الانجليز المحتلين لبلادنا • ثم كان تأخـر التعليم وتحديد عـدد المدارس الحكومية يعـمم الأمية أو يكـاد بين طبقات الشـعب فكان جمهور القـراء صغيرا لا يغذو جريدة يومية أو أسبوعية كثيرة النفقات فكانت أجـور الصحفيين ، تبعـا لذلك ، منخفضة • ولذلك كانت جرائدنا على الدوام فى افـلاس بين التعطيل والغرامة وحبس المحررين والمخبرين • ولم تكن فى حالتها هذه تتيح للصحفى أن يتربى التربية الصحفية • وقـد مات اللـواء • ومات بعده المؤيد ، ثم الدستور ، ثم الجريدة، وعذا غير عشرات المجـلات •• وأصبح الاعتقاد العـام أن الصحافة مهنـة خطـرة تؤدى الى الحبس كمـا هى مهنة المفلسين أو الوشكين على الافلاس • ولذلك لم يكن يقبل عليها الأكفـاء الذين يجدون عمـلا آخـر يتيح لهـم الطمأنينة والكسب(١) •

بل وأكثر من ذلك ــ يقول سلامة موسى ، كثيرا ما كنـا نجد الشبان يلجأون الى الصحافة كمـا لو كانت معبرا يعبرون منه الى وظيفة حكومية • وكثيرا ما حدث هذا • فان المحـرر أو المخبر باتصالاته بالموظفين كان يجد الفرصة لأن يثب من الصحافة الى الوظيفة • ويترك الصحافة فى غير أسف(٢)•

رضى عباس العقـاد أن ينتمى الى طائفة مزدارة ، وهو يعلم أن « الكرامة الشخصية » كافية وحدها لتكريم صاحبها « على الرغم من ضعف الصناعة التى ينتمى اليهـا وشيوع العـرف باحتقارها بين علية الناس وسوادهم » رضى العقـاد أن يحترف الصحافة لأنه آمن « أن ألف دجـال باسم الطرق الصوفية لا يمسحون من الضمائر قداسة الدين ، وأن ألف دجـال باسم الصحافة لا يمسحون قداسة « الكلمة » الحيـة بين أناس يحتاجون الى الكلمة حاجتهم الى العمل فى ساعة اليقظة من سباتهم الطـويل ••

وعلى غير عـادة الشبان ــ فى ذلك الوقت ــ لم يتخذ عباس العقـاد من الصحافة معبرا الى وظيفة حكومية ، وانمـا هجـر وظيفة الحكومة ليحترف الصحافة وكان بذلك أول موظف مصرى ــ فيمـا نرى ــ يستقيل من وظيفة حكومية بمحض اختياره « يوم كانت الاستقالة من الوظيفة والانتحار فى طبقة واحدة من الغرابة وخطـل الرأى عند الأكثرين ، بل ربمـا كانت حـوادث الاستقالة أندر من حوادث الانتحـار » •

---

(١) سلامة موسى : الصحافة حرفة ورسالة ص ١٩ •

(٢) المرجع السابق •

وعباس العقاد لم يولد فى أسرة غنية توفر أقل ضرورات الحياة أو أبسطها وقد أضطر الى قطع التعليم ـ كما نعلم من سيرة حياته ـ للعمل بجنيهات قليلة فى وظيفة حكومية متواضعة · يقول العقاد فى مذكراته أنه تلقى خبر قبوله فى الوظيفة الأولى التى أكرهته الظروف على طلبها « كأنه تلقى خبر الحكم بالسجن أو الأسر أو العبودية » ·

وفى المقال الذى نشره فى « الجريدة »(١) قبل استقالته يصف « الوظيفة » بأنها رق القرن العشرين ·· وقد استغرق هذا المقال نصف العمود الأول والثانى من الصفحة الثانية بالجريدة ـ وتلمح فى هذا المقال تحدى العقاد للظروف التى تضطره وامثاله الى أن « يلزموا أنفسهم وهم مطلقو الحرية اطاعة رئيس متصرف ، أو محاسنة رقيب متصلف ، فى عمل لا ينبسطوا لانجازه انبساط الزارع لحصاده ، والتاجر لاقتصاده » ويمضى العقاد فى هذا المقال بروح ساخرة يصف هذ الرق الجديد للانسان :

« كذلك يصبح الشاب اذ تدور عليه دوائر الحكومة فى سلسلة عمل : تتغير الطبية من جدب الى خصب ومن غيض الى فيض ، وهو لا يذوق طعم التجدد ولا يبصر الا أوراقا تذهب وتعود ، وافادات تصدر وترد على صورة واحدة وبكيفية متجانسة لا يدرى معها كيف يصرف ما أودع الله فى عقله من بعد نظر ودقة فهم ·· فهو اذا أسرع فى الكتابة فالمطبعة تفوقه فى الاسراع ، أو استوعب كلام رئيسة فالحاكى يبذه فى انتقان السماع · أو لازم المواعيد فالساعة أدق منه فى حفظ الميعاد ، أو انتقاد الأوامر فالآلات أمثل للطاعة وأميل للانقياد ، ولا يكاد يعمل بنفسه لنفسه الا تحت ستار الليل حيث يبتاع لقمة يقيم بها أوده ، أو ملبسا يستر به جسده ، وحيث يسلم نفسه لسلطان النوم يخرج بها من عالم مجبول بالأذى الى لحظة هى أسعد أوقاته ، وألذ ما يجد فى حياته » · ويستمر فى وصف حالة الموظف فيقول : « حسبه من دهره أنه يكدح شهرا ليقتات أسبوعا ، وينفق قوته ليتضور جوعا ، عدا عجره وبجره ، ولا يروقك منه بزة لو فحصت غزلها لوجدتها منسوجة من عروقه ، مصبوغة بدم كبده » ·

« وكأنه يشعر بأن حياته ليست له وأنها وديعة عنده لرؤسائه فهو لا يأسف على ماضيها ويستعجل آتيها ، ينهب الساعات تلو الساعات ليذهب النهار فيرتاح من تعبه ، ويقضى اليوم عقب اليوم حتى يأتى يوم الجمعة فيتنفس قليلا من كربه ويعدو الأسبوع بعد الأسبوع الى أن ينتهى

---

(١) نشر هذا المقال بعنوان « الاستخدام ـ أو رق القرن العشرين » بجريدة « الجريدة » العدد ٨٤ ـ ١٧ يونيو ١٩٠٧ م ـ السنة الأولى ·

الشهر فيسر بالنظر الى مرتبه ، ويلتهم الشهر وراء الشهر طمعا فى علاوة تأتيه آخر العام ، ويتناول السنة فى ذيل السنة حتى يستحق المكافأة أو المعاش ، وهو بين الموت والحياة لا يملك من نهار عمره ما يجلو به تلك الصفحة السوداء ، وبينما هو على هذه الحال من اليأس اذا بالتاجر يدعو الله أن ينشب الحرب بين يوشع والعموريين كل مساء ، والصانع يتمنى لو يقص جناح الزمن فلا يطير به ولا يعجل باطفاء لهبه ومع ما عرف عن الاستخدام من عبثه بالمواهب وذهابه بالمعارف ترى أن فريقا من الشبان ينضجون عقولهم لتطرح على هذه المائدة فلا يستلم أحدهم شهادته باليمين حتى يسلمها باليسار • ولا يتكامل نفسه بعد مواصلة الدرس والمذاكرة الا عند أبواب المصالح يفتش الجرائد وينبش الاعلانات عن مقعد خال بين مقاعدها الى أن يعثر به فيحسب أنه أدرك ما تمنى » •

ويستقيل العقاد من الوظيفة الحكومية ليحترف الصحافة ، يترك خدمة الميرى « ليحترف المهنة المزدارة » فاذا أردنا أن نعرف كيف تكون « الكرامة الشخصية » والكبرياء العظيم وشدة التمسك بالأهداف والمبادىء كافية لتكريم صاحبها على الرغم من ضعة الصناعة التى ينتمى اليها وشيوع العرف باحتكارها بين علية الناس وموادهم ، فعباس العقاد فى مهنة الصحافة هو المثل البارز لتلك الكرامة الشخصية وشدة التمسك بالأهداف والمبادىء • فقاوم الطغيان وتصدى لأخطر رجال فى البلاد وحارب الفساد الذى استشرى فى أثناء حكم الأحزاب والملوك • وأصبح عباس العقاد بشهادة سعد زغلول « الأديب الفحل ، صاحب القلم الجبار •• ما قرأت له بحثا أو رسالة فى جريدة أو مجلة الا أعجبت به غاية الاعجاب • وهو لا يعالج موضوعا الا أحاط به جملة وتفصيلا احاطة لا تترك بعدها زيادة لمستزيد •

الفصـل الثـانى

العقـــاد يحتـــرف الصـــحافة



ميــلاد صحفى

ـ « ما أجــدر هــذا أن يكــون كاتبــا بعــد » ٠

لقد مست هذه العبـارة شغاف الفتى الاسوانى الذى يجلس فى حجرة الدرس بين أقرانه من الصـغار ، عندما قالهـا ذلك الشيخ المجدد فى صمت العـالم المتنبىء الواثق مما يقـول ٠٠ نطق الأستاذ الامام محمد عبده بهذه العبـارة ولم ينس أن ينطق « بعد » بضـم الدال غير واقف على السكون على حد قول القائلين : سكن تسـلم ٠

وكانت أسوان قبـلة العظماء من جميع الأرجـاء فى موسم الشتاء ، واتفق أن قـام الأستاذ الامام بزيارة المدرسة التى التحق بهـا عباس العقـاد تلميذا صغيرا ، وكان من عادة أستاذ الانشـاء بالمدرسة أن يعرض كراسات عباس العقـاد التى يكتب فيها موضوعات الانشاء على كبـار الزوار ٠ وأثنى الأستاذ الامام على التلميذ الصغير وتنبـأ له النبوءة التى صدقت ٠

وكانت موضوعات الانشاء تختار عادة من موازنات بين الفصول كالصيف والشتاء أو بين بعض المعـادن كالذهب والحديد ، وكان العقـاد يقف دائما مع أضعف الطرفين فى الموازنة ، ليظهر قدرته العقلية فى اعـلاء الطرف الضعيف ببراهينه المقنعة ، وهى قدرة نلمسها فى كل كتاباته من بعد ٠ وأصبحت تلازمه فى كل ما يكتب ٠ وكان موضوع الدرس يوم أن زار الأستاذ الامام مدرسة أسـوان « الحـرب والسـلام » فكان من الطبيعى أن يختـار العقـاد جانب « الحـرب » وعجب الأستاذ الامام حين رآه يفضل الحـرب محتجا بأنهـا مجـال لاظهار التضحية والبطولة وأنهـا تقوم بتنقية المجتمع من عناصره الضعيفة ٠ وهنـا سأله الأستاذ الامام : كيف تفضل الحـرب ؟ وأخذ يوضح له أضرارها ، وشرح العقـاد وجهـة نظره فسر الأستاذ الامام ونظـر نظرته الواثقة ، وربت على كتف الغلام : « ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد » ٠

ولهذه العبـارة سحرها الخـاص فى نفس عباس العقـاد ، ليس لمـا تحمل فى طياتها من تشجيع فحسب ، ولكن لأن قائلها ممن يثق العقـاد بهم ويعتز برأيهم ، فالأستاذ الامام عند العقـاد هو أعظم رجـل ظهر فى مصر وما جاورها من خمسة قـرون ، وقد اطلع العقـاد على معظم ما كتب الأستاذ الامام فى شئون الدين والدنيـا ، ويذكر أنه أعجب بخلقه فوق أعجابه بعلمه

« فـان الاقتداء بخلقه نافـع لكل انسان كائنا ما كان مذهبه فى الدراسة والتفكير ، ولكن العلوم والمعـارف تتعدد بين فريق من الناس فـلا ينتفع المـرء الا بمن يماثله فى معارفه وعلومه » ٠

لذلك كـله كان لعبارة الأستاذ الامام سحرها فى نفس الفتى الأسوانى الصغير ووجدت لها مؤازرا من مواتاة الطبع والرغبة الكامنة فى الطوية من أيام الطفولة لأن العقـاد عرف أنه يحب الكتابة ويرغب فيهـا قبل العاشرة ، ولم ينقطع عن هذا الشعور بعد ذلك الى أن عمل بهـا واتخذها عمـلا دائما مدى الحيـاة ٠

لقد كانت الظـروف المحيطة بالعقـاد فى طفولته مشجعة لـه ، فوالده يقـرأ كتب الفرائض والعبادات وبعض كتب التاريخ والسيرة النبوية وتراجم الأولياء والصالحين ، وكان والده من أنصـار الحركة العرابية ، ولذلك يحتفظ بمجموعة كبيرة من أعـداد « الأستاذ » وغيره من مجلات عبد الله النديم ، ومعهـا مجموعة قليلة من « أبو نضـارة » و « العـروة الوثقى » ونشرات الثورة التى كانت توزع فى الخفـاء ٠

وكانت مجـلة « الأستاذ » للنديم تحظى لدى العقـاد يومذاك بمكان الصدارة ، وكانت حاسته الصحفية تجذبه الى العناوين فى صحف النديم ، واعتبره العقـاد « أستاذ زمـانه ، بل لعـله أستاذ من أساتذة العناوين فى كل زمـانه » ٠

من عناوينه عنوان : « كان يكون ، للترجمة » ، وعنوان : « التنكيت والتبكيت » لاسم صحيفة ، وعنوان : « المسامير » لكتاب هجـاء ، وعناوين أخـرى بهذه البراعة لعشرات من الفصول والأخبـار ٠

ويذكر العقـاد أن هذه العناوين البارعة لفتته فقـرأ كل ما وجده من صحف النديم ، ووجد نفسه ذات يوم يقطع الورق قطعـا على قدر الجملة ويعمد الى مكـان العنوان منهـا فيكتبه بخطـه متأنقا ويعارض عنـوان « الأستاذ » بعنوان « التلميذ » وافتتحها بمقـال عنوانه « لو كنـا مثلكم لمـا فعلنا فعلكم » معارضة لمقـال النديم المشهور « لو كنتم مثلنـا لفعلتم فعلنـا » موجهـا الخطاب الى الأوربيين ٠

يقـول العقـاد فى حياة قـلم « اننى منذ بلغت سن الطفولة وفهمت شيئا يسمى المستقبل لم أعـرف لى أمـلا فى الحياة غير صناعة القـلم ، ولم تكن أمامى صورة لصناعة القـلم فى أول الأمر غير صناعة الصحافة » ٠

ويذكر العقـاد أنه تناول فى مقـاله فقرات النديم واحدة واحدة ، وفحوى ما يدل عليه العنوان ، أننـا نحن الشرقيين لو كنـا مثلكم ــ أيهـا الغربيون ــ فاتحين منتصرين لـما فعلنا فعلكم من نهب الأموال واستباحة الحقوق وافتراء الأكاذيب والتعلل بالمواعيد ، ولكننا لسـنا مثلكم ولا نريد أن نفعل فعلكم ، وسترون فعلنا عمـا قريب(١) ٠٠

وقـد أصدر العقـاد من صحيفته المخطوطة « التلميذ » بضعة أعـداد ، كان قـراؤها لا يتعدون زمـلاء فى المدرسة وأقـاربه المشجعين أو المتندرين المتفكهين ، « ولم يكن لهـا من اشتراك غير تعب النسخ لمن يراها مستحقة لهذا الثمن ٠٠ » ٠

وفى السادسة عشرة من عمر العقـاد كان قد عمل فى وظيفة حكومية وكان عليه أن ينتظر سنتين قبل التثبيت ، لأن الوظائف الدائمة لا تثبت قبل الثامنة عشرة ! وقد عرفنا ــ رأى العقـاد فى الوظيفة الحكومية ونعته لهـا بأنها رق القـرن العشرين ٠٠ يذكر لنـا العقـاد أنه قد خطـر له ذات مرة قبل أن يستقيل أن يتوفر على اصدار صحيفة أسبوعية باسم « رجع الصدى » ليريح نفسه من انتظار التثبيت فى الوظيفة ٠ واتخذ مستشاره لهذا العمل « كتبيـا » بحى الأزهر كان يشترى منه الكتب الأدبية بأرخص الأثمان ، وقال له الكتبى الناصـح :

ــ اياك أن تفعلها وتترك خدمة « الميرى » من أجـل هذه الصناعة الملعونة !

وفى الفصل السابق رأينـا كيف كانت هذه المهنة مزدراة ، وفى هذا المشهد شهد العقـاد بعينيه أنهـا فى الحق صناعة ملعونة كمـا قال الكتبى ، وكانت على الأقـل ملعونة ٠٠ الى ذلك الحين !

فقد كانت على مقربة من المكتبة مطبعة صغيرة وتطبع فيهـا صحيفة أو اثنتان من الصحف الأسبوعية ، ويقف فيهـا « مدير الصحيفة » ينتظر الوكيل الذى أرسله الى المشتركين للتحصيل وسـداد حق المطبعة من محصول الاشتراكات ٠

وحضر الوكيل ٠٠ وهو كمـا يصفه العقـاد ، مخلوق أشعث أغبر ليس على بدنه كسوة من قطعة واحدة ، ولحيته مرسلة بغير قصد منـه ، لأنهـا معلقة على ترش واحد يؤديه للحـلاق ، ولا سبيل اليه ٠

وبادره المدير سـائلا :

---

(١) العقـاد : حياة قلم ص ٣٧ ٠

ـ ماذا صنعت ؟ ··

فأخرج له ايصالا معادا من أحد المشتركين ، وقال له :

ـ ان صاحب هذا الايصال قد أنبأني أنه سدد الاشتراك لك قبل الآن وعنده ايصال بالسداد ·

قال المدير :

ـ وأين الايصال الآخر ؟ ··

قال الوكيل :

ـ قطعه الرجل ورماه فى خلقتى !

فانتهره المدير وهم بضربه ، وقال له :

ـ مستحيل !! ان هذا الرجل ممن يخافون الكتابة عنهم خوف البرد ، ومسألة بنته أو أخته معروفة يخشى منها الفضيحة ·· فلا تقل لى أنه قطع الايصال ورماه فى خلقتك الشريفة ·· بل قل أنك قبضت الاشتراك وسكرت به كعادتك ·

وينتهى هذا المشهد بخناقة بين « الوكيل » و « مدير الصحيفة » ويردد عباس العقاد لنفسه قول الكتبى الناصح :

ـ انها صناعة ملعونة وايم الله !

يقول العقاد ، أن هذه المناظر المخجلة حقرت فى نظره طائفة من المتطفلين على الصحافة ، ولكنها لم تحقر صناعة الصحافة ، ولا نزلت بأعلامها النابهين الى منزلة اولئك المتطفلين ، « ولست أعتقد أننى كنت مطيقا أن أحتقر هذه الصناعة من أجل ذلك المنظر المخجل ، ولو كنت من المستخفين بها ، والزاهدين فيها ·· لأن قوة الدعوة القلمية فى تلك الفترة قد بلغت فى القاهرة مبلغا لا يدانيه ما بلغته فى عاصمة من عواصم المشرق والمغرب(١) » ·

« منظر الحساب بين مدير الصحيفة الأسبوعية ووكيلها قد يصح أن يثنينى عن طبع العدد الأول من صحيفتى المطوية وأن يضعف أملى فى تحصيل تكاليفها بعد عدد أو عددين ·· »

« ولكن هل تراه يذهلنى عن هذه القوة الهائلة أو أنا أحسها من حولى كالدوامة المدوية فى لجة البحر الموار بالأمواج والرياح ؟ ·· »

---

(١) العقاد : حياة قلم ص ٥٧ ·

بعد هذا بدأ العقـاد حياته الصحفية « مصاحفا » يكتب للصحافة من « منازلهم » فكتب الى « الجريدة » لمحررها لطفى السيد ، وقد أشرنا الى المقـال الأول الذى نشرته له الجريدة عن « الاستخدام أو رق القرن العشرين »، وكتب قبلها الى صحيفة « الظاهـر » التى كان يصدرها محمد أبو شادى المحـامى ، وكتب كذلك الى صحيفتى « المؤيد » و « اللـواء » ٠

وأخيرا يجد العقـاد أنسب مكان له ، وهو العمل فى جريدة « الدستور » التى أصدرها محمد فـريد وجدى ، وهى أول جريدة يومية عمل العقـاد فى تحريرها ٠٠

وكان فى امكانه أن يعمل فى تحرير « اللـواء » أو فى قـلم الترجمة باللواء على الأصـح ٠٠ لأنه عـلم أنهم يطلبون مترجمين يعرفون الانجليزية أو الفرنسية بعد تفكيرهم فى انشـاء « الاستندارد » و « ليتندار » ٠٠ وكان العقـاد يجيد الانجليزية ، ويذكر العقـاد أنه لمـا عـلم أن « اللـواء » يطلب مترجمين يعرفون الانجليزية خطـر له أن يستقيل من وظيفته وأن يرشح نفسه للعمل فيه ٠٠ ولكن العقـاد تردد ، وفضل ترك هذه « الفرصة » وانتظار فرصة غيرها لسببين(١) :

أولهمـا : أنه اذا أقـدم على هجـر الوظيفة الحكومية مفضـلا عليها الصحافة فليكن ذلك ليكتب لا ليترجم ، « فانى احببت الصحافة ، لا لأنها مورد رزق أفضل من موارد الوظائف الحكومية ، ولكننى أحببتها لأنهـا مجال للكتابة أو صناعة القـلم بغير وساطة من صناعة النقـل أو الترجمة ! » ٠٠

والسبب الثانى : شخصية مصطفى كامل رحمه الله ، وقد بينـا فى الفصل الأول مدى الاختلاف بين شخصية مصطفى كامل وشخصية العقـاد ، أضف الى ذلك المحـادثة الأولى التى نمت بينهما لـم تشجع العقـاد على مزاملته فى عمل دائم « وصورته لى رجـلا معتدا بذاته ، ضيق الحظيرة ، لا يسمح حتى للفكاهة أو « للقافية » أن تفتح عليه بابا لتصحح قـولة قالها أو رأيـا ارتآه » ٠٠

وعلى الرغم من أن « الدسـتور » كانت تعد « اللسان الثانى » للحـزب الوطنى بعد « اللـواء » لسانه الأول ٠ الا أن صاحبها امتـاز بحرية عقلية واسعة وكان من رأيه عند تأليف الحـزب الوطنى أن يكـون تبليغ تأليفه والاحتجاج على الاحتلال عاما غير مقصور على الدولة البريطانية فـلم يقبل

---

(١) العقـاد : حياة قلم ص ٦٤ ٠

مصطفى كامل أقتراحه ، وظـل فريد وجدى يؤكد رأيه فى « الدستور » حتى أصابها الضعف بسبب معارضتها لمصطفى كامل ٠٠

فى « الدســـتور »

صدر العـدد الأول من جريدة « الدستور » اليومية فى يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٠٧ لتكون اللسان الثانى للحـزب الوطنى بعد اللـواء ، وصاحب « الدستور » هـو العـالم الاسلامى المعروف محمد فـريد وجدى الذى كتب كتابات ضافية يرد بهـا على كتاب الغـرب وفلاسفته المنكرين لحقوق المسلمين وفضائل الاسـلام ، وكانت له شهرة بالاطلاع على ثقافة الدين وثقافة العصر الحديث ٠

ويوم صدور « الدسـتور » استقبلتها الصحف المصرية على اختـلاف اتجاهاتها ، استقبالا يشوبه شئ غير قليل من الاحترام ٠

فكتبت « اللـواء(١) » تقـول :

« ظهرت أمس هذه الصحيفة الجديدة لصاحبها حضرة الكاتب العمرانى المجيد محمد بك فريد وجدى – وهى تتباهى فى حلل الآداب مرتدية بذلك الثوب القشيب من مملوء الآراء ومتانة التراكيب وكل مصرى بل وشرقى لايسعه الا أن يعترف معنـا لحضرة صاحبها البليغ بذلك القدح المعلى فى سـمو الأفكار وقـوة العارضة وسـعة الاطلاع ٠ فـلا غـرو وبعد ذلك أن قوبل الدستور بلهفة عظيمة وشوق زائد من أول يوم من حياته الصحافية ، (هكذا يجد كل مخلص لأمته صادق فى خدمتها ما تقر به عينه وينشرح له فؤاده)٠ فالصحافة المصرية الوطنية قـد تعزز جانبها بدخول هذا العضو النافع فى هيئتها الصالحة ، وقد تصدر العـدد الأول من الدستور مقـــالة شـائعة جمعت من الآراء صائبها ومن الأبحاث الاجتماعية أرقاها فحللت الأحوال المصرية تحليلا دقيقا بالبرهان الدامغ والحجـة القوية مما لم يترك مجـالا لمضلل منافق أو أنتقادا لموه مكابر » ٠ وقد أقتطفت اللواء بعض الفقرات من مقالات الدستور ونوهت بهـا ، وكتبت تحت عنوان (سرور الأمة بجريدة الدستور) مما ينم عن مدى تقبل الرأى العام لها ونشرت بعض الرسائل التى بعث بهـا القـراء يشيدون بالدستور ٠

---

(١) ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ ٠

وكتبت « المـؤيد(١) » تقـول :

ظهـر العـدد الأول من جريدة الدستور لحضرة منشئها الفاضل محمد فريد أفندى وجدى صاحب مجـلة (الحيـاة) وصاحب المباحث الشهيرة فى الأديان والعمران وهو من أكثر الشبان المتعلمين كتابة فى المواضيع المختلفة أنشـأ حضرته جريدة سياسية يومية صـدر العـدد الأول منهـا أمس وقد قـال فى مقدمته مايلى :

« أما بعد فنحن باصدارنا لهذه الجريدة لا نرى أن فى الصحافة العربية فراغا جئنـا لنسده فـان فى ذلك غمطـا لحق من تقدمنا من العاملين بل نقول أنا نزيد فى صوت الدفاع عن حقوق مصر صوتا جديدا لا يختلف فى النغمة عن سائر الأصوات المخلصة الا فى أنه سيتعطر بعبقة من العـلم الاجتماعى ، فمـا الدستور والحـالة هذه الا محاميا جديدا انتدبته الأمة باقبالها على أعدادها للمرافعة فى قضية مصر بأسلوب علمى ليصبح صوت الدفاع حاصلا على كل ما يجعله محترما مسموعا » ٠

واستقبلت « الجريدة » (٢) صحيفة الدستور بقولهـا :

« بزغ أمس فى عالم الصحافة نجـم جديد نرجـو أن ينير ناحية من انحـاء ما نحن فيه من ظلمات الآراء ٠٠ نعنى به جريدة الدستور التى يقوم بادارة سياستها حضرة الكاتب الفاضل محمد أفندى فريد وجدى ٠ ظهـر عـددها الأول مصـدرا بمقـالة ضافية بأن منهـا رأى حضرة الـكاتب فى الحـال الاجتماعية والسياسية لمصر ٠ وحمـل فيهـا لأول يوم من ظهوره على آراء المعتدلين فسفهتها بادلة كادلة اللواء ، فـلا مندوحة لمقرظ « الدستور » من أن يقـول بأنه من اللـواء بمنزلة « المنبر » من « المؤيد » ٠٠٠ ولقد تنم تحيته للجرائد الأخرى على أنه لم يأت الينـا بخطة جديدة من اصلاح ذات البين وتقتصر مسافة الخلف بينهـا أو رتق فـرجة المعاكسة والمكابرة فى غير مصلحة بل جـاء على العكس من ذلك يزيد فى طنبور التفريق نغمة وينصح لشيخ حـزب الأمة أن يستعصموا بآراء بنيهم وأحفادهم من الشبيبة ويطالب بجمع الأمة الى زعامة سعادة مصطفى كامل باشا بحجـة أن الجرائد الأجنبية قـد ألقت اليه مقاليد تلك الزعامة ٠

وانـا لنحيى « الدستور » بتحية أحسن من تحيته ايمانا ونرحب بقدومه ترحيب من يعـلم أن الجرائد مهمـا كانت خطتها السياسية فانهـا الوسائل

---

(١) ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ ٠

(١) العدد ٢١٢ ، ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ ٠

الأولى لتنوير الافهـام وحـل قيود الأفكار وسـلم رقى الأمم . ونرجـو للدستور أن يبارك الله عليه ويقـرن خدمته بنفع الأمة ويحله من الثقـة والانتشار ما يرجوه هو لنفسـه » .

وموقف الصحف الثلاث من « الدستور » يبين لنـا عندما نتساءل عن اختيار اسـم الصحيفة « كان » اسـم (الدستور) يغضب قصر (يلدز) ويغضب قصر « عابدين » ، ويغضب قصر « الدوبارة » ..

وكان الحـزب الوطنى يطلب الدستور ولكنه يتحرج من الدعوة العـامة اليه ، لأنه ينكر مقاصد المطالبين به من رعـايا الدولة العثمانية ، ويشفق من غضب السلطان عبد الحميد .

وقد كتبت الصحيفة « اللـواء » عن المطالبين بالدستور فى تركيا ، قبل اعلانه هنـاك بيوم واحـد ، فقالت أنهم قوم يسـبحون فى الخيـال ..

« وكان الخديو يحرض على طلب الدستور سرا كلمـا أراد بالتحريض عليه احراج الانجليز والحـد من سلطة المندوب البريطانى والمستشارين ، ولكنه كان يرفض الاصغـاء الى هذا الطلب كلما ثاب الى شىء من الوفـاق بينه وبين المحتلين .. ولهذا كان حـزب القصر يسمى نفسه « حـزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » .. ولا يخفى الفـارق بين الدستور واصـلاح اندواوين على مبادىء الدستور ! » .

وكان حـزب « الأمـة » كمـا يدل عليه اسمه يعـارض الحكم المطلق للعـرش فى مصر وللعرش فى عاصمة الدولة العثمانية ، وكان ينادى بالاستقلال التـام فيهدده المؤيد بحكم القانون لأن السيادة العثمانية مقـررة فيه ، ولكن حـزب الأمـة على مناداته بحصر الحقوق كلهـا فى الأمة لم يخـل من أقطاب مخلصين كانوا يحسبون الطفـرة فى الحكم النيابى خطـرا حقيقا بالحذر والاجتناب(١) ..

واختيار اسم الدستور اسم « يدل على كثير » اذا ما رأينـا موقف التيارات المختلفة التى كانت توجه السياسة المصرية ، ادركنا ان هـذه الصحيفة كانت صاحبة رسـالة دل عليها الاسـم ودلت عليهـا خطتها السياسية .

والواقع ان الدستور لم تكن لسانا ببغاويا للحزب الوطنى كما وصفتها الجريدة ، ذلك ان صاحب الدستور فريد وجدى كان رجلا صاحب « مبدأ » لا ينحرف عنه قيد شعرة ، وهو الجهر بالرأى ولو خالف القـوة والكثرة

---

(١) العقـاد : حياة قلم ص ٦٨ .

وخالف احب الناس اليه ، وقد كان من رأيه عند تأليف الحزب الوطنى أن يكون تبليغ تأليفه والاحتجاج على الاحتلال عاما غير مقصور على الدولة البريطانية فلم يقبل مصطفى كامل مقترحه ولم يسكت فريد وجدى عن تأييد رأيه ، فانصرف قراء اللواء عن قراءة الدستور ولم يكن للدستور قراء من الشيع السياسية الأخرى ، فكسدت الصحيفة وعجزت عن النهوض بتكاليفها ولم يقبل صاحبها أن يعوض الخسارة بالمعونة المعروضة عليه من الجهات السياسية التى لا يوافقها » .

والذى يؤرخ لصحيفة من الصحف لا يمكن أن يغفل تاريخ مقوماتها المادية التى تعتمد عليها فى القيام بتكاليفها ، فان الصحيفة التى يتفق عليها حزب ذو برنامج معلوم كالجريدة ، واللواء ، غير الصحيفة التى تتفق عليها شركة تجارية ، وغير التى تقوم على التوزيع أو تقوم على الاعلانات ، والاشتراكات السنوية والدورية .

يذكر العقاد ان صاحب « الدستور » لم يكن على شهرته بالنظريات ، مجردا من الدراية الحسنة فى تنظيم الاعمال ، فاخترع طريقة الاشتراك الشهرى بالاذونات مع خصم رسوم البريد من بعض هذه الاذونات ، وافادت هذه الطريقة قليلا ولكنها كانت ، على أحسنها ، فائدة تأجيل للقضاء المحتوم (١) .

وكسدت سوق الصحيفة بعد الخلاف بين الدستور واللواء ، فقصرت الادارة عدد المطبوع من النسخ على الطلب اليومى ، ولم يزل هذا الطلب اليومى يتناقص من أسبوع الى أسبوع ..

ومن لطائف الأستاذ فريد وجدى - وكان يمزح أحيانا ولا يقول الا صدقا - ان موظف الادارة فاتحه فى نقص أجور الاعلان فقال متململا : الا تحمد الله لاننا لا نغرم حتى الآن اعلانات فى الصحف عن ظهور الدستور (٢) ؟ ! ..

أما الاعلانات السرية - فيذكر العقاد أن الدستور كان خليقا أن يجمع منها الكثير لولا أن الأستاذ فريد وجدى رحمه الله كان بحسب أنه يسخر أصحاب الدعايات لرسالته الدينية ولا يفهم أنهم يسخرونه لدعايتهم السياسية .. وقد يصل الأمر الى تبرعات الأفراد ، فلا يقلل منها الرجل ما يزيد على قيمة الاشتراك المكتوبة على الصحيفة .. وحدث من ذلك أن

---

(١) العقاد : حياة قلم ص ٨٥ .

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٨٥ .

السيد توفيق البكرى اراد ان يعرب للصحيفة عن شكره لموقفها منه امام الخديو فى (زفة المحمل) وحضور الطرق الصوفية فيها ، فارسل الى الأستاذ فريد وجدى بمبلغ من المال كانت الصحيفة فى أشد الحاجة اليه ، فلم يتقبل منه « فريد وجدى » غير قيمة الاشتراك لعام واحد ، ثم رد اليه البقية قبل ان ينتصف النهار (١) ٠

ومن المعونات التى عرضت عليه فى أحرج أيام الازمة معونة كبيرة من جماعة « تركيا الفتاة » يبذلونها للدستور مشاطرة ليكون لسانا عربيا لحركتهم الدستورية ، ولكن على شريطة واحدة : وهى أن يرفع من صدر الصحيفة كلمة « لسان حال الجامعة الاسلامية » ٠٠ فرفض الرجل هذه المعونة ورفض أن يجعل صحيفته لسانا للحزب الا بشروطه التى يرتضيها . ولو وافق الحزب على بقائها للجامعة الاسلامية (٢) ٠

وفى الوقت الذى كانت هذه المعونات تعرض عليه من شتى الجوانب ومنها جانب الحاشية الخديوية ـ كان فريد وجدى يتحامل على نفسه وعلى القليل من موارد مؤلفاته ليتفق عليها بعد تصغير صفحاتها واختصار عدادها ، فلما استنفد كل ما قدر على انفاقه فى هذا السبيل أعلن تعطيلها وهو مدين لتاجر الورق وموظفى التحرير والادارة بمقدار غير يسير ٠٠ فأبت عليه نزاهة النفس أن يؤخر مليما واحدا لصاحب دين (٣) ٠٠

هذا هو فريد وجدى صاحب « المبدأ » وهذه صحيفته « الدستور » التى كان لها من اسمها صدى جديدا فى الحياة المصرية ٠٠

* * *

أعلن فريد وجدى عن عزمه على اصدار « الدستور » صحيفة يومية ، ويطلب مخاطبته فى شئون الصحيفة ، ومنها شأن التحرير ، وذلك عام ١٩٠٧ م فى الوقت الذى أزمع فيه عباس العقاد الاستقالة من وظيفته الحكومية ليحترف الصحافة ، وعندما قرأ اعلان فريد وجدى فضله عن العمل فى قلم الترجمة باللواء وكانت حجته فى ذلك أنه اذا أقدم على هجر الوظيفة الحكومية مفضلا عليها الصحافة فليكن ذلك ليكتب لا ليترجم ، وكان اعلان فريد وجدى عن صحيفته التى ينوى اصدارها بمثل « الفرصة » التى كان ينتظرها العقاد ليعمل بالصحافة كاتبا لا مترجما ٠ يحدثنا العقاد أنه فور

---

(١) العقاد : رجال عرفتهم ص ١٦٠ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ ٠
(٣) العقاد : رجال عرفتهم ص ١٦١ ٠

قراءة هذا الاعلان ، كتب الى فريد وجدى يخبره بأنه يرشح نفسه للعمل فى الصحافة لأول مرة ٠٠ ووصله الرد منه بعد يوم أو يومين يسأله أن يلقاه بدار مطبعة الواعظ لصاحبها المعروف ـ يومئذ ـ محمود سلامة ، ويذكر العقاد أنه كان يقرأ مقالاته النقدية ، ويعجبه منه ما يعجبه من مدرستنا كلها : وهى مدرسة عبد الله النديم وأحمد سمير ، وكان العقاد يعرف مكان مطبعة الواعظ لأنه فكر زمنا فى اصدار صحيفة على مثالها وفى مثل حجمها ، قبل ان يستقيل من وظيفته الحكومية ٠

ويحدثنا العقاد عن لقائه بفريد وجدى بأنه لما ذهب الى الموعد بالدقيقة أخرج فريد وجدى الساعة من جيبه ونظر فيها ، وسكت هنيهة ثم سأله عما أطلع عليه من مؤلفاته التى أشار اليها العقاد فى خطابه اليه ، ثم أختار صحيفة من الصحف التى كانت على مكتب صاحب الواعظ وقال له : هل قرأت هذا ؟ فنظر العقاد فى الصحيفة نعلم أنه يشير الى مقال عن رحلة لكاتب المقال فى العاصمة الفرنسية ، كان العقاد قد أطلع عليه قبل ذلك ٠ فرد الصحيفة اليه وهو يقول : انني لم أذهب الى باريس ولكن موضع العجب عندى أن الكاتب لم يطرق منها غير الحى اللاتينى ولم يعرف فى الحى اللاتينى غير معارض الخلاعة والمجون ، فهل هذى هى باريس ؟

« فضحك فريد وجدى ضحكة تنم على كل مافى طوية نفسه من براءة طيبة كبراءة الطفولة » وقال : هذه هى باريس كلها اذا كانت القاهرة هى ما تراه الساعة ٠٠ هل لك فى رحلة قصيرة نقضى بها رياضة اليوم ؟

وسار العقاد معه حيث سار ، وقال له فى صراحة لا تكلف فيها ، أنه عرض عليه مقال الصحيفة عن رحلة باريس امتحانا لرأيه بعد أن أغناه أسلوب خطبه عن امتحانه فى الكتابة ، وبعد أن أغناه حضور العقاد الى الموعد ـ بالدقيقة عن امتحان نظامى فى العمل ٠٠ فللعقاد أن يعتبر نفسه محررا بصحيفة الدستور منذ تلك اللحظة ٠٠ ومضى فريد وجدى يسهب فى بيان مقصده من انشاء الصحيفة وبيان خطتها فى السياسة الوطنية(١)٠

وبدأ العقاد عمله الصحفى الأول فى هذه الصحيفة ، ويمكن القول أن العقاد كان نصف هيئة التحرير برمتها ، اذ لم يكن فى قلم التحرير غير كاتبين اثنين ، أحدهما عباس العقاد والآخر صاحب الصحيفة ٠

---

(١) العقاد : رجال عرفتهم ص ١٦٦ ٠

وقد تطوع فى تحرير صحيفة الدستور « احمد وجدى » شقيق فريد وجدى صاحب الصحيفة ، ويقـول عنه العقـاد أنه ذلك « المحـرر المتطوع الدائم » وكان هـذا المحـرر المتطوع يكـاد ينهض بعمل الترجمة الفرنسية وحـده ، ويكتب الى جانبها التعليقات وحواشى الأخبـار والمتفرقات ٠٠

وكان زمـلاء « أحمد وجدى » يتطوعون معـه بالكتابة والترجمة من حين الى حين ، ولكنهم أضربوا جميعا بعد الخـلاف الذى حدث بين فريد وجدى ومصطفى كامل ٠٠

وكانت هيئة التحرير فى الدستور تتكون من صاحب الصحيفة وعباس العقـاد كمـا سبق ، وكانـا يعملان فى التحرير والترجمة والتصحيح وتهذيب الرسائل والأخبـار ٠٠ وكان فريد وجدى « قليلا ما يبرح داره » فكان العقاد ينـوب عنه فى أعمال الصحيفة الخارجية ، ومنهـا الحصول على الأخبـار وعلى الأحاديث وبينهـا أول حديث للوزراء المصريين ، كمـا سيأتى الحديث عنه فيمـا بعد ٠٠

وبالنسبة للأخبار ، فقد كان لها مكتب بديوان الداخلية فى ذلك العهد، ترسل اليه النشرات من جميع الدواوين ، ومعظمها عن التعيينات والتنقلات وصرف الأموال فى المشروعات العامة ٠٠ ولم تكن هنـاك « حاجة بالمخبرين الى استطلاع النيات والتقاط الأسرار ، فان السياسة الكبرى كانت فى علـم المندوب البريطانى ومستشاره ومفتشيه ، وليس لأحـد من الصحفيين صلة بهؤلاء غير أصحاب « المقطم » ، وبعضهم وكلاء الصحف الاوربية ، وصلاتهم جميعا لا تفيدهم شيئا من أسرار السياسة العليـا ، ولا تطلعهم على خبر من اخبـار الميزانية قبل أوانه ٠٠ » (١) ٠

والواقع أن جريدة المقطم كانت تحظى بمساعدة الاحتلال التى وصلت الى حـد تزويدها بالأحكام القضائية لتنشرها قبل النطق بهـا ٠٠

وكانت الصحف الوطنية محرومة من هـذه الأخبـار ، الا أنه يجدر ان ننوه هنـا بقضية التلغرافيات « التى حوكم فيها الشيخ على يوسف وكان بذلك أول صحفى يحاكم فى قضية صحفية هامة ٠٠ وفحوى هذه القضية أن « المؤيـد » بالرغم من تضييق الاحتلال على الصحف الوطنيـة استطاعت أن تنشر البرقيات السرية التى كان اللورد كتشنر قائد الجيش المصرى فى ذلك الوقت يبعث بهـا الى وزير الحربية المصرى عن حالة الجيش المصرى فى

---

(١) العقاد : حياة قلم ص ٧٠ ٠

السودان ·· وكانت آخرها برقية لكتشنر ان الوباء يفتك بالجنود المصريين هنـــاك ·· وكان لنشر البرقية دوى كبير ، وحـوكم الشيخ على يوسف بسبب هذه القضية وبرىء ومعـه « توفيق كيرلس » الموظف الذى اتهـــم باعطاء المؤيد هذه البرقيات (١) ··

ويبين لنـام ن هذه القضية أن المخبر البارع ليس كالمخبر العـاجز كما يقول العقاد على حـد سواء (٢) ·· فكون المؤيـد تستطيع ان تحصل على هـذه البرقيات وتنشرها على الرغم من سريتها يبين كيف أن الصحفى البارع يستطيع ان يحصل على أدق الاخبار وأوغلها فى السرية ايا كانت الظروف ·· بيـد أن الطائفة التى أشار اليها العقاد من المخبرين والتى كانت تســاوم « الادارة » على تكاليف المهنة وتوهم وكلاء الحسابات فيها أنها تحصل على أخبار النقل والتعيين والاعتمادات المالية من قصـاصات « المسودات » فى سلال المكاتب المهملة ، هـذه الطائفة لا يمكن ان تكون أكثر حسنا من أولئك « الدجالين » باسم الطرق الصوفية وهو عجـــز منهم لا تدانيه براعـة فى الشـعوذة ··

ويذكر العقاد لنـــا أنه كان يذهب الى مكتب الاخبار بديـوان الوزراء فيرى هناك على التناوب عشرين أو ثلاثين صحفيا من مندوبى الصـحف العربية ·· وليس من هؤلاء جميعا واحد فرد يذكر اليوم أو يعرفه السامعون اذا ذكـر ، وقد نعجب اليوم اذا علمنا أن عباس العقاد فى نظرهم جميعـــا فضولى متطفل على الصناعة ، وقد سمع العقاد احدهم يتكلم عن عمر منصور منـدوب المؤيـد ، وعبد المؤمن منـدوب الاهرام ، وسامى قصيرى منـدوب المقطم ، وجورج طنوس منـدوب الوطن ·· فاذا هو يشيع العقاد بالاشـارة الساخرة وهو يسب الزمن لأنــه قضى عليه بالعمل فى الصحافة مع امثاله .

وكان العقاد يتنــاول من « الدستور » مرتبـا قدره ستة جنيهات ، ولم يكن يزيد على مرتبه فى الوظيفة الحكومية بأكثر من جنيه واحد ·· فـلم تكن زيادة المرتب احدى المغريات له على ترك الوظائف الحكومية للاشتغال بالصحافة ، لأن المرتبين متقاربان مع الفارق فى الضمان والترقية ومستقبل المعـاش (٣) ·

---

(١) راجع ، الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر (الجزء الرابع) ·

(٢) العقاد : حياة قلم ص ٧٠ ·

(٣) العقاد : حياة قلم ص ٧١ ·

والواقع أن العقاد بدأ عمله فى الصحافة راغبـا فيه مقبلا عليه بحماس الشباب ·· ووجد من اللحظة الاولى انه يريد أن يفرغ فيه جبعة المعرفة التى حصلها من مطالعاته الصحفية ، ومن مطالعاته فى الكتب وفى الحياة ·

ونلقى بنظرة سريعة على عناوين المقالات التى كتبها العقاد فى معظـم اعداد الدستور فنجد أن « المقالات الأدبية » كانت تحتل المكانة الاولى ثـم تليـه المقالة على الاجمال فى مختلف الشئون ··

فهو يكتب عن المعرى « الشاعر الفيلسوف (١) » ثم يتابع الحـديث عن « الشاعر الفيلسوف (٢) أيضا بعد أسبوع من نشر المقال الأول ، ويكتب عن « ابن الرومى » (٣) بعـد عددين من حديثـه عن أبى العلاء ·· ويكتب بعنوان « صريع الغوانى مسلم بن الوليد الانصارى (٤) » مقالا يتنـاول فيه أدب هذا الشاعر وتحليل شعره ··

ولم يكن يمر أسبوع حتى يكتب العقاد « مقالة أدبية » يفرغ فيهـا جعبة المعرفة التى حصلها من قراءاته ، ولكن هذه المعرفة التى تناولت مختلف الشئون كان لها صداها فى موضوع المقـالات التى كتبها العقاد فى مختلف الشئون ·· وفى العدد الثانى من الدستور احتل مقاله جزءا كبيرا من الصفحة الاولى ، عنوان هـذا المقال :

« مقارنة بين الاستعمار الاسلامى والاستعمار الاوربى والانجليزى فى مصر » (٥) ·

كتب فى هذا المقـال يقول :

« بين حوادث التاريخ حادثتان متشابهتان شبه التوائم فى المـلامح والقسمات ولدتا فى مصر وأولاهما تكبر الثانية بثلاثة عشر قرنا وهمـا فتح العرب واحتلال الانجليز ·

« ومن غريب التوافق بين هاتين الحادثتين أن النسبة بين الحـاكم والمحكوم والغالب والمغلوب واحـدة فيهما فوحدة الدين واختلافه وتبرم الرعية

---

(١) جريدة الدستور : العدد ١٠ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٠٧ ·
(٢) جريدة الدستور : العدد ١٥ ــ ٢ ديسمبر ١٩٠٧ ·
(٣) جريدة الدستور : العدد ١٧ ــ ٤ ديسمبر ١٩٠٧ ·
(٤) جريدة الدستور : العدد ٢٣ ــ ١١ ديسمبر ١٩٠٧ ·
(٥) جريدة الدستور : العدد ٢ ــ ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ ·

من الراعى واتفاق الأمراء مع المماليك كل ذلك كان على كيفية متقــاربة فى الفتح والاحتلال « دخل العرب وكان عليهـا اذ ذاك رجل يونانى النبعـــة يدعى يوحنـــا بن قرقب واشتهر باسم المقوقس ، كان هذا الوالى فى طليعـه الساخطين على الروم الذين أكدوا على مصر فى ذلك العصر وساموا أهلهـا وهم على دينهم سوء العذاب حتى أخرجوهم الى مخابرة العرب فى فتح مصر وانقاذها من عسف شركائهم فى العقيدة ووعدوهم المساعدة عليهم عند الحاجة اليها فتحصن المقوقس فى حصن بابليون بنية تسـليمه للعــرب عند اول صــدمة ٠٠

« وهكذا فعل الانجليز ، انسابوا الى جوف البلاد من ثغر الاســكندرية بناء على دعوة خــديوى مسلم اســتجار بهــم من مسلمين ثائرين جائرين فاستتب الأمر وجاسوا خلال الديار ثم مارسوا الشعب فما راضوه ، وساسوه فلم يرضوه واستعانوا بوسطاء السوء فزادوا الهوة اتساعا ومدوا فى حبــل الغواية باعا هــذا خلافا لما أدى اليه حكم الأولين فانهم ما احتاجوا يــوما الى وسيط يبرر عملهم او الى سليط يرعب الناس ببأسهم وشـــدتهم بل ملكوا البلاد وارتبطــوا بالقلوب واســتحوذوا على العقول وبلغ من تعــلق المصريين بهم أن اعتنق غالبهم الدين الاسلامى حبا فى القائمين بــه واعجابا ببسالتهم وكرم أخلاقهم ٠

فما الذى ميز (هيئة فطرية ساذجة) على أمة فى ابان صولتها وحــين مدنيتها ٠ أما المصريون فلم يتغيروا حتى يقال ان مصدر هذا الخلاف منهم فهم على ما عهدهم منيس ، وعرفهم رمسيس ، وخبرهم امنحت ، ورآهم كرومر ، ســليمو القلب ، طيبو النحيزة شريفو الاحســاس ، وان تغــيروا وضربت عليهم الذلة والمسكنة من تعدد الأحكام وتجدد الحكام كما يزعـــم الانجليز كان اشمئزازهم من الذلة أعجب وعدم رضائهم عن المهانة أبعـــد وأغرب فلابد أن يكون الاختلاف من قبل الحاكمين لا من قبل المحكومين وقد ساق الينـــا التاريخ فيما ساق حوادث نستخلص منها أسباب ذلك الوئام وهذا الشقاق ٠

فاولئك دخلوا مصر يمتون الى أهلها بحبل القرابة وأمامهم هذه الوصاة الجليـــلة :

ــ ستفتح لكم مصر فاستوصوا بأقباطها خيرا فان لكم فيهم نســـبا وصهرا ــ وبديه أن من يعتقد فى انسان انه نسيبه وصهره تأبى عليـــه نفسه اساءته فضلا عن ظلمــه ولذلك جروا معهم جــرى القريب مع القريب والنسيب مع النسيب والتفتوا الى من ندبهم عن سواء السبيل فلم يحتذوا

عليـه ولكنهم وضعوا فى مكان الحقد قول الكتاب العزيز ـ ولا يجر منكـم شنآن قوم أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب التقوى ـ أما هؤلاء فأنكروا علينـا أن تجمعنا بهم صلة الانسانية ورأونا نأنف من معاملتهم فأوتروا حبل العناد وجاهروا أمام العالم بأننا أن لم نكتم أنفاسنا ونحبس نبض قلوبنا أخذوا على افواهنا ولم يأبهوا لندائنا مهما اشتد الألم الناشىء عنه هذا النـداء ..

أولئك وصلت بهم ساحتهم الى أن يرى أميرهم حمامة بريـة تبيض وتفرخ فى سرادقه فيتركه لهـا لكيلا يزعجها على أفراخها .

وهؤلاء يدمرون أبراج الحمام الداجن فيطلقون عليه الخردق والرصاص ويتلفون المزارع ويجرحون النساء فاذا تنبه اليهم أهل البلد وأخذوا يدفعون عن أنفسهم أكبروا منهم دفاعهم عن أنفس شروها من خالقها ولم تعـد لأصحابها والحقوهم بحمامهم المقتول وزرعهم المذرو فى الرياح . اولئـك يفزع ابن أميرهم رجلا من السوقة فيؤنبه الخليفة أشـد التنبيب ويجبهه بهذه الكلمة القارصة : بم استبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا ..

وهؤلاء يجلد موظفوهمرجالنا ويعبثون بسراتنا فلا ينهرون ولا يزجرون بل يقادون الى حيث يسخرون ويزجرون . اولئك يضطرون الى بناء مسجد تحيى فيـه شعائر دينهم وليس من حائل بينهم وبين ما يريدون الا ابـاء عجوز مسيحية لا حول لهـا ولا قوة فيؤثرون اقامة العدل على بناء المساجد..

وهؤلاء يأخذون من مال الامـة المصرية ـ وهى فى أشد الحاجة الى الدرهم والدينار ـ نحو نصف مليون جنيه ليشيدوا بها ثكنات تؤوى جيش الاحتلال وهو فى غنى عنها بما لديه من المنـازل التى لا ينقصها شىء من المتـانة والاسـتعداد .

ان بعض هـذا مما يحفظ القـلوب ويوفر الصدور واذا كان المصلحون يتوقعون غير ما رأوا من هذا الشعب فما أحطه شعبا لا تنجح فيـه الوسائل ولا ينجح فيه عمل العامل وما أجدرهم بالتحول عنه الى شعب أوفق للاصلاح منـه » .

ع. م. العقـاد
احـد محررى الدستور

وفى العدد الثالث من الدستور يكتب بعنوان :

« الاستقلال سهل المنـال » (١)

---

(١) جريدة « الدستور » العدد ٣ ـ ١٨ نوفمبر ١٩٠٧ (السنة الأولى) .

وقد احتل هذا المقال جزءا بارزا من الصفحة الاولى ، وفيه يهاجم الاحتلال ويبرز اتجاهات الراى العام ويكشف الاسباب الحقيقية التى من أجلها يتمسك الاحتلال الانجليزى بمصر ، وفى هذا المقال السياسى يظهر اثر ثقافة العقاد الواسعة فيه والميل الى الاستدلال المنطقى ، وظهور شخصيته فيما يكتب ، وهو ما نلمسه كذلك فى المقال السابق ومدى تعمقه فى الفكرة التى يناقشها ٠

وهذا هو نص المقال الثانى الذى يتضح منه ميل العقاد الدائم الى الاستدلال المنطقى فى كتاباته :

« ليس بين الامة وبين الاستقلال الا خطوة واحدة تخطوها هى انتقالها من دور الاستكانة والاذعان للحكم الاجنبى الى دور الاحساس بأنها أهل للاستقلال فان مجرد احساسها هذا يوقف المتطلع اليها على مقدار الحياة فيها ويدله على أن بين جنبيها نفسا شريفة لا تقل فى شىء عن نفوس الامم المستقلة ، والامة التى تقضى على نفسها بنفسها بأنها غير كفء لهذه النعمة هى امة ميتة ولكن يحل اكلها ٠

نعم يحل أكلها ويسهل هضمها لأن اعترافها هذا هو اعتراف بقصورها وعجزها عن تولى أمورها واجتراء اموالها عليها على الوجه المناسب لها وما أسرع الأجنبى الى امة هذا شأنها وهو يتحين الفرص لاصطياد الأمم الأبية التى لا تسلم فى كيانها واستقلالها هذا التسليم فيسعى اليها منتحلا اضعف الحجج واوهى الاسباب فيقبض على مواردها ويستأثر بالنفع دونها ويتركها تتضور جوعا وأهل تلك الأمة الذين يتظاهرون بالعقل والرزانة يصيحون من ورائه : استنفد ما تستنفد من الاموال ، واستبعد من تستعبد من الرجال ، فاننا راضون بهذا الحال ، لأننا أمة لا تستحق الاستقلال هؤلاء يحسبون أن الأجنبى يصفق لهم طربا اذا سمع منهم هذا القول وانه يحفل بآراء من لا يحفلون بالشعور الوطنى ويعدونه خيالات أذهان واعيب صبيان ويهيىء لهم الوهم انهم بذلك يتسامحون فى بعض حقوقهم - والتسامح كرم ٠

قد يكون ذلك صحيحا اذا كان التسامح من فرد لفرد فيما يزيد عن حاجته وبالنسبة للأمم تهاون وضعف ، فان حق الامة حق شائع بين أفرادها واذا كان ثمت تسامح فمن الأمة للأمة ولا تكون الأمة فى غنى عن شىء من خيراتها أبدا بالغة ما بلغت من الغنى ووفرة الخيرات ٠

كذلك ليس لاحد مهما كان عالما او سريا أن يسلم فى حقوق امته بالنيابة عنها لانه ليس أكثر من فرد على اى حال ٠

منيت مصر بالاحتلال وباشر ما منيت به والتى الوجود عليها هـذا السـؤال :

أمـة ضاع استقلالها وانحل كيانها ماذا يكون امر أبنائهـا والى اى غاية تتجه قلوبهم ؟

فاختلفوا فى الجواب وما كان منظورا ان يختلفوا فى ظمآن تعوزه شربة مـاء ومريض تساورته الأدواء فتلهف على الشفاء وطريح فى غيـابه الجب يتطلع الى واسع الفضاء وتضاربت آراؤهم فمن قائل نحن نرضى بالاحتلال مادام القوم لا يتعرضون لنـا فى مأكولنا ومشروبنا وما دمنا نبيع ونشترى ونزرع ونحصد بلا رقيب ولا ممانع وسنظل صامتين ساكتين الى ان يقضى الله أمرا كان مفعـولا ٠

ومن قائل يقول اننا لا نفهم معنى لحرية الأفراد مع استبعاد الشعب بأسره الا التغرير بالعقول وما هذه الحرية الا احبولة يقصد بها سـوق المصريين الى الاندفاع مع تيار المدنية الفاسدة حتى تطمس بصائرهم وتخفى حقوقهم فى لذاتهم اكثر مما يقصد بها تهيئتهم لحكم أنفسهم بأنفسهم وما دمنا منقادين للغير فى أمس ما يتعلق بحياتنا فلن يكون هذا الغير أعـرف منـا بنقائصنا ولن يكون أحرص منا على قضاء حاجاتنا واسعاد حالنـا وسنعرض شكوانا على الملأ فلا تغفل عنها عين التى تراقب حركات هذا العالم وسكناته ٠

ويأتى بعد هذا وذاك صائح من وراء الأفق فيناديهم على رسلكم أيها المتناظرون قـد توقفت الى ما لم تتوفقوا اليـه من كل هذا الجـدال واهتديت بالاختيار الى ما لم تعرفوه بالنظر والاعتبـار ٠

« اخنعوا للمحتلين واستخذوا لهم ودعوهم يمرون على رقابكم واستعملوا هـذه الحرية التى وهبوها لكم وسيلة لمجاملتهم وستر عيوبهم وانتم ترون بعد ذلك كيف يبتسم لكم الوزيـر ويبش فى وجوهكم المستشار وما ضركم لو اصلحتم الصياح الذى لا يجديكم نفعـا واقتديتم بأنعامكم وهى تسـرح وتمرح فى ظل حكومة تتعهدها بما يقـوى بنيتها ويقـوم صحتها وتتكفـل لهـا بالمرعى الجميم والمـاء العذب الفرات وهى فى ذلك على احسن ما يكون من النعيم والسـعادة لا تبـالى ما قدم لهـا العالف مصرى أو انجليزى » ٠

« هذا ما انتهى اليه الخلاف بين المتنازعين فى قضية مصر بحق أو بغير حق ، والذى لا ريب فيه ان الفريق الاول يظهر غير ما يضمر سعيا وراء مأرب

معلوم له وان الثـــالث ماجور لا يهمــه من مصر الا منزل يأويــه وملبس يكسوه ولقمــة تقيته اذ ليس فى العالم قــوة تحيد بالانسان عن هذا الشعور المقدس الا قــوة المــال وناهيك بــه من قــوة تؤثر على ذوى النفوس الصغيرة والضمائر الميتــة ..

اما الثانى فهــو يترجم عن الشعور العام نقلا عن الصورة المطبوعة فى فؤاده ذلك الشعور الذى لا تصوره كلفة ولا يدخله رياء ولا يجوز أن يقــاوم لانه بمثابة وحى الهى لابن آدم يلهمه بأنه حر كالمسيطرين عليه ومتى اراد الله لأمــة بأن تستقل أحياء فى نفوس ابنائها هــذا الشعور فاندفعت فى سبيله الى مربض الاستقلال ومحط الآمال .

« هــذه انجلترا ترى المانيــا تعبىء الجيوش وتبنى البوارج وهى حرة فيما تفعل فيسوءها ذلك منها ويشتد الخلاف بينهما الى حــد لا تؤثر فيه زيارات الملوك وتودد الوزراء ـ لا لشىء اقترفته المانيا ضــد استقلالها بــل لتوقعها ذلك منها بعد قرن أو قرون ، هذا الشعور نفسه الذى يقيم الانجليز ويقعدهم على كل من يتعرض لاستقلالهم ولو فى الخيال هو الذى يتجسم فى نفوس المصريين فيحزنهم أنهم يموتون فى كنف دولة أجنبيــة ثم يذهبــون فلا يذوقون طعم الاستقلال فى ونهم والانجليز ينقســمون على هذا الشعور لانهم يريدون تنقيــة الأمــة من الزعانف والاشواك التى تقف فى حلقهــم وتحول دون ازدرائها .

دخل علينــا القوم من باب وصدعوا آذاننا بالنتائج والاسباب ..

قالوا نحن مصلحون فلم نصدقهم لأننا رأيناهم لا يحفلون بضيقتنا بل هم يبتاعون الغــلال من الخارج ايام كانت محاصيل مصر مطــروحة على الأرض لا تجــد من يشتريها ، ويقفلون معاهــد التعليم فى وجــوه الفقــراء (اصحاب الجلاليب الزرقاء) واذا ناداهم متألم عاندوه وشاكسوه وما سمعنا من قبل أن طبيبا حقــد على مريضه لانــه يفزعه بتوجعه وتأوهه ، وان أمة هــذا مبلغ اعتبارها للحق واقبالها عليــه هى امــة أحوج للاصلاح من كل امــة غيرها .

* * *

« ووخز الحق بعضهم فجاهروا بأنهم انما يحتلون مصر لحفظ طريق الهنــد التى يخافون عليها من عــدوان الروسيا ولكنهم ان وجدوا ما يقولونه لمصر فلن يجدوا ما يقولونه للهنــد ، وقد تنبهت فى هــذه الأيام وعلا صوتها يطلب الاستقلال فخرجت من كونها صيدا يخاف عليه أسد من دب ، وظهرت لكل من يراها شبلا يشتد ليسترد عرينه .

وهب قولهم صحيحا فهل قضى على مصر ان تظل مستعبدة حتى تتحول الهنـد عن موضعها الجغرافى فتكون بعيدة عن متناول أعداء الانجليز ! ٠٠

وهل اتيـح لانجلترا ان تنصب من الأمم شراكا لايقاع الأمـم ويعتبر قضـاؤها هذا كالقضاء المبرم ! ٠٠

لنترك أولئك يختلفون فى النتائج وهؤلاء يختلفون فى الأسباب ولنبرهن للجميع أننـا شعب حى لا ينـام حتى يشعر بالشعوب متيقظة حوله وان قال قائل ان سالبكم قـوى بجنوده وحصونه وأساطيله أجبناه ان القـوة أحط ما يتـدرع به الانسان وانه لم يقض على الضعيف بالحرمان من حقه والامم التى كانت عالمة ملأى الشعور كانت كالآنية الملآى بالهـواء تقـاوم ضغط الجـو باجمعه ٠

« ع٠ م٠ العقـاد »

وتتابعت المقـالات التى كتبها العقـاد فى الدسـتور ، وهى من حيث الموضوع كما سبق القول لم تتناول غير القليل من موضوعات النقد الاجتماعى او موضوعات المقالة الوصفية والمقالة العاطفية ، ولعل تعليل ذلك أن العقاد كان مع اشتغاله بالكتابة مشغولا بنظم الشعر فى موضوعاته ، وهـو أولى بالوصف العاطفى من المقالات (١) ٠

وقد الفى العقاد الصحافة المصرية قائمة على فن المقالة منذ انشـائها قبل الثورة العرابية ، وكانت « الجريدة » قد سبقت « الدستور » فى تاريـخ الصدور ، وكان من كتابها المتقدمين « محمد السباعى » تلميذ « لى هنت » الرائد الانجليزى فى فن المقالة على أسلوب المقالة الانجليزية فكان رائد هذا الفن فى تحرير الصحف غير مدافع ، وكان له فيـه ابداع يعرفه كتابه الذى سـماه « بالصور » وأراد أن يعارض به مقالاته الترسيم والتخطيط المعروفة باسم « الاسكتش » فى أدب الغرب الحديث ، ومن ثم فان العقاد لم يحاول فى كتابة مقالاته جديدا غير تقريب الموضوعات من الدراسة النقـدية ٠

وكان أدب المقالة فى تلك الآونة يستوعب مطالعاته الحديثة او يكاد ٠٠ ذا أنه كان يدمن القراءة فى كارفيل ٠ وهو من مدرسة ماكولى ومدرسة هازلت ولى هنت وزميله ارنولد وغيرهم من أئمـة فن المقالة فى القـرن التاسـع عشر ٠٠ وكان بعض هذه المقالات مما ينشر فى المجالات الضافية ، ولا ينشر فى الصحف اليومية ، لأنهـا قد تمتد حتى تبلغ فى المجلة ثلاثين أو أربعين صفحة ، وبعضها مما يصلح للنشر فى الصحافة الاسبوعية كما يصلح للنشر

---

(١) آخـر ساعة العدد الصادر يوم ١٩٥٧/٩/١٨ ٠

الصحافة اليومية ، ومن هذه المقالات كان العقاد يترجم ما يصلح للنشر ويكتب فى التراجم (١) ومسائل النقد والتعليق ·

ويمكن القول ان « المقـالة الأدبيـة » كانت تحتمـل المرتبة الاولى فى كتابات العقـاد فى الدسـتور ثم تليها المقالة على الاجمال فى مختف الشئون· وذلك من حيث الموضوع بيـد اننا نستطيع ان نقول ان مقالات العقاد التى تناولت الشئون المختلفة واتسمت بالطابع السياسى ، أقرب الى « المقـال الافتتاحى » فى أدب المقالة الصحفية ·

ذلك ان المقال الافتتاحى هو المقال الرئيسى فى الصحيفة ، وله فن خاص بـه من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح والتفسـير ، والاعتماد على الحجج المنطقية حينا ، والعاطفية حينا آخـر للوصول الى غاية واحدة فقط ، هى اقناع اقارىء (٢) ·

ويعتمد نجاح المقـال الافتتاحى الى حـد كبير على اختيار الموضوع ، ويساعد الكاتب على ذلك أن يضع نفسه مكان القارىء ليحس باحساسه ويشعر بحاجته النفسية ·

معنى ذلك ان المقال الافتتاحى ليس الغرض الاول من اغراضه الاعلام، ولا ينبغى له أن يهـدف الى السبق الصحفى من هذه الناحية ، انما الغرض الاصلى للمقال الافتتاحى هو الرأى · وكثيرا ما يكون هذا الرأى تعليقـا على أحداث الأخبار او الحوادث الجارية · ومن ثم نرى كاتب هذه المـادة الصحفية سريعا فى تفكيره ، سريعا فى تعبيره عن رأى الصحيفة فى هذا الحدث او ذاك ، ولذا وجب عليه دائما ان يكون واسع الاطلاع قادرا على ربط الحاضر بالماضى ، متصلا على الدوام بشتى الصحف التى تصدر فى بلده وفى خـارج بلده ، حتى يقف على افكار هذه الصحف والدوريات كما يقف الناقد على احدث الاراء فى النقـد (٣) ·

وقـد حفلت مقالات العقاد فى هذه الفترة بهذه الخصائص مجتمعة فى وقت كانت المقالة الافتتاحية تحتل الصفحة الاولى · وكانت المقالة الرئيسية

---

(١) كتب العقاد ست مقالات فى الدستور تحت عنوان « فارس شعرها أو شعراؤها » ·

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٢١٨ ·

(٣) المرجع السابق ·

فى هذه الفترة طويلة مسرفة فى الطـول ، حتى لقـد بلغت فى بعض الأحيـان نحوا من أربعة آلاف كلمة (١) • وكثيرا ما كانت تذيل بتوقيع الكاتب •

وكان العقـاد يوقع مقالاته فى « الدستور » على الطريقة التى كان يوقع بها كتاب المجـلات الأجنبية ، وكان توقيعه باللقب والحرفين الأولين من الاسمين : « ع • م • العقاد » ومثل هذا التوقيع كان مثارا لألسنة الزمـلاء الهازلين فى بلد « التفش » والقافية •• فسرعان ما ظهر له مقالان أو ثلاثـة حتى دغموا الحرفين فى اسم واحـد ، وراحوا يتحدثون عن مقالاته « عـم العقـاد •• ! » وماذا قال عمك ؟ •• وماذا تقـول ياعم ؟ •• واكتب لنـا يا عمنـا بما تراه •• وقس على ذلك بقيـة القافية فى مختلف الاوضـاع والنـداءات ••

ويأبى العناد أن يرجع العقاد عن « عم العقاد » •• او لعـله لم يكن عنادا محضا ولا صبرا على السخرية بغير مبالاة ، فليسمن الكسبالرخيص للكاتب الناشىء أن يذكر وأن يكون فى توقيعه اغراء بذكره •• واما السخرية فهى شهرة نابية فى جميـع الاسماع ولكنهـا تهون اذا أصابت الفطاحل النابهين كما تصيب الناشئين المبتدئين ••

وهكذا مضى « عم العقاد » يكتب بهذا التوقيع من العدد الاول الى العدد الأخير (٢) ! •• وقد كان هذا التوقيع اثرا من آثـار مطالعات العقـاد فى الصحف الاجنبية ، من حيث الشكل والجوهر ••

وقد تميزت مقالات العقاد بأهم خصيصة للمقال الافتتاحى أو الرئيسى وهى خصيصة الاقناع عن طريق الشواهد والأمثلة المشتقة من الأحداث التى جرت فى الماضى ، والتجارب الانسانية التى اختزنها العقاد فى ذاكرته امـا بطريق الممارسة ، واما بطريق الاطلاع • ولهذه الشواهد حيز كبير من المقال الافتتاحى بصفة عامة ، وهو مجال واسع يتبارى فيه كتاب الصحف ، ويظهر فيه علمهم واطلاعهم ، ووقوفهم على التاريخ العام والتاريخ الخاص ، وقـد برزت هذه الشواهد فى مقالات العقـاد مبرزة حصيلة اطلاعه فى الحيـاة وفى التاريخ •

---

(١) أنظر مقالا السيد على يوسف بعنوان (حفلة الوداع) • وخطبته للورد كرومر • (جريدة المؤيد — العدد ٥١٥٧ بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٠٧) — راجع : المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٢٣٠ •

(٢) العقاد : حياة قلم ص ٩٢ •

وفى المقال الأول الذى اوردناه يقارن العقاد بين الفتح الاسلامى ، والاستعمار الأوربى والانجليز فى مصر ، ويعتمد على ايراد الشواهد المستقاة من التاريخ القديم والحديث على السواء ، بل انه يقارن هذه الشواهد بالشواهد فيكون الاقناع بالنتيجة دون الافصاح بها · وفى المثال الثانى الذى اوردناه كذلك وهو بعنوان (الاستقلال سهل المنال) يتضح اعتماد العقاد على هذه الشواهد والأمثلة المشتقة من الاحداث فى الماضى والحاضر ، شأنه شأن كتاب المقالة الافتتاحية فى الصحافة الانجليزية آنذاك كما تعلم منهم ··

ومن مقالات العقاد فى صحيفة الدستور يمكننا ان نلمس فيه الصفات التى يتطلبها علماء الصحافة فى كتاب المقال الافتتاحى (١) :

اولا ـ يمكن القول ان العقاد كان يتمتع بحاسة صحفية دقيقة يذوق بها الاحداث الجارية فى محيطه ، والاحداث الجارية خارج هذا المحيط ·

والدارس للعصر الذى نشأ فيه العقاد يرى أنه كان عصرا مزيجا مضطربا بين عصرين ذهب أحدهما ولم يخلفه العصر القادم على راى واضح مقوم بين كل فئة من الناشئين وما يوافقها وتوافقه من التفكير الحديث ·

ويصف العقاد هذا العصر بأنه كان « برج بابل » يبنى ويعاد بناؤه بين عام وعام ، فلم تمتحن فيه العقول بعد بمحنة المحن فى العصر الحديث، محنة تكوين الرأى جماعات وجماعات فلا ينطوى الشاب فى جماعة صاخبة حتى يحرم القدرة على نقدها ونقد سواها فهو من جماعته ينطوى فيها يقبل خطأها كما يقبل صوابها ، وهو مع الجماعات الاخرى يرفض صوابها كما يرفض خطأها ، وانه لخاسر مضلل فى كلتا الحالتين (١) ·

ذلك ان الجامعة الاسلامية ـ كما يقول العقاد فى وصفه لهذه الفترة ـ كانت على مذاهب · والجهاد الوطنى على مذاهب ، والتجديد الفكرى على مذاهب ، ولا نرى امامنا مذهبا واحدا فى قضية من قضايانا الكبرى وكلها مشكلات ··

فالجامعة الاسلامية مدرستان : مدرسة جمال الدين ومدرسة الدعاة الرسميين : مدرسة جمال الدين تعنى بالجامعة الاسلامية أن تكون جامعة

---

(١) راجع المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٢٢٤ ·

(٢) راجع آخر ساعة يوم ٢١ من أغسطس ـ العدد ١١٩١ ·

شعوب متيقظة مسئولة عن شئونها مرعية الحقوق مع ملوكها وامرائها . فضــلا عن حقوقها مع الطامعين المتربصين بهــا • ومدرسة الدعاة الرسميين تعمل للملوك والأمراء وتريد من الجامعة الاسلامية أن تكون وحــدة سياسية بزعامة هــذا الخليفة أو ذاك من ملوك المسلمين وأعلاهم صوتا في مصر من كان يعمل لخليفة بنى عثمان (١) ••

ومدرسة الجهاد الوطنى على هذه الحال :

مذهب يعتمد على مناورات الدول وحقوق السياسة الشرعية . ومذهب يستضعف هذا الرأى ، ويحسب العمل فيه من ضياع الوقت على غير جدوى، وبخاصة فى أمر التعديل على السيادة العثمانية • لان حقوق هذه السيادة لم تكن عصمة للمعتمد عليهــا ، بل كان مجرد الانتماء الى الرجــل المريض صاحب التركة المنتظرة ــ كما كانت الدولة العثمانية تسمى فى ذلك الحين ــ ذريعة الى ضياع البــلد فى معركة النزاع على التركة او فى مساومات التقسيم والتفريق (٢) •

نقول ان العقاد حين اشتغاله « بالدستور » وعمله بها كان قــد وصل الى قرار واضح من هذه القضايا ، وهو تأكيد للحاسة الصحفية الدقيقــة التى ساعدته كل المساعدة فى الوصول الى كل قــرار اتخذه من هذه القضايا•

وهذا القرار الواضح يتمثل ــ كما يقول العقاد ــ « فى ان الجامعــــة الاسلامية عنده هى جامعة جمال الدين ، او جامعة شعوب متيقظة متعاونة لا جامعة ملوك وعروش تساق لخدمة هذا الخليفة او تخليف ذلك السلطان•

« الدولة التركية نتمنى بقاءها وصلاحها ، وكننا لا نتمنى سيادتها ولا نستمع لمن يحاربها باسم الشورى او النقمة على الاستبداد » •

« الدول الاجنبية لا تنفعنا ان لم ننفع أنفسنا ، وسياسة » مصــر للمصريين « هى أقوم سياسة يتبعها المصريون ويهتدون بهديها فيما لهم من حق وعليهم من واجب •• الحزب الوطنى حزب مخلص مجتهد ، ولكنــه مفرط فى تجاهله « يلدز » و « عابدين » ، مقصر فى مساعيه نحو « مصــــر للمصريين » (٣) •

---

(١) المرجع السابق •
(٢) نفس المرجع •
(٣) راجع حياة قلم ص ٤٦ (العقاد) •

ومنذ كتب العقاد فى صحيفة الدستور لم تخرج كتابته عن هذا النطاق فى قضية من هذه القضايا ٠٠ اذ أنـه لم يمدح الخليفة « عبد الحميـد » الا فى مناسبة واحـدة وهى اعلان الدستور ، ويومئذ كتب أبياتا يهنئه بها ويسجل تاريخ السنة بحساب الحروف الابجدية فكان التاريخ هذه الشطرة: (قد أنشـأ الدستور عبد الحميد) ٠ ومجموع حروفها بحسـاب الجمـل (١٣٢٦) وهى السـنة الهجرية التى اعلن فيهـا الدستور ، ولما توفى مصطفى كامل شيعته صحيفة الدستور ــ وهى صحيفة من صحف الحزب الوطنى ــ برثـاء أبلغ من رثاء صحيفة اللـواء ، ولكن العقاد أحجم عن رثائـه برثاء خلو من النقـد وأحجم فى ذلك المقـام من نقـد سياسته قبل الاستانة وقبل الخديو وقبل السيادة العثمانية ، ويذكر العقـاد أنه كاشف الاستاذ فريـد وجدى بحرجه وحرج صحيفته وهى لسـان الجامعة الاسلامية الاولى ولسان الحزب الوطنى الثانى بعد اللواء ، فقال له رحمه الله انه يفهم هـذا الحرج وانه يقوم عنه بما يتحاشاه ، آثر العقـاد الصمت على الرثاء على ثنـاء بغير نقـد ،و نقد متحفظ ، متحرج ، بين مضطرب الآراء (١) ٠٠

واذا كان علماء الصحافة يتطلبون فى المقال الافتتاحى خصيصا الثبات على سياسـة واحـدة هى سياسـة الصـحيفة ، ، فـان سياسـة صحيفة الدسـتور عنـدما كانت تصـطدم مع برنامج العقـاد السـياسى الصحفى فى مشكلات هذه الحقبة وأزماتهـا جميعـا ، لم يكن العقـاد يعبأ بما يصيبه من جـراء تنفيذ هذا البرنامج السياسى فى مشـكلات هذه الحقبة وازماتها جميعا ، على الرغم من أنه لم يتعد العشرين من عمره بعد ، ومـع ذلك استطاع ان يسلك سبيله بين تلك النقائض والشبهات دون ان يروض نفسه على استقامة القصد الى الحقيقة واستقلال الرأى بين شتى الدوافع والمغريات مستفيدا من ظروف الآونـة التى نشـأ فيها وظروف البـلد الذى نشأ فيـه (٢) ٠

ثانيا ــ يمكن القول أن العقاد كان يتمتع بحماسة تاريخية كذلـك استطاع عن طريقها ربـط الحاضر بالماضى وبها يستطيع الصحفى ــ كمـا نعلم أن يتكهن بالمستقبل ، وليس يخفى أن التاريخ عنصر هام من عناصر ثقافة الصحفى (٣) ٠

---

(١) راجع حياة قلم ص ٤٨ (العقاد) ٠

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ ٠

(٣) راجع المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٢٢٥ ٠

وفى المقالين اللذين اوردناهما يمكن أن يلمح القارىء اثر هذه الحاسة فى كتابات العقاد الأولى ففى المقال الأول يقارن بين الفتح الاسلامى والاستعمار الأوربى والانجليزى فى مصر مقارنة تعتمد على التاريخ اعتمادا يكاد يكون كليا ، لكن هذا الاعتماد على التاريخ يقوم على فهم روح التاريخ الفهم الذى ساعده على ربط تاريخ قديم بتاريخ حديث استطاع من خلاله الافصاح عن مساوىء الاستعمار البريطانى لمصر وكشف نواياه السيئة التى يخفيها وراء ستر كثيفة من التضليل وقلب الحقائق ٠

ويمكننا ان نلمس هذه الحاسة التاريخية فى معظم مقالات العقاد الاولى وهى خصيصة لازمت كتاباته من بعد ، من هذه المقالات « المدنية (١) الحاضرة » و « هل تبطل الحرب (٢) ، و « المصرى اذا تعلم (٣) ، و « الاسشعمار » سياسة الاستعمار أشهر من أن تذكر (٤) ، و « الاغتصاب ـ هو أثر من آثار المدنية الحاضرة (٥) » و « تفاضل الافراد ، وتأثير ذلك فى الحكومات (٦) » وغير ذل كمن مقالاته فى هذه الفترة ٠

هذه الحاسة التاريخية ساعدت العقاد على أن يفكر فى الحكم واشكاله فى مصر والشرق العربى ، اذ يرى العقاد أن شكل الحكومة لم يكتسب شيئا من تعديلاته وأدواره فى الشرق كله ، لا قديما كما كان يقع مرارا فى روما واليونان ، ولا حديثا كما وقع فى فرنسا وانجلترا من التجارب المتتابعة وراء تكوين الحكومة الصالحة ذلك على الرغم من أن الارتباك والضغط اللذين كانا يثير لهم الى قلب الحكومات قد نزل اضعافه بالشرقيين (٧) ولكن مع هذا الفرى اليسير ٠ وربما كان الجمود على شكل واحد من اشكاله ناشئا من انطباع الشرقيين على قلة الاهتمام بالعموميات لتمهيد الوسائل الخصوصية، فاذا استولى أحدهم على الملك استقر له الأمر وانقاد له الجميع ، وكثيرا ما يتفق ان خادما من خدم البلاظ يبسط نفوذه فى المملكة فيغضب الملك لنفسه ، ويبقى الحاكم المتصرف الى أن يزحزحه عن مكانه مغتصب آخر يأنس من نفسه الصولة والنفوذ ، والناس بمعزل عن هذه الانقلابات يسلمون بها ولا يشتركون فيها (٨) ٠

---

(١) جريدة الدستور (العدد ٨ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٠٧) ٠
(٢) « « (العدد ٩ ـ ٢٥ نوفمبر ١٩٠٧) ٠
(٣) « « (العدد ١٣ ـ ٢٧ نوفمبر ١٩٠٧) ٠
(٤) « « (العدد ١٣ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٠٧) ٠
(٥) « « (العدد ١٤ ـ ١ نوفمبر ١٩٠٧) ٠
(٦) « « (العدد ١٦ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٠٧) ٠
(٧)،(٨) راجع خلاصة اليومية للعقاد ص ٦١٥ ـ ومن المعروف أن هذا الكتاب أول كتاب أخرجه العقاد فى الفترة التى نعرض لها ٠

ومن استلهام الحاسة التاريخية خلص العقـاد الى أن حكومة الشرق لا ترتكز على الشعب فلا تتحول باختلاف مصالحه ، ولا الشعب يعتمد على اختلاف ميثاتها فقد انشأت نفسها بقـوة مشاعرها ولم ينشئها الشعب كما هو شان الحكومات فى الغرب ، وقـد شحت أزرها فى كثير من المواقف بالسلطة الدينية التى رأت من مصلحتها أنتتبادل واياها المعاضدة والتناصر فجمدت جمود عقائد الأديان فى وهم الانسان (١) ٠

واستلهام التاريخ ساعد العقـاد فى تعليل انعزال المصريين عن ميدان السياسة آنذاك بأن المصرى منهم لا يربطه بالمجتمع أو يربطه بالامـــة والحياة القومية النظام السياسى او المراسيم الحكومية قـدر ما يربطه بذلك المجتمع انتظام العادات والعلاقات منذ أجيال مديدة على نظام الأسر والبيوت٠ فلم تكن الحكومة فى تلك الازمان الطويلة لتمتزج بنفسه قط امتزاج الألفـة والطواعية والمعاملة المشكورة ٠ بل ربما كان صدوده عن الحكومة مما ضاعف اعتماده على الاسرة وحصر عواطفه الانسانية فى علاقاته البيئية ، لأنهـــا ملجـأ خفيض ومهرب أمين من القسوة والمظالم (٢) ٠

ولم يفهم من هذا ـ كما يقول العقاد ـ أن المصرى ضعيف الاهتمـــام بالسياسة أو أنه ينصرف عن تتبعها واستطلاع أخبارها وما جريانها ٠ أو أنه قليل البصر بمداخلها ومخارجها ٠ فان الواقع قد كان على خـلاف ذلك بل على نقيضه فى عصور كثيرة ، والمشهور عن المصريين أنهم من أشد الأمم شغفا بأحاديث الدول وعناية بالاستطلاع أحوال الحكومات ، وقد يسرى بينهم شعور ملهم بدخائل الأغراض الخفية واتجاه الخير واتجاه الشر فى الخصومات السياسية لما تعاقب عليهم من التجارب وتوالى على اسماعهم من أحاديث الصـاعدين والهابطين والمقبلين والمدبرين ، فاذا قيـل أنهم اجتماعيون من قبل الاسرة وليسوا باجتماعيين من قبل الحكومة فليس معنى ذلك أنهم لا يشتغلون بالسياسة ولا يأبهون لحـديثها ، وانما معنـاه أن اشتغالهم بها فى العصور القديمة لم يكن يتعدى جانب التحرى والاستطلاع الى جانب الخلق والتكوين (٣) ٠

ومن هنا يحدد العقاد الباعث على انقياد المصرى للسياسة اذ يتمثـل فى أنه ينقاد لأن الطاعة أشبه بنظام الأسرة من جهة ، ولأن أزمنة الركود الطويلة من جهة أخرى ليس من شأنها ان تبعث روح الابتداء والاقتحـام ،

---

(١) راجع العقاد / سعد زغلول سيرة وتحية ص ٢٥ ـ ٢٧ ٠

(٢)،(٣) راجع العقاد : سعد زغلول ص ٢٥ ـ ٢٧ ٠

فالبناء فى الصفوف ليس عنده من اعتساف الطريق ، وهو حتى فى ثورته يريد أن يرى الصفوف حوله ولا يريد أن يعتسف الطريق وحـده ، وقلمـا غلبت فيه نزعة الابتداء والاقتحام بقلعة الحرية والاستقلال · قلت فيه عادة الانقياد الاجتماعى أو قل النفور من المخاطرة والانفراد (١) ·

وقد اكتسب العقاد من حاسته التاريخية ما يمكن ان يسمى « عاطفة الانصاف » ، يقول العقاد عن نفسه : « ولست أجد فى نفسى باعثا قويا للكتابة عن العظماء الذين اتفقت لهم الفرصة والعظمة معا · فاستحقوا المجد الذى نالوه ·

ولكنبشىء من المبالغة العاطفية ، أو مبالغة الظروف ، ومناسـبات الأحداث ، ولهذا أفضل الكتابة عن عبقرية خالد على الكتابة عـن عبقـرية صلاح الدين ، لأن أنصاف صلاح الدين لا يحتاج الى مزيد » ·

ويقول العقاد : « ·· لم أشعر بتعظيم انسان لأنه صاحب مال ، ولم أشعر قط بصغرى الى جانب كبير من الكبراء جاها أو ثراء · بل شعرت كثيرا بصغرهم ، ولو كانوا بأصحاب الفتوحات » ·

« وأنا اعتقد أن نابليون مهرج الى جانب العالم باستور ، والاسكندر المقدونى بهلوان الى جانب ارشميدس ، وان البطل الذى يخوض الحرب ليقال إنه دوخ الأمم وفتح البلدان بهلوان » ·

ثالثا ــ استطاع العقاد من سن مبكرة ان يحصل ثقافة عريضة ، كانت تبدو فى بعض مواضعها عميقة ، ومما لا شك فيه أن هذه الثقافة ــ التى يعتبر التاريخ جزءا واحدا منها ــ تمكن الصحفى البارع ان يقف على المعلومات التى تمكنه من الحكم الصائب والنظر الصـادق ، والتوجيـه السليم ·

وفى المقالات الخمس التى كتبها متتابعة عن « الحكم العرفى ·· حكومة السودان » (٢) وكذلك مقال « قوة البرهان (٣) » يظهر أثر الثقافة الشاملة فى تناوله لجوانب الموضوع وفى منطقية الأسلوب التى تجعل لكلامه قيمـة ترتفع بكثير عن القيمة الانشائية التى لا تتطلبها هذه المرحلة ·

---

(١) نشرت هذه المقالات فى « الدستور » من عدد ١٨ ديسمبر ١٩٠٧ حتى عدد ٢٥ ديسمبر من نفس السـنة ·

(٢) جريدة « الدستور » العدد ٢٨ يوم ١٧ ديسمبر ١٩٠٧ ·

(٣) راجع الدكتور عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير ص ٢٢٦ وما بعدها ·

وصفوة القول ان هذه الخصائص التى توفرت لدى عباس العقاد ككاتب مقال افتتاحى فى أول عمل صحفى له ، تجعلنانقول انه كان كاتبا ممتازا فى هذا اللون من ألوان التحرير ، اذا علمنا أن هذه الخصائص هى الخصائص المثالية التى ينبغى توفرها فى كاتب المقال الافتتاحى ٠

واذا كان علماء الصحافة يرون أن كاتب المقال الافتتاحى يجب ان يراعى تماما مصلحة الصحيفة التى يكتب فيها ٠ فاذا آنس من نفسه أنه عاجز عن مراعاة هذه السياسة ، أو حدث أن تعارض ضميره مع مصلحة الصحيفة ، فخير له ان يستقيل فورا من عمله الصحفى بوصفه كاتبا للمقال الرئيسى ٠ وهذا معنى قولهم : أنه ينبغى لهذا الكاتب أن يتصور الدوائر الثلاث فى ذهنه دائما ، وهى : دائرة السياسة العامة للجريدة ، والدائرة العامة لكتابة المقال الافتتاحى ، ودائرة اهتمام القراء (١) ٠

فاننا نجد ان فريد وجدى صاحب « الدستور » كان شديد الايمان على منهج قريب من مناهج الرسميين ، وكان متشبثا بدعوته التى تمثل سياسة الصحيفة الا أن عباس العقاد كان يخالفه فيها ويرى أنها تعمل لنفسها ويعمل لها الزمن أضعاف ما يعمله المتطعون لها من دعاتها المخلصين وغير المخلصين على السواء ٠

ولم يحاول فريد وجدى قط ان يفرض على العقاد رأيا فى قضية من قضاياها بغير الاقناع أو السكوت (٢) ٠

وعلى الرغم من أن العقاد كان موضع تقدير فريد وجدى ، الا أنه ترك الصحيفة نظرا لأنه أراد ان يرثى مصطفى كامل بعد وفاته رثاء لا يخلو من النقد لسياسته تجاه الآستانه وتجاه الخديو وقبل السيادة العثمانية ، وكاشف العقاد فريد وجدى بحرجه وحرج صحيفته وهى لسان الجامعة الاسلامية الأولى ولسان الحزب الوطنى الثانى بعد اللواء ، فقال له فريد وجدى أنه يفهم هذا الحرج وأنه يقوم عنه بما يتحاشاه فآثر الصمت عن الرثاء بغير نقد أو نقد متحفظ ، متحرج بين مضطرب الآراء (٣) ٠

وهنا حدثت القطيعة الموقوتة بين العقاد و « الدستور » ، التى استمرت بضعة أشهر لا يكتب فيها ولا يكتب اليها ،ولكنه كتب اليها مقاله الوحيد

---

(١) راجع الدكتور عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير ص ٢٢٦ وما بعدها ٠
(٢) آخر ساعة العدد الصادر يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٧ ٠
(٣) العقاد : حياة قلم ص ٤٦ ــ ٤٧ ٠

من الخارج يوم اعلن الدستور فى ايران ، وقال فيه مهنئا للشاه الصغير ، لو كنت فى فرنسا لكان مصيرك كمصير الصبى ابن لويس السادس عشر ، ولكنك تحمد الله لانك فى بلد اسلامى وتحمد شعبك ـ ولا ريب ـ جميل هذا الصنيع .

ولكن العقاد عاد بعد ذلك الى العمل فى « الدستور » واستمر حتى آخر عدد صدر من الدستور ، وفى هذه الاثناء كانت مخالفة العقاد لفريد وجدى اكثر من موافقته له فى القضايا الفكرية والسياسية ، ومع ذلك فان فريد وجدى لم يغير كلمة واحدة كتبها العقاد لمخالفته لرايه ولو كان الخلاف على مسالة من مسائل الأصول (١) .

وأشهر ما كان من ذلك حول موقف الحزب الوطنى من سعد زغلول ، فلم يمنع ذلك العقاد أن ينشر فى الدستور ما يخالف هذا الموقف ، وان يحادث سعد زغلول حديثا ينفى كل ما يعزوه اليه كتاب اللواء ..

وعلى الرغم من أن فريد وجدى كان يتيح للعقاد فرصة التعبير عن رأيه مهما كان مخالفا لرايه ، الا أن العقاد تميز بحرصه على سياسة الصحيفة ، ومن مواقفه التى تستحق التسجيل أنه ـ كتب مقالا مطولا استغرق الصفحة الاولى من صحيفة « الاخبار » التى كان يصدرها الشيخ يوسف الخازن ويحررها توفيق حبيب . وفحوى هذا المقال ان الملوك لا يحتاجون الى القسم لانهم يثبتون نياتهم بالاعمال لا بالأقوال .

وتتضح أهمية هذا المقال اذا علمنا ان سياسة الوفاق يومئذ كانت فى عنفوانها وكان مدار هذه السياسة على التعاون بين السلطة الفعلية سلطة الاحتلال وبين السلطة الشرعية سلطة الأمير .. وقامت السياسة فعلا ـ بعد عزل اللورد كرومر ـ على اطلاق يد الخديو فى مسائل الحكم التى تعنيه ، ومنها مسألة الأزهر والأوقاف ومسألة الرتب والنياشيين .

وفى هده الفترة تنمر الخديو للحركة الوطنية ، ودار ظهره لطلاب الدستور ، وعمل جهده على استئصال نهضة الاصلاح فى الأزهر بعد وفاة الأستاذ الامام وأعلن عداءه لمدرسة القضاء الشرعى وكاد يقضى عليها ..

وثارت الثائرة على الخديو من داخل الأزهر وخارجه ، فتكلم مرة عن نهضة الاصلاح الأزهرى وأقسم أنه يغار على الاصلاح غيرة أصدق من دعوى المدعين للغيرة عليه ..

---

(١) رجال عرفتهم : ص ١٥٧ ومابعدها ـ المرجع السابق كذلك ص ٦٥ ـ ٦٦ .

وكان مقال العقاد ردا جريئا على هذا السلوك الخديوى « ان الملوك لا يحتاجون الى القسم لأنهم يثبتون نباتهم بالاعمال لا بالأقوال ! » ٠

وكان فى وسع العقاد أن يكتب هذا المقال فى صحيفة الدستور بدلا من « الأخبار » لكن مراعاة العقاد لسياسة صحيفته جعلته لا يحرجها فى مسألة ترتبط بالأزهر والاصلاح الدينى ٠ وقد كانت لصاحبها فى العالم الاسلامى مكانة تشبه مكانة الاقطاب الدينيين (١) ٠

ولما ظهر المقال فى صحيفة الاخبار بتوقيع (ع ٠ الاسوانى) قلقت له الحاشية الخديوية ، وظنوا أنه من ايحاء بعض المشايخ الأزهريين ٠٠ فاكبروا هذا « التمرد » من معقل الخديو الأمين فى أيامه ، فاستدعت النيابة صاحب الأخبار وسألته عن اسم صاحب المقال ، فأذن العقاد له أن يطلعهم عليه ، ولعلهم اطمأنوا الى هذه النتيجة بعد ان علموا ببراءة المشـايخ من الشبهة ، فانطوت المسألة ووقفت عند هذا الحد ، اشفاقا من آثارة القضية الأزهرية فى اطـوار التحقيق والمحـاكمة والدفاع وتعليقـات الصـحف وأحـاديث المتحدثين (٢) ٠

خلاصة القول أن عباس العقاد بدأ حياته الصحفية كاتب مقال افتتاحى من الطراز الأول متمتعا بخصائص كاتب المقال الافتتاحى جملة ، فى وقت كانت الصحافة فى مصر صحافة رأى تعطى عناية تامة للمقال الافتتاحى بنوع خاص ٠ وكان كتاب هذا المقال نوابغ مصر من امثال لطفى السيد ومصطفى كامل وعلى يوسف ٠

وهذه هى بداية الطريق الطويل فى الصحافة ٠٠ وهى بداية تقترب من قمة النهاية عند كتاب كثيرين ٠

---

(١) راجع حياة قلم ص ٩٦ (العقاد) ٠

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ ٠

ذكرنا أن العقاد لم يحاول فى كتابة مقالاته جـديدا ، غـير تقـريب الموضوعات من الدراسة النقدية ، ولم بطرق غير القليل من موضوعات النقد الاجتماعى أو موضوعات المقالة الوصفية والمقالة العاطفية ، لأنه كان ابان اشتغاله بالكتابة فى صحيفة الدستور مشغولا بنظم الشعر من موضوعاته ، وهو أولى بالوصف العاطفى من المقالات · ولم يحاول العقاد أن بجدد فى فن المقال لأنه نشأ والصحافة المصرية قائمة على فن المقالة الأدبيـة منذ انشائها قبل الثورة العرابية ، وكان من كتابها المتقدمين « محمد السباعى » تلميذ « لى هنت » فى فن المقالة ، على أسلوب المدرسة الانجليزية ، فكان رائد هذا الفن فى تحرير الصحف غير مدافع ·

ويمكن القول أن فن المقالة كان مكتملا على يد محمد السباعى واضرابه من الكتاب ، ولا يستطيع العقاد التجديد فيه لضلاعة المتقدمين عليه فيـه ، بيد ان المتقدمين على العقاد فى الصحافة لم يغلقوا عليه جميع الأبواب ، فبقى له فى الصحافة المصرية باب واحد يستطيع باقتحامه أن يفتح صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة المصرية ، لأنه كان أول السابقين اليه ·· وذلك هو باب الأحاديث مع الوزراء والسـاسة ·· فلا نعلم أن أحد من الصحفيين المصريين سبق العقاد الى اجراء حديث عام مع وزير مصرى أو رئيس شرقى يسمع له قول فى السياسة ·

ولعل هذا التأخير من الصحفين المصرين فى اقتحام باب الأحاديث مع الوزراء يرجع الى أن الوزير المصرى ابان عهد الاحتلال قبل حادث دنشواى وقيام الأحزاب ، لم يكن يملك من أعمال وزارته غير التوقيع والسكوت ، لهو اللغو بعينه ، فلا حرج على الصحفيين المصريين اذا تجنبوه ·· وقد تجنبوه معذورين حتى خطر للعقاد أن يقتحم هذا الباب الأول مرة ، فكان اقتحامه اياه فى الحق عنوانا لصفحة جديدة فى تاريخ الوطنية المصرية ، ولم يكن مجرد سبق فى الصحافة يتكرر كل يوم ·

وأجرى الحديث الأول مع سعد زغلول فى وزارة المعارف (١) ، وأجرى غيره من الأحاديث مع الغازى أحمد مختار « قوميسير » الدولة العثمانية (٢)· كما كانوا يسمونه زمانه ·· وكان على ضآلة نفوذه فى مركزه شخصية من أقوى الشخصيات العسكرية والسياسية التى عاشت فى ذلك الزمان ·

---

(١) نشر هذا الحديث فى صحيفة « الدستور » العدد ١٥٩ السنة الأولى ٢٢ مايو ١٩٠٨ ·

(٢) نشر الحديث فى صحيفة الدستور العدد ١٤٣ السنة الأولى ـ ٣ مايو ١٩٠٨ ·

وكان العقاد يعلم أن حديثا يتطرق الى نظام الجيش فى عهد الاحتلال ، ويفوه به أكبر القادة العثمانين فى مركزه الرسمى بالديار المصرية – لن يخلو من ضربة تقض مضاجع المحتلين ·· ولقد كان ما قدر العقاد ، فان الرجل خبطها خبطة عنيفة ، وقال للعقاد لما سأله عن العدوان على المحمل المصرى فى جزيرة العرب : أن الذنب ذنب النظام لا ذنب الأمن فى الجزيرة العربية ، وانه كان يستطيع ان يفتح الجزيرة كلها بفرقة كالفرقة التى تحرس المحمل فى كل عام !

« ان كلمة دون هذه الكلمة فى المساس بنظام الاحتلال العسكرى قد أوشكت ان تطيح بعرش عباس الثانى ، وقد حركت الدولة البريطانيـــة بحذافيرها لتهديده وارغامه على الاعتذار ·· فكيف تراهم يصبرون على تلك الضربة من قائد عسكرى كممثل الدولة العثمانية ؟ ·· الا أنهم مكروا ولم يجهروا ، وبدأت بينهم وبين القائد الكبير أزمة متوترة متواترة ·· نصرهم فيها عليـه سـماسرة الخـذلان فى الاسـتانة ، فكان الغازى مختـار خاتم « القومسييرين » فى هذه الديار (١) » ·

والواقع أن فن الحديث الصحفى الذى كان العقاد أول من مارســه من الصحفيين المصريين فى مطلع هذا القرن ليس من ابتكارات القرن العشرين كما يذهب الى ذلك الكثيرون ·· فمن تاريخ الصحافة الانجليزية نعلم أن الصحفى الانجليزى المشهور « ديفـــو » استطاع فى القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفى من قاطع طريق اسمه : « جاك شبرد » وكان هذا قبيل تنفيذ الحكم عليه بالاعدام شنقا ببضع دقائق ·

بل ان (ولزلى) يذهب الى ان حوار افلاطون يعتبر نوعا من الأحاديث · ذلك آن الأمثلة التى وجهت الى سقراط حينا ، والى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حينا آخر كانت تحمل فى طياتها صفات الحديث الصحفى ، ومثل

---

(١) حياة قلم – راجع صفحات ٩٤ – ٩٥ – وان كان العقـاد ينكر أن الحديث الأول مع سعد زغلول لكننا عندما تصفحنا أعداد صحيفة الدستور وجدنا الحديث الأول مع مختار باشا الغازى ويؤكد ذلك التاريخ الذى صدرت فيه الصحيفة ، اذ أن هذا الحديث نشر فى ٣ مايو – لكن حديثه مع سعد زغلول نشر فى ٢٢ مايو ·· وعلى ذلك نرجح أن أول حديث أجراه العقاد هو حديثه مع مختار باشا الغازى – ويكتسب حديثه مع سعد زغلول صفة الأولوية اذا علمنا أن سعد زغلول هو أول وزير مصرى يتحدث للصحف ·

كثير فى أخبار الآدب العربى فى قصور الخلفاء والامراء · حيث كان الحوار يدور بينهم فى مسائل شتى وموضوعات متباينة (١) ·

والحديث الذى أجراه العقاد مع الوزير المصرى سعد زغلول ، كان يحقق وظيفة من أهم وظائف الحديث الصحفى بمعناه الحديث ، وهى وظيفـــة عرض وجهات النظر ومحاربة الشائعات ·

ذلك أن سعد زغلول حين قبل وزارة المعارف وجدها فرصة ســانحة لاصلاح التعليم ، ولكن المعارضين لسعد بعد ولايته الوزارة وجدوا لهم سببا كان يقضى عليه برفض الوزارة فيما زعموا ، وقالوا أنه تخلى عن اتمام الجامعة المصرية حبا للوظيفة ، وان تخليه عنها كان وشيكا ان يميت الفكرة فى مهـدها ، واوغلوا فى الظـن حتى اشـــاعوا أن الانجليز وســعد تواطأوا على اهمال « المشروع » وصرف الانظار عنه ، ولم يتورعوا من دعوة الناس الى مقاطعة اللجنة القائمة به والكف عن التبرع للجامعة المنشودة ، واتخذوا من تبرع الحكومة لها بالمال حجة يستدلون بها على وجوب مقاطعتها، ولم يشاءوا ان يعتبروا هذا التبرع أول خدمة نافعة خدم بها سعد مشروع الجامعة وهو وزير المعارف ، ولعله لم يكن مستطيعا أن يخدمها هذه الخدمة أو غيرها لو لم يقبل لوزارة ·

ولما كثرت الشائعات حول هذه الفرية تعمد العقاد أن يسأل سعد زغلول عنها ليسمع الناس جوابه فيها ، وبذلك كان هذا الحديث يؤدى أهم وظيفة من وظائف الحديث الصحفى ·

وهذا هو نص الحديث الذى أجراه العقاد مع ســعد زغلول :

« حـوادث وأخبـــار »

حديث مع ناظر المعــارف

رأى ســعد باشــا فى الجامعة

التعليم واللغة العربيــة

لأحـد محـررى الدستور

---

(١) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ص ١٠٣ وما بعدها ·

التعـليم واللغـة العـربية

« مسالة التعليم الآن هى المسالة التى شغلت الأذهان وافاضت الجرائد فى فحصها وتقليبها من جميع وجوهها · وفى الحقيقة انها المسالة التى يجب على كل ذى بصر ان يضرب فيها بسهم وينقب عما يفتح مغلقها ويزيل عقباتها مع اخلاص العامل الذى لا هم له الا ترقية بلاده وخـدمة وطنـــه بكل ما فى وسعه ·

فاذا بحث فيها فانما يبحث عن كل ما يستحق البحث فى مصر وعلى قدر أخلاص الباحثين أو خبث نيتهم تكون النتيجة حسنة أو سيئة على هذه البلاد التى نفتخر بأننا ابناؤها وبأننا دون غيرنا المسؤلون أمام الله وأمام ضمائرنا عما يسعدها أو يشقيها ، فكل زلة يأتيها الباحث فى هذا الموضوع تبعده عن ألف حقيقة مقررة وتدنيه من عاقبة وخيمة عليه بصفته مصريا يسوءه ما يسوء البلاد التى ينتسب اليها ·

ولقد تضاربت الآراء فى أمر التعليم فذهب النـــاس مشرقين ومغربين فمنهم من يمم الكعبة ومن خاض فى بحر الظلمات وأصبحوا يتساءلون عن تلك الضجة القائمة حول التعليم ومبلغها من الصدق والأخلاص لأن عليها يتوقف مستقبل أبنائهم وذويهم فاذا بهم يسترشدون ولا يرشدون ·

لذلك اردت ان أرجع الى رجل اعتقد فيه الصدق والغيرة على مصــلحة هذا البلد وأن فى قوله خير حاسم لهذا النزاع الذى استظار شرره واستفحل ضرره – ذلك الرجل هو سعد زغلول باشا ناظرالمعارف الحالى – فكتبت اليه استاذنه فى مقابلة صحافية فأذن وحدد لذلك الساعة العاشرة من صباح أمس – يوم الخميس (١) – وقد كان فادخلت عليه وهو مكب على عملــه وبعد ان استقر بى المكان بدأت الحديث كما يأتى :

قلت :

– ان بعض الجرائــد أشارت الى أن نظـارة المعارف طلبت من الماليــة زيادة ميزانية هـذا العام فأبت عليها ذلك واحتجت بقلة المـال عندها فهل هـذا صحيح ؟

---

(١) أى يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٨ ·

قــال :

ـ نعم هو صحيح وقد كانت نتيجة حجـة نظـارة الماليـــة فى ذلك متبولة لان ما لديهــا كان حقيقة لا يفى بما يطلب منها ٠
قلت :

ـ وما هو رايكم فى عرض لوائح التعليم على مجلس الشــورى قبــل تقريرها ٠

قــال :

ـ أن هــذه المسالة قد عرضتها علينــا الحكومة ونحن نفحصها الان ونعد الجواب عليها ولكن لم يتقرر شىء من ذلك رسميا حتى الان ٠

قلت :

ـ حادثت بعض نظــار المدارس الابتدائية فاذا هم يتخذون تســهيل الامتحانات فى اللغــة العربية دليــلا على ميل النظارة الى اعمالها والاشتغال بغيرها من المــواد الاخرى ٠٠ وقد سمعت مثل هذا من غير واحــد منهـــم فرأيت انهم يكادون يجمعون على هــذا القول وفى ذلك ما يدعوهم الى اعمالها حقيقة جريا على ما يظنونه رغبة نظارة المعــارف فهل تجدون فى ســـهولة الامتحانات ما يحملهم على هذا الظن ؟

قــال :

ـ أرى ان كل عمل فى هذا العالم لا يخلو من ينتقده ويستنتج منـــــه معنى غير معناه الحقيقى ولقد كان الامتحان فى اول الامر على شىء من الصعوبة فما سلمت نظارة المعارف ممن يرميها بأنهـــا تتعمد اسـقاط النابغين من التلامذة ٠ فلمــا توخت تسهيله قام بعضهم يتهمها بانهــا أرادت صرف التلامذة عن الاشــتغال باللغــة العربيــة الى غيرها من العــلوم ٠ وهو أمر غريب يحار بازائــه من يريد التوفيق بين أميال الجميـــع وعندى ان الافضل نبــذ هذه الاقاويل والاشــتغال بما يفيد الفائدة المطلوبة وأن فى اهتمــام نظــارة المعارف بأمر اللغــة العــربية ولفت نظر المفتشــين والمعلمين الى وجــوب التدقيق فيها ما يغنيها عن تطلب المستحيل والجمع بين النقيضين :

فكلف ما تكلف بـه الان أن تقوم بواجبها المنـاط بها ثم لا يعنيها بعد ذلك ما يتقول الناس عليهـا ٠

قلت :

ـ كان بعض وجهـاء الصعيد قد طلبوا من الحكومة انشـاء مدرسـة ثانوية فى اسـيوط لتكفى ابناءهم مشقة السفر الى العاصمة فى طلب العلم فهـل فى نيـة النظارة انشـاء هـذه المدرسة ؟

قـال :

ـ ان النظارة تـود لو أمكنها اجابة وجهاء الصعيد الى مطالبهم ولكنها تجـد امامها صعوبات تحول دون ما تريد فان المـال لديها قليل والرجـال أقل الا اذا أتت بهم من الخارج وهو ما تتحاشاه الان بقـدر ما فى استطاعتها ومما يؤسف له انها لم تجـد من المصريين من يدرس مادتين فى السـنة الاولى من القسم التجهيزى الا بعد جهـد جهيد ٠

فاذا ذللت هـذه الصعوبات هان عليها تنفيذ كثير من المشروعات التى يحول دون تنفيذها قلة المـال والرجال ٠

قلت :

ـ ألا يسمح ـ سعادة الناظر ببيان الخطة التى وضعها لتسير عليهـا نظـارة المعارف فيما يختص باللغة العربيـة ؟

قـال :

ـ ان خطتى لم تتغير ولن تتغير وقد قلت فى مذكرة المعـارف التى رددت بهـا على الجمعية العمومية فى هـذا الشأن أن من أعظم امانى تعليم المواد المختلفة فى المـدارس المتنوعة باللغة العربية وقد اهتممت بهـذا الامـر من يوم اسناد نظارة المعارف الى عهدتى وبحثت فيه بحثا دقيقا فتبين لى أن هنا صعوبات تحول دون تحقيق هـذه الامنية فى الحـال واشرت الى بعض هذه الصعوبات فى الخطبة التى تشرفت بالقائهـا على الجمعية العمومية ويسرنى أن حضرات اعضائها قد قدروا هذا الصعوبات حق قدرها فعدلوا عن اقتراحهم بأن قرروا ان يكون التعليم فى المدارس باللغـة العربية تدريجيا لا ان يحمل جميعه مـرة واحدة وقلت فى تلك الخطبة أيضـا « أنى اتمنى بصـفة كونى مصريا ان يكون التعليم فى المدارس جميعهـا بلغة بلادنا ولكن ما كل ما يتمنى

المرء يدركه لان هناك صعوبات كثيرة تحول بيننا وبين بلوغ هذه الأمنية الان وهذه الصعوبات وان كان يجب السعى لتذليلها وصرف العناية لتسهيلها الا أنه يلزم أن نحسب الان حسابها » .

ولم اقل مرة واحدة ان اللغة العربية غير صالحة للتعليم وانما كل ما يستفاد من كلامى ان الشروع فى التعليم بها وقت عرض الاقتراح مستحيل وان الواجب تذليل الصعوبات التى تقف فى سبيل المشروع حتى نتمكن من جعلها لغة التعليم تدريجا .

وقد سردت بعض هذه الصعوبات على اعضاء الجمعية العمومية فقدروها قدرها ووافقوا على جعل التعليم باللغة العربية تدريجا فانت ترى انى لم اعارض الجمعية العمومية رغبة ولم أحاول رفض اقتراحها هذا ولكنى أريت أعضاءها وجه الصعوبة فصدقوا عليه واقتنعوا به .

أما ما ذلل من تلك الصعوبات حتى الان فهو كثير منه تعليم المواد كلها فى المدارس الابتدائية باللغة العربية ، وتعليم الحساب والهندسة بها فى السنة الاولى من المدارس الثانوية . وتعليم الحساب والهندسة والجبر بمدرسة الزراعة باللغة العربية أيضا كما ان بعض الدروس فى القسم الابتدائى قد أصبحت تدرس بتلك اللغة وصرح للمنتهين من تلامذة المدارس الثانوية الامتحان بها فى أى علم ارادوا .

ولعل نظارة المعارف تتعدى حدود التدريج اذا هى قررت اكثر من ذلك فى عام واحد فانه لا معنى لكونها تقرر تدريس العلوم كلها فى كل المدارس مرة واحدة باللغة العربية وبين كونها تراعى قاعدة التدرج وتذليل الصعوبات شيئا فشيئا .

قلت :

– الى هنا ارانى عرفت ما هو فوق الكفاية فى شؤون نظارة المعارف فهل تسمح لى بابداء رأيكم عن الجامعة المصرية .

قال :

– بلى ، وانى اقول لك ان رأيى فيها رأيى فى كل معهد علمى صغير كان او كبير فان مصر فى حاجة إلى العلوم ولا يستهان باقل معهد علمى يكفل لها أداء هذه الحاجة .

قلت :

ــ هل كنتم تعلمون أيام توليتم رئاسة الجامعة انها ستقرر تدريس الآداب الانجليزية والفرنسيين عند تأسيسها ٠

قال :

ــ اننا لم نبحث اذ ذاك فى التفصيلات ولكن الذى كنا نرمى اليه من انشاء الجامعة وأعلناه للأمة أنها تعلم التلاميذ مالا يتعلمونه فى المدارس الحالية ، وآداب اللغتين الانجليزية والفرنسوية ، مما يدخل فى هذا الباب ٠ ولكن لجنة الجامعة لا تكتفى بذلك الا فى اول الامر وقد أشرت عليها باضافة آداب اللغة العربية الى هاتين المادتين وهى تتناقش فى ذلك الان ٠

وقد علمت ان اعضاء اللجنة يبذلون كل الجهد فى ابلاغ هذه الجامعة اقصى ما تبلغ اليه وكل من يعلم ممن هم أعضاء هذه اللجنة يثق ثقة تامة بنجاح المشروع على أيديهم ، وان من الغريب أن يكون فى الناس من يثبط همم العاملين والمكتتبين لهذا العمل الجليل ٠

ان الهمم فاترة من طبيعتها فليست هى فى حاجة الى من يثبطها ولكن هذه الاقوال ربما دفعت الخجول الذى تحمله الغيرة على الاقتداء بأمثاله الى قبض يده عن الاكتتاب فان فيها مصرفا يبرز عمله ويظهره فى أعين الناس بمظهر الوطنى الغيور على مصلحة بلاده ٠٠

يقولون ان الجامعة وقعت فى ايدى الموظفين فانتشلوها منهم ٠ ولكن لا يتدبرون فى عاقبة ذلك ٠

من يقوم مقام رشدى باشا وزكى بك وعلوى باشا والمسيو سبيرو من غير الموظفين اذا عولنا انقاذ الجامعة من يد هؤلاء وتسليمها الى غيرهم٠

لست انكر ان الجامعة كما هى الان ليست كجامعات اوربا ولكن الحالة الحاضرة تقضى علينا بالابتداء بالبداءة لا بالغايةفاذا ما كانت لنا اليوم جامعة صغيرة فغدا تكون كبيرة ولا يبعثنا كونها كذلك على احتقارها ونفض ايدينا منها لان فى ذلك جناية كبرى ونحن فى حاجة الى ما هو دون الجامعة بكثير ٠

اذكر أنه لما انشئت الجمعية الخيرية الاسلامية قام بعضهم واستضعف شأنها لانها نشأت صغيرة كما ستنشأ الجامعة فما هى الا سنوات قلائل

حتى اتسعت دائرتها واخصب موردها وكثر عـدد مدارسها حتى بلغ ما تراه ولو أن القائمين بهـا جبنوا امام الانتقاد لقبرت فى المهـد ولم تبلغ ما بلغته الان ٠

وفضـلا عن ذلك فان المـال الذى جمـع الى اليوم لا يفى بالحـاجة لان سنة وعشرين الف جنيه لا تكفى لانشـاء جامعة كبرى كجامعات اوربا ٠ هذا لو دفع كل مكتتب ما تبرع بـه ولم يقصر الامر على العشرة الاف التى دفعت حتى الان ٠ ولـو قدرنا ما يتيحه هـذا المبلغ بأجمعه فى السنة لمـا زاد عن الف جنيه مصرى وهو مالا يكفى للانفاق على الجامعة فى حالتها الحاضرة ٠

كل هـذا والذين يريدون اخراج الجامعة من قبضـة الحكومة يجهلون انهـا دفعت مرة واحـدة خمسة اضعاف ما دفعه المتبرعون فى انحاء القطـر المصرى بأجمعـه ٠

وليس هـذا كل ما امدت به الحكومة هـذه الجامعة فان اعتبارها لها مدرسـة منتظمة وقبول شهاداتها بين بقيـة الشهادات المدرسية ينشـط الناس على الاقبال عليها اقبالا لا تظفر بمثله اذا كان الغرض منها مجـرد تحصيل العلم وتوسيع العقل ، وربمـا لا ننسى أن بعض هـؤلاء كان يطلب من الحكومة تحمل المشروع ماديا فرفضهم الان اشرافها عليه بعـد ان ادت الحكومة ما طلبوه منها يعد من الغرابة بمكان ويـدل على تناقض لا يمكن الجمع بين اطـرافه ٠

هب أن اشراف الحكومة على الجامعة مضربها كمـا يقولون افهـــذا يحملنا على حض الناس على عـدم الاكتتـاب واسترداد ما تبرعوا به ؟

لا أظن ذلك لان انقاذها من يـد الموظفين وتوسـيع نطاقها عمـا هى عليـه الان من الممكنات وليس من المستحيلات وانما يكون ممكنا بكثرة المال والمتبرعين فهى فى هـذه الحالة أحوج الى المال منها وهى بعيدة عن الحكومة ومهمـا يكن من مجامرة اليأس للنفوس فلن يبلغ الى درجـة يحزم معهـا بان الجامعة لن تفلت من يـد الحكومة الى الابـد فمن العبث على كل حال العمل على اسقاطها وحرمان البـلاد منها ٠

أقول هذا وانا على يقين من أن الحكومة لا تقصـد سوءا بهذه الجامعة ولم تفكر فى اعاقة سيرها وان مراقبتها لهـا على هذه الصورة تفيدها فائدة قـد لا تتيسر بغير ذلك واود لو نفيت كل ريبـة بشـأنها من الاذهان فانها على أى صورة ظهرت معهـد علمى يفيـد البلاد ظهوره بقـــدر ما يضرها احتجابـه ٠

وانتهى الحديث لان زائـرا جاء لمقابلة الباشـا فالتمست الاذن منـه بالانصراف وخرجت من حضرته وكلى السنة ناطقة بشكره ٠

وعقبت « الدستور » على هـذا الحديث الصحفى بهذه العبارة :

« المهـم فى هذه الحادثـة ان سعادة الوزير يعترف باشراف الحكومـة على الجامعة وان لنـا كلاما على هـذا نرجئه الى الغد » ٠

ونشر فريـد وجدى فى « الدستور » (١) مقالا يـرد فيه على اعتراف سـعد زغلول باشراف الحكومة على الجامعة متخذا جانب الحـزب الوطنى الذى يرفض هذا الاشراف على الجامعة من قبل الحكومة « فليس أمامنـا من وسيلة لايتائنا بحاجاتنا من التعليم الا الاعتمـاد على انفسـنا نقـول أنفسنا لاننـا اكفاء لذلك ، ولم تزل فى ايدينا بقيـة من المـادة تسمح لنـا بالتسلح أدبيـا لحفظ مراكزنا فى معمعـة هذا التغالب » ٠

* * *

يقول الاستاذ « اميـل لودفيج » فى بيـان اهمية الحديث الصحفى :

« يعتبر الحديث الصحفى من ألمع الفنـون الصحفية فى الوقت الحاضر، ومن اكثرها استهواء للقارئ ٠ وقد تظن ان الحديث الصحفى لا يزيـد على كونه مجرد تسجيل لمناقشـة ، أو حوار دار بين طرفين ، غير أن حقيقة الامـر هى ان الحديث الصحفى اهم من ذلك ، لانـه تطلب قـدرا كبيرا من المهـارة والتفنن والى توفر صفات من نوع خاص فى المخبر الصحفى » ٠

والواقع أن هذا القول يبين لنـا مدى الاحاديث الصحفية التى أجراها العقاد فى سنة ١٩٠٨ فكان بذلك أول صحفى يقتحم هـذا الباب فى مصر واكتسب بذلك صـفة الريادة ، ومن جهـة اخرى فان حديثا العقـاد مع سـعد زغلول واحمـد باشـا الغازى من الناحية الفنيـة كانا حديثين صحفيين ناضجين على الرغم من كونهما المولود الاول للحديث الصحفى فى الصحافة المصرية ، فاختيار الشخصية سـواء سعد زغلول او قوميسير الدولة العثمانية اختيار يـدل على ادراك آخـذ الحـدث اهتمـام الرأى العـام المصرى فى ذلك الوقت ، وقـد قام عباس العقـاد عن طريق هذه الاحـاديث الصحفية بنقل وجهـة نظـر شخصياته الى القـراء ، وكانت احاديثه مزيجا من الوقائع والرأى وشخصية المتحدث اليـه ٠

---

(١) « الدستور » ٢٣ مايو ١٩٠٨ ٠

فالوقائــع : فى حديثــه مع سـعد زغلول مثلا « ان نظـارة المعـارف طلبت من المالية زيادة ميزانية ذلك العام فأبت عليها ذلك واحتجت بقـلة المـال عندها » وقد أكـد سعد زغلول هـذه الواقعة .

ومن الوقائع فى هـذا الحديث كذلك « انشـاء مدرسة ثانوية فى اسيوط وعـدم امكان نظـارة المعـارف انشاءها فى ذلك الوقت » ... الخ .

وهى كما نرى وقائع كانت لدى القارى فى ذلك بها معرفة ، وان كانت لم تتأكـد لديـه ، وقد تأكدت أو نفيت عن طريق المتحدث اليه (سعد زغلول) والذى كان فى نفس الوقت مصـدر التأكيد او النفى لهذه الوقائع .

والـرأى : فى حديثه مع سعد زغلول ايضا ، تنـاول راى سعد زغلول فى عرض لوائح التعليم على مجلس الشورى قبل تقريرها، ورأيـه فى ما قـال من ان وزارة المعـارف تهمل التعليـم باللغـة العربية بحجة ان الوزارة تسهل الامتحانات ، ثم يبرز من بين هذه الاراء رأى المتحدث اليـه فى (الجامعة)، وكانت الجامعة فى ذلك الوقت تشـغل الرأى العام المصرى، وتتضارب الاراء حولهـا فى الصحف المختلفة وقـد أبـدى سعد زغلول رأيـه فيما هو منسوب اليـه بانه تخلى عن اتمام الجامعة المصرية حبـا للوظيفة ، وأن تخليه عنهـا كان وشيكا أن يميت الفكرة فى مهدها ، بل ان القائلـين بهـذه التهمة اتخذوا من تبرع الحكومة للجامعة بالمـال حجة يستدلون بها على وجوب مقاطعتها ، ولذلك كان راى سعد زغلول داحضا لهـذه التهم ومبينا للـرأى العـام وجهة نظـره وهى أن اشراف الحكومة على الجامعـة من صالحها مؤكدا ذلك بأدلة بينهـا فى الحديث وشـارحا الدوافع التى دفعته الى تعضيد هـذا الاشراف على اعتبار انه خدمة نافعة لمشروع الجامعة قدمها وهو وزير المعارف.

والشخصية : وقد أبرز الحديثان شخصية (سعد زغلول ، ومختار باشا غـازى) من همـا على حقيقتهما ؟ ومـدى شـجاعتهما وقدرتهما على مواجهـة الرأى العام بآرائهما والدفاع عنها بشجاعة .. نلمس ذلك فى حديثـه مع احمد باشا الغازى على وجـه الخصوص ، فاذا علمنا أن حديثا يتطرق الى نظـام الجيش فى عهـد الاحتـلال ، ويفـوه بـه اكبر القادة العثمانيين فى مركزه الرسمى بالديار المصرية ــ لن

يخلو من ضربة تقض مضاجع المحتلين ، فاننـا نـدرى شخصية المتحدث اليه (احمد مختار) «قوميسير» الدولة العثمانية ، عندما ساله العقـاد عن العدوان على المحمـل المصرى فى جزيرة العرب ، وأجاب : ان الذنب ذنب النظام لا ذنب الامن فى الجزيرة العربية ، وأنه كان يستطيع ان يفتح الجزيرة كلهـا بفرقـة كالفرقة التى تحرس المحمل فى كل عـام !

ويمكن أن نضع حديثا العقـاد تحت نوع « حديث الرأى » من أنـواع الاحاديث الصحفية لانهمـا قاما بتغطية جانب كبير من النواحى الباحثـة عن الحقائق التى قوبلت من الجمهور فى ذلك الوقت برعاية واهتمام ٠

وصياغة الحديث الذى أجراه عبـاس العقاد ، يمكن القول فيها أنهـا ولـدت ناضجة فهى تنشر الاسئلة والاجوبة نشرا حرفيا دقيقا كما كانت الصحافة فى الماضى تفعل ذلك فحسب ، ولكن صياغة الحديث الصـحفى عند العقاد اتخذت القالب الفنى لصياغة الحديث ٠ ونحن نعـرف ان هـذا القالب الفنى (قالب القصة الخبرية) من قوالب الصياغة يتالف عادة من جزأين(١) همـا : (الصـدر Lead) وهو ما يحتوى على اهم نقط الحـديث مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث بقـدر الامكان ٠

واذا نظـرنا الى حديث سـعد زغلول نجـد ان العقاد تحدث فى (صدر) الحديث عن مسالة التعليم وتضارب الاراء حولها ، وأهمية رأى سعد زغلول فى هذه المسـالة ووصف لقائـه وكيف تم ٠

و (الصـلب Body) وفيه الاسئلة والاجوبة ٠ وذلك بطريقـة الاسلوب المباشر ٠ وفى صلب حديثه مع سعد زغلول نجـد الاسئلة والاجوبة وقد نشرت بدقة تتناسب وأهمية ما تتضمنه من آراء ووقائع ٠ ويمكننـا أن نقول أن أحاديث العقـاد كتبت بطريقة نمت عن شخصية المتحدث نفسه وكشف عن ارائـه ونزعاته وأفكاره واتجاهاته ٠

وقد وضع العقـاد لاحاديثه عناوين تتضمن أهم ما فى الحديث من رأى او خبر ، وهذا يبين لنـا كيف ولد اول حديث صحفى مصرى ناضجا ٠ ففى حديثه مع سعد زغلول نجـد هذه العناوين :

---

(١) أنظر د٠ عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٣٣٠ وما بعدها ٠

« حديث مع ناظر المعـارف »

« رأى سعد باشا فى الجامعة »

« التعليـم باللغـة العربيـة »

وفى حديثـه مع مختار باشـا الغازى نجـد هذه العناوين على صـدر الحديث :

« حديث مع مختار باشـا الغـازى »

« لاخطر على السكة الحديدية الحجازية ولاخوف على حجاج المصريين »

« رأى الغازى فى مسئولية الحملة على المحمل » .

وقد كتب هذه العناوين بأنباط كبيرة تبرز أهمية ما تحمل من رأى وخبر ..

* * *

خلاصة القول أن باب الأحاديث الصحفية الذى فتحه عباس العقاد أمام الصحافة المصرية ولد على يديه ناضجا ، وهو يبرز لنا شـخصية عباس العقاد الصحفية ، وكيف أنه بدأ حياته صحفيا بمعنى كلمة « صحفى » الحقيقية . والواقع ان صحيفة (الدستور) قد أتاحت له فرصة التمرن على العمل الصحفى من ألفه الى يائه ، وكان لذلك كله عظيم الأثر فى تكوين الجانب الصحفى من حياة عباس العقاد .

بعد تعطيل الدستور

كتب العقاد فى « الدستور » حتى العدد الأخير منها ٠٠ وقد اضطرت هذه الصحفية الى التوقف بسبب العجز المالى ، ولقد عم الصحف جـو من الكآبة والكساد اثر صدور قانون المطبوعات الجائر فى سنة ١٩٠٩ اذ صدر قرار من مجلس النظار يقضى باعادة العمل بقانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ من نوفمبر سنة ١٨٨١ م وجاء فى هذا القرار أنه « حيث ان الحكومة لم تنفذ منذ سنة ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر سـنة ١٨٨١ ٠ وحيث أن الجمعية العمومية طلبت من الحكومة فى ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ ردع الجرائد عن تجاوزها الحدود وعن الفوضى التى وصلت اليها ، وأرسل مجلس شورى القوانين طلبا مثل هذا فى ٣٠ يونية سنة ١٩٠٤ (١) » وكان قانون ١٨٨١ مقيدا لحرية النشر فى مصر لأنه أعطى للسلطات الادارية حق تعطيل اصحف بدعاوى المحافظة على النظام العام أو الدين والآداب ، وهى أسباب « يمكن لكل حاكم ان يتذرع بها ان اراد القضاء على صحيفة تعارض (٢) سياسته ٠

ومما يؤخذ فى مسالة هذا القانون أن سعد زغلول لم يقف أمام صدوره، بيد ان العقاد فى كتابه عن سعد زغلول يقول أن سعدا كان وزيرا للمعارف ولم يكن وزيرا للحقانية عند صدور القانون ، فلم تكن له يد فى تحضيره وابتعائه ، وانما كان الأمر محصورا بادىء الأمر بين الحكومة الانجليزية والخديو ورئيس الوزارة ، ثم اتصل بحسين رشدى باشا وزير الحقانية ومحمد سعيد وزير الداخلية ومنهما اتصل بسعد باشا لأول مرة ، ويؤكد العقاد ان سعد باشا رفض الموافقة على القانون عندما علم بنية اصداره ٠ « وقال أن الانجليز يعلنون أنهم تركوا لأمير البلاد الأمر فى سياسة الحكومة بعد عزلكرومر ، فاذا افتتحنا هذا العهد بتقييد الحرية قالوا اننا ــ الحكومة ــ لا نطيق الحرية ولا نصلح لهـا ٠٠ ولا مسوغ ــ بعد ــ لهـذا الاهتمـام بالمشاغبين فهم فئة قليلة ليس يسمع لها صوت » ٠

---

(١) راجع : الدكتور خليل صابات : الصحافة ط ٢ ص ٢٨٥ ومابعدها ــ الفصل الخاص بحرية الصحافة ٠

(٢) نفس المرجع ص ٢٨٤ ٠

ويذكر العقاد كذلك أن سعدا لم يعدل عن الرفض الا بشرط واحد لـم يتحول عنه : وهو تعديل القانون وتلطيف بعض قيوده وأحكامه ، وقـــد تم هذا التعديل بعد معارضة من الأمير ومن الانجليز (١) ٠

أيا كان الأمر ، فان هذا القانون قد نشر جـوا من الكآبة والكساد فى ميدان الصحافة كان من أثره ان عاش العقـاد بدون عمل بعد توقف صحيفة الدستور ، وقد كان هـذا القانون على حـد تعبير العقـــاد نفسه « قانـــون الحجر والرقابة وتقييد الرخص ومحاسـبة الكاتب على السـطور وما بين السطور وعلى الاقوال والنيات » ! (٢) ٠

ويقول العقـاد أن نصيب الصحافة من هـذه الطاقة التى جـرت على نفسها لم يكن أهون من نصيبالحكومة ، وانها جنت على حرمتها ولا ريب بما زودت به « السلطة » من معاذير ، يقبلها كل من يؤمن بحق القانون ٠

« فلا نذكر أن أحـدا من أعلام الصحافة كتب فى صحيفته كلمة تعلل بهـا الحكومة لتقييد حريـة الكتابة أو قال فى خطبـة كلمة تتعلل بهـا لتقييد حرية الصـحافة والاجتماع ، ولا نستثنى من ذلك » مصطفى كامل « على تطرفه واندفاعه فى الخطب ، وفى المقـالات ٠

ولكن الصحافة الوطنية لم تلبث أن صارت الى الاقلام التى لا تحسن شـيئا كما تحسن ان تسقط معاذيرها وان تمهـد العـذر لمن يتمحلون العلل عليهـا ولا نخال ان حاكمـا حـرا او مستبدا كان يعيبه أن يتمحل العلل على الدعوة الصحيحة الى القتل واهدار الدماء (٣) ٠

وكانت الصحافة تعـانى من الداخل الى جانب هـذا البلاء المســلط عليها من أعدائها ، فا « اللـواء » انقطعت موارده من يلدز وعابدين من قبـل وفاته ٠٠ وانقطع الأمل فى موارد يلدز بعد زوال عهد عبد الحميد ، وفى موارد عابدين بعد اعراض الخديو عباس عن الحزب الوطنى فى عهد سياسة الوفاق واستحكام العـداء بين الحاشية الخديوية وخليفة مصطفى كامل « محمـد

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ١٣٢ ٠

(٢) العقاد : حياة قلم ص ١٣٤ ٠

(٣) نفس المرجع ٠

فريــد » .. وقد كان فريد رحمه الله ينهض وحــده بأعباء اللواء المالية والسياسية ، مع ما أصابه من المصــادرة بعد المصــادرة ومن المحاكمة بعد المحاكمة ، حتى اجمع عزيمته آخــر الأمر على هجرة الديار (١) ..

وكان « المؤيــد »يزدهر فى ابان نشــاط صاحبه « على يوسف » ثــم نكب هــذا الرجل العصامى نكبة قاسية عصفت بنشاط ه قبل اوانه ، اذ فجعته المنيــة فى وحيــده فى مقتبل صباه ، واضطربت حيــاته بعــد ذلك بمشكلات الاسرة او مشكلات « مشيخة السادات » التى ساقته قضــيـة الزوجيــة اليها ، وما زال دبيب المــلل يسرى اليــه ويزهده فى صحيفتــه العزيزة علــه حتى تركها بعد حين للمقادير وهو لا يبالى ما سوف تلقــاه او ما سيلقاه (٢) .

وكانت « الجريدة » اسلم الصحف من هذه الزعازع وأشباهها ، ولكنها على هذا لم تسلم من ضربات خصومها السياسيين وفى مقدمتهم الحاشــية الخديوية ، وحزب الاصــلاح على المبادىء الدستورية .. فان حاشــــيه الخديو افتتحت عهــد الوفاق بين السلطتين الشرعية والفعلية بمحــاربة « حزب الأمــة » قبل غيره من الأحزاب ، لأن أعضــاء الاحزاب الاخرى كانوا يلوذون بالقصر ولا يقاطعونه ، خلافا لأعضــاء حــزب الأمة الذين الذين كانوا يقفون من القصر موقف الاستقلال أو يتعرضون لغضبه فى كثير من الأحوال، فسعى رجال الحاشــية سعيهم لتحويل الاعضــاء من حــزب الأمة الى حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، ونجح مسعاهم بعد اختيار وكيل حزب الاصلاح للوزارة وتتابع الانعــام بالرتب والألقاب على أعضائه البارزين .. ولم تبق للحزب بقيــة قادرة على الصمود والمقاومة الا بجهد جهيــد ، ولكنــه بقاء لم يعصم الجريدة من أزمات المال والخلافات الداخلية ، ويذكر العقــاد أنه عرف من محرريها يومئذ من تركهــا لانهــا اضطرت إلى القصد فى وظائف التحرير بعد التوســعة فيهــا عند نشــأتها حتى كانت تقنع من المحرر بنهر فى اليــوم ، ولا تســأله اذا ونى عن كتابته هــذ النهر عــدة أيــام (٣) .

وتلك هى الصحف التى ينظــر اليها العقاد اذا نظر الى عمل فى الصحافة اليومية ، واذ يقف للمرة الثانية ليميز بين كل صحيفة وأخرى ليختــار

---

(١) العقاد : حياة قلم ص ١١٢ .

(٢) نفس المرجع ، أيضا أنظر « رجال عرفتهم » للعقاد ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٣) المرجع السابق : أيضا « رجال عرفتهم » ص ٢٣٨ ومابعدها .

العمـل فى احداها ولكن اذا كانت الظروف الصعبة تشمل كل صحيفة بنصيب كبير ، يجعلهـا غير مرحبـة بعامل جديد فيها ، فماذا يفعل العقاد ! ٠

وأما الصحف الاسبوعية فقـد كانت تتميز بطابع سيىء لا يشجع على العمـل بها فهى اولا ، لم يكن فيها مجـال لغـير أصحابها أو لغير كتــاب المقالات ــ بالقطعة ــ على حسب الطلب، وعلى كل لون وفى عرض الطريق !

وهى ثانيا ، كانت تستبيح كل مخطورة فى التشهير واستغلال الفضائح وافتراء الاكاذيب لاغتصاب الادوات التى لا موعـد لها ولا حـدود لتكرارها باسم « الاشتراكات » أو التبرعات الوطنيـة ، ويسالها سـوء حظها وحظ الأمـة ــ على حـد تعبير العقـاد ــ ان يكون ممثلوا البـلاد أكبر أهدافهـا وأول من يصاب بسهامها ، فكان التشهير باعضاء مجلس الشورى بابا ثابتا من ابواب كل صحيفة اسبوعية تبحث عن الفريســة بين ذوى الاسـماء المعروفة ، ولم يكن لاعضـاء مجلس الشـورى سلطان فى الحكم يحاسبون عليـه او يناقشون فيـه ، وانما كانوا من اعيان البلاد وكان اكثرهم بعاصمة البـلاد على مقربة من جمهرة الصحفيين الاسبوعيين فكادوا ان ينوبوا عن البـلاد جميعا فى مصابها بالصحافة الاسبوعية وتصدى بعضهم للمطالبـة بتقييد الاقـلام قبل ان يتصدى لهـا الوزراء والحكام ٠

قال أحدهم للأمير حسين كامل مستثيرا نخوته : هل يرضيك يا صاحب السمو أن يقال عنـك أنك رئيس مجلس الشـورية ؟ ٠٠

« وعلى هـذا النحو ــ كما يقول العقـاد ــ تبتلى البلاد بالنكســة وقلب الحال ، وينادى بالحجر على حرية الصحف من كانوا أحـق الناس لابقاء على رايتها ولم يكن قوامها إلا العدوان على حرية الناس ٠٠ (١) »

وهكذا كانت هذه « الصحافة الاسـبوعية » فى سباق على تدبير المعاذير للسلطة التى تعمل على تقييد الصحافة والحجر عليها ، وكانت تلك جناية على الصحافة اليومية المكافحة ، وأى جناية ! والتى انتهت بصـــدور ذلك القانون الجائر الذى كان بدايـة النهـاية لهـذه الصحف ٠

فلا يلبث الشـيخ على يوسف أن يترك « المؤيـد » فى عام ١٩١٢ ثـم يتوفاه الله فى العام التالى ٠٠ ولطفى السيد يترك الجريـدة عقب اعـلان

---

(١) المرجع السابق ص ١١٩ ٠

الحرب العالميــة الاولى ثم تتوقف هى عن الصــدور لاضـــطراب امورها ٠ واستطاعت الحكومة ان تقضى على « اللــواء » منتهزة حـــدوث خلاف بين ورثتها والحزب ، واصدر الحزب بعدها عـدة صحف كانت السلطات تقــوم بتعطيلها ٠

ولم يجـد العقاد بـدا من مبارحة القاهرة الى بلدته ، ومن هنـــاك كان كل اتصاله بالصحافة اتصال « مصاحب » يكاتب الصحف ويعود الىالقاهرة ليكتب المقالات والفصـول المترجمة لمجـلة البيان التى كان يصـدرها منـذ سنة ١٩١١ عبد الرحمن البرقوقى (١) ٠

وكان يكتب فى هـذه المجلة صفوة من نابغة الكتاب منهم « محمـــد صادق عنبر ومحمد حسين هيكل (٢) ومصطفى صـادق الرافعى الذى كان يلقب بأبى السـامى وابراهيم عبد القادر المـازنى ومحمد السباعى وخليـل مطران وطـه حسين وكما كان يحلو للبيان ان تلقبـه « بالكاتب النقـاد الشيخ طه حسين » ومحمد لطفى جمعة وعبد الرحمن شكرى وسلامة موسى»٠

ووجد العقـاد فى مجلة « البيـان » متنفسـا لمواهبه الادبية التى كان قلمـا يخلو اليهـا ابان اشتغاله بالصحافة اليومية ، وتبين مقالاته وفصوله المترجمـة فى البيان سـعة اطلاعه فى هـذه الفترة على الآداب الاوربيـة من خلال اجادته للغـة الانجليزية ٠

ويكفى ان نذكر هنـا انه كتب فى عـدد واحد (٣) من اعـداد المجـــلة ما يقرب من ستة مقالات منها « حـكم روشفكول » قـــدم لهـا بمقدمة عن روشفكول معاصر ريشيليو ، ورأى المفكرين فيه كفولتير والدكتور جونسون» النقـاد الانجليز » اللـورد شترفيلد فى رسائله المشهورة الى والـده ، وترجم شذرات من حكم روشفكول تبلغ العشرين من هـذا الحكم ٠ وفى العـــــدد كتب بعنوان « الحب والزواج » يلخص فيـه فصـلا من فصول دافييد هيوم « أكبر فيلسوف انكليزى فى مباحث وراء الطبيعة وهو من فطاحل رجـــال الأدب والتاريخ والاقتصـاد السـياسى عندهم » وكتب هيوم هذا الفصـل « على اسـلوب له يمزج فيـه الحقيقة بالخيال ويورد الافكار على الفكاهات والدعابات » ٠

---

(١) صدر العدد الأول من هذه المجلة فى ٢٩ شعبان ١٣٢٩ ــ ١٤ اغسطس ١٩١١ ٠

(٢) كتب الدكتور هيكل فى البيان مقالا بعنوان « الجمال والحب واثرهما فى الحيـاة » المجلد الأول ص ١٣١ ٠

(٣) العدد ٥ ، ٦ ــ ٣٠ ذى الحجة ١٣٢٩ و ٣٠ محرم سنة ١٣٣٠ ٠

وفى نفس العدد كتب العقــاد ايضا « شذرات مقتبســات من ادش ، وفلسفة الفنون ـ الحـد بين الطبيعة والصناعة فى الفنون الجميـــلة » و « الشــجاعة » ومقالا عن « حافظ الشيرازى » ٠

واتفق أن يكتب العقــاد فى مجلة البيان سنة ١٩١٢ تلخيصا لكتــاب « ماكسى نوردو » عن أكاذيب المدنيــة الحاضرة (١) ٠ وكان من دأب الشيخ عبد الرحمن البرقوقى صاحب البيــان أن يســأل شيوخ الادب رأيهــم فى مقالات المجلة وابوابهــا ٠٠ فســأل حافظ عوض وسأل مصطفى صــــادق الرافعى ، وسأل المويلحى صاحب « عيسى بن هشام » ٠ فانتقد حافظ عوض عنوان الكتاب كما ترجمته المجـلة ، وزاد انتقاده فى ثقــة الشيخ بعبــاس العقــاد ، لأنــه ترجم عنوان الكتاب « بالأكاذيب المتفق عليهـــا » واقترح الشيخ البرقوقى أن « يسجعه » ليوافق اسماء الكتب ، فاصــبح العنــوان « الأكاذيب المقــررة فى المدنيــة الحاضرة » ٠٠ فلما جــاء النقد من بعيــد ، قال للعقــاد أنه لن يرفض مطاوعة لرأى السجعة بعد الآن (٢) ٠

ولفت العقــاد نظر المويلحى ، وكان مــدير القســم الادارى بديـــوان الأوقاف ، ويتبعه تحرير المجلس الاعلى والمجلس الادارى للديوان وقلـــم للسكرتارية ٠ وعرف المويلحى من البرقوقى ان العقــاد لا ينتمى الى « السيد حسن موسى العقــاد « المشــهور » وأنه لا قرابــة بينــه وبين ذلك البيــت وأنه يعيش بالقليــل مما يرده من أهله ، وبالقليل من اجــور المقــــالات او فصول الكتب المترجمة ٠٠ فقــال : ما اجدره بوظيفة فى ديواننا ينـــال بهــا راتبا منظما ٠ ونقل البرقوقى حديث المويلحى الى العقــاد ، فتقـــدم الى الديوان بطلب وظيفة واجيب طلبــه لساعته ٠ وجعله المويلحى مساعدا لكاتب المجلس الاعلى بقلم السكرتارية ٠ وكان ديوان الاوقاف حينئذ يغص بكثير من الأدباء والشــعراء من شيوخ وشبان امثال عبد العزيز البشرى واحمد الازهرى صاحب مجلة الازهـــر ، واحمد الكاشف ، وعبــد الحليم المصرى ، وحسين الجمل وعلى شوقى ومحمود مــاد ومصطفى الماحى وغيرهم فأخـــذ يختلط بهــم ، وينهض بوظيفته واعبائها فى ديوان الاوقــاف ، بين سنتى ١٩١٢ و ١٩١٤ ، واستطاع فى هاتين السنتين ان يــدرك الفساد فى شئون

---

(١) نشر هذا المقال بمجلة البيان العــدد الثامن ٢٩ ربيع الأول ١٣٣٠ ـ السنة الأولى عنوان المقال « الأكاذيب المقررة فى المدنية الحاضرة للنقادة الاجتماعى الأشهر ماكسى نوردو » لخصمها الفاضل عباس محمود العقاد ٠٠

(٢) حياة قلم (للعقاد) ص ١٢٧ ٠

مصر العامة عن قرب فى ديوان الاوقاف ، فالخديو يتخذ كل وسيلة لاختلاس أموال الصدقات فى هذا الديوان ، كانه من صناعه ، ولا حسيب ولا رقيب، وشاعت فى تلك الايام قصة أرض المطاعنة التى أخذ فيها الخديو لنفسه ستين الف جنيه باسم « العمولة أو الوساطة » وعاد بعدها فتعقب كل من عارضوه ووقفوا له فى طريقه من الموظفين النزهاء فعاقبهم على الأمانة واليقظة بالفصل والاهمال وتعالت اصوات طلاب الاصلاح من المصريين تطلب فرض الرقابة على الديوان وأمواله · ورأى العقاد هذه الفضائح بعينيه ، وقد هاله ما علم فانبرى يكتب الى الصحف بدون توقيع بعض المقترحات لاصلاح الديوان بدون توقيع · ولم يخف على الانجليز وعيون الخديو أنه صاحب هذه الاقتراحات ، وحاول الانجليز أن يتصلوا به ليتخذوه أداة لمناورتهم مع الخديو ، ولقى السكرتير الشرقى مستر ستورز ، فاستهل الحديث معه بالكلام على الأدب وعلى برناردشو · ثم استطرد الى الكلام على الصحافة ، واكثر من الكلام على صحيفة المؤيد وقرائها ومحرريها ، ثم استطرد الى الكلام على الاوقاف وفضائح الديوان ملوحا بان « ذلك يرجع الى حرمان الديوان من الرقابة الاجنبية » ورأى فى هذه العبارة صدمة لكرامته ، فاجابها بحدة ظاهرة : « ان المجلس البلدى الاسكندرى يتمتع برقابة أجنبية من كل جنس وملة ، ولا أظنكم تحسبونه مثلا من امثلة النزاهة والنظام » ·· وانتهى اللقاء عند هذا الحد ، وكأنما ادرك السكرتير الشرقى أن الذى يحادثه لا يقبل المساومة على مبدأ وطنى ·

وفى الفترة التى قضاها العقاد بديوان الاوقاف كان يكتب فى «الجريدة» مشاركا بذلك فى تحريرها مع محمود عماد وعلى شوقى والمازنى وعبد الرحمن شكرى وطه حسين ومحمد صبرى ·

وفى نفس هذه الفترة كان يكتب مع ابراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى فصولا نقدية فى مجلة « عكاظ » (١) لصاحبها الشيخ فهيم قنديل ·

وينشر العقاد فى هذه الصحيفة قصائده الشعرية مع اسماعيل صبرى والمازنى وحسن القاياتى والسيد محمد سعيد النجفى ·

---

(١) صدر العدد الأول يوم الأحد ٩ شعبان ١٣٣١ ــ ١٣ يولية ١٩١٣ ــ « صحيفة أدبية أسبوعية تصدر صباح الأحد من كل أسبوع »

وكانت الدراسات النقدية التى يكتبها العقاد وزملاؤه المازنى وشكرى تهدف الى ارساء مدرستهم الشعرية الجديدة بنقد الاخرين أو بتقديم أعمال بعضهم بمقارنتها بغيرها من الاعمال واظهار البون الشاسع بين اتجاهم الأدبى الجديد وبين الاتجاه السائد فى الشعر ، وذلك كما حدث فى موازنة المازنى بين شعر شكرى وحافظ فى صحيفة « عكاظ » التى ابتدأت يوم ٢٧ يولية سنة ١٩١٣ بسلسلة من المقالات ذهبت فى المقالة الاولى منها الى انه لا يجد ابلغ فى اظهار فضل شكرى والدلالة عليه ، وبيان ما للمذهب الجديد على القديم من المزية والحسن ، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكرى ، واخر مما ينظمون الشعر بالصنعة مثل حافظ ، فان الله لم يخلق اثنين هما اشد تناقضا فى المذهب وتباينا فى المنزع من هذين ، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد ٠

وقد نشر العقاد فى « عكاظ » مقالتين تحت عنوان « الشعراء الندابون» ساند فيهما المازنى فى موازنته هذه التى استمرت حتى عام ١٩١٤ ٠٠ ووصفه فيهما بانه شاعر ندب وقف شعره على الندب والولولة والعويل مدعيا ان لكل عصر شعره وان هذا العصر لا يحتمل الندب والعويل ، ولا يلجأ الى الندب والعويل الا شاعر مغلق الذهن لا يتيقظ خياله الا بمتخاس الغلو الفاحش والمبالغة المستحيلة (٢) ٠

* * *

وكانت الجمعية التشريعية قد انشئت فى سنة ١٩١٣ فحولت ديوان الاوقاف الى وزارة حتى تتمكن من الاشراف على ميزانيته وتغل يد الخديو عن اختلاس أمواله واختير للنظارة رجل من انصار الخديو ترضية له وتغطية لخذلانه ، فكان ناظرها الاول فى عهدها الجديد « احمد حشمت باشا » وقد كان قبل دخوله الوزارة وكيلا لحزب القصر بين الاحزاب الثلاثة ، وهو حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ٠ ولم تنس الحاشية الخديوية للعقاد موقفه ، فأخذت تبيت له كى تخرجه من عمله ، فأرسل الوزير الجديد الى العقاد بطاقة صغيرة من بطاقات الدعوة الى مكتبه ، وذهب العقاد الى لقاء الوزير فى الموعد المحدد ، ولكن الوزير لم يتعرض لمسلك العقاد فى قضية الديوان بغير التلميح من بعيد ٠٠ وانما خاطبه فى أمر مقالة من مقالات العقاد نشرها فى الصحف وذيلها بتوقيعه الصريح ، وهى مقالة كتبها تأبينا

---

(١) راجع : عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقدا ص ١١٨ وما بعدها ٠ نشر هذا المقال فى العدد الثالث يوم ٢٧ يوليو ١٩١٣ ٠

(٢) عكاظ فى عددى ٦ ، ٢٣ من مارس سنة ١٩١٤

للشيخ على يوسف صاحب المؤيد ونشرتها صحيفة « عكاظ » الاسبوعية « ومن اضاحيك المصادفة أن الوزير كان صديقا للشيخ على يوسف ، وكان وكيلا لحزبه وخصما لكثير من خصومه ٠٠ وكان من أشياعه القليلين الذين مشوا فى جنازته واشار اليهم فى بعضها وذكره فى وفاء المشيعين له بعد الوفاة (١) » ٠

وكان الشيخ على يوسف قد ترك المؤيد وهجر الحياة العامة ، واصطلحت عليه العلل والنكبات ٠٠ وقضى حقبة غير مذكور من اقرب المقربين اليه ، فلم يسر فى جنازته منهم غير آحاد معدودين ، بينهم وزير الاوقاف٠٠

وقال العقاد فى تابينه (٢) : « ان الرجل كان » نفاعا ضرارا » ولكنه كان ينفع ويضر لتمكين نفوذه واستصلاح الاعوان فى مشكلاته وقضاياه ٠٠ فمن وصلت اليه من اياديه لم يكافئه عيها بالمحبة وخلوص النية ، ولكنه يحس انه مدين مطالب يدين يوفيه فى يوم من الايام ٠٠ فلا جرم يشيعونه غير محزونين ويمضون فى جنازته متحدثين متشاغلين ، لانهم فى حالة نفسية أشبه بحالة المدين الذى اعفاه موت الدائن من الوفاء له بما عليه ٠

ويذكر العقاد (٣) بصدد هذه المقالة ان الوزير خاطبه بلهجة هادئة كانها لهجة الاستاذ الذى يلوم تلميذه على فصل من فصول الشيطنة لا يبلغ عنده مبلغ السخط الشديد ولا يخلو من بعض الرضى ٠ فقال بعد الاشارة الى مقال التابين : « كان احرى بقلمك الناشىء أن يتخذ له فى تابين الموتى منهجا أطيب من هذا المنهج وكان عليك الا تنسى فى هذا المقام قوله عليه الصلاة والسلام :

« اذكروا محاسن موتاكم » ٠٠

« فاجتهدت ان يكون جوابى فى لهجة توائم لهجة الوزير ، وقلت ما معناه » ٠ « اننى لو علمت للشيخ حسنات غير التى ذكرتها لما فاتنى أن اذكرها » ٠٠

---

(١) العقاد : حياة قلم ص ١٣٧ ٠
(٢) صحيفة عكاظ : العدد ١٤ – يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩١٣ – مقال بعنوان « تقدير الشيخ على يوسف » ٠
(٣) حياة قلم ص ١٣٨ ٠

« فاقتضب الحديث ، مصطنعا الجـد ، وقال » :

ــ « على كل حال اجعل لقلمك مستقبلا كمستقبل الشيخ ان استطعت، واستخدمه فى عملك ، ودع عنك فضول الاقاويل والاحاديث » ٠٠

والرأى عندنا فى مقـال تأبين الشيخ على يوسف انه لم يكن من فضول الاقاويل والاحاديث ــ كما قال الوزير فى حديثـه مع العقاد ــ ولكن هـــذا المقال يكشف لنـا من حقائق ذات بال بالنسبة للصحافة فى تلك الفترة ، أيا كان الرأى فى منزلة الشيخ على يوسف ومكانته ، ويكشف لنـا هـذا المقال صورة الصحافة فى ذهن العقـاد فى تلك الفترة ايضا ٠٠

ونرى ان نقدم هذا المقـال كاملا غير منقوص لأهميته التاريخية ، فليس فى امكان المؤرخ لهـذه الفترة من حياة الصحافة المصرية ان يتجاهل هـــذه الحقائق ٠٠ وان كان العقاد قد صـدم برأيه الجرىء فى الشيخ على يوسف اولئـك الذين كانوا يرون فيه « أنه كبر بالصحافة وأنه استمد نفوذه منها » ويصحح العقـاد الزعم القائل بالخلط بين الشهرة والعظمة ، فقـد ينجـح الرجل ولا يكون حظـه من العظمـة الا اسمها ووزنها ٠ وينجح غيره أقل من نجـاحه فيكون نجاحه كأنه مخرج لمـا يمتلىء به صدره من الرغبة فى النزوع وكراهة النقص وحب الكمال ٠

وعندى أن هذا المقـال بداية للطريق الطويل الذى قطعه العقاد فى سبيل تحطيم « عبادة الاصنام » والاصنام عنـا هى أوثان المظاهر والالقاب لا أوثان المذاهب والارباب ٠

ولقـد نكبت مصر بـداء الاستبداد القديم فحصر فيها التشريف والتقدير من أهلها فيما يفرضه الحاكم على المحكومين ، فلا قـدر لانسان بغير مظهر ، ولا مقام لاحـد بغير لقب ، ولا جاه ولا حسب ولا علم ولا يقين بغير صيغة مرسـومة فى سجلات الدواوين ، وكانت هذه الوجاهات رهن ارادة الحـاكم لا تعـدوه بحال ٠

واختلط هذا الفهم الخاطىء على أفهام الناس ، فأصبح العالم يفضـــل العالم بلقبه او منصبه لا بعلمه ، وهكذا صار الشـاعر يفضل الشـــاعر ، والصحفى يفضل الصحفى « وأغيظ ما يكون عابد الوثن اذا كان للوثن صلاته وصيامه وكان حول الوثن طوافه وقيامه ، كان كل حق فى سمعة العلم مرهونا بلقبـه ، وكل توهين لشأن هذا اللقب موهن للهجته فى دعواه ، وما من حجة له سـواه (١) » (١) ٠٠ والشيخ على يوسف صاحب المؤيد الرجل العصامى

(١) من كلام العقاد فى مقال « أصدقائى وأعدائى » ــ أنظر « أنـا » ص ١٦٣ ٠

الذى حمل رتبة الباشوية ، وأصبحت جريدته اكبر جريدة فى العالم الاسلامى ، وأصبح رئيسا لحزب من الثلاثة الموجودة فى مصر ، ظل يسعى دائما ليسجل اسمه فى سجل الاشراف ، رضى ان يعتزل الصحافة والسياسة ليعين شيخا للسادة الوفائية ٠

« ولو كان الرجل سامى اللب واسع الذهن لكان تقديره للعظمة اسمى واكبر من تلك الغاية التى نصبها غرضا له حياته ، وبذل كل ما يعسر على النفس بذله لاجل دركها (١) » ٠

وقد يكون فى هذا المقال الذى كتبه العقاد فى مستهل حياته الصحفية شىء غير قليل من التجنى على قدر الشيخ على يوسف ، وقد نعزو ذلك الى حماسة الشباب ، ولكنها لا تخرج عندئذ عن كونها متنفسا للفكرة التى آمن بها العقاد طوال حياته واتخذت سمت « المبدأ » الذى يناضل من أجله ويلقى العسف دونه ٠٠ بيد أن العقاد قد أنصف الشيخ على يوسف فى آخر حياته فى الفصل الذى كتبه فى كتابه « رجال عرفتهم » ووضع أيدينا على « مفتاح شخصية » الشيخ على يوسف فى كلمة « العصامية » حيث تصل العصامية أحيانا الى حدود المغامرة (٢) ٠٠ وعندى أن العقاد أنصف الشيخ على يوسف عندما كتب : « ان على يوسف كان يصنع « صناعته » الصحفية ليتعلمها الناس منه ، ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على اساتذتها فى الشرق والغرب ، ولا على ادواتها التى تمليها عليه (٣) ٠ وقد يخطر للذهن أن العقاد فى مقالته حول تقدير الشيخ على يوسف ، يناقض نفسه حين يكتب هذا الكلام فى شيخوخته عن الشيخ على وسف ٠٠ والواقع أنه ليس هناك تناقض فالعقاد عرف للرجل قدره فى كلتا المقالتين ، واذا كان هناك موجب للقول بالتناقض فهو حماسة الشباب للفكرة واتزان الشيوخ فى تقديرها واعادة النظر ٠٠ ولكن مقالة العقاد فى سن الحداثة هى وصم للعصر الذى عاش فيه الشيخ على يوسف وتحطيم الاوثان التى عبدها الناس فى هذا العصر ، وكان الحكام هم خالقى هذه الاوثان ٠ فليس هناك تجن على الشيخ على يوسف وانما هو تقدير أى تقدير ٠٠

---

(١) انظر مقال العقاد فى « تقدير الشيخ على يوسف » فى الصفحات التالية :
(٢) انظر رجال عرفتهم (للعقاد) ص ١٦ ٠
(٣) صحيفة « عكاظ » العدد ١٤ يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩١٣ ٠

وهـذا هو نص المقـال :

« تقدير الشيخ على يوسف » (١) ٠

« لا يقنعنى بأن الصحافة المصرية لم تجاوز بعد سن الحداثة مثـــل شيئين احدهما مماطلة المشتركين والثانى اعارة الصحف والمجلات » ٠

وكثيرا ما سأل الصحفيون : ما بال الصحافة المصرية مبتلاة بـداء المطال من مشتركيها حتى لا تكاد تظهر صحيفة الا صادفها من ذلك عقبات قد تقضى عليهـا او تلجئهـا الى غير مورد الصحافة ، وعدم الاعتماد على الاشتراكات وغيرها من المكاسب الصحفية ، ولا عـلة لذلك الا ان الصحافة لم تدخـل فى ضروريات المصرى بعد ، وانـه لا ينتظرها كما ينتظر الرجل شيئا لازما لاغنى عنه ، ولا يتعقب اراءه اتعقب معتقد ان لتلك الاراء سياسة به ، ودخـــلا فى حياتـه ٠

تبلغ الصحافة هذه المنزلة فى البلاد الاجتماعية ، واريد بالبـلد الاجتماعى ما تكون فيـه جامعة بين سكانه محسوس بها ، وليس للمصريين هـــذه الجامعة ، وكاد لا يدور لهـا حيال فى اذهان الكافة من أبناء وادى النيـل ٠ فانهم لا يزالون يرددون اسم المصرى ويقصدون به المولود فى مدينة القـاهرة وليس عندهم كلمة للقومية المصرية اللهم الا ما تلفقـــه بعضهم اخيرا من مستحدثات الكتابة (٢) وما هم بالكثيرين فى عداد الامـة ٠

أما فى الاوطان الاجتماعية فالصلة أقرب من ذلك وهناك يترقب القارىء الصحيفة كما يترقب الرسائل الشخصية ويرى فى كل خبر رسالة من الامة اليـه او منه الى الامـة فلا يخطر لمثل هـذا القـارىء أن يماطل الصحيفة فى أجرها ولا يستحسن أحـد ان يستعير منه صحيفته ليقرأها كمـا يفعلون هنـا لان الناس يخجلون من استعارة الضرورى الذى يعتقدون أنه لازم لكل فـرد من الناس ٠

ليست المماطلة من طبيعة المجتمع المصرى ، ولا الاستعارة من ديدنـــه لانا لا نسمع بالمماطلة فى ثمـن الخبز الا نادرا نراهم يستعيرون الملابس الا الحلى منها وذلك فى القرى التى تعد الحلى من قبيل الزينـــة الكمالية ولكن النفوس مجبولة على الا تحسب حسابا لغير ما يلزمها ، والمصرى اليوم لا يحمى

---

(١) صحيفة « عكاظ » العدد ١٤ يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩١٣ ٠

بالحاجة الماسة الى الصحافة ، فلا غرابة فى أن لا يعد من دخله قدرا يدفعه الى الصحيفة متى طالبته بحقها عليه ٠٠ نقول ذلك بمناسبة موت ذلك الصحفى الذى مال بعضهم فى رثائه انه كبر بالصحافة وانه استمد نفوذه منها لنقول أن الصحافة المصرية ليست من القوة بحيث تكسب صاحبها نفوذا صحفيا كالذى يستخدمه شباب الافرنج ، وانه على كون الصحافة الافرنجية لا تنهى ولا تأمر ولا تنصح ولا تزجر فالكاتب فيها اكبر شانا من الوجهة الصحفية من كاتبنا الذى لا يعول فى الصحافة على غير قلمه ٠

فليس الشيخ على يوسف صحفيا كبيرا ٠ كلا ولا هو بالرجل الكبير وان كنا لا ننسى انه ولد خاملا فمات شهيرا ، ونشأ النشأة الأولى فقيرا متربا ثم قضى نحبه مسموع الكلمة وجيها ٠

ولكن ذلك حسب الرجل من حياته ؟؟ أو ليس على المرء الا ان يسعى لينجح فيذكر اسمه على كل لسان ثم لا يسوغ لأحد بعد ذلك أن يذكره بغير المدح والتسجيل ؟ ٠

ذلك مالا يقوله قائل فانما للنجاح وسائل كثيرة واكثر من وسائله غاياته ٠ وقد ينجح الرجل فلا يكون حظه من العظمة الا اسمها وزيها ٠ وينجح غيره أقل من نجاحه فيكون نجاحه كأنه مخرج لما يمتلىء به صدره ظاهر الود له ليستزيدوه منه ، ولكنهم لا يحفظون له جميلا لأنهم يعلمون ان جدواه عائدة عليه قبل أن تعود عليهم ٠

فالشيخ على قد أفاد بعض الناس ولكنها فائدة لا صلة لها بحب الخير ٠ فلم يفجع الموت فيه صديقا مخلصا ٠ ومات فلم يقم له من أسدى اليهم البر بحق الوفاء ٠ وفرق بين هذه الحالة وحالة العظماء الذين يخرجون من الدنيا وما تركوا فيها صديقا يبكيهم ٠ لأن الناس قد لا يبكون العظماء لأنهم لم يفهموهم ، أما هؤلاء فليس عدم بكاء الناس عليهم الا لانهم قد فهموهم حق الفهم ٠

ولقد أراد أكثر من كتبوا عن الشيخ على يوسف أن يستدلوا بوصوله الى منزلة ينفع بها ويضر على نبوغ عظيم فيه ٠ وليس أدل على الجهل بالنبوغ من هذا التقدير ٠ فما يليق بالنبوغ وهو ثمرة الانسانية جمعاء وابن الخلود بأسره أن يقاس بمقياس المهارة فى الوساطة عند فئة من الرغبة فى النفع وكراهة النقص وحب الكمال ٠

كنا ليلة دفن الشيخ على يوسف فى مجلس مع بعض الاصدقاء فقال واحد منا : اليوم يحزن فلان ، وعدد اسماء جماعة ممن كان الشيخ على سببا فى ايصال النفع اليهم وتمهيد السبيل لهم · قلت بل اليوم فليفرح هؤلاء لأنهم لا يدينون للشيخ بالحب والاخلاص ولكنهم يدينون له بربا ذلك النفع ، ومادام حيا فهو يستأديهم ذلك الربا ، وان مساعدة هؤلاء الناس لاصحابهم كمتامرة المقامرين ـ يقرض أحدهم زميله ليسترد منه ماله وقرضه قبل ان يبرح مكانه فلا بدع ان كان أحدهم ينقده بعد صاحبه كما ينقده الغريم الملحاف · قال بعض الجالسين : لكأنك سمعت معى ما قاله أحد اصدقاء الشيخ الأقربين فقد سمعته يعجب لنفسه كيف لم يغتم لوفاة رجل كان موضع سره ، وشريكا له فى أكثر مساعيه ، ويقول أنه مهما بلغ من جلده لفراق الاصحاب ، فما كان يحسب أنه يقابل موت ذلك الصديق يمثل هذا الفتور · وقال : لقد حضرت اليوم الجنازة فرأيت فلانا يتأبط ذراع بعض اخوانه وهما يتغامزان ويضحكان · وما كنت اتوقع ان أراه فى ذلك المشهد الا باكيا أو خاشعا ـ وفلان هذا الذى رآه محدثنا رجل جرى له على يد الشيخ رزق لا يقل عن خمسين جنيها مشاهرة ·

ولا عجب فى هذا الكنود فان الناس يحبون من ينفعهم اذا كان بسره صادرا عن حب لهم ، واما ان كان لغير ذلك فهم يقبلون بره ويحافظون على من الناس فى فترة من الزمن ، ومن شاء فلينظر الى اضراب الشيخ على ممن وصلوا معه الى مثل منزلته بحد بينهم من ليس له فى النبوغ اقل دعوى ، ومن ليس هو من رجال الأدب ولا من رجال العلم أو العمل ، ولا يفكر فى ان يكون أحدهم ، ولكنه مع هذا ينفع ويضر ، والناس يزدرونه ولكنهم يرجون منه ويخشون · انما يعين هؤلاء على النجاح نشأة نشأوها لم تجعل لمبادىء الكرامة سلطانا على عقولهم ، فخف على اقدامهم وقر الذمم فنهضوا ، ومن يراجع سير العظماء الاجلاء وينعم فيها النظر ان أصعب ما كانوا يعانون من العراقيل والعقبات هو ما تضعه أمامهم ضمائرهم ووجداناتهم لا ما تقيمه فى طريقهم أعداؤهم ومنافسوهم ، ولذلك يقل بين ذوى التربية العالية من ينجح فى هذه السبيل نجاح أناس هم دونهم ذكاء وقدرة واخلاقا ·

ولا ننكر على الشيخ ذكاءه ولكننا لا نستطيع ان ندعوه سموا فى اللب. او سعة فى الذهن ، وانما هو عندى اشبه بالحذق فى حرفة من حرف الكسب ، وهناك نسبة بين هذا النوع مراوغة اعدائها والامن على حياتها·

ولو كان الرجل سامى اللب واسع الذهن لكان تقديره للعظمة أسمى وأكبر من تـلك الغاية التى نصبها غرضـا له فى حياته ، ويـذل كل ما يعـز على النفس بذله لأجل دركها ٠

ولو أن الشيخ على جـدد موته هـذه الأيام لما داخلنى الريب فى انه لا يقـدر لى أن يعيدها كما بدأها ، أو انه كان على الأقل لا ينال من السـمعة ما قد ناله بين أرباب الأقلام ٠

اصـدر الرجل جريدة الآداب ، وكان كل من يكتب من أبنـاء مصـر يومئذ كاتبا كبيرا لانـه ليس بمن هو أصغر منـه ، وكان الأدب لذلك العهد فى حضيض من الانحطاط يقرب من الموت فلم يكن فى البـلد كتاب ولا شعراء وكان أكثر الناس لا يكتبون ولا يقرأون ٠ ولم تخرج المطـابع بعدد فائض من الأدب العربى القديم فيتخذها النـاس معيارا يقيسـون عليه مقدرة الأدباء اذا اعوزهم المثل من كتاب عصرهم وأدبائه ، فكان الذوق الادبى معتلا والحاجة الى الكتاب شـديدة ، وفى ذلك العهـد كتب الشيخ على يوسف ، فاستحق التفات رياض باشـا وفتح له ذلك الالتفات باب الأمل فلم يقصر فى سـعيه الى غايته ٠

وكان الشيخ على يقرض الشـعر ليمدح به السراة والأغنيـاء كما كانت وظيفة الشـعر فى تلك الايام فلمـا حصل من الكتابة على ما تغنيه عن طرق هذه الأبواب رأى أنه لم تعد به حاجة الى الشـعر فتركه ومضى فى الكتابة٠ فاصبح بعـد مزاولتها عشرين عاما اخصائيـا فى باب من الكتابة الصـحفية اذا تخطاه زل به القـلم ٠

وقد عنف بعضهم عليـه فى حياته لانقلابه على رياض باشـا ٠ وقالوا لقـد رأينـا ارجل أياما لم يبق احـد الا قد احسن اليـه ثم رأيناه ايـاما لم يبق فيمن أحسنوا اليه أحـد الا قد اسـاء اليه بقلمه أو بمكيدة ٠

ونحن لا يهمنا نكرانه جميل هـذا الانسان وذلك ، بـل قد نرى لـه بعض العـذر فى الارتداد على فريق منهم فلقد ساعدوه وهو فقير خامل فلمـا أصبح من أهل الرتب والوجاهة أبوا أن يعرفوا فيـه الا ذلك المجـاور القديم الذى كانوا يعرفـونه من قبل ٠ وأبى هو أن يذكر الا هذه المكانة التى جاهد لهـا ذلك الجهـاد ، فكانوا فى امتنانهم عليه أحق باللـوم منه فى جحـوده لأياديهم عنده ٠

وانى ليشــق على ان لا اجـد له عذرا من نقيصة غير هذه وأن لا يكون فى نفسى ميل الى احترامه ، وليس فى وسعى أن أنعته بتـلك النعـوت التى جمعوا فيهـا كل مزية من المزايا الموزعة بين كبـار رجال العلم ، ولسـت أعلم لمـاذا يمحو الموت السيئات ويكبر الحسنات ؟؟ ولمـاذا نبقى الحـــكم للتاريخ البعيد ونحن أقـدر على أن نرى الحقيقـة عن كثب ؟! الا ان أحـق موقف بأن تقيـد فيه السيئة الى جانب الحسنة هو موقف الرثـاء ٠ وذلك أمر هـدى اليه الناس منذ فقهوا معنى الثواب والعقاب ، فقـد كانت عقيدة الحسـاب بعد الدفن من اوليات العقـائد التى تخيلها الناس فى اقـدم الأديان الوثنية ، ولو تغاضينا عن النقائض والمعائب لبطلت حكمة الذكر وللحـــق الخبيث بالطيب ، وما كان التساهل فى النقد والمؤاخـذة محمودا فى وقت من الاوقات ، ناهيك به فى وقت طمس عالم الضمائر وضلل الأبصار والبصائر، هذا ان كنـا لا نحب ان يبـلغ من فسـاد وقتنـا ان يغنم فيه المـرء تبض الرذيلة والغفلة حيا وميتـا ٠

وغاية ما يقال أن الشيخ على يوسف جرى حياته وراء مآرب تستهوى امثاله فاستطاع قضاءها ولكنه لم يستطع أن يكون عظيما حتى ولا فى قلوب اشياعه واتباعه ٠ انتهى » ٠

« عباس محمود العقاد »

فى المؤيـــــد

ذكرنا فى الفصل الســابق ان الحاشية الخديوية لم تنس للعقــاد موقفه من فضائح ديوان الاوقاف ، فأخذت تبيت له كى تخرجه من عمله ٠٠ وبتأثير احمد حافظ عوض الذى اصبح المحرر الاول لصحيفة المؤيد والذى زين لــه الاستقالة من وظيفته ليعمل مشرفا على صفحة الأدب استقال العقاد فعــلا وعمل بهــا ٠٠

ويذكر العقــاد أن السبب المبــاشر لعودته الى العمل الصحفى محــررا بالمــؤيد ، قصيدة نشرها المــؤيد ٠٠ ونظمها شاعر من شــعراء السكرتارية بنظــارة الاوقاف ، وهو المرحوم عبد الحليم المصرى الــذى كان يتطلع الى الى مكــان « شــوقى » فى القصر الخـديوى ، ووصل اليه ولكن بعد زوال الخـديوية ٠

« نظم عبد الحليم المصرى قصــيدة من أحســن قصائده عن الخصيب أمير مصر فى أيام الدولة العباسية ، وقال فيها عن شاعر النيــل :

وشاعر النيل دون الخلق يشربه

بينــا يشق الصدى منا الحشاشات

وما كان يعنى فى الحقيقة غير الخديو عباس وشاعره احمد شوقى ، وما كان بالقارىء من حاجة الى البراعة لفهم هــذه المواربة المكشوفة ٠٠ فقـــد فهمها كل قراء المؤيــد من الأدباء ولم يخف مقصدها على أحــد غير محــــرر المؤيــد الأول فى تلك الآونة : احمد حافظ عوض الذى ترك منصبه فى قصر عابدين ليشرف على تحرير هــذه الصحيفة فى أدق مرحـــلة من مراحلهـــا وخاتمتها ٠٠

« أولا تنشر تلك القصــيدة عن الخـديو وشــاعره الا فى المؤيــد دون غيره من الصحف اليومية والاسبوعية ؟ ٠٠

فضيحةمن فضائح الصحافة والأدب لم ينم لها حافظ عوض ، ولم ينم لهــا شوقى ، ولم تنم لهــا نظارة الاوقاف ٠٠ وأولهم ناظرها فى ذلك الحين

ـ محمد محب باشا ـ وقد كان متهما فى الحاشية الخديوية بمحاباة الانجليز ٠٠ » (١) ٠

وشاءت الظروف أن يستدعى « احمد حافظ عوض » العقاد للعمل فى المؤيد حين لقيه فى مكتب وزير الاوقاف احمد باشا ، زاعما ان صفحة الأدب فى المؤيد تحتاج الى أديب يتفرغ لها ، و لاينظر فى عمل من اعمال الصحيفة غير كتابتها أو الاشراف على ما يكتب فيها ٠٠

وقال له حافظ عوض : « ولو كان وقتى يتسع للتفرغ لهذه الصفحة لما استغفلنى هذا « الولد » ودس علينا تلك القصيدة المسمومة التى جعلتنا سخرية المجالس الأدبية » (٢) ٠

وبطبيعة الحال لم يتردد العقاد فى قبول الدعوة الى تحرير الصفحة الادبية فى « شيخ الصحافة العربية » لأنه لم يكن يطمح ، وهو لم يناهز الرابعة والعشرين ، الى عمل أهم من هذا العمل فى الصحافة ٠٠ ولم يكن عمله فى نظارة الاوقاف مرضيا له فى حياته الأدبية ولا فى حياته المعيشية، ومن هنا لم يتردد فى قبول دعوة حافظ عوض ، للعمل فى المؤيد ٠٠

وعمل العقاد فى « المؤيد » فى ادق مرحلة من مراحل تاريخه ، فقد وافقت هذه المرحلة الشهور الاخيرة من تاريخ الخديوية المصرية قبل الحرب العالمية الاولى ، ولم يقض العقاد فى المؤيد شهرا او شهرين حتى ماجت الدار بالحركة التى شغلت رئيس التحرير عن الدار وعن صفحتها الادبية وصفحاتها الاخرى ، فقد كان الخديو يعلم أن لورد كتشنر يصر على خلعه ويرشح للخديوية أمير من امراء بيت حليم ، وكان يعلم أن كتشنر لن يغلبه بقوة غير قوة الخلافة فى الاستانة أو قوة الراى العام فى مصر ، وفى طليعتها قوة المعارضة من قبل الجمعية التشريعية ٠٠

وقد سافر كتشنر فى تلك السنة على السعى الحثيث عند حكومته لاقناعها بخلع الخديو ٠ وعلة هذه النقمة هى فى الحقيقة بقايا تلك الحفيظة القديمة التى تركت الرجلين عدوين لا يتصافيان بعد أزمة الحدود ٠ اما العلة الاخيرة ، العلة التى كان يتذرع بها لاقناع حكومته فهى سكة حديد مريوط

---

(١) المرجع السابق : حياة قلم (للعقاد) ص ١٤٠ ٠

(٢) المرجع السابق : حياة قلم (للعقاد) ص ١٤١ ٠

وما كان يشـاع يومئـذ من المفاوضة بين الخديو واحدى الشركات الايطالية لشرائها ومدها الى الحـدود الغربية (١) ٠

وقد احتاط الخديو لقـوة الخلافة بسفره فى تلك السنة الى الآستانة، وعـدل عن زيارة المصائف الاوربيـة كعادته فى السنوات الخاليـة ، لانـه قـدر ان تسعى الحكومة البريطانية عند « البـاب العالى » فى مسألة خلعـه اذا اقتنعت برأى مندوبهـا فأحب ان يكون على مقربة من البـاب العـالى ليستطلع الخبر ويحسن العلاقة بينـه وبين رجال الحكومة التركية ، ويبذل ماق وسعه لاحباط سعى الانجليز ، وهو لا يجهـل أنهم لاقون من الصـدر الأعظم سعيد حليم أذنا صاغيـة فى تلك الآونـة . لأنـه كان يطمـح فى الخديوية (٢) ٠

وأما قـوة الرأى فقـد احتاط لها برحلة شعبية فى الوجـه البحرى يريد بهـا اقناع الانجليز بأن البـلاد تحبه ، وتتعلق به ، فطاف الأقاليم البحرية وزار حواضرها وقراها ، واغتبط بما رآه من مظاهرات الشعب والموظفين ومن تسابق الوجهـاء والسواد الى استقباله واقامة الزينـات فى طريقه ، وكان عظيم الرغبـة فى نفى كل ما قيـل عن الجفاء بينـه وبين وكيل الجمعيـة التشريعية والبارزين م نأعضائها ، فأرسل الى سـعد زغلول أنه يـود لو يراه فى بلدته ابيـانة (٣) ٠

وتام الخديو بزيارة لطفى السيد فى قريتـه كذلك ٠ واتم الخديو عباس حلمى الثانى رحلتـه ، مؤمنا بأنه لقى من ولاء المصريين له واخلاصهم لعرشه مالا مزيد بعـده لمستزيد ، ولم يـدر بخلده يوما أنه يوم يغادر مصر الى مصيف الاستانة يجـد من أبنـاء هـذا الشعب الذى احتفى بـه كل هـذا الاحتفاء من يحاول الاعتـداء على حياته ، فيطلق عليه رصاص مسـدسه فيصيبه اصابة شديدة وان لم تكن مميتة ! لكن هذا هو الذى حدث ونقلته الأنباء الى العالم (٤) ، وعلى أثر ذلك سافر عشرات من المصريين الى الآستانة يرفعون فروض الولاء الى صاحب عرش مصر ، ويؤكدون له مـرة أخرى ان العناصر الرشيدة فى الشعب المصرى تضمر له كل ولاء وكل اخلاص (٥) ٠

---

(١) العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ص ١٧٥ ٠

(٣،٢) العقاد : سعد زغلول ص ١٧٥ ٠

(٤) العقاد : نفس المرجع ص ١٧٥ ٠

(٥) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ـ ص ٥٩ ٠

ايا كان أمر هذه الرحلة التي قام بهـا الخديو فى الوجه البحرى ، فانه لم يشـأ أن يؤتمن على مراسلة « المؤيـد » بأخبار الرحـلة أحـد أقل من رئيس تحرير ، فأخـذ حافظ عوض فى ركابه ، وجاء حافظ عوض الى العقاد فى مكتبه بالمؤيـد قبل سفره يمهد للطلب الذى يريده منه : وهو تنقيح أخبار المراسلين بالصيغة الأدبيـة وانتظار الرسائل منه لمراجعتها قبل اثباتهـا فى الصحيفة بالصيغة الاخيرة وهى الصيغة التى ستظهر بهـا فى كتاب يسمى « كتاب الرحلة الذهبى » وأناب عنـه العقـاد فى تحرير « المؤيـد » فى اثناء غيبتـــه ٠

ومن الغريب أن يكون أحمد حافظ عوض هو السبب فى استقالة العقاد من المؤيـد ، حين تواطأ مع من استغل اسم العقـاد من المحررين فى قبـول الهـدايا والرشوة من المشتركين فى « المؤيـد » والكتاب الذهبى وما يحمـل للخديو من مبايعات ومن آيـات الشناء ٠٠

وقد اكتشف العقاد هـذا التواطؤ عليه حين ضل أحـد هؤلاء المشتركين طريقة الى حجرة العقاد بدلا من حجرة المحرر الذى كان منوطا به أن يتسلم الرسائل وتسليمها الى العقـاد بقائمة مكتوبة لايداعها فى ملفاته الى حين الفراغ من تدوينها ٠ فعلم من خلال كلام المشترك الموعـود أنه أعطى المحرر المنوط بتسلم الرسائل عشرة جنيهات باسم العقـاد ، وانـه حضر فى ذلك اليوم ومعـه شىء زهيـد على سبيل الهـدية : ساعة وسلسلة ذهبيـة ٠٠ وللعقـاد بعدها هدية على « قـد المقام » بعد ظهور الكتاب (١) ٠

ويذكر العقاد انه ترك « الملفات » فى اماكنها ريثما يعود رئيس التحرير من الرحلة ، وعاد رئيس التحـرير فاعتذر له العقـاد عن العمل فى الكتـاب وأبلغه ما سمع ، وقال له أن محررى المؤيـد احرار فيما يأخذونه ويدعونه ، ولكنهم لا يملكون ان يزجوا باسـمه فى معاملاتهم ومبايعاتهم ، ويحق لـه اذا فعلوا ذلك أن يصحح ظنون الناس ، وسيترك له ـ أى لرئيس التحرير ـ ان يختار طريقته لتصحيح هـذه الظنون ٠٠

فتجهم رئيس التحرير وتوعد المحرر المسئول بالويل والثبور ، ووعده أن يكتب غـدا فى المؤيد كلمـة تزيل اللبس وتبعد الشبهة عن العقاد فى امر الكتاب ورسائله واشتراكاته ورجاه ان يغض النظر عن المسـألة ولا ينقطع عن العمـل فى الكتاب ٠

---

(١) آخـر ساعة فى ١٦ اكتوبر سنة ١٩٥٧ ٠

ولكن حدث بعد ذلك أن شاهد العقاد رئيس التحرير فى مساء ذلك اليوم متأبطا ذراع المحرر « المتهم » وهو مقبل عليه بالضحك والحديث . ثم صدر المؤيد فى اليوم التالى وليس فيه كلمة عن الاشتراكات ولا عن تصحيح الظنون (١) .

وغضب العقاد لكرامته ، فترك « المؤيد » الى غير رجعة ، مؤثرا الجوع على المصادقة .

وهكذا نجحت الحاشية الخديوية فى الأمر الذى بيتته له ، فخرج من وظيفته الحكومية ، واستقال من « المؤيد » ، وليست امامه وجهة يقصدها غير الحفاظ على كرامته .

وبعد استقالته من تحرير « المؤيد » اقام أياما فى القاهرة على نية الرحيل الى اسوان ، وقد منى نفسه موسما كاملا من المواسم الجميلة فى مدينة الشتاء ، ورسم برنامجه لذلك الموسم بين المطالعة والتاليف والرياضة والبحث عن التاريخ الطبيعى ومضامين الآثار فى اسوان وهى غنية بالمضامين المعلومة والمجهولة من أيام الفراعنة الى أيام المماليك الى أيام الدولة العثمانيــة (٢) .

وهناك انتهى العقاد من تاليف كتابه « ساعات بين الكتب » سجل فيه خلاصة ما قرأ وتعليقاته التى وقعت فى خاطره واطلع عليها اثناء القراءة ، وكان هدف العقاد من تاليف هذا الكتاب أن يصل بين عالم الكتب وعالم الحياة ومن آراء المؤلفين وآراء القراء ، كما بدت له من النظر والمراجعة والاحاديث ، وكان الكتاب يشتمل على خمسمائة صفحة اودعها ثمرة اطلاعه وتأمله فى مذاهب الفكر الحديث ، وأولها مذهب داروين ومذهب نيتشه فى السوبر مان غير أنه بعد اعداده للطبع فقد منه مرتين ، ولم يبق من هذا الكتاب الضخم سوى خمسين صفحة ، ومن هنا فان هذا الكتاب هو غير الكتاب الذى نشره بنفس الاسم فى سنة ١٩٢٩ .

ونستطيع ان نقول أن هذا الكتاب المفقود قد نشر العقاد منه متفرقات فى مجلة (البيان) لصاحبها الشيخ البرقوقى ، فقد نشر مقالة بعنوان : « الأديب المصرى » (٣) ، ذيلها المحرر بهذا التنويه .

---

(١) آخر ساعة فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧

(٢) آخر ساعة فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧

(٣) البيان السنة الثالثة الجزء ٨ ص ٤٥٦ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩١٤ .

« يقيم الاستاذ العقـاد الآن فى مسقط رأسه اسوان ، ويشتغل بوضع كتاب له اسماه (ساعات بين الكتب) ولقد اخـذ (البيـــان) ميثاقه ان يطوف قراءة من حين الى اخر بخطراته حتى لا يحرم قراء العربية حسـنات هـذا الكاتب الذى ابت عليه نفسه ان يلابس هذا العالم المنكوس :

عالم اشبهوا القرود ولكن   خالفـوه فى خفـــة الارواح

فاختـار ان يقيم بعيدا عن المدينة وما فيها من الكنود والنفاق وسقوط الهمم ونستغفر الله » .

ويمكن القول أن صلة العقـاد بالصحافة لم تنقطع بذهابه الى مسـقط رأسه ، فقـد اتصل بهـا بصورة اخرى وهى صورة « المصاحف » الطليق ، فأخـذ يكتب الفصول والمقالات فى مجلة البيان من جديد ، ونحن نزعم أن الفصول التى نشرها فى البيان فى هذه الفترة هى من فصول ذلك الكتـــاب المفقودة والذى لم يـر النور ، ونذكر منها مقالة « الرحمـة بين اليقظـــة والمنـــام » (١) ، ومقالة « الأديب المصرى » وكتاباته عن الخيام وغير ذلك .

---

(١) البيان السنة الثالثة الجزء « ٦ » .

الفصـل الثـالث

فى الحرب العالميـة الاولى

١٩١٤ ـ ١٩١٨ م

نشبت الحرب العـالمية الاولى فى الرابع عشر من شهر يوليـــو ، ولم تدخلها بريطانيا الا بعد ثلاثة أسابيع فى الرابع من أغسطس ، وظلت تتردد بنياتها فى اعلان نياتها بمصر الى أن أعلنت الاحـكام العرفية بهـا فى ثانى نوفمبر ، ثم أعلنت قطع علاقاتها بالدولة العثمانية ، وأرسلت دار الوكالـة البريطانية الى حسين رشدى باشا القائم مقام الخديو تبلغه : « ان السلطة فيما يتعلق بالوسائل الحربية اللازمـة للدفاع عن القطر المصرى وبالتدابير التى يستدعيها هـذا الدفـــاع أصبحت منحصرة فى يـد القائد العام وان حضرات النظار لا يزال كل واحد منهم حافظا للسلطة التى له فى الأمور الملكية الخاصة بنظارته (١) » ٠

وفى الثانى من نوفمبر أعلنت الاحكام العرفيـــة ووضعت الرقابة على الصحف تبعـا لاعلان الاحكام العرفية (٢) ٠

وفى الثامن عشر من ديسمبر أعلنت الحماية البريطانية على مصر ونشرت « الوقائع المصرية » فى اليوم نفسه اعلان الحماية ، وهذا نصه :

« اعلان بوضع بلاد مصر تحت حماية بريطانيا العظمى »

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظـر الى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حمـاية جلالتـه ، وأصبحت الان قصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية »٠

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ١٧٨ ٠

(٢) ثورة ١٩ ـ الرافعى ـ جـ ١ ص ١٤ ٠

« وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر ، وستتخذ حكومة جلالتــــه كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها (١) » .

« وكان الخديو عباس حلمى الثانى غائبا عن مصر وقت نشوب الحرب، فقــد قصد الى الآستانة فى أوائل الصيف ، وبقى بهــا الى ان أعلنت الحرب بين انجلترا والمانيا ، وتردد فى عودته الى مصر ، رغم الحــاح رشدى باشا عليــه فى ذلك ، ولــا اعتزم الرجوع اليها أظهرت الحكومة البريطانية رغبتها فى عدم عودته ، اذ كانت نيتها مبيتة على خلعــه ، ففى اليوم التالى لاعلان الحماية ، اعلنت خلعه ، وتوليه الأمير (السـلطان) حسين كامل عرش مصر (٢) .

وعقب اعلان الحرب العالمية الاولى ترك لطفى السيد صحيفة الجريدة ، لايمانه بان الكاتب المقيــد لا يستطيع ان يكتب شـيئا ذا قيمة . لذلك آثر الانسحاب من الميدانين السياسى والصحفى ، وذهب الى برقين ، قريتــه ومسقط راســه ، وترك الجريدة يتولى شئونها عبد الحميد حمدى احد المحررين فيهــا (٣) . وما لبثت الجريدة أن توقفت عن الصدور لاضطراب أمورها .

أما الشعب آخر صحف الحزب الوطنى قبل الحرب فبعد أن نالهـــا الكثير من الاضطهاد آثر محررها امين الرافعى ان يحجبها عن الصــدور فى نوفمبر ١٩١٤ ، وكان الغرض من هذا الموقف أن لا ينشر فى « الشـــعب » اعلان الحماية المرتقب علىمصر وما سوف يتبعه من بلاغات رسمية لسلطات الاحتــلال .

كان هذا الاحتجاج أول احتجاج من مصر على الحماية البريطانية ، وقد وقع فى الوقت الذى بلغت فيــه صحيفة « الشعب » ذروتها من حيث الانتشار والرواج والمكانة الصحفية ، اذ كانت أوســع الجرائد انتشارا ، وكان الجمهور يتلقفها بلهف زائــد ليتعرف منها أنبــاء الحرب العالمية ، ويتحسس فيهــا

---

(١) الرافعى : ثورة ١٩١٩ الجزء الأول ص ١٤ .

(٢) الرافعى : المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) هيــكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٧٠ .

اتجاه الناحية الوطنية ، فكان ايقاف صدورها تضحية مالية كبيرة (١) ٠ وهذا موقف فريد فى تاريخ الصحافة ، ويبرز وطنية هذا الصحفى ومبادئه، وكان من نتــائج هذا الموقف اعتقــال صاحبه نحو عام ٠

وهكذا لم يبق بمصر من الصحف الكبيرة ســوى تلك التى لم تصطدم بالسلطات بسبب مهادنتها لها او لين لهجتها ، مثل « الأهرام » و « المقطم » ڂ القاهرة و « الاهــالى » فى الاسكندرية ٠ أما « المؤيــد » فقد اغلقت وبيعت معداتها فى سنة ١٩١٦ ٠

وخضعت مادة ما بقى من الصحف او ما صــدر منها فى اثناء الحــرب لسطوة الأحكام العرفية ، فاختفت بذلك تيارات الكفاح السياسى من الصحف، ولم يبــق من الاتجـــاعات الصحفية الا ما شايع السياسة البريطانيـــة وتحمس لهــا طوعا مثل « المقطم » و « الوطن » ٠ اما سائر الصحف فاكتفت بعرض الاحــداث العاليــة من وجهة النظر البريطانية ،وترك قلم الرقيب اثــره واضحا فى ذلك البيــاض الكثير الذى كان يتخلف عما يحذفه من مواد الصحف ، التى كانت السلطات ترى عدم السماح بنشرها ٠

ادركت الحرب العالمية الاولى عباس العقــاد وهو فى اســوان ، وأحس قبل ان يحسوا بها فى سائر البلاد المصرية ، لأن اسوان على ملتقى الطريق بين مصر والسودان وملتقى الطريق بين النيــل والبحر الاحمر من جانب الصحراء ، ومرجع الاحكام العرفية فيها الى رئيس اقليمى بعيد من الرقابة مطلق التصرف فى الاوقات التى تشغل الحكومة المركزية عن تفصيلات الشئون الادارية فى الاقاليم ٠٠ وقد نابهم ما نابهم من المســـلطين على الرقاب تحت حمايتهم ، بعد اشتداد الحركة الوطنية وتتابع القوانين والاوامر المقيدة لحرية المحكومين ، فلمــا تقررت الاحكام العرفية بكل قسوتها وصرامتها بعد شيوع العمل بالقوانين المقيدة للحريات اوشكت الرغبة فى الاستبداد أن تصبح هوسا فى نفوس بعض « الحكام » ٠٠ ولا سيما الحكام الذين بدا لهم أن الفرصة سانحة لاستغلال هذا السلطان المطلق طمعــا فى الكسب وشــنـاء للضغائن والأهواء ، وماذا يمنع الرشوة ان ترفع رأسها وتصبح بين الزوايا وفوق الجدران اذا كان أداء الرشــوة هو البديل الوحيد من النفى والاعتقال بغــير تحقيق ؟ ٠٠ وماذا يفيــد التحقيق اذا كانت « شبهة » الحركة الوطنية كافية

(١) اخــر ساعة فى أكتوبر ١٩٥٧ ٠

لاعتبـار « المتهـم » من ذوى الخطر والسابقة المحذورة ؟ وكانت هـــذه الشبهة لاصقة بالكثيرين من المصريين ؟ (١) ٠٠

واستمرت السلطة العرفية تسجن وتنفى الوطنيين المخلصين الى اوربا او الى مالطـة ، وكان ممن نفتهم الى الجزيرة الاخيرة (مالطـة) ناظــر مدرسة المواساة الاسلامية باسوان ، فخلفه العقـاد فى عمله تحديا للسلطات، وقد استبد مدير اســوان وبطانته بالشعب هناك استبدادا عنيفا ، من مظاهر هذا الاستبداد ، تجنيد اجبـارى لفرقة العمال واعتقال متكرر لشبهة ولغير شبهة ، واتاوات تفرض لعـلـه من العلل المخترعة ، تبرعا للصليب الاحمـر ، او ترفيها عن المرضى والجرحى او مساعدة على مشروع كائنا ما كان من مختلف المشروعات ، واصبح كل طلب انذارا بالتهمة المحكوم فيهـا بغير استئناف ، او انذار بالسـداد فى غير تردد ولا مساومة ٠٠

وقد كان فى تصور العقـاد أنه لن يكتب الى الصحافة ، وانـه فى اجازة منها الى موعـد غير مسمى ، اللهـم الا اذا عاد اليهـا بقصيدة من الشـــعر ومقالة فى حكم القصيدة الشعرية توحى بهـا لمحـة من لمحات الخاطر او عارض من عوارض الشـعر ٠٠

ولكن وقد شاهد هذا الاستبداد من مدير أسوان وبطانته بالشـعب ، ماذا يكون موقفه ؟ وكان مدير اسوان وبطانته يؤمون ناديا ويؤمه معهـــم بعض سراة البـلدة ، تعدوا فيه المبـاح الى ما لا يبـاح ٠٠ فتكلم العقـاد باللسـان ، وتكلم بالقلم كاتبا الى وزير الداخليـة والى الســـلطان ٠٠ وكتب مقالة قرئت مخطوطة قبل ان تقرأ مطبوعة ، ولم تزد نسختها المتداولة على عدد أصابع اليدين ، تـلك هى مقالة « نادى العجول » التى اوشـــك العقـــاد ان يذهب من جرائهـا منفيا الى مالطـة ، وهو أحـوج ما يكـون الى الراحـة والمقـام بأسوان ٠٠

ويقول العقاد ان القافية هى التى تضت تضاءها فى الموضوع ـ ولا قضـــاء لى فيــه ولا مشيئة ـ فخرج الموضوع كما ينبغى ان يخرج مقامة فكاهيـــة

---

(١) آخـر ساعة فى أكتوبر ١٩٥٧ ٠

او قصيدة منشورة ، يقـراه من خلا ذهنه من « الموضوع » فلا يشم منهـا رائحة الحملة التى يجترىء بهـا القائل على الحكم العرفى المخيف ولا على الحكم القانونى الحليف ٠٠ ويقرأها من امتلأ ذهنه « بالموضوع » فتغربـه بحفظها وترديدها ، وهو يسأل الله السلامة من تلك العجول » ٠

ويستهل العقـاد مقامته الاذاعية بقوله على لسان المدير رئيس النادى

« ايهـا السادة ٠٠ ان العجل مدنى بالطبع ٠ ونحن معشر العجـــول قد ميزنا الله على بنى آدم بضخامة الاجسام ، وصلابة القرون ٠٠ وقـــد عبر بهؤلاء الناس زمان كانوا يعرفون فيه بأسـنا ويتمسحون بآذاننا ، حتى ايقنوا أن لن يقوى على حمل هذه الدنيا أحد سوانا ، فعبدونا من فرط الاجلال ٠٠ وسبحوا لنـا بالعشى والآصال ، وكانوا يحسدوننا على قروننا فدعوا أكبر أبطالهم وأشدهم بأسا وأرفعهم ذكرا — أعنى الاسكندر المقدونى — المعـروف بذى القرنين وما اسكندرهم هذا وما قرناه ؟ ان اصغر عجل فينـا ليهشم رأسه اذا ناطحه ، ويجندله اذا واثبه أو صارعه ، فالعجب لك ايتها العجول لا تذكرين ذلك المجـد الخالد فتقام لك الصوامع والمعابد ، بـــدل النوادى والمعاهد ٠٠ » ٠

وشاعت المقـامة اللاذعة على كل لســان ، فاستشاط المديـر غضـــبا واستعدى عليـه مفتش الداخلية الانجليزى ، فحددت اقامتـه ووضع تحت مراقبة شديدة ، وقد تمثلت نجاته من النفى حينذاك بهروبه من اســوان الى القاهرة وصداقته وكيل وزارة الداخليــة آنـذاك الاديب جعفر والى باشا ، الذى وقف على تلفيقات مدير اسوان والمفتش الانجليزى فى التقرير السرى الذى يكتب عن العقـاد ، والذى يتمثل فى ان العقاد يدبر المؤامرات ويثـير الخواطر بالاحاديث التى يذيعها ويستحق من اجلهـا التعجيل بالاعتقـــال والنفى من الديار ٠٠ وذلك فى الوقت الذى يصطحب فيـه وكيل الداخليـة العقـاد كل يوم الى مكتب المستشار ليطلعه على تلفيق حكام اسوان (١) ٠ واحيل المدير الى المعاش ونقل الثانى من اســوان ٠

وقد حاول جعفر والى ان يعينه فى الرقابة على الصحف وقبل العقاد ، غير أنه لم يمض فيهـا سوى ستة أيام ، اذ توالت عليـــه التنبيهات بأن أخبارا تنشر وكان ينبغى الا تنشر ، واصطدم به الرقيب الانجليزى ، فقـدم استقالته وقبلت فى الحال ٠

---

(١) آخـر ساعة فى أكتوبر ١٩٥٧ ٠

وقد قبل العقـاد العمل بالرقابة على الصحف فى هذه الفترة الحرجة ، لاعتباره اياها من المصالح العامة فى أوقات الحروب ، وكان هـدفه العطف على الصحافة ورعاية مقتضى الحال ..

ويذكر العقاد عن تجربة العمل بالرقابة على الصحف أنه بعد ثلاثة أيام جاءه تنبيه وسؤال عن بعض الاخبار التى تركها للنشر وتحقق أنه لم يحذفها، وبعد يومين او ثلاثة جاءته دعـوة الى مكتب مستر « هور نبلور » الرقيب العام يتقدمها حديث مقتضب من « يوسف خلاط بـك » فلما دخـل المكتب سأله مستر « هور تبـلور » هـل راجعت هـذه الأخبـار ؟ وقـدم اليـــه رزمة جذاذات الصحف اليومية الأسبوعية .

فقال بعد احالة النظر فيها : نعم .

فعاد يسأل : وكيف تبيح نشر الأخبار المقلقة التى من هذا القبيل ؟

قال العقاد : انها تبـــاح فيما اطلع عليـه من الصحف الانجليزية . ويبـاح لتلك الصحف ما هو أخطر منها بكثير .

فصاح متهكما : الصحف الانجليزية ؟ ثم أردف قائلا :

ـ هل أنت من الحزب الوطنى ؟

قال العقاد : أنا مصرى وطنى بطبيعة الحال .

قال له : اذا كنت لا تعطف معنـا فلماذا تتولى هذا العمل ؟

فأجابه العقاد بكلام فحواه انه لا يفهم المقصود بالعطف معهم ، ولكنه لا يبقى فى هذا العمل اذا كان يتطلب منه شعورا لا يفهمه ، وله أن يتقبل استقالته مشكورا على قبولها (١) ..

وعمل العقاد بعد ذلك هو وصديقه المازنى مدرسين بالمدرسة الاعدادية الثانوية الاهليـة ، ونشر حينئذ « الشذور » و » مجمع الاحياء » والجزء الاول من ديوانــه .

ولم ينقطع العقـاد عن الكتابة الأدبيـة فى المجـلات ، ونشر فى مجـلة المقتطف ليعقوب صروف فصولا منها فصلان وازن فيهما بين فلسفة أبى العلاء وفلسفة شوبنهور ، كانا موضع اعجاب يعقوب صروف ، ونشر كذلك مقالا عتب بـه على فصل كتبته الانسـة مى زيادة عن فلسفة برجسون .

---

(١) آخر ساعة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ .

وعرض عليه الدكتور يعقوب صروف أن يعمل مراسلا حربيا تحت القيادة العسكرية الانجليزية لمنطقة الحدود المصرية الشرقية ، ولكن العقاد بادره بأن واجب الدفاع عن الحدود ينبغى ان يكون لمصر وحدها وأبى لـه شرفه الوطنى تلك الوظيفة ..

واشتغل العقاد مدرسا بمدرسة وادى النيل الثانوية بجوار محطة باب اللوق ، وأمضى فى التدريس سنتين مع صديقه المازنى فى مدرسة بعد مدرسة من المدارس الثانوية الكبيرة ، وقد جرت عادتهما على أن ينتهى عملهما فى كل مدرسة بأزمة من ازمات الخلاف على تصحيح أوراق الامتحان ، لانهما قد دأبا على تصحيح الاسئلة والاجوبة فى اوراق الاجابة ، وهذا بطبيعة الحال مناف لما درجت عليه الوزارة بالنسبة لاوراق الامتحان التى تودعها فى خزائنها بعد الامتحان وتنظر اليها كانها اوراق الرصيد المنتظر فى حساب المصروفات (١) . وخرج الاثنان من التدريب بعد حدوث الازمة السنوية الخالدة حين آن أوانها المقدور .. واتفقا بعد خروجهما من مهنة التدريس على سكنى الامام الشافعى حيث تقيم أسرة المازنى من زمن بعيد ، وقدرا أن اختزال النفقات المعيشية بالسكنى بين عالم الموت وعالم الحياة قد يغنيهما عن التعجل فى طلب العمل بضعة أشهر ، الى أن يفرجها ربك بعد ذلك أو قبل ذلك كما يشاء (٢) .

وفى هذه الأثناء وجد المازنى العمل ناظرا للمدرسة المصرية الثانوية ، ولبث العقاد بالقاهرة يترقب أوائل الشتاء ليعمل فيما يتهيأ من عمل يرتضيه او يزمع الرحلة الى اسوان .. لانـه كان يعانى حالة يأس من الصحافة

فقد ذهب ركود السياسة الوطنية فى ابان الحرب بالصحف اليومية التى كانت تنطق بألسنة الهيئات السياسية ، ثم هبطت ازمة الورق بالصحيفتين الباقيتين . وهما المقطم والاهرام ـ الى ورقة واحدة من صفحتين لا متسع فيهما لغير البرقيات وأنباء الدواوين وما هو من قبيل « المحتويات والمترجمين » (٣) .

---

(١) آخر ساعة فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥٧ .
(٢) آخر ساعة فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥٧ .
(٣) آخر ساعة فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥٧ .

وبينا العقاد فى هذه الحالة اذ استدعاه عبد القادر حمزة عن طريق عبد المؤمن عبد الحكيم ، ليقوم بالتحرير فى صحيفة « الأهالى » بالسكندرية وقد سافر العقاد بعد أن قام ببيع بعض الكتب التى يمكن الاستغناء عنها ، واستمر العقاد فى جريدة « الأهالى » حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وظهور الدعوة الوطنية على يـد الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول ، وافترقت الخطة العامة بين « الأهالى » والوفد وحينئذ تركها العقاد وعمل فى الصحيفة التى كانت تجرى يومئذ على تلك الخطة (١) ٠

(١) آخـر ساعة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ ٠

صـحيفة الأهـالى

من المتفق عليه ان تاريخ صحيفة من الصحف اليومية انمـا هو على الجملة :

أولا : تاريخ مقوماتها السياسية أو تاريخ الكتابة التى تدل على خطتهـا والآراء السياسية التى تدعو اليها ٠

ثانيا : تاريخ مقوماتها المادية التى تعتمد عليها فى القيام بتكاليفها ، فان الصحيفة التى ينفق عليها حزب ذو برنامج معلوم غير الصحيفة التى تنفق عليها شركة تجارية ، وغير الصحيفة التى تقوم على التوزيع أو تقوم على الاعلانات أو تقوم على الاشتراكات السنوية والدورية ٠

ثالثا : تاريخ عوامل الظهور والاحتجاب فى حياتها ، وعوامل التعطيل من جراء آرائها ، لان هذه العوامل هى الامتحان الصحيح لعلاقاتها بقرائها وعلاقتها بالسلطة القائمة ، وعلاقتها بالقضايا التى يعالجها الرأى العام وتعالجها الهيئة الحاكمة ٠

وعندما قامت صحيفة الأهالى عند نشاتها بالاسكندرية ، كان فى الثغر الاسكندرية ثلاث صحف يومية هى « البصير » التى أصدرها رشيد شميل عام ١٨٩٧ و « وادى النيل » ٠٠ وكانت « البصير » صحيفة القطن والتجارة لا تعرض للبيع فى خارج الاسكندرية ، ولا تعرض للبيع فى الاسكندرية نفسها الاعلى مقربة من البررصة ومخازن الميناء،وكانت الصحيفة تعيش باشتراكات التجار والسماسرة ورسوم الاعلانات القضائية من المحاكم المختلطة ، ولا تذكر فيها شئون السياسة المصرية الا كما تذكر فى صحيفة « خارجية » (١) ٠

---

(١) آخـر ساعة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ ٠

وكانت « وادى النيل » صحيفة المجلس البلدى أو صحيفة المناورات والمنازعات بين أعضائه وأحزابه ، ولها – من ثم – عناية بمسائل الأسواق والدكاكين والشوارع المرصوفة وغير المرصوفة ، وما اليها ٠ فكان لها نصيب وافر من الرواج فى الاسكندرية ، ونصيب « لا بأس به » من الرواج خارج الاسكندرية ، بعد انقطاع « الشعب » خليفة اللواء وانقطاع المؤيد والجريدة(١)٠

أما « الأهالى » فقد قامت لتأييد وزارة محمد سعيد باشا (١٩١٠ – ١٩١٤) التى تولت الحكم اثر مقتل بطرس غالى ، وقد اشتطت الصحافة الانجليزية فى هجومها على محمد سعيد ، وخاصة عندما صرح لبعض الصحفيين الأجانب بأن مصر ستنال استقلالها قريبا ٠ وطلبته (الجازيت) بنفس هذا التصريح والا كان صحيحا ، وصح معه الاعتقاد بأنه قد اعطى السلطة لاعلان هذا النبأ (٢) ٠ واعلن سير ادوارد جرأى فى مجلس العموم البريطانى فى ١٥ يونية سنة ١٩١٠ :

« ان سياسة جلالة الملك أصبحت تبنى على الاحتفاظ باحتلال مصر لأن الحكومة الانجليزية لاتستطيع دون عار يلحقها ان تتخلى عن المسئوليات التى نشأت حولها هناك (٣) » ٠

وكان لهذا التصريح الخطير اثره فى سياسة محمد سعيد الذى أصدر طائفة من القرارات المجحفة بحق الصحافة المصرية والحركة الوطنية ٠ وخلاصتها ما يلى :

أولا : النظر فى جنح المطبوعات وجناياتها وعرضها على المحاكم العادية شأنها شأن الجنايات الأخرى ٠

ثانيا : معاقبة كل طالب يشترك فى المظاهرات أو يكتب فى الصحف بالطرد من المدرسة ٠

---

(١) آخر ساعة فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٧ ٠

(٢) الجازيت فى ٤ ، ٥ من أبريل سنة ١٩١٠ – نقلا عن أحمس فيليب فى : الصحافة الانجليزية فى مصر ٠ رسالة خطية بجامعة القاهرة ٠ راجع : عبد اللطيف حمزة فى أدب المقالة الصحفية جـ٨ ص ٣٥ ٠

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ ٠

ثالثا : منع تأليف الجمعيات السرية بقوة القانون (١) ٠

وقد قامت الأهالى برأس مال مجموع من تبرعات أنصار محمد سعيد باشا وأبناء بلده الاسكندريين وكان اعتمادها كله فى سداد نفقاتها محصول الاشتراكات السنوية التى وزعها رجال الادارة فى عهد الوزارة السعيدية وأقبل عليها طلاب الحظوة عند المديرين والمأمورين من أعيان الأقاليم ٠٠

فكان « محمد سعيد باشا » على تعبير العقاد ـ أحد الساسة الثلاثة الذين فهموا فى ذلك العهد ضرورة الاتصال بالرأى العام ووجوب الاعتماد على الصحافة فى مناقشة المسائل التى تعرض على الوزارة ٠ فأوعز الى طائفة من أصدقائه الاسكندريين بانشاء « شركة الطبع والنشر الأهلية » واستهلال عملها الصحفى باصدار صحيفة يومية تدافع عن الوزارة وترد هجمات الصحف المعارضة عليها ٠ فاختاروا اسم « الأهالى » لصحيفتهم عمدا لأنه اسم قديم لصحيفة كان يصدرها اسماعيل أباظة باشا ، ولأن اسم « الأهالى » يقابل اسم « الشعب » واسم « الأمة » مصبوغا بالصبغة التى على معنى « الرعية » ولا يفهم منها معنى « المقاومة والثورة » (٢) ٠

ولم تزل « الأهالى » صحيفة الحكومة « الشبيهة بالرسمية » الى ان سقطت وزارة سعيد باشا وقامت بعدها وزارة حسين رشدى باشا التى أعلنت الحماية على مصر فى عهدها ، فلبست « الأهالى » بعد ذلك لباس المعارضة فى حدود الظروف التى تسمح بها الحرب والرقابة وكانت هذه تقوم على أساسين :

أحدهما : الخصومة الوزارية بين سعيد ورشدى ٠

والآخر : ايمان سعيد بفائدة السيادة العثمانية فى استنهاض الحجة القانونية والحجة « الدولية » على الاحتلال والحماية ٠

---

(١) د٠ عبد اللطيف حمزة : نفس المرجع ص ٣٦ ٠

(٢) آخر ساعة يوم ٣٠ من أكتوبر ١٩٥٧ ، وراجع كذلك يوميات العقاد بجريدة الأخبار العدد ٣٤٨٥ يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٣ ٠

فقد كان سعيد « عثمانيا » فى تفكيره وشعوره الى اللحظة الأخيرة ، وكان هو صاحب الرأى القائل بالارتباط بين البحث فى مسألة الحماية والنظر فى معاهدة الصلح مع تركيا والدول المنتشرة فى الحرب العالمية (١) ٠

وأوشكت « الأهالى » ان تحتجب بعد اعتزال الوزارة السعيدية وقيام الوزارة الرشدية لأن مشتركيها من الموظفين والعمد قطعوا اشتراكها ٠٠ ولم يبق لها مورد تعيش منه غير التعاقد على نشر الاعلانات القضائية من المحكمة المختلطة ، وهى كما كانت يومئذ حكرا يستأثر به من يرسو عليه المزاد من أصحاب المطابع ، وقد حصل على امتيازه فى ذلك الحين الخواجة « بوتينة » مدير جريدة « البورص اجيبشيان » وهو من زملاء الأستاذ عبد القادر حمزة فى نادى محمد على المعروف بالاسكندرية وأصله من جزيرة مالطة يسمى بلهجتها العربية « بوتينة » أو ابو تينة « وصحفها الى اللجهة الفرنسية باسم بوتينة ٠ ونشبت الحرب والاهالى على علاقتها القديمة بمحمد سعيد باشا وأصحابه المساهمين فى شركتها ، وقوامها من الوجهة المالية ما تحصل عليه من نشر الاعلانات القضائية باللغة العربية ، اذ لم يكن للمسيو بوتينه صحيفة عربية يملكها ٠ وكانت « الأهالى » هى الصحيفة التى تتسع لنشر تلك الاعلانات فى ملحقاتها ، وعندها بقية من الورق المخزون غير الورق الذى تدبره الشركة ، ولولا ذلك لما استطاعت أن تعيش سنة بعد ذهاب الوزارة السعيدية وانقطاع الاشتراكات عنها فى ذلك المعترك العصيب ٠

فلما تألف الوفد المصرى كانت خطة « الأهالى » حياله هى خطة محمد سعيد حيال سعد زغلول ، وهى خطة الوزارة أمام معارضها الأكبر فى الجمعية التشريعية ، وكان من مساعيه ــ بموافقة الأمير عمر طوسون ــ أن يؤلف وفد آخر يشترك فيه أعضاء الحزب الوطنى برئاسة الأمير ٠

وكانت المعارضة فى رئاسة الأمير طوسون للوفد المطلوب تقوى وتشتد فى جهات كثيرة ، ومنها القصر الملكى والوزارة ، ومنها أصحاب سعد زغلول جميعا بغير استثناء ، فقد كان السلطان فؤاد غير مستريح الى ظهور الأمير على رأس هذه الحركة ودخول أعضاء البيت المالك فى مآزق سياسية تقضى مصلحتهم ومصلحة الملك أن يظلوا بمعزل عنها ٠

---

(١) المرجع السابق ٠

وكان رشدى باشا يتوجس من نفوذ محمد سعيد باشا صديق الأمير الحميم ويشفق من عواقب تدبيره ، ولا يحب ان يمهله حتى يقبض بيديه على زمام الموقف ويتحول به الى حيث تهديه الحيلة والأساليب المكتوبة التى اشتهر بها · وكان أصحاب سعد يريدونها كما قالوا (حركة شعب لا امارة وحركة استقلال لا خلافة) ويعتقدون ان الأمير وصديقه محمد سعيد يبغيان المحافظة على السيادة العثمانية الى ان ينزل عنها الترك للمصريين فى معاهدات الصلح ، وهو أمل مشكوك فيه (١) ·

ثم حبطت مساعى محمد سعيد باشا حذرا من ثورة الرأى العام واذعانا من جانب الأمير طوسون لأوامر السلطان أحمد فؤاد الذى اتهمه بالسعى الى وراثة العرش والمساومة عليها لدى الانجليز بهذه الوسيلة ·

وتقررت خطة « الأهالى » من داخل قلم التحرير دون ان تستطيع الشركة التى أصبح اشرافها على الصحيفة اسميا بعد نفض أيديها من تكاليفها) ان تتعرض لهذه الخطة فى تفصيلات الأخبار أو المقالات اليومية ، ولم يحاول مسيو بوتينيه أن يتدخل فى سياسة الصحيفة مرضاة للمحتلين ، لأنه من جهة لم يكن من المالطيين أصحاب الحظوة فى الوقت الذى جعلوا فيه جزيرة مالطة منفى للمعتقلين ، ولأنه من جهة أخرى خشى أن تتحطم مطبعتها فى المظاهرات فيعجز عن الوفاء بشروط المحاكم المختلطة مراعاة لمواعيد الاعلانات (٢) ·

ويمكن القول ان خطة الأهالى ازاء سعد زغلول بعد الافراج عنه وأصحابه لم تكن مكاشفة منها للجمهور المصرى بولائها لسعد وأصحابه – كما يقول أستاذنا الدكتور عبد اللطيف حمزة (٣) – فاذا كانت قد سلكت فى سبيل ذلك طريقة ناجحة من طرق الصحافة وهى نشر « صور صحفية » لسعد ولأعضاء الوفد ، فان كل ما نشرته الأهالى من الصور الوصفية والتعليقات على تأليف الوفد انما كان بقلم عباس العقاد ، وظلت خطة « الأهالى » هى الخطة التى تعبر عنها تلك المقالات والتعليقات طوال الوقت الذى كان العقاد فيه مطلق اليد فى الكتابة ·

---

(١) يوميات العقاد بجريدة الأخبار يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٣ ·
(٢) أنظر « أدب المقالة الصحفية فى مصر » – الجزء الثانى ص ١٠٧ ·
(٣) الأهالى – العدد ٢٦٠٧ يوم ١٥ من أبريل سنة ١٩١٩ ·

وبدأ العقاد هذه الطريقة الناجحة من طرق الصحافة فى الخامس عشر من أبريل سنة ١٩١٩ ، وكانت « صورة سعد » أول هذه الصور الوصفية ·· وفيها يقول :

« من العظماء أشخاص لا يسعك أن تتمثلهم منفردين · لانهم قوى تطلب المقاتلة والمصادمة · وكأنهم يقفون حياتهم فى ميدان خالد فلا تراهم الا رأيت لهم اندادا فى ذلك الميدان · وليس من الضرورى أن يكون الأنداد رجالا · بل قد يكونون مبادىء ومقاصد تحفز القوة وتبعث النخوة · ومن هؤلاء العظماء سعد زغلول · وهذه الصفحة فى نفوس اولئك العظماء تأبى عليهم أن يكونوا مهملين أو مغمورين حيثما كانوا ظهروا · فهم يحملون معهم الاهتمام بهم فى كل مكان · وكذلك كان سعد زغلول فى جميع أدوار حياته »·

ثم سرد العقاد تاريخ حياته على نحو ما هو معروف لأهل زمانه الى تلك الفترة من حياة سعد زغلول ·

وعلى هذا النحو مضت الأهالى تقدم للجمهور كل يوم صورة وصفية جديدة لعضو من أعضاء الوفد (١) ·

ومن ذلك الوقت كتب العقاد فى الأهالى مقالات عن الوطنية المصرية والأمانى القومية ومنها مقال بعنوان : الوطنية المصرية خالصة لوجه الوطن المصرى (٢) وأخر بعنوان : الوفد والمسألة المصرية (٣) وثالث بعنوان : الأمير عمر طوسون والحركة الوطنية (٤) ونرجح ان المقال الأخير من قلم عبد القادر حمزة وليس العقاد · ونرجح كذلك ان اخبار المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والاقاليم التى عنيت بها الأهالى كان للعقاد أثر كبير فى سر هذا الاهتمام بها ، بل نزيد فنقول انه كان يقوم بتحريرها ·

وعندما شعر العقاد بالتضييق على ما يكتب من المطولات أو من الأخبار القصار ترك الاهالى وانتقل الى تحرير « الأهرام » بالقاهرة ، وقد كانت هى الصحيفة الوحيدة التى اعلنت يومئذ انها « مصرية للمصريين » وسمحت للوفد بنشر بياناته واخباره على صفحاتها ·

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ ٨ ص ١٠٩ ·
(٢) الاهالى العدد ٢٦٤٤ يوم ٢٣ من مايو سنة ١٩١٩ ·
(٣) الاهالى العدد ٢٦٧٥ يوم ٢٣ من يونية سنة ١٩١٩ ·
(٤) الاهالى العدد ٢٩٨٩ يوم ١ من يولية سنة ١٩١٩ ·

ويوم اعتزل العقاد العمل فى « الأهالى » كشفت عن موقفها ضد سعد زغلول الذى تعبر عنه مقالات « ما هكذا يا سعد تورد الابل » وما جرى مجراها ، وكلها حملات على الوفد ومناوشات بين الصراحة والتورية على حسب الظروف ، الى ان تقاربت العلاقات بين محمد سعيد وسعد ، لاشتداد العداء بين سعيد وجماعة رشدى وعدلى وثروت ، وسائر هؤلاء الوزراء (١) ٠

ومما يذكر فى هذا الصدد أن الوفد قد عقد اجتماعا كبيرا للجمعية التشريعية فى منزل سعد زغلول ـ بعد سفر لجنة ملنر بثلاثة أشهر فى دراسة الاحوال المصرية ـ لم تستطيع الأهالى أن تشير اليه أو تكتب شيئا عنه ٠ وأصدر الاعضاء قرارات منها :

أولا : تعتبر الحماية التى أعلنتها انجلترا من تلقاء نفسها على مصر عملا باطلا لا قيمة له من الوجهة القانونية ٠

ثانيا : تقرر الجمعية أن البلاد المصرية تشمل مصر والسودان مستقلة استقلالا تاما وفاء بقواعد الحق والعدل والقانون ٠

ثالثا : تحتج الجمعية على تعطيلها وعلى القوانين والنظامات التى وضعت فى اثناء التعطيل ٠

رابعا : تقرر الجمعية أن كل عمل قامت أو تقوم به الهيئة الحاكمة ، ويكون فيه مساس بالاستقلال التام لمصر والسودان ، أو مساس لمصالحهما يعد لغوا ، ولا يلزم الأمة فى شئ (٢) ٠

وقد وقفت « الأهالى » ضد مشروع ملنر ، ولكنها وقفت كذلك ضد المندوبين الأربعة الذين أوفدهم سعد لا ستشارة الأمة ، وهاجمت الأهالى سعدا بقوة ، مما يجعلنا نؤكد أن الأهالى لم تقف الى جانب سعد الا عندما كان العقاد له مطلق الحرية فيما يكتبه ، ولما تركها كتبت هذه المقالات التى تعبر عن موقف محمد سعيد باشا ، وقد ظلت تلتزم هذه الخطة التى تغيرت بتغير موقف سعيد باشا من سعد زغلول فنشرت نداء لسعد زغلول صارع فيه الأمة برأيه فى مشروع ملنر فى صفحتها الأولى فى عشرة أعداد من أعدادها (٣) ٠

---

(١) يوميات العقاد بجريدة الأخبار يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٢ ٠
(٢) عبد اللطيف حمزة ـ نفس المرجع ص ١١١ ٠
(٣) الاهالى ـ العدد ٢٠٩١ ـ ١٩٢٠/١٠/٢١ ٠

ووقفت الاهالى موقفا عدائيا من خصوم سعد زغلول السياسيين ، ومرجع ذلك – كما سبق القول – الى اشتداد العداء بين سعيد وجماعة رشدى وعدلى وثروت مما أدى الى تقارب بين محمد سعيد وسعد زغلول ٠٠ فهاجمت وزارة عدلى يكن فى مقال بعنوان :

حكـــومة الحمـــاية

الى أى حـد تضعف أمام حاميها (١)

هكذا يمكن القول أن « الأهالى » كانت تعبر عن وجهة نظر محمد سعيد باشا ، ولم تخالف هذه السنة الا فى الفترة التى عمل فيها عباس العقـــاد فكان نشرها للصور الوصفية بداية للخطة التى سلكها العقاد فى الأهـــالى وكانت خطته الى يوم اعتزاله العمل فيها ٠

---

(١) الأهالى : العدد ٣٣٢٨ يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢١ ٠

الفصـــل الرابـع

ثـــورة ١٩١٩

وتعاطف العقــاد مـع الوفـــد

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ بعقد الهدنة بين المانيا والحلفاء ، وانتصار انجلترا وحلفائها ٠٠ واقترن باعلان الهدنة بيــان « ويلســون » رئيس جمهورية الولايات المتحـدة الأمريكيـة عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها ٠ واقترن موعـد تقرير مصـير الدول والشعوب فأخذ ذوو الرأى من المصرين « يفكرون فى طريق عملى لرفع صوت مصر ، وتمثيلها فى مؤتمر الصلح ، وزاد فى هذه الحركة الفكرية ما ترامى من أنباء الشعوب الصغيرة ، اذ أخذت تتأهب لارسال وفودها الى المؤتمر لتحقيق آمالها القومية وتطبيقا لمبادىء الرئيس ويلسن ٠ كان رجال الحزب الوطنى وعلى رأسهم محمد فريد مشتتين فى أوربا ، والصلات بينهم وبين زملائهم فى مصرمنقطعة ، هذا الى أن الجانب الذىكانوا يقاومونه ويجاهدونه فى استخلاص الاستقلال منه ، وهو جانب انجلترا أو حلفائها ، قد كتب له النصر النهائى فى تلك الحرب ، فكان طبيعيا أن يبرز فى الميدان شخصيات لم تعرف من قبل بطابع العداء الشديد لانجلترا والاحتلال البريطانى (١) »٠

وفى هذه الظروف اتجه سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى الى المعتمد البريطانى « سير ريجنالد وينجت » ، باعتبارهم من أبرز نواب الأمة فى الجمعية التشريعية ، مطالبين باستقلال مصر ورفع الحماية عنها ٠

ورفضت بريطانيا التصريح للوفـد بالسفر الى اوربـا ، وذلك بعد أن تألف الوفد المصرى ليكون وكيلا عن الامة فى السعى لتحقيق أمانيها السياسية واعتقلت السـلطات العسكرية سعد زغلول واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل ونفتهم الى مالطـة ٠٠

وهنــا انطلقت الروح الوطنية التى ظلت مكبوتة خلال سنوات الحرب، فى ثورة شاملة على الاحتلال البريطانى احتجاجا على اعتقال سعد وصحبه

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ الجزء الأول ص ٩٢ ٠

ولم تكن هناك صحيفة وطنية مكافحة تعبر عن روح الثورة وتتحدث بلسانها وذلك لأن « الأحكام العرفية كانت مفروضة على البلاد ٠٠ أما الصحف التى كانت قائمة فى ذلك الوقت فمع خضوعها لمقتضيات الأحكام العرفية فقد تفاوت موقفها من الاحداث بتفاوت لونها السياسى ومدى ما يربطها بالقوى الوطنية او سلطات الاحتلال من مشاعر وصلات (١) »٠

فأبدت « الاهرام » شيئا من الميل الى جانب الثورة أذ كان وصفها للمظاهرات وتعليقها على الأحداث مشوبا بلون من العطف والتأييد ٠٠ وكذلك فندت دعاوى الصحف الانجليزية عن تطرف المصريين وتعصبهم ضد الأجانب ٠٠ بينما وصفت صحيفة « المقطم » أخبار الثورة بأنها « شغب ومظاهرات وحوادث يؤسف لها » وكانت تشفعها دائما بتعليقات تندد بها وتعتبرها « كارثة » و « فتنة » تهدد الوطن ، وتنصح المصريين بالعدول عن هذا الاتجاه ٠

ونشرت صحيفة « الأهالى » أخبار الثورة بكثير من الحيطة والحذر ، تجنبا لبطش السلطة العسكرية ٠٠ ومع ذلك فقد كان واضحا انها أكثر الصحف استعدادا لتأييد الحركة الثورية لولا ضغط الأحكام العرفية (٢) ٠

واضطرت وزارة رشدى باشا الى الاستقالة فى مساء ٢١ أبريل سنة ١٩١٩ وخلفتها وزارة محمد سعيد باشا فى ٢١ من مايو ، وكان عثمانى النزعة فى تفكيره وشعوره « وهى اولى الوزارات التى تألفت بعد الثورة على أساس الانفصال عن الحركة الوطنية ومناهضتها ، والاستخفافبها ، وذلك أن وزارة رشدى باشا الأخيرة قد استقالت تحت ضغط الرأى العام ، وكان بقاء البلاد بلا وزارة مظهرا لتضامن الأمة أمام العدوان البريطانى ، مما أدى الى احجام المستوزرين عن قبول الوزارة ، لأن قبولها رجوع الى الحالة العادية التى ينشدها الانجليز ، فجاء تأليف وزارة سعيد باشا محاولة جريئة لكسر شوكة الثورة ، فلا غرو ان قوبلت بالاستياء والسخط ، لأن تشكيلها لم يسبقه تفاهم على برنامجها ، بحيث تساير الحركة الوطنية ولا تعرقلها (٣) » ٠

---

(١) الدكتور أحمد حسين الصاوى : معالم تاريخ الصحافة المصرية ـ محاضرات ألقاها على طلبة قسم الصحافة بجامعة القاهرة ٠

(٢) الدكتور أحمد حسين الصاوى : نفس المرجع ٠

(٣) الرافعى : نفس المرجع ، ص ٣٧ جـ ٢ ٠

ويرجع السبب فى استياء الرأى العام من هـذه الوزارة كذلك أن محمد سعيد باشـا أعلن أنه يؤجل النظر فى الحماية التى ضربهـا الانجليز على مصر سنة ١٩١٤ فى مستهل الحرب العالمية الاولى حتى توضع معاهـــدة الصلح بين تركيا والحلفـاء • وكان هذا الرأى خاطئا ، لأن تركيا أصبحت لا حول لهـا ولا قوة ، فاذا عرض عليها الانجليز استمرار حمايتهم فى مصر قبلوا ذلك دون تردد •

وهنـا ترك عباس العقـاد العمل بجريدة « الأهالى » التى بـدأ يشعر فيها بالتضييق على ما يكتب من مقالات وأخبار فى وصف الوفـد ، وليس يخفى ما كان « بين سعد زغلول وسعيد باشـا من الجفاء القديم ، منـــذ استقال سعد من وزارة سعيد الاولى ، ثم صار زعيما للمعارضة فى الجمعية التشريعية ، واستمر الجفاء بينهما حين تأليف الوفـد ، وبعد قيام الثورة، فتشكيل سعيد للوزارة فى مايو ١٩١٩ كان فيـه معنى التحدى لسعد • ومع ذلك فان سعيد باشـا كان أول من مشى فى ركاب سعد بعد سنة ١٩٢١ لما بدأت النفرة بينه وبين عدلى ، ثم انفصل عنه سنة ١٩٢٥ ، حينما استهدف سعد لغضب الرأى (١) » •

وانتقل العقـاد الى القاهرة من الاسكندرية ليعمل فى تحرير « الأهرام » وعقب وصوله اشتعلت نيران ثورة ١٩١٩ فكان العقاد وزميله المازنى يحرران منشورات جماعة « اليـد السوداء » السرية وكتبا فى الصحف مقالات نارية ملتهبة حتى تقرر نفيهما على يـد وزير الداخلية « ثروت باشـــا » الذى استقال فى هذه الفترة ، ولولا استقالته لحل بهما قضـاء النفى والتشريد ، لأن رصيدهما فى الاتهامات كان وافرا بحمد الله ، اذ حامت حولهما الاتهامات فى حوادث الاغتيالات التى وقعت حينذاك بدعـوى ايغار الصدور واثارتهما الشعور العـام (٢) •

وكانت السلطة العسكرية قد عمدت الى طريق الارهاب فى مقاومة حركة النشرات السرية ، واصدر الجنرال بلفن أمرا فى يونية سنة ١٩١٩ بعقاب كل من يشترك فى اخراج هذه النشرات أو توزيعها أو حيازتها (٣) •

وقد حوكم كل من اشترك فى توزيع منشورات « اليـد السوداء » وكانت عقوبتهم الاشغال الشاقة المؤبدة (٤) ، فما بالك بمن كان يحررها ••

---

(١) : المرجع السابق ص ٣٨ ج ٢ •

(٢) العقاد فى ندوته ، وراجع أدب المازنى ص ٣٦ ـ كذلك « عباس العقاد ناقدا » لعبد الحى دياب ص ١١٦ •

(٣) راجع ، الرافعى : ثورة ١٩١٩ ج ٢ ص ٤٤ •

(٤) راجع الرافعى : نفس المرجع صفحات ٢ ـ ٨٠ ـ ٨١ ، ٨٢ •

وحدث أن فكرت الحكومة البريطانية فى ايفاد بعثة رسمية للتحقيق فى أسباب الثورة واقتراح ما تراه لتهدئة الحالة وجاءت هـذه البعثة برياسة لـورد ملنر ٠٠ وهنـا ثارت خواطر المصريين ، فأرجأت الحكومة البريطانية سفر أعضاء اللجنـة ، وانقضت بضعة أشهر كانت حافلة بالاضطرابات ٠٠ ولكن صحيفة « النظام » لسيد على التى صدرت سـنة ١٩١٩ طلعت على الناس باقتراح يدعـو الى مقاطعة اللجنـة المرتقبة مقاطعـة تامة ٠٠ لكن اللجنة حضرت والفشـل يسبقها والصـدور موغرة بمـا توالى على الناس من دواعى الكراهية والنفور ٠ وقبل أن ينقضى على اللجنة أسـبوعان أو نحـو اسبوعين سرى فى مصر نبـأ القرار الذى اعتمده نواب الولايـات المتحـدة وهو رفض المعـاهدة التى يوقعها الرئيس ويلسـون ٠ فبـدلا من أن تجىء اللجنـة وتركيـا معترفة بالمعـاهدات كما كان يريد محمـد سعيد ، جاءت والولايات المتحدة ـ وهى قبلة أنظا رالعـالم فى ذلك العهـد ـ تنقضها وتفتح الرجاء لابطالها وتحقيق آمال الشعوب المخذولة فيها (١) ٠

ولم تستقر اللجنـة أياما حتى أحست أنها فى حصـار محـكم من المقاطعة الاجماعية لا يتخلله منفذ الى لقـاء أحد يجديها لقاؤه ، ورأى اللورد ملنر من روح الوطنية المصرية غير ما كان يعهده فى أيامه السالفة بمصر كما قال لبعض أصحابه ٠ فلجأ الى الملاينة والمصانعة ، وحاول أن يفسر غرض اللجنة تفسيرا يحافظ به على الحـدود التى رسمتها الحكومة البريطانيـة ويجتنب فى ظاهرة الكلمات المثيرة التى تنفر المصريين وأخصها ذكر الحماية، فنشر على الناس فى التاسع والعشرين من ديسمبر بيانا قال فيه :

« أدهش اللجنة البريطانية الاعتقاد الشائع بأن الغرض من مجيئهـا هو حرمان مصر من الحقوق التى كانت لها الى الان ، ولا أساس على الاطلاق لهذا الاعتقاد فان اللجنة أوفـدت من قبل الحكومة البريطانية بموافقة البرلمان البريطانى لأجل التوفيق بين أمانى الأمـة المصرية والمصالح الخاصـة لبريطانيا العظمى فى مصر ، مع المحافظة على الحقوق المشروعة التى لجميع الاجانب القاطنين فى البـلاد ٠ ونحن على يقين من أنه يمكن الوصول الى هذا الغرض مع توافر حسن النيـة بين الجانبين ، واللجنة ترغب رغبـة صادقة فى أن تكون العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر قائمة على اتفاق ودى يزيل أسـباب الاحتكاك ويمكن الأمـة المصرية من صرف كل مجهوداتها الى ترقيـة شئون البلاد فى ظل انظمة دستورية ٠

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٢٨٨ ٠

وتنفيذا لهـذه المهمة تريد اللجنـة أن تقف على كل الآراء ، سـواء صدرت من هيئات نيابية أو اشخاص يهتمون اهتماما صادقا بخير بلادهم، ويمكن ابـداء كل رأى بحرية وصراحة ، ولا رغبة فى تقييد حـدود المناقشة كما انه لا يخشى أى فـرد أن تعتبر مقابلته للجنـة تنازلا منه عن معتقداته· فانه لا يعد متنازلا عن معتقداته بمفاوضة اللجنة الا كما تعد هى متنازلة بسماعها · وبغير الصراحة التامة فى المناقشة يصعب وضع حـد لسوء التفاهم والوصول الى الاتفاق (١) · ويلاحظ القارىء ان اللجنة والصحف ترجمت العبارة الانجليزية ·

« بالانظمة الدستورية » وهى ترجمة غير دقيقة ، وسارع العقـاد الى تصحيح الترجمة الصحيحة التى قصـد الانجليز اخفاءها كانت « تحت انظمة حكم ذاتى » ولم تكن « تحت انظمة دستورية » وكان الفرق بين العبارتين كبير جـدا فى نظر الوطنيين ، لقد كان الوطنيون يريدون الاستقلال والدستور الذى يؤدى الى حكم الشـعب لنفسه ، ولم يكونوا يفكرون فى الحكم الذاتى، فالحكم الذاتى لم يكن يختلف كثيرا عن نظام الحماية الذى كان قائما قبـل الثورة وكان من أهم أسباب الثورة ··

نشر العقاد هذا التصحيح فى « الأهرام » التى كان يعمل بها ثم استقال من « الأهالى » ·· فكان لهـذا الاختلاف فى الترجمة شـأن فى اختلاف الرأى بين خطـة سعد بعد عودته من مفنـاه وخطة عدلى فى موقفهما من اللجنـة فأدى ذلك الى فشل اللجنة آخر الجولة الحادة العنيفة ، اذ رفضتاقتراحاتها حين عرضت بعد ذلك على المصريين وحل محل هـذا البيان تصريح ٢٨ فبراير ليكون اساسا لحكم مصر ··

ويذكر العقاد فى كتابه عن سعد زغلول تفاصيل هذا الاختلاف حـول الترجمة (٢) · فقد قال عدلى فى خطاب له الى سعد مكتوب فى التاسـع والعشرين من يناير : « رأينا قبل عمل أى شىء ان نعجل بالكتابة لتوضيح نقطة هامة كان لها بحق أثر كبير فى قراركم الذى اتخذتموه · وهذه النقطة هى ما فهمتموه من أن بلاغ اللجنـة ضيق الغاية من المناقشة فجعلها (وضع نظـام حكومى فى حـدود الحكم الذاتى) مما جعلكم تعتقدون أنه مع هـذا

---

(١) العقـاد ، سعد زغلول ـ ص ٢٨٩ ·

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩٠ ·

التحديد لا تنتقل المسألة المصرية من مركزها فـلا ترتفع به الحماية بـل تتأكد ٠ والواقع انه حصلت بيننا وبين اللورد ملنـــر مناقشة فى هـــذا الموضـوع وأكـد لنـا أن النص الانجليزى ليس معنـاه الحـكم الذاتى ٠

بل معناه الحكومة الدستورية وان الغرض من ذكر هذه العبـــارة فى البلاغ بيان ان الحكومة الانجليزية لا يصح أن ترتبط بمعاهدة حكوميـة لا تكون ذات نظام دستورى ، وكذلك كانت الترجمة العربية الرسمية وفـق هذا التفسير ، ولولا هـذا لكانت احاديثنا مبنية على غير أسـاس ، ولما جاز لنـا أن ننقلها اليكم ونستنتج منها ما استنتجناه » ٠

والقرار الذى اتخذه سعد وأشـار اليه عدلى فى الخطاب المتقـدم هو قراره الذى نشره فى بلاغ بعث به الى مصر عقب نشر اللجنة بيانها وقال فيه ما نصـه :

يحاول الأقوياء بجميع الوسائل أن يأخذوا منكم رضاء بحمايتهـم ليزدادوا قـوة ويزيدوكم ضعفا ، فـلا تنخدعوا اذا وعدوكم ولا تخافوا اذا هددوكم ، واثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام فهو أمضى سلاح فى أيديكم وأقوى حجة لكم ، فان لم تفعلوا ــ وليس فى قوة ايمانكم الوطنى ما يجعل احتمالا لذلك ــ خذلتم نصراءكم وأهنتم شهداءكم وحقرتم ماضيكم وأنكرتم حاضركم ومددتم للرق أعناقكم وحبنيتم للذل ظهوركم وانزلتـم بأمتكم ذلا لا يرفع منه عـز ، وان تفعلوا ــ كما هو أكبر ظنى فى عظيـم اخلاصكم ومتين اتحادكم وقـوة وطنيتكم ــ فقد استبقيتم لانفسكم قوة الحق واعددتم لنصرتكم قـوة العدل ٠ فلا تذلوا وان قهرتم ، ولا تخشـوا وان ظلمتم ، ولابـد من يوم يعلو فيـه حقكم على باطـل غيركم ، وينتصر فيـه عدل الله على ظلم خصومكم ، وتتحقق باذن الاله القدير آمالى وآمالكم فى الاستقلال التام (١) » ٠

وقد دارت مناقشـة بين عدلى وسعد فى تفسير العبـــارة الانجليزية وما احتوته من الاشارة المزعومة الى الانظمة الدستورية فأعرب سـعد عن شكوكه فى خطاب الحادى عشر من فبراير الى عدلى باشا اذ يقول : « ٠٠٠

---

(١) العقاد : سعد زغلول ٢٩٠ ــ ٢٩١ ٠

نعـم ان ترجمتـكم عبـارة الحـكم الذاتى بالحكومـة الدسـتورية هى الاصـح ولـكن صـحة هـذه الترجمـة فى نفسـها لا تحمـل على تعديل قرارنا لان هنـاك اسـباب اخرى غيرها ، ولان ايرادها فى المكان الذى وردت فيـه من البلاغ مع عـدم اقتضاء المقـام لها بعد التصريح فيـه بأن مامورية اللجنـة هى التى صورتها الحكومة ووافق عليها البرلمان ويوقـع فى الذهن بأن المقصـود بها هو المعنى الذى فهمناه • والقـول بأن القصـد منها انما هو ألا يكون الاتفاق الا مع حكومة دسـتورية لا يتفق فى ظاهره مع كون هذه العبارة وردت على انها نتيجة للتعاقد لا وسيلة له ، ومع ذلك فاذا كان القصـد منها هو كمـا يؤكد جنابه من أن الحكومة الانجليزية لا يصح ان ترتبط بمعاهدة الا مع حكومة ذات نظـام دسـتورى – لزم قبل كل شيء وضع هـذا النظـام لتشكيل حكومة دستورية تكون أهلا للتعاقد على تحديد العلاقة بين مصر وانجلترا (١) » •

وما أن غادرت لجنـة ملنـــر مصر حتى عادت السـلطات الى فـرض قيود الرقابة القديمة على الصحف ، بعد أن كانت قد خففت هـذه القيود الى حـد ما اثناء وجود اللجنة وذلك حتى يمكنها تفهم الموقف على حقيقته •• فاحتجبت الصحف الوطنيـة ثلاثة أيام احتجاجا على الرقابة والاحـكام العرفية ، ثم استانفت دفاعها عن القضية القومية •

ولم يجـد المحتلون بـدا من الاتصال بسعد زغلول ، فسافر الوفـــد المصرى من باريس الى لندن ، حيث بـدأت أول مفاوضات رسمية ، أسفرت عن مشروع نهائى للاتفاق قدمه ملنر ورفضـه سعد • وكان أكثر أعضـاء وفد المفاوضات اختلفوا معه فى الرأى ، فلم ير بـدا من الرجوع الى الامـة ، وبعث لهـذا الغرض عددا من أعضاء الوفـد الى مصر من بينهم عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود • ومن ثم فتحت الصحف باب المناقشـة فى المشروع فقامت كل من « الأهـرام » و « الاهالى » بحملة منظمة عليـــه لتثبت فسـاده ، وهنا ساهم العقـاد مع غيره من الكتاب والصحفيين فى هذه الحملة المنظمة • نذكر منهم عبد القـادر حمزة ومحمد حسين هيكل ومحمد توفيق دياب ومحمود عزمى • وقد بدأت هـذه الحملة فى اليـوم الثانى عشر من سبتمبر ١٩٢٠ وانتهت فى العاشر من اكتوبر من نفس السنة ، وكلهـا بعنوان وحـد هو « الرأى فى مشروع الاتفاق » • وكان العقاد مطلق الحرية فيما يكتب فى صحيفة « البـلاغ » آنـذاك ، ونرجح أنه كان صاحب الفكرة

---

(١) العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ •

البارعة التى ظهرت فى الاهالى حين عمدت الى نشر نـداء لسـعد زغلول ، وهو النـداء الذى صارح فيه الأمـة آخر الأمر برأيه فى مشروع ملنـر · وقد دأبت الاهالى على نشر هـذا النـداء بصفحتها الاولى فى عشرة أعـداد من أعدادها وقعت تواريخها بين الحادى شر من شهر اكتوبر واليوم الاخير من هـذا الشهر سنة ١٩٢٠ ·

وقد صمدت الاهالى ـ فى الفترة التى كتب فيها العقـاد ـ وراء سعد ، وفى سبيل ذلك انتقدت موقف لطفى السيد من مشروع ملنر · وقد لاحظ أنه ـ ومعه عدلى يكن ـ يعلقان على المشروع تعليقا يتفق ووجهة نظر ملنر (١)·

وقطعت المفاوضات وشاع فى ذلك الوقت أن الوفد المصرى نفسه منقسم الى رأيين : أحدهما شديد فى المطالبة بحق الأمة ، والآخر ظاهر اللين فى هذه المطالبة · وهكذا ظهرت بوادر الشقاق فى صفوف القادة فدعت « الأخبار « لأمين الرافعى الى التمسك بوحدة الأمـة ، وعلقت « الأهالى » بقولها : أما الاول فهو الوفد الذى وكلته الأمة عنها وأما الثانى فقد انحلت عنـه وكالة الأمة ، لأنه لم يبق وفيـا لها بشكل من الاشكال (٢) ·

وتوالت المقالات فى صحيفة الأهالى على هذا النحـــو حتى تحولت فى النهاية الى مساجلات دارت بينهما وبين الصحف الاخرى ومنها المسـاجلة التى دارت بين « الأهالى » و « الأخبار » (٣) » ·

---

(١) الأهالى : يوم ٢١ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ العدد ٣٠٩١ ·

(٢) الأهالى : يوم ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٢٠ العدد ٣٩٧٠ ·

(٣) راجع : الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفيه جـ ٨ ص ١١٦ ومابعدها ·

فى « البـــلاغ »

وأصبح فى مصر جبهتان سياستان متعارضـتان ، وتتمثل الجبهـــة الأولى فى سعد زغلول زعيما للوفـد ، وتتمثل الجبهة الثانية فيمن انشقوا عليه بزعامة عدلى ٠٠ وانعكس هذا الموقفبوضوح على الصحافة ، فأصبحت « الأهالى » لســان جبهة سعد بعد عودته من اوربا ، واستتبع ذلك انتقالها الى القاهرة فى خريف عام ١٩٢١ ٠٠ وفى القـــاهرة عطلت ثم توقفت عن الصدور بعد أقل من عام ٠٠ وكان صاحبها (عبد القادر حمزة) يصـــدر صحفا بديلة لهـا مثل (المحروسة و (الأفكار) فتعطلها السلطات كذلك ، حتى اصدر (البلاغ) فى اول عام ١٩٢٣ ٠

وتألف فى مصر حزب جديد كان أعضاؤه يمثلون جبهة عدلى يكن التى انشقت عن الوفـد بزعامة سعد ، وأطلق على هـذا الحـزب « حزب الاحرار الدستوريين » برئاسة عدلى يكن باشا ٠٠ بعد أن كان بعض قادته قـــد ساهموا فى استصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ٠٠ وهـــو التصريح الذى وصفه ســعد فى منفاه بأنه « نكبة وطنية كبرى » ٠٠ وقد أصـدر حـزب الأحرار الدستوريون جريدة (السياسة) التى رأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل ٠

ويعتبر حزب الأحرار الدستوريين امتداد لحزب الأمـة القـــديم ، وأعضاؤه نفس الأعضاء تقريبا ، وقد قام هؤلاء الاعضاء فى ٣ ابريل ســنة ١٩٢٢ بتشكيل لجنــة من بينهم لوضع الدستور ، وكان هذا الدستور الذى صـدر فى سنة ١٩٢٣ م مكسبا من مكاسب ثورة ١٩١٩ فاصبحت الأمـــة بمقتضاه (مصدر السلطات) الا أنه لم يلغ سلطة الملك فأصبح تدخل الملك بذلك شرعيا فى شئون الحكم ٠

ورفع ثروت باشــا مشروع الدســتور الى الملك فؤاد ليقوم باعلانه ، فأخذ الملك فـؤاد يماطل ويسوف بهدف العبث بالدستور ، فحاول ان يحذف عدة فقرات من الدستور ، منها الفقرة التى تنص على أن (الأمة مصـــــدر السلطات) وكذلك الفقرة التى تقول (ان الوزارة مسئولة أمام البرلـــان) وحاول توسيط عدلى يكن للحـد من هذا الاتجاه الديمقراطى ولكن عدلى أبى ان يتدخل ، ولمـا رأى الملك فؤاد اصرار ثروت باشــا على المضى فى اصـدار

الدستور أخذ يكيد لوزارته ليجـد التكأة للاطاحة بها ونجح فعلا فى حمـل ثروت باشـا على الاستقالة ، وكان ذلك فى التاسـع والعشرين من نوفمبر ١٩٢٢ حيث جاءه الأمر الملكى بقبول الاستقالة بعد نصف ساعة من رفعها ٠ وفى اليوم التالى قامت وزارة توفيق نسيم التى كانغرضها الاول تعـديل الدستور وتوسيع حقوق الملك فى التبعة الوزارية وتعيين أعضـــاء مجلس الشيوخ ٠ ثم استقالت وزارة توفيق نسيم لان الانجليز تخطوها ووجهوا الى الملك انذارا يطلبون فيــه حذف النص الخاص بالسـودان من الدســتور والاكتفاء فيه بلقب « ملك مصر » بـدلا من « ملك مصر والسودان » ٠ وولى الوزارة بعد توفيق نسيم ، يحيى ابراهيم « وهو قاض نزيه ولكنه رجـــل ضعيف كان خشى كثيرا ان يتم تعديل الدستور المطلوب على يديه وضاعف هـذه الخشية قوله فى اليوم التالى لتأليفه الوزارة : » ان كان الناس قـد تكلموا كثيرا عن التعديل الذى أدخل على الدستور وتساءلوا عما اذا كانت وزارتنا تسـلم بالتعديل الذى قد أدخلته الوزارة النسيمية فتصدر الدستور كما عدلته أم ترجعه الى اصله كما وضعته اللجنة فان ما وضعناه نصـب عيوننا هو أن يحقق الدستور رغبات الامة كل التحقيق (١) ٠ ولكن السخط اشتعل على يحيى ابراهيم فى كل مكان وتجددت حوادث الاحتجاج ٠ فاحتج حـزب الاحرار الدستوريين واحتجت معه الاحزاب الأخرى مجتمعة ٠

وقد كشف عباس العقاد فى هذه المعركة الكبرى من أجل الدستور القناع عن دسائس الملك التى كان يحيكها خفية للدســتور وكتب فى « البـلاغ » يقول « الدستور كما كتب يعلن ، واذا كانت به أخطاء البرلمان يناقشها » ٠

وقد نشر العقاد فى سبيل احباط مسعى الملك فـؤاد مقالتين فى (البلاغ) خلاصتهما وجوب ابقاء الدستور كما وضعته اللجنة دون أن يمس حـــرف فيه بتعديل وأنه اذا لزم تعديله فليكن ذلك من اعضاء أول مجلس نيــابى تنتخبه الأمة على وفق ما نص عليه الدستور نفسه فى امر تعديله (١) ٠

وتنبهت الأمة الى ما يراد بعد هاتين المقالتين ، وتشجع أعداء الحكومة فكادوها مستندين الى الأمة ، وسرت الحملة على التعـــديل من مصر الى بريطانيا فقالت التيمس بالعبارة الصريحة ان الملك فـؤاد هو المعطل لصدور

---

(١) راجع « سعد زغلول » للعقاد ص ٤٢٥ ٠

(١) محمد خليفة التونسى : العقاد محطم الأصنام ــ من كتاب (العقاد دراسة وتحية) . ص ٢٩٦ ٠

الدستور ، وساندتها صحف اخرى من صحف الاحرار والمحافظين ، وتماوج الرأى العام فى مصر حول هذه المسألة فثبت للوزارة أن التعديل على المبادىء التى يريدها القصر عسير غير مأمون العواقب وصدر الدستور بغير تعديل كما وضعته اللجنة فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ (١) ٠ فيما خلا النصوص المتعلقة بالسودان ٠

ورفعت الأحكام العرفية فى ٥ يولية سنة ١٩٢٣ ، وعاد سعد واعضاء الوفـد من المنفى فى نهاية شهر ابريل من نفس العام ، ودارت معركة انتخابية فاز فيها الوفـد باغلبية ساحقة فتولى الحكم ٠٠ ومنذ ذلك الوقت شـهدت مصر عهدا جديدا فى الحياة السياسية ، تميز بوجود عدد من القوى والتيارات المتعارضة التى اشتد الصراع فيما بينها ٠

وهذه التيارات هى ـ الوفـد ـ فى المحل الأول ويضم الأغلبية الكبرى من الشعب ويتمسك بالحياة الدستورية التى يتيحها دستور سنة ١٩٢٣ ويقف فى وجه تصريح ٢٨ فبراير والمحتلين والسراى ٠

ثم « الاحرار الدستوريون » وحزبهم يضم كبار الملاك وبعض المثقفين على نحو ما كان حـزب الأمة ٠ ويقف كما كان يقف الحزب القديم ، موقف الاعتدال من المحتلين وموقف العـداء الظاهر او المستتر حسب الاحوال من السراى ونزعتها الى الاستبداد (١) ٠

أما « الانجليز » فموقفهم هو اضعاف شوكة الحركة الوطنية وتشجيع العناصر المعتدلة واستخدام السراى بقـدر ما تسعفهم الظروف لتحقيـــق أغراضهم ٠ ووقف العقـاد منذ اللحظة الاولى الى جانب الوفـد ، ويقتضينا الانصاف هنا ان نقول أن العقاد انما ظل يدافع عن مبادىء الوفد برأسـة سعد زغلول لأنها تتفق مع مبادئه فى الدفاع عن الحرية والاستقلال ومطالب الأمـة ٠ وهنا نستطيع أن ننزع عنه صفة الحزبية التى تلصق بـه خطأ ، وسنرى على طول هذا الكتاب كيف أن العقاد لم يتقيد برأى الحزب الذى دافع عن مبادئه الوطنية وجرد قلمه من أجل هذا الهدف ٠

ويمكن القول أن مقالات العقـاد فى الدفاع عن الدستور جعلته كاتب الوفـد الاول حتى قربه سعد زغلول إليه ووصفه بأنه « كاتب جبار المنطق » ولكن هذا التأييد والاعجاب الشـديد بسعد زغلول ـ كما يقول عبد الرحمن

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٤٢٦ ٠

صدقى – يرجعان الى ما قبل زعامته بعشر سنين ، ايام اشتغال العقاد سنة ١٩٠٨ محررا فى صحيفة الدستور التى تنتمى للحزب الوطنى ، وعلى الرغم من هذا الانتماء فان صاحب الدستور محمد فريد وجدى ، فى اخلاصه لحرية الرأى وصدق نزاهته ، سمح له بصدر الجريدة لنشر حديثه الذى آجراه مع سعد وهو وقتذاك ناظر للمعارف ، فاتيحت له بهذا الحديث فرصة الدفاع عن اخلاصه لمشروع الجامعة المصرية مع انه كان موضوع حملات الحزب الوطنى (١) ٠

ويحدثنا الدكتور لويس عوض (٢) عن العلاقة بين سعد والعقاد فيقول: « أما ولاء العقاد لسعد زغلول شخصيا ومبدأ ، فقد كان أشبه شىء بعبادة الأبطال ، ومع ذلك فان هذا الولاء لم يجعل من العقاد مجرد تابع مجرد من الارادة يتخذ من زعيمه صنما ، بل كان لا يتردد فى مجاهرة سعد زغلول بمعارضته كلما وجد موطنا للاختلاف معه مثلما حدث عندما رفض العقاد ان يعلق على خطبة العرش سنة ١٩٢٤ على اساس عدم اقتناعه بأن عبارة « الأمانى القومية فى السودان » الواردة بها تعبر بوضوح عن حقوق مصر٠ ولما يشتبك سعد مع العقاد فى نقاش طويل حول هذه النقطة يقول الاول : « لو حاسبنى كل فرد فى الأمة حسابك لعجزت عن اعباء وكالتى عن الأمة » ، فأجابه العقاد بقوله : « ولكن ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد » فابتسم سعد وقال : « صدقت ٠ ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد » ٠٠ وهكذا تميز العقاد باستقلال فى الرأى وصلابته فى الدفاع عنه ، وكانت مبادئه بعد ثورة ١٩١٩ هى مبادىء الوفد الاولى التى وضعها سعد زغلول ، ، ووكلته الأمة للمطالبة بها ، وهى الغاء الحماية والسعى لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان ٠ فهو اذن لم يكن حزبيا بالمعنى المعروف ، ولم ينضم الى حزب من الاحزاب ، وانما كان يدافع عن مبادىء الوفد برآسة سعد زغلول ولا يستمد الرأى من احد ، ويشترط ذلك على كل صحيفة يعمل بها ، وكانت الصحف تقبل منه هذا الشرط ٠ فكانت مقالاته السياسية تنشر دون أن يطلع عليها رئيس التحرير أو صاحب

---

(١) عبد الرحمن صدقى : ذكريات فى ذكرى العقاد – مقال بمجلة الهلال ابريل سنة ١٩٦٧

(٢) لويس عوض : دراسات عربية وغربية ٠

الصحيفة ، ولم يطلب منــه الكف عن الكتـــابة او تخفيف الحملات ضــد خصومه فى عهــد الزعيم الراحل سعد زغلول (١) ٠

وفى هذه الأثناء كان عبد القادر حمزة ، قد أصدر صحيفة « البلاغ » فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ ، وكانت وزارة نسيم باشــا هى التى رخصت للبلاغ بالظهور ، وكانت الوزارة النسيمية تتقرب الى « الأكثرية » بيــد أن هــذا التقرب لم ينفعها طويلا فى تخدير الأمة وتهيئة الجــو لتعديل الدستور ذلك التعديل الذى تضيق من حدوده ، ويكاد ينقصه من أساسه ، وهو الاعتراف بسلطة الأمــة والتبعة الوزارية ٠٠

ويلخص لنا العقاد مناورات الوزارة النسيمية فى التقرب الى الاكثرية ، بأنه لــما أحس رؤساء الوزارات والمرشحون لرآسة الوزارة أن رشدى وعدلى وثروت وأصحابهم قــد احتكروا الميدان فى السياسة المصرية تألبوا حزبــا واحدا على مقاومة هــذا الفريق ، وأصبحوا فريقا آخر يرأسهم محمد سعيد وأحمد مظلوم وتوفيق نسيم ويوسف وهبة واخوان هذا الطراز ، واصبح فى مصر على هــذا التقسيم فريق وزارى يصح أن يسمى بالمدرسة التركية وهم محمد سعيد وأصحابه ، وفريق آخــر يسمى بالمدرسة المتفرنجة هــم عدلى وأصحابه (٢) ٠

« وبحكم العــداء بين الفريقين أصبح لزاما على « المدرسة التركيــة » أن تخطب ود الوفد وتتقرب اليه ، وتلوذ بالقصر الملكى لتستند اليه فى وجه المعارضة المكشوفة « للانجليز لعــدلى وأصحابه ٠

وهذا سر الصداقة التى كان يبديها محمد سعيد وتوفيق نسيم واحمد مظلوم لسعد زغلول بعد ان كانوا جميعا يحاربونه لا يتقدمون الى مساعدته بعمل من الاعمال ٠ فسعى محمد سعيد فى انشاء وفــد غير الوفد السعدى ، وأبى توفيق نسيم أن يوقع التوكيلات القوميــة ، ولبث احمد مظلوم على صداقته للاثنين ٠

« فلمــا جاء توفيق نسيم عقب عبد الخالق ثروت المجاهد بعداء ســعد زغلول وانصاره واتبع سياسة التقرب الى الوفد ، وكتب مذكرته يطلب فيها الاعتراف بالكثرة القومية واستقلال قبل أن ينسخ الدستور وتنكشف أغراضه الخفية ٠ بلغ ذلك كله الى سعد فى جبل طارق وهو يعيد من مجرى الحوادث

---

(١) محمد طاهر الجبلاوى : فى صحبة العقاد ص ٩٠ ٠

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٤٢٣ ٠

ووسائل الاستقصاء الوافية فكتب اليــه البرقية التى يقول فيها : « انكم بعملكم الشريف المفعم بالوطنية والحكمة استحققتم تقدير الوطن » ٠

وفى هذه الاثناء كان عبد القــادر حمزة قد استطاع الحصول على ترخيص له من وزارة نســيم باشا باصدار جريدة (البلاغ) ، وكما بارك سعد زغلول الوزارة النسيمية من جبل طارق وهو بعيد من مجرى الحوادث ووســـائل الاستقصاء الوافيــة ، كتب برقية الى البلاغ يقول فيها :

« يسعدنى ان يظهر للأهالى خلف يملأ ما تركت من فراغ ، ويستأنف ما بدأت من جهاد ، ينشر الحق فى دعوته ويهزم الباطل فى دولتــه ٠ يصـــور شعور الامة بذلك القلم الشاعر ، ويشرح امانيها بذلك الاسـلوب البـديع الباهر ، سرنى ان يكون لنــا بلاغ يحرره عبد القادر » ٠

وهكذا بارك سعد زغلول فى منفاه جريدة (البلاغ) وأصبحت فى ظاهرها صحيفة الوفـد ولسانه الاول ، وكان عباس العقاد لهـذا السبب وحده كاتب (البــلاغ) الاول ، يكتب فى كل يوم مقالا سياسيا يعتبر مادة اساسية من مواد الجريدة ٠ وكان العقاد يحتل الصفحة الاولى على الدوام وكثيرا ما كان يملأ هذه الصفحة بأكملها ٠

واستمرت الحـــرب بين الوفـد وخصومه من الاحـــرار الدستوريين وغيرهم ٠ وكان قلم عباس العقاد أقوى سلاح استعان به سـعد زغلول فى تلك الحرب فكانت مقالاته الســـياسية تنشر دون أن يطلع عليهـا رئيس التحرير وصاحب الصحيفة وكانت الصحف التى يحرر فيها العقاد تنفـذ فور صدورها بدقائق ولاأقول بساعات(١)٠ويذكر لنا الأستاذ العوضى الوكيل انه اشترى نسخة من أحدى هذه الصحف من ميدان محطة الرمل بالاسكندرية فى يوم صدورها نفسه بعشرة أمثال ثمنها ، « نعم اشتريتها بخمسة قروش وكان ثمنها فى ذلك الوقت خمسة مليمات » مما يوضح الأثر الضخم الذى كانت تحدثه مقالات العقــاد كسياسى مناضل فى ذلك الحين ٠

وقد كان العقــاد عنيفا مع خصوم مبادئه التى آمن بها ممثلة فى مبادىء الوفد وقد كتب أحد كتابهم المشهورين (ابراهيم هلال بك) كلمة عن العقاد قال فيها « لـما يئس الوفـد من مناقشتنا بالبرهان والحجة لجـأ الى ذلك الوحش الرابض فى جريدة البلاغ ففك عنه السلاسل والاغلال ، واطلقه علينــا يفتك كيف شــاء » (١) ٠

(١) محمد طاهر الجبلاوى : فى صحبة العقاد ص ٩٥ ٠

وكان من المتفاهم عليـه حين صدور البلاغ ان تخدم سياسة الوزارة النسيمية فى أمـر الدستور الذى طواه القصر فى انتظار الفرصـة لتعديله ، وهنا افترقت خطة البلاغ وخطة كاتبها الاول (عباس العقاد) افتراقا ثابتا يسهل الرجوع اليـه ، حين أخذ على الوزارة النسيمة السبيل فى (البلاغ) فأعلن فى مقالته السابق الاشارة اليها ، الدعـوة الى تنفيذ الدستور واجتناب التعرض لاحكامه ومبادئه ، وليكن تعديله بعد ذلك على أيدى النواب المنتخبين اذا وجدوا فيه موضعا للتعديل » ٠

وقد استمر العقاد يشارك فى تحرير البلاغ منذ انشائها وصـدورها فى الثامن والعشرين من يناير سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٣٠ ٠ حتى اذا صدر البلاغ فى سنة ١٩٣١ باسم (البلاغ الجديد) لا يكتب فيه شيئا حتى سنة ١٩٣٧ ٠٠

وقد انتهت الفترة الأولى التى قضاها العقاد فى البلاغ ، بتعطيل البلاغ بعــد صــدوره وقـد جـاء فى صـفحة البـــلاغ فى قـــلم المطبـوعات أنــه فى « ١٥/٦/١٩٣٠ صـــدر قـــرار مـــن مجـلس الوزراء (فى وزارة اسـماعيل صـدقى) بتعطيـل البـلاغ نهائيـا ٠ وذلك تطبيقا للمادة رقم ١٥ من الدستور وهى تخول للحكومة ـ وقاية للنظام الاجتماعى ـ أن تتحلل مما قيدها به فى شأن حرية الصحافة (١) ٠

ثم عاد البلاغ الى الصدور بعد احراج العقاد واخراجه منه ، وبقى منتظما فى صدوره عدة شهور ٠٠ واحتجبت ـ بدلا منه ـ صحيفة كوكب الشرق التى نشر العقاد فيها مقالاته ثلاثة أيام متواليات ، وظلت محتجبة طوال الوقت الذى انتظم فيه صدور البلاغ ٠

وقد ظهر تعاطف العقاد الشديد للوفد ، ضد كتاب الأحزاب الأخرى ، فى جوانب كثيرة منها هذا اللون من الهجاء السياسى الحاد الذى يقـــوم على السخرية المرة ، وقد مكنت العقاد حدة مزاجه وقوة بيانه مـن مهـارته فى استخدامه السخرية اللاذعة ضد كل أعدائه طوال اشتغاله بالسياسة ٠

وقـــد اســـتخدم العقـــاد أسـلوب السـخرية مـــن الأحـــزاب ومن النداءات التى تصدر عنها ٠ وذلك ـ كما يقول الدكتور عبـد اللطيف حمزة ـ عن طريق كتابة هذه النداءات بطريقة جديدة يراد بها عكس المعانى التى تشتمل عليها (٢) ٠

---

(١) راجع صفحة البلاغ فى قلم المطبوعات ـ كتاب (أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ١٧٠)
(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ١٩٧ ٠

وثمة طريقة اخرى استخدمها العقاد فى مقالاته السياسية بالبلاغ . وهى طريقة التساؤلات » وذلك بهدف النيل من خصوم الوفد واضعاف مركزهم أمام الشعب وقد سلك كل هذه الطرق فى (البلاغ) سعيا وراء نجاح الوفد فى معركة الانتخاب ومن أمثلة الطريقة الاولى هذا المقال الساخر :

نـــداء الاحرار الدستوريين

مترجما الى اللغــة العربيــة (١)

وقد استهل العقاد هذا المقال بنداء الأحرار الدستورين كما ورد فى جريدة السياسة ثم قال :

هذا كلام لا بأس به اذا صدر من غير هؤلاء ٠ اما وقد صدر منهم فنحن نترجمه فى اللغة العربية ليفهمه الناس كما ينبغى أن يفهمه ، ويقـرأوا من السطور ما يجب ان يقرأوا فنقول :

أيها المصريون :

نناديكم اليوم وما ناديناكم قط ولا عرفناكم قبل اليوم ، ولا توجهنا بالنداء والابتهال الى غير السادة الانجليز مصرفى الاقدار ، ومقلبى الليل والنهار ٠ ولكن الانتخابات تلجئنا اليكم ، والضرورة تسوقنا الى مخاطبتكم، والمنفعة تجنح بنا الى طريقكم ٠ فاسمحوا لنا ان نتوسل بكم الى ارضاء الانجليز على حسابكم ، وأن نأخذ من ايديكم السلطة التى نرغم بهـــا انوفكم ٠ فاقبلوا بالله ان نفضلكم ولو يوما واحـدا هو يـوم الانتخـاب الذى أحوجنا اليكم ، وان نستغل فى ذلك اليـوم تلك البلاهة التى طالما اعتقدناها فيكم ٠ ثم اصنعوا بعقولكم ما تشاءون ، أودعوها لنا نصنع بها ما نشاء ٠

أيها المصريون :

مبدؤنا مبدأ الصدق فى الوعد ، واتباع القول بالعمل ٠ والدليـــل على ذلك أننا نسمى أنفسنا الأحرار الدستورين ، وما تركنا للناس حريتهم قط ، ولا وصلنا الى الحكم يوما عن طريق الدستور ٠

ولنورد لكم برهانا أقرب الى الاقناع وأصرح فى المقال :

---

(١) البلاغ : يوم ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ ــ العدد ٥١٢ ٠

لقد وعدنا الانجليز أن تثبت أقدامهم فى مصر ، وأن نمكن لهم فى رقاب أهلها . فهل أخلفنا لهم وعدا أ وحنثنا لهم فى يمين ؟ ألم يرحب وزاؤنا بالحماية ؟ ألم يعدوها من نعم الله وبركاته عليهم وعلى مصر ؟ ألم نعبث بوحدة الأمة حين جاء ملنر لتنظيم الحماية فأيدناه ، وكنتم له من الخاذلين؟ ألم نتعهد للانجليز سرا فى وثيقة ٢٠ يناير سنة ١٩٢٢ بارغام الأمة على اقرار ما يريدون من توظيف وتضمين وتعويض ؟ ألم نستبشر بالتحفظات التى يحييكم منها اليوم ما تعلمون وما سوف تعلمون ؟ ألم نعد الى الحكم اليوم لنتم ما بدأناه منذ سنين ؟ فهل وفينا بعهدنا أم كنا له ناكثين ؟ وهل اتبعنا القول بالعمل أم لا نزال قائلين غير فاعلين ؟

أيها المصريون :

انتخبوا ذوى الاخلاق وذوى الكفاءات . ومن هم ذوو الاخلاق وذوو الكفاءات ؟ أمامكم فريقان فى هذا البلد : فريق السعديين وفريق الأحرار الدستوريين . فأما السعديون فقد رأوا صراعا بين مصر وبريطانيا العظمى فعلموا أن مصر أضعف جانبا وأقل نصيرا وأبعد من النجاح أملا . فبلغ من نذالة نفوسهم وسماجة وجوههم وفساد ضمائرهم وسخف أحلامهم ، ووهن طبائعهم أن يؤثروا السجون على المنصب والمنفى على الوطن ، والشقاء على الرغد ، والألفة على التزلف . فنالهم من ذلك ما يستحقون ، وسينالهم منه بعد اليوم فوق ما يعلمون . وأما الأحرار الدستوريون فأين هم من هذا الخلق الشائن وهذا المزاج المنكوس ؟ قد أوحى لهم شرف نفوسهم ونبالة مقاصدهم ، وعلو آدابهم أن ينصروا القوة ويلتمسوا جانب المنفعة ، ويدوروا مع الدهر كيف دار ، ويغتنموا رضا الانجيز ، ثم يسعوا فى ارضاء المصريين ويبتسموا للقاتل ثم يبكوا مع القتيل ، فياله من خلق عظيم .

وأما الكفاءة فانتم أيها المصريون ما برحتم ولن تبرحوا تتلهفون على وزارة تحسن فيما تحسن أن تسجل عليكم للانجليز حق حمايتهم لكم ، وحق حماية الأجانب فى بلادكم ، وحق تهديدكم فى القطن والماء ، وحق استلاب السودان الذى ما ذكرناه بحرف واحد فى النداء . وهذه - أيها المصريون - ومآثر لاتتاح لكم بغير الكفاءة والاقتدار . فأين هم أصحاب الكفاءة والاقتدار ؟ انهم - ولا ريب - هم الأحرار الدستوريون فالأحرار الدستوريون .

انتخبوا أيها المصريون . وأعلموا أن شفاعتنا اليكم هى التضحية بمصر لا التضحية لمصر . شفاعتنا اليكم الضحايا التى أهدرناها ،

والنوس التى ازهقناها ، والاقلام التى حطمناها ، والسجون التى ملأناها ، وكبد الأمهات التى ادميناها ، ودموع الآباء التى سفحناها ، وآجال الشباب التى اعتصرناها ٠

أيها المصريون :

لكم عقول وقلوب وضمائر : ولكن ليتكم بلاعقل ولا قلوب ولاضمائر ٠ فان هذه المعقول وهذه القلوب وهذه الضمائر لهى السد الذى يقف بيننـــا وبينكم ، وهى السبيل الذى يتطرق السعديون اليكم ٠ فان أوليتمونا ما بقى لكم منها فذاك ٠ والا فقد أغنانا عنها ما أعددناه من العدة ، وتوســلنا به من الوسائل ٠ وما حاجتنا الى عقولكم وقلوبكم وضمائركم بعد اذ جعلنا الرأى لان نختار من المندوبين ، وأعدنا الحانقين على السعديين من العمد والموظفين وبعد اذ وعدنا الأزهريين باجابة المطـالب ، والموظفين بزيادة الرواتب وبعد أن حجزنا على منشورات الانتخاب وأومأنا الى النــاس بسوط العذاب ٠ فهل تجدى عقولكم وقلوبكم وضمائركم بعد هذا الاغراء والارهاب ؟

الأحرار الدستوريون

المترجم : **عباس محمـود العقـاد**

ثم فى المعركة الانتخابية التى سبقت البرلمان الثانى سخر العقاد مـن رئيس حزب الأحرار الدستورين وهو يومئذ عبد العزيز فهمى ــ وكتب مقالا بعنوان :

يحيـا الرئيس المســلوب (١)

لعلك تسأل من هذا الرئيس المسلوب ؟ هو ذلك الذى تصدقوا عليـه بالرياسة لأنهم لم يتفقوا على الرئيس ولم يجدوا أحدا غيره لسد الفراغ ينوب عن القرعة وتهون على النفس مناقشته ، ويظهر للناس اختباره بمظهر المواساة وجبر الخواطر ٠٠الخ

وأنت تعلم ان هذا الرئيس المسلوب هو المسكين عبد العزيز فهمى ٠٠ الخ

ومن هذا القبيل أيضا مقال آخر بعنوان :

عبد العزيز فهمى يخطب ٠ فهل اشتغل بالسياسة (٢) ٠

---

(١) البلاغ : يوم ٣ من فبراير سنة ١٩٢٥ ــ أنظر «أدب المقالة الصحفية جـ ٨ ص ٢٠١»
(٢) البلاغ : يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٢٥ ٠

« أعلنت جريدة التعاسة (بريد السياسة) فى مربع منمق الحواشى كاعلانات دور التمثيل والسينما أن الأستاذ عبد العزيز فهمى سيخطب خطابا سياسيا هاما · وضعت الاعلان بهذه الصورة لتلفت اليه الأنظار ، وترغب القراء فى سماعه · وكأنى بالكاتب وقد انتفخت أوداجه ، وسمعت أثناء دقات قلبه ، واستوى على كرسيه ، وشمر عن ساعده ، وطلب عامل المطبعة ليجهز أظهر مكان فى الجريدة بهذا الاعلان ، واعتقد بقدر ما سمحت له عقليته أنه يزف للأمة بشرى طالما تاقت اليها ، ويتحفها بخبر يهتز له فؤادها ، فيتهافت الناس على الحصول على التذاكر خوفا من ضياع الفرصة ولكن ــ للأسف ــ كانت التذاكر تسعى الى الناس سعيا ، وتوضع فى جيوبهم تبرعا ليتلىء السرادق ، فيسر الأستاذ شفاه الله » ·

ولم يكن موقف العقاد من حزب الأحرار الدستوريين موقف المتجنى ، فقد كانت جريدة (السياسة) تحمل لواء الحملة على الوفد وعلى سعد زغلول منذ صدورها ولم تترك موقفا لسعد الا واتخذته منفذا لهجوم عنيف بألسنة كتابها : الدكتور هيكل وطه حسين وتوفيق دياب ومحمود عزمى · ولذلك كانت مقالات العقاد وعبد القادر حمزة وحافظ عوض هى السد المنيع الذى يقف فى وجه ضربات (السياسة) · فقد اتخذت (السياسة) من شخصية سعد زغلول مجالا ضخما للهجوم فاتهمته بالدكتاتورية والتعصب لرأيه والسعى لتكوين دولة زغلولية ، وفرض سلطانه على انصاره دون أن يكون فيهم من يعارضه أو يجرؤ على ذلك ·

كتب طه حسين فى الأهرام بعنوان :

ديمقراطيــــة أم طغيـــان (١)

« ··· ولكن سعدا كان الزعيم فما كاد يعلن خلافه لخصومه وانشقاقه عليهم حتى اجتمع عليه الجمهور وسمى غيره منشقا ووصف خصومه بالمروق·

وليس ما وقع فى مصر الان الا حربا بين مبدأين مختلفين : أحدهما مبدأ قيادة الجمهور الى منفعته المحققة عن طريق النظام والقانون اى من طريق الديمقراطية المعتدلة المنظمة · والآخر مبدأ الاستئثار بما للجمهور من قوة وسلطان والاستبداد باسم هذا الجمهور وسلوك الطرق المعقولة وغير المعقولة الى اكراه الخصوم على الاذعان أو كم أفواههم وعقد ألسنتهم فان اردت عبارة واضحة موجزة فقل أن فى مصر الآن حربا بين الديمقراطية والطغيان »·

---

(١) الأهرام : يوم ٢٥ من يونيه سنه ١٩٢١ ·

ولهذا كله كان قلم عباس العقاد لا ينى فى الرد على هذه الاقلام الحزبية مجتمعة وركز هجوم على الاحرار الدستوريين الذين تخلوا عن الثورة وانشقوا عن الوفد وأخذوا يحاربونه ويميلون الى جانب القصر والانجليز ٠ وقد استمرت معارك الثورة منذ سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٤ تهدأ أحيانا وتشتعل أحيانا ولكنها لم تتوقف أبدا ٠ وخلال هذه المعركة كان العقاد دائما على اقصى اليسار فى الثورة ضد الانجليز ، وضد المرتدين من المصريين ٠

والحقيقة أن فيما كتبه الدكتور لويس عوض فى كتابه « دراسات عربية وغربية » عن تلك الاحداث التى عاصرها صبيا فى السادسة عشرة ما يلقى ضوءا واضحا عن مدى الثقل الحقيقى الذى مثله العقاد وسط « الثلاثة الكبار » فى معركة التصدى الوطنى الديمقراطى ٠ يقول الدكتور لويس عوض: « لقد تكاملت صورته فى نفوسنا نحن شباب ذلك الجيل الأبى المسحوق ، بطلا فردا حمل وحده تبعات النضال الوطنى والدستورى فى قيادة المثقفين ولولا ان طه حسين انسلخ يومئذ عن معسكر الأحرار الدستوريين وتقدم الطليعة الثورية الشعبية لبقى العقاد وحده يحمل اللواء ٠٠ هذا هو العقاد الذى عرفته عام ١٩٣١ ، وهو أيضا العام الذى عرفت فيه طه حسين وسلامة موسى ٠ وأخذ ثلاثتهم بيدى عاما بعد عام لأسير نحو النضوج ٠ بدأ ثلاثتهم فى خيالى الملتهب كثالوث من الآلهة متوجين على دولة الفكر ولكن العقاد وحده فى فتنة من الصبا الباكر ، بدا لى وكأنه كبير الآلهة غير منازع بسبب ضراوته التى لا تعرف الحدود فى قتال اعداء الشعب والحرية » ٠٠

ولقد كانت مشكلة جيل المثقفين المصريين الذين بلغوا سن الشباب فى أواخر العشرينات أن قيادة المثقفين فى تلك الفترة والتى تتمثل فى (لطفى السيد ، وطه حسين ، وحسين هيكل ، والمازنى ، ومنصور فهمى ، ومحمود عزمى ، وعبد العزيز فهمى ، بل أحمد شوقى وخليل مطران وعلى مصطفى عبد الرازق) ربطت مصيرها منذ البداية بأحزاب الأقلية التى كانت تتسع أكثر من غيرها « لتجديدات » المثقفين ونزعاتهم الفكرية التحررية التى يسبقون بها الغالبية الجماهيرية الأقل ثقافة ٠ ولما كان رجال هذه الأحزاب كحزب الأمة ثم الاحرار الدستوريين ممن ارتبطوا بالملكية المستبدة وبمهادنة الانجليز واقترنت أسماؤهم فى تاريخ كفاحنا الوطنى والديمقراطى بتعطيل الدستور واقرار حكم الصفوة بالحديد والنار ، لذا كان هذا اشكالا خطرا عزل العناصر المستنيرة فى الأمة بشكل من الاشكال عن الكفاح الجماهيرى الشعبى سواء فى وجهه الوطنى أو فى وجهه الديمقراطى ٠ لكن العقاد

وحده هو الذى استطاع أن يكون المثل الأكثر اشراقا الذى جمع فى الوقت نفسه » بين امامة المثقفين وبين الامامة الثورية ، وعلمنا أنه لا تعـارض هناك بين الثقافة والثورية ، بل وكيف يكون المثقفون طليعة الثوار · ومن هنا فقد تجسم العقاد وحده فى وجداننا كمعقل بطولى جسور وكمعقل شامخ يلوذ به الاحرار · فلما انشق طه حسين عن الأحرار الدستوريين وانضم الى اتجاه حزب الأغلبية فى اوائل الثلاثينات وشارك العقاد فى تقويض ديكتاتورية اسماعيل صدقى أصبح فى الكفاح الثورى قطبان شامخان وخرج المثقفون نهائيا من ذلك المأزق فتبلور فى مصر لأول مرة فى تاريخنـا ذلك المعنى الرائع وهو أن مكان المثقفين ينبغى أن يكون دائما فى طليعة الكفاح الثورى (١) ·

---

(١) د· لويس عوض ـ دراسات عربية وغربية ·

أشرنا الى أن الصراع فى هذه الفترة كان يتمثل فى تيارات ثلاث ، أولها الوفد وثانيها المنشقون عن الوفد الذين شكلوا فيما بعد حزب الاحرار الدستوريين وثالثها الانجليز ٠٠ وقد كان الصراع فى بداية هذه الفترة قائما بين القوى الوطنية بقيادة الوفد قبل انشقاق الاحرار الدستوريين والانجليز. ولكن هذا التصدع فى القوى الوطنية كان سببا فى تعدد تيارات الصراع ، فبدلا من أن يكون الصراع بين القوى الوطنية والانجليز ، أصبحت هناك معركة بين القوى الوطنية والانجليز من جهة ، ومعركة أخرى بين القوى الوطنية وبين المنشقين عليها من جهة أخرى وهم ما يمكن ان نسـميهم « بقوى الثورة المضادة » وقد ظهر « القصر » كقوة مضادة للثورة تحالفت فى معظم الاحيان مع المنشقين على الوفد ٠

ويرجع سر هذا التقارب الشديد بين قوى الثورة المضادة الى مقاومة « الدستور » الذى عبرت قوى الثورة الوطنية بتمسكها الشديد به عن مطالب الشعب الحقيقية فهو وسيلة لتقييد سلطة القصر الذى يطمع فى ان يملك ويحكم ، ولكن القصر كان يريد من جهة أخرى توسيع سلطانه الى أقصى الحدود ، وهنا حدث تباعد لا التقاء معه بين الشعب والقصر ، فى ذات الوقت الذى حدث فيه تقارب بين القصر والاحرار الدستوريين ، فالاخرون يريدون أن يصبح الدستور تعبيرا عـن حق الملاك أو أصحاب المصـالح الحقيقية ـ على حد تعبيرهم ـ وكانوا يرون أن الاشـتراك فى الانتخـاب وظيفة وليس حقا ٠ ومـن ثم لابد مـن اشتراط شروط له تتعلق بالمركز الاجتماعى وتمثيل المصالح ٠ بينما كان الوفد يرى ان الدستور حق الشعب عامة ، ولا بد من اشراك الذين يملكون والذين لا يملكون على حد سـواء « فى حق الانتخاب » (١) ٠

وكان العقـاد فى هذه المرحلة ـ كما يقول الاستاذ رجاء النقاش ـ يمثل اليسار الوطنى ، فى أجل صورة ٠ لقد كان هـذا اليسار الثورى يعمـل فى المرحلة الأولى من الثورة على الغاء الحماية الانجليزية والمطالبة بالاستقلال بلا هوادة من أجل تحقيق هذه الأهداف التى كانت قمة فى الثورة آنذاك ،

---

(١) راجع مقال الأستاذ كامل زهيرى بمجلة الهلال ابريل ١٩٦٧ عن (العقاد سياسيا) ٠

واستطاع اليسار الوطنى بالفعل ان يلغى الحماية الانجليزية ويحصل على استقلال « شكلى » كان فى ذلك الوقت نصر مبينا ، كما استطاع اليسار الوطنى ان يحصل على دستور ١٩٢٣ الذى دفع باليسار الوطنى نفسه الى الحكم حيث قامت وزارة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ · ومنذ ذلك الحين تركزت المعركة بين اليسار الوطنى والرجعيين ومن يقفون وراءهم فى قصر عابدين « أى الملك » وفى قصر الدوبارة « أى الانجليز » فى معركة لحماية الدستور (١) ·

وقد ارتبط العقاد بهذه الاهداف ارتباطا كليا تاما ، سواء فى المرحلة الأولى للثورة أو فى المرحلة الثانية · وكان العقاد مفكرا مناضلا من الطراز الأول ضد كل عناصر الثورة المضادة التى لم تهدأ أبدا منذ اعلان الدستور(٢)·

وقد اتخذت جريدة السياسية التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين من شخصية سعد زغلول بوصفه زعيم الثورة الوطنية للهجوم والاتهام ، وظهر هذا بوضوح بعد نجاح سعد زغلول الساحق فى الانتخابات وتوليه الوزارة ، حتى اذا ذهب سعد لاجراء المفاوضات مع ماكدونالد وتبوء بالفشل ويعود سعد وزملاؤه الى مصر لانهم لم يقبلوا من المفاوض البريطانى أية مساومة فى حقوق مصر عبر الاحرار الدستوريون عن شماتة بسعد وأعضاء الوفد تدل عليها مقالات السياسة فى ذلك الحين ·

وقد كتبت السياسة بعد وزارة الوفد الاولى ٢٨ يونية ١٩٢٤ تقول :

« فلم يكادوا يتبوأون مقاعدهم حتى انفضح ما يكنون وظهر ما يخفون فاذا اخلاصهم لمصر اخلاص لأنفسهم ، واذا حبهم للوطن حب لذواتهم واذا حقوقهم للبلاد وتضحيتهم فى سبيلها انما هى تضحية بالبلاد على مذبح شهواتهم ومآربهم · وأى مآرب وأى شهوات · أكثر الشهوات خسة وحقارة وضعة :

شهوة الجيب والبطن ، شهوة المال يستوقونه من خزانة الأمة لأنفسهم وكذلك لم تكن الا ايام حتى أظهر الوطنيون ان الوطنية عندهم هى اتهام الوطن بانفسهم وحتى كان هؤلاء الرهبان المتعففون بحب امتهم اكثر الناس شراهة ونهما وكذلك أستأسد الثعلب واستنثر البغات وكذلك ظهر هؤلاء مرتزقة لا يبغون من وراء النيابة غير جاه كاذب يدلون به على ناخبيهم وغير مال كانوا يسعون اليه عن طريق الرزق الحلال » ·

---

(١) رجاء النقاش : العقاد والثورة الوطنية ــ مقال بمجلة الكاتب ·

(٢) المرجع السابق ·

وكتبت السياسة أيضا تحت عنوان :

حكومة دستورية أم أسرة زغلولية (١)

« قال سعد زغلول : أؤكد لك ان اقرباء كثيرين وكثيرين جدا فى الغربيه وفى انحاء كثيرة من الأرياف وانما من أعماق قلبى انهم ليسوا ذوى الخبرة والكفاية والا لعينتهم فى مختلف الوظائف فأقيم بذلك ادارة زغلوية اسما ومعنى ولحما ودما ٠

انه فى حالة تساوى الخبرة والكفاءة بين قريب لى وغير قريب ٠ افضل دائما القريب لانى أثق بـه طبعا فى تنفيذ سياستى وادارة أعمال الحكومة حسب رغبتى (الليتريه ٣ نوفمبر ١٩٢٤) ٠

وقالت السياسة : ما الذى دفع سعد زغلول باشا الى مثل هذه التصريحات المدهشة وما الذى أدى به الى مواجهة الامة على عذه الصورة التى تخالف قواعد الحكم فى كل بلد متمدين ، والتى تعنى أن سعد باشا لاثقة له الا بأقاربه ٠

الجواب بسيط : ان سعد باشا يسمع الان من كل جانب أن الناس من أنصاره ومن غير أنصاره قلقون للتعيينات التى تمت وهو يعلم ان هذا القلق قد امتد الى طوائف الأمة جميعا ٠

« من حق سعد أن يقول هذا لانه يرى الامة راضية بكل ما يعمله أو يقوله ويراها راضية بنتيجة محادثاته مع مكدونالد وبانفراد الانجليز بالأمر بالسودان ٠ لا تقل لى أن ذلك غير صحيح ٠ وان الناس ممتعضون ولكنهم يكظمون امتعاضهم وشكواهم فليس من حق من فقد الشجاعة الادبية أن يكون له رأى او أن تسمع له شكوى مادام الناس يعلنون ثقتهم فالحكومه حرة تتصرف كما تشاء وتدبر الأمر كما تهوى » ٠

وكتبت السياسة بعد فشل مفاوضات سعد : (٢) ٠

« لقد أمضت البلاد ثلاث سنوات لا تسمع فيها من الكتاب والخطباء الا المطاعن الشخصية هاجم بها فريق فريقا ويسعى كل من طريقها ليتهم خصومه بأنهم مسئولون عن كيت وكيت مما حصل فى الماضى ثم لا يعرض أحد على الأمة خطته للنجاة ولا طريقه للخلاص من انجلترا مع بقاء وحدة الأمة سليمة » ٠

---

(١) السياسة : يوم ٤ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ ٠

(٢) السياسة : يوم ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٢٤ ٠

وتستمر السياسة فى حملتها على سعد فتكتب تحت عنوان :

« سعد باشا صنيعة الأنجليز (١) » ٠

ويكتب الدكتور طه حسين فى السياسة تحت عنوان :

بغـــاة (٢) ٠

فيقــول :

« واقسم لقد بغى سعد وأصحابه واخوانه فاسرفوا فى البغى وأقسـم لقد طغى سعد وأصحابه على أخوانهم فاسرفوا فى الطغيان ، وأقسم لقـد حق على كل مصرى أن ينهض لهذه الطائفة الباغية الطاغية فيردها الى طورها وينزلها منزلتها ٠٠٠ الخ ٠٠ الخ » ٠

هذه هى طريقة (السياسة) فى حربها مع الوفد وسعد زغلول ، وهى كما ترى ليست كما يصفها أصحابها بأنها « وقفت عن حدود الحجة ، تدفعها بالحجة ، والطعن تدفعه هو الآخر بالحجة ، والاتهام تدفعة بالحجة أياما متتالية موجهين أكبر همنا للكلام عن الدستور ولفت النظر اليه واستنهاض الرأى العام للتشبث بضرورة صدوره (٣) » ٠

وفى حقيقة الأمر لقد أدركت هذه (الصفوة) على حد تعبير الدكتور لويس عوض بعد تجربة الانتخابات فى سنة ١٩٢٤ وفوز سعد زغلول بالأغلبيـة وفشل أكثر العقلاء فى دخول مجلس النواب بأصوات الشعب ، ومنهم من فقد التامين بحرمان اكثرهم ما يمكن له ان يشارك فى الحيـاة العـامة لجيل كامل الا من خلال حصة الملك فى تعيينات مجلس الشيوخ أو من خلال حق الملك فى تعيين وزارات الانتقال ، « وهكذا ادركت » الصفوة « ومن يلوذ بها أنها بمعزل عن جماهير الشعب حتى فى داخل السياج الدستورى الذى أقامته بيديها ــ لقد اكتشفت من خلال تجربة انتخابات ١٩٢٤ أنها تتكلم لغة لا يفهمها الشعب الذى كان يأبى ان يفصل الكفاح الوطنى عن الكفاح الديمقراطى (٤) ٠

وهذا فى رأينا هو ما جعل هذه « الصفوة » تبتعد عن الشعب ، ويبتعد عنها الشعب لتلتف حول الوفد بزعامة سعد زغلول ، مما ولد المرارة عند هؤلاء

---

(١) السياسة : يوم ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ ٠

(٢) السياسة : يوم ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ ٠

(٣) من كلام الدكتور هيكل ٠

(٤) الدكتور لويس عوض ــ أهرام الجمعة ١٥/٣/١٩٦٣ ٠

فوصفوا اسلوبهم فى الهجوم الحزبى بالنزاهة والعفة ، وهو كما راينــا من الأمثلة يفتقر هذه القيم التى زعموا عدم وجودها الا عندهم ..

وهنا : ماذا تنتظر من كاتب الوفد الأول . هل بغض الطـرف عـن قوى الثورة المضادة فتضلل ما شاء لها التضليل ؟

أبدا .. لم يغض العقاد الطرف عن هذه القوى المضادة ، وانما حمل عصا التاديب لهم جميعا ، بوجه اليهم أشد الضربات ، حتى يئسوا من مقــارعة الحجة بالحجــة ، أو الوقوف أمامــه موقف الأنداد ، وكانت عصــاه تدلى بالحجة والدليل فى بعض الاحيان ، وفى بعضها الآخر تتزيد بالتهكم أوالسخرية أو التأنيب . وسنورد هنا مقتطفات من مقالات العقاد التى كانت تمثل عصا التاديب :

يكتب العقاد (١) :

« دع كتابهم المأجورين فالأمة لم تحفل ولن تحفل بما صنعوا ويصنعون، مرتزقة يطلبون قوتهم وقد عجزت اقلامهم عن أن تقوتهم بالصدق فراحوا يطلبون عيشهم بالختل والمداجاة ولم تحفل الأمة بكتاب مأجورين واذا شكت أو تألمت فانما تشكو مكايد ساداتهم وتتألم من دسائس مستأجريهم » .

وكتب تحت عنوان :

حزب ينفرط عقده ولا تفلح المكابرة فى رد الحياة له (٢) .

« وماذا بقى من حزب الاحــرار الدستوريين ، لاشىء الا الجريدة التى حاولت أن تروج لهم فاخفقت ولبثت الشهور والايام تنشر التهم الكاذبة حول الوفــد ورئيســه ثارا منها للهزيمة التى منى بها الحزب . وهذه الجريدة هى الشىء الوحيد الذى يذكر الناس بأن هناك حزبا كان اسمه حزب الاحـــرار الدستوريين .

وكتب ايضا تحت عنوان :

متبجحــــــون (٣)

« فات هؤلاء الائمة ان فى الرؤوس عقولا تزن الرجال وتمحص الاعمال ، فات هؤلاء الأطفال فى السياسة ، ان الناس فى مصر من ادناها الى اقصــاها يذكرون لهم سيئاتهم ولا ينسون منها واحــدة ، وهل ينسى الناس ما أفسد

(١) البلاغ : يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٢٣ .
(٢) البلاغ : يوم ٢٢ من يناير سنة ١٩٢٤ .
(٣) البلاغ : يوم أول يونية سنة ١٩٢٤ .

الدستوريون من اخلاق ايام عرائض الثقــة ، وما اذوا من احرار الموظفين انتقاما من عقائدهم الوطنية وما ظلموا من الناس لعدم انضمامهم اليهم » ٠٠

والى جانب هذا اللون من « التاديب السياسى » كان العقــاد يحمل كل يوم فى البلاغ على افتتاحية السياسة التى كان يكتبها الدكتور هيكل تحت عنوان « حديث اليوم » ويحدثنا الاستاذ انور الجندى ان العقاد كان يكتب حملته بغير توقيع تحت عنوان « حديث اليوم » كذلك ، ولم يكن النقد مفتوحا بالمهاجمة بالاسم ، غير انه قد وضع ذلك مرة او مرتين ، فقــد اشار العقـــاد مــرة الى ان هيكل كتب ما كتب وهو غير واع او انه كان فى غيبوبة ، وكان مقصــد العقــاد ان يؤكد ما كان قد نسب الى هيكل من انه كان يتعاطى بعض المخدرات ٠

وقد ذكر ذلك الاستاذ زكى عبد القادر فى مذكراته فعقب العقاد عليه قائلا : ان ذلك انما حدث فى الوقت الذى كانت جريدة السياسة تحمل عليه وتقول عنه : « انه عمود يمسح فيــــه الناس اقذارهم وانه يصـــدق عليه الوصف المسدس الذى عرف عن ابن زيدون الشاعر الاندلسى ومعناه انه ذو صــفات ست منهــا :

« انه ديوث وزنديق وسارق الخ (١) » ٠

وهذه نماذج تمثل عصــا التاديب التى حملها العقاد للاحرار الدستوريين كقوة مضادة للثورة ، ونحن لا ناخذ على العقــاد شيئا من التجنى اذا علمنا أن الانجليز كانوا يتظاهرون اذ ذاك بالصداقة بينهم وبين حزب الاحــرار الدستوريين الى الدرجة التى تجاهر بها صحيفة المورننج بست حيث صرحت بأن بريطانيا مستعدة دائمــا لتأييد اصدقائها ولوضع نفــوذها الادبى الى جانب الاحرار الدستوريين (١) ٠

لقــد اختار العقـــاد جانب الحــزب التقدمى الذى يدافــع عن مصـــالح الشــعب فى ذلك الوقت ٠٠ وليس هناك تناقض بين وقوف العقاد الى جانب حزب الوفديين فى مجابهة الســياسى لحــزب الاحرار الدستوريين ، هــذا اذا علمنــا كذلك أن جريدة السياسة لم تكن عفيفة اللسان كما يزعم كتابها ، بل ان سلاطة قلمها كانتتنال كثيرا من العقاد ومن سعد زغلول الذى تمثلت فيه الزعامة الشعبية التى وقف العقاد الى جانبها مدافعــا بذلك عن ثورة الشعب فى سنة ١٩١٩ ٠

---

(١) انور الجندى : مقال بعنوان « معارك العقاد الصحفية » بمجلة الهلال ــ ابريل ١٩٦٦

صــدر العـدد الأول من الأخبار فى الثانى والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢٠ يحررها أمين الرافعى الذى صرح منذ صدر صحيفته بأن غرضها الأول هو الدفـــاع عن القضـــية المصرية ٠٠ بيـد أن هــذه الصـحيفة قد عبرت فى تلك الفترة عن روح الحزب الوطنى ومبادئه فى الكفاح الوطنى، وان لم تكن لسانا له ، وفى ذلك يقول أمين الرافعى : « فنحن اذن نخـــدم أمة ، وندافع عن مبـدأ واحد هو الاستقلال التام لبــلادنا المصرية » ٠

وقد وقفت الأخبار الى جانب الوفد المصرى مؤازرة له ، ولكنها ما لبث ان اختلفت مع سعد ، عندما فكـر فى أستئناف المفاوضات مع ملنر قبل ان يشترط تعديل الاساس الذى تبنى عليه ، بحيث تلغى الحماية وترفع الاحكام العرفية ويقبل الجانب البريطانى تحفظات الجانب المصرى ٠ واشتد الخلاف بين الأخبار والوفـد ولكن الاخبار صمدت فى موقفها تجـاه حزب الاغلبيـة وتمسكت بآرائهـا رغم ما عانـاه الرافعى من حـزب الوفـد ومن حمـلات كتابه عليه ٠٠

وتعد معركة العقاد مع أمين الرافعى من اقسى المعارك واحدها واذا كنـا نرفض من الحزبية انها تدفع قادتها ومؤيديها الى التجنى على كل من يخرج عليهم ، فاننا نتمسك بهذا الرفض ، لان الحزبية دفعت العقاد الى شـن هذه المعركة القاسية مع صحفى نزيه خـدم الوطن اجل خدمات بكفاحـه النبيـل ٠

وهنـا نتسـاءل : هل كان العقـاد ظالما فى هذه المعركة لامين الرافعى أم أن الصراع الحزبى كان يبرر له حملتـه ؟

سنعرض أولا لجانب من المعركة من خلال مقالات أمين الرافعى والعقاد، ثم بعد ذلك نحاول الاجابة على التساؤل المطروح ٠

كتب أمين الرافعى موجها كلامه الى سعد زغلول والوفـد اثر اختـلافه معهم فيمـا أطلق عليه « تعديل الأساس » وكان سعد زغلول قد حدد موقف الوفد من مفاوضة بريطانيا ، ثم غير هذا الأساس : يقول أمين الرافعى (١) :٠

« أننا لا نعرف التسليم أمام أية قـوة ، بل أنتـم الذين عرفتموه فى مواطن كثيرة انتم وزعماؤكم وقادتكم ، كنتم فى مقـــدمة الهاتفين للحماية

(١) الأخبار : يوم ٣٠ من أغسطس ١٩٢٤ ٠

المحتفلين بضربها على مصر ، وقد فعلتم ذلك نفاقا للانجليز أو خوفا منهم ، بينما كنا نحن فى ظلمات السجون لأننا أبينا على أقلامنا التى اوقفناها على خدمة قضية الاستقلال أن تخط حرفا واحدا فى سبيل الحماية الممقوتة ٠

كنتم تمرحون فى ظل الحماية وتمتدحون حكم الحماية وتبشرون خيرا برجال الحماية بينما كنا نطوف الليل والنهار فوق الأسفلت بزنزانة سجن الاستئناف وفى معتقل درب الجماميز وبجانب المجرمين فى ليمان طرة واخيرا فى زنزانة السجن الاسود بالجيزة ٠

تحملنـــا كل ذلك لأننا آثرنا ظلمات السجون على ما كنت تنعمون بــه من الأنوار التى نظمتها الحماية ٠

تحملنـــا كل ذلك لأن ضمائرنا أبت أن تجـــارى ضمائركم فى صرف الناس عن التمسك بالاستقلال وفى تهوين أمر الحماية ٠

فهل بعد ذلك ما يحمل على القول بأننا اذعنا للقوة وخشينا بطش القوة ٠ لقد اوذينا منكم كما اوذينا من الاجنبى الغاصب ، فلم نتحول فى اى لحظة عن واجبنا لاننا لم نجعل لغير الله ولغير ضميرنا سلطانا علينا ٠ اما أنتم فقد كثر من لهم سلطان عليكم ، وها انتم اليوم تنادون بأن ســلطان الانجليز يجب ان تخضع الوزارة له ويجب ان تسلم الأحزاب لحكمه لأنه ســلطان قـــوة ٠٠

وما دامت مصر ليس لهـــا قوة مادية فلا مندوحة لهـــا عن التسليم ٠

وهذا هو السم الذى تنفثونه فى الصـــدور لتحاولوا تبرير ضعف الوزارة واستسلامها على أننا سألنا اولئك الكتاب الذين أباحوا لأنفسهم ان يحملوا راية الهزيمة والتسليم دفاعا عن الوزارة كيف تتفق تلك الدعوة الهزيمة مع شعار (الاستقلال التام أو الموت الزؤام) ٠

هل كان هـــذا الشعار مجرد أحبـــولة لغش الأمم والســـخرية منها ، والتضـــليل بهـــا حتى اذا أصـــبحوا فى كراسى الحـــكم بعد ان كانـــوا فى كراسى المعارضة ، دفنهم هـــذا الشعار كما دفنتم غـــيره من المبادىء وصـــار لا حاجة للاستقلال ولا للموت زؤاما كان أم غير زؤام » ٠

* * *

ورد عليـــه العقـــاد بمقال عنوانه :

كلمـــة الى أغـــرار اللـــواء (١)

وقد اتخـــذ العقـــاد من عبـــارة امين الرافعى « ان الوزارة المصرية لـــم

---

(١) البلاغ : يوم أول سبتمبر ١٩٢٤ ٠

نحسن أن تستخدم قوة مصر المعنوية فى اجلاء الانجليز ولا فى اضطرارهم الى الاعتذار عما فرط منهم فهى لذلك مقصرة فى واجبها مفرطه فى حقـــوق مصر » ، اتخـذ العقـاد من هذه العبارة مجالا لتعليقه :

« انك يا سيدى الاستاذ امين تعتمد على القوة المعنوية ايضا ، ولذلك تتقى حجارة الغوغاء على زجاج نوافذك ولا تحاربهم بهـذه القوة المعنوية اذا اذا هجموا على دارك بل تلجا الى قــوة الشرطه ٠

والى الآن لم تخترع يا سيدى الاستاذ امين آلة وطنية تحول بها القوة المعنوية كما تحول قوى البخار والكهرباء ٠٠

ليت للقوة المعنوية وزارة كوزارة الحربية فكنا نتقدم الى الاستاذ أمين ليتولاها ويرينا كيف كان يجردها على انجلترا ، وكيف كان يحل بها قضية أربعين سنة فى أربعين ساعة او اربعين دقيقة ، يقول الاستاذ أمين : انتم وزعماؤكم وقادتكم كنتم فى مقدمة الهاتفين للحماية المحتفلين بضربها على مصر وقـد فعلتم ذلك نفاقا للانجليز وخوفا منهم بينما كنا نحن فى ظلمات السجون : فمن هم هؤلاء يا أستاذ ؟ ان كنت تعنى سعدا فان سعدا قـد سجن من أجل مصر ونفى من أجل ثورته على الحماية ، وان كنت تعنينى انا فلقـد ضاق بى بلدى فى اشـد أيام الحماية وقد صودرت فى رزقى مـرات وهددت فى أمنى وراحتى وعرضت لى محن كثيرة فى سبيل رايى لم تعرض لك ولا جربت مثلها » ٠

* * *

وبلغ أثر الصراع الحزبى على معارك القلم مـداه حين كتب العقـــاد بعنـــوان :

الأبـــله أمين الرافعى (١)

والأبله أمين الرافعى ماذا يقول : يقول ان سعدا أخطأ بمحادثاته التى أســـفرت عن تصريـــح ٢٨ فبـــراير ، فســـياسة الانجليـــز التى بسـطوها فى الكتـاب الأبيض هى دون نتيجـة المحـادثات التى طـالب فيهـا سـعد بجميـع حقـوق البـلاد ٠ كذلك يقـول هذا الأبـلة مع أنـه يذكر قبل ذلك ببضعة سطور أن الكتاب الابيض قد ظهر ، وان الحــكومة البريطانية لم تغير موقفها العدوانى الذى وقفته حيـال السودان ٠

---

(١) البلاغ : يوم ١٠ من أكتوبر ١٩٢٤ ٠

هل غاية ما يريده السياسى المحنك والوطنى الغيور والمعارض المقدام ان يكتب هذه المطالب فى مذكرة وترسل فى البريد ، او على اسلاك البرق ولا تقال لماكدونالد وجها لوجه بكلام يجرى من اللسان وتسمعه الأذان ·

واذا كتب سعد عن ذلك وكان جواب الانجليز عليه ما أجابوا به فى الكتاب الابيض ، أيكون سعد حينئذ جانيا على مصر مضيعا لحقوقها ام يكون الزعيم الحكيم والوزير الحفيظ على حقوق البلاد ، لأنه استملى النصيحة من أمين الرافعى وجلس تحت يديه ليوحى اليه ما يكتب وما يعمل وما يقول ·

* * *

وقد كتب أمين الرافعى ردا على مقال العقاد فقال : (١)

« كان جديرا به ـ اى العقاد ـ ان يعنى بدرس موضوع جليل آخر هو الانصاف فقد حمل حملة شعواء على صحيفة الحزب الوطنى لانها كتبت مقالا تحت عنوان (الى السفهاء) ولا ندرى لماذا اختص هذه الصحيفة بحملته دون الصحف الوزارية التى تسود اعمدتها كل يوم بجميع انواع السب والشتم والاهانة هل يقرا حضرته هذه الصحف ام ان عين الرضى لا تبصر عيون الأصدقاء ·

ومن الغريب ان عبارة (السفهاء) التى يتخذها حضرة الكاتب دليلا على ان المعارضة غير شريفة وردت منذ يومين فقط فى مقال كاتب فى احدى صحف الوزارة فقد كتب يخاطب المعارضين قائلا «اذن ايها السفهاء المعارضون» ·· فلماذا تكون كلمة السفهاء فى الصحف الوزارية نقدا شريفا ، بينما يراها حضرة الكاتب فى صحف المعارضة معارضة غير شريفة ·

على أن لفظ السفهاء الذى يتقزز منه حضرة الكاتب يعد هينا جدا ونقطة صغيرة فى محيط السباب الذى يسبح فيه الان حضرات الكتاب الوزاريين، واذا كان حضرته ينشد الحقيقة باخلاص فليفتح أى صحيفة وزارية فى أى يوم وفى اى ساعة ليقرأ ما فيها من اوصاف « الخيانة والمروق والاجرام وبيع الذمم والتحريض على ارتكاب الجرائم وتلويث الأيدى بالدماء وخدمة الانجليز » وغير ذلك من الالفاظ الرشيقة والتى يستخدمها كتاب الوزارة » · انتهى ·

* * *

---

(١) الأخبار : يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٢٤ ·

ونحاول الاجابة على التساؤل الذى طرحناه فى مستهل هذا الحديث :

ـ هل ظلم العقاد امين الرافعى فى هذه المعركة الصحفيه ، ام ان الصراع الحزبى هو الذى ظلمهما الاثنين ؟

ولكن كلمة « الظلم » من أبغض الكلمـات الى قلب العقـاد وعقله ، ومن يرجع الى ما كتب العقاد منـذ نصف قرن يجد ان هـذه الكلمه اندر المفردات التى ورد فى كل ما قدم من فصول او مقالات ا وتصانيف او دواوين ، ويرجع ذلك الى شعور العقاد بالنفور من هذه الكلمـه حتى اخر حياته ، ويرى انه ينفس على المعتدى ان يرضيه بصفه الظالم من جهتها التى تكبره وتشهد له بالقـوة ، ومثلها صفة الجبروت (١) ! ٠

« فلا يكون ظالما جبارا الا من هو قوى والناس تحت قدميــه ضعاف محتقرون ! واننى لابغض ان يخــون غيرى ضعيفا محتقرا امــام متجبر متحكم ٠ فاحرى لى ان ابغض ذلك لنفسى ، فيما يخطه قلمى باختيارى ٠ ولتبلغ بأحد من الناس غطرسته ان يكون ظالما ، فلن يبلــغ بى الضعف ـ والحمد لله ـ ان اكون من المظلومين ، اذ لا فرق فى وقع الكلمتين على السمع كلمة المظلوم وكلمة الذليل (٢) » ٠

وقديما كان يقول فى هذا المعنى شعرا :

أنصفت مظلوما فأنصف ظالما

فى ذلة المظلوم عـذر الظالم

من يرضى عدوانا عليه يضيره

شر من العادى عليه الغانم

ويأبى العقــاد أن يقول عن أحـد أنه ظلمه بقلمه لانه يشهد له ـ اذن ـ بالقـدرة التى يقابلهـا اضعف والعجز منه ، ويقابلها مع ذلك أن اعقاد يبالى بحكم الذين يقبلون منـه صولة الظالم ويقبلون منه مهانة المظلوم ٠٠ ماذا كان هؤلاء يتقبلون من العقاد أن يـرد العدوان بمثله فلا ظلم هنــاك ٠ ولا ملامة على غير المعتدى المخذول ٠٠ وبمنطق العقــاد ، ليس العقاد مظلوما فى معركته مع أمين الرافعى ، فما الرأى فى زعم القائلين بأن العقاد ظـلم أمين الرافعى واعتدى عليه ؟ ! ٠

---

(١) راجع مقالا للعقاد بمجلة الهلال ـ يونية ١٩٦٣ ٠
(٢) المرجع السابق ٠

وهنا نقول أن العقـاد لم يظلم امين الرافعي ، لان الاخير لم يكن ضعيفا اعزل فى معركة القلم ، وان امين الرافعى كان صحفيا نزيها اختـار طريقـا فى الوطنية يتعارض مع طريق العقاد فى الوطنية ، والعقاد حين اشتدت نار المعركة الصحفية بينه وبين امين الرافعى ، كان اشد ما يكون ايمانا بمبادىء حزب الاغلبية وزعيمه ، وكان قد جعل من قلمه عصـا تاديب ـ كما سـبق لنو لـ لكل من يخرج عن هذا الخط ٠٠ فاذا كان امين الرافعى يتهم سـعد زغلول بالمروق عن الوطنية فما احرى العقـاد ان يدفع التهمة وان يدافع عن مبادىء امن بهـا ٠٠

ولكن ما يمكن قوله فى هذه المعركة الصحفية انها عكست وجها سـيئا للصراع الحزبى ، لان المعركة خرجت فى كثير من الاحايين عن الدفاع عن المبـدا الى السب الشخصى ، وهى تهمة لا نرفعها عن العقـاد ولا عن أمين الرافعى فكلا الاثنين سلك نفس المسلك ، بل اننـا لا نعـدو الحقيقة اذا قلنـا ان معظم صحفيى مصر فى هذه الفترة سلكوا نفس المسلك ٠٠ ذلك ان خصومات الراى بلغت فى مصر غاية ما تبلغه معركة القلم من عنف وعناء ، وسنرى من تاريخ العقـاد خلال هذه المعارك والخصومات اننا نغبطه على الانفة من مجاراة الظلم والبطش بالخصوم فى وطيس الغضب والملاحـاة ، بل على لتعـرض لغضب الانصار ايثارا لنصفة المغضوب عليهم فى معركة الأراء ـ كما حدث فى قضية « الشعر الجاهلى » وطه حسين ٠٠

فليس العقاد ـ اذن ـ بمظلوم ٠٠ وليس العقـاد اذن بظالم ٠٠

والذين ينظرون الى الصراع الحزبى وراء الستار ويكشفون عن وجـه الخصومات نية . سيتفقون معنـا فى الزعم الذى نزعمه ٠٠

والعقـاد لم يفتقر الى عاطفة « الانصاف » طوال حياته كما يتهمه أمين الرافعى ، فاذا علمنـا أن العقـاد حين كتب كتابه العظيم عن ابن الرومى ، انما كتبه لانه وجـد هذا الشـاعر الفحل مغبونا من النقاد ، ويكـاد يلحق بالمتنبىء والبحترى وأبى العلاء ، تابعا لا رائدا ٠٠ كتب العقاد هذا الكتـاب لينصف ابن الرومى ، وانصفه حق انصاف ٠٠ والعقاد حين كتب أكثر كتبه، انما دفعه اليهـا دافع الانصاف ٠٠

ولقد أنصف العقاد أمين الرافعى ، حين انتقل الرافعى الى رحمة الله سنة ١٩٢٩ وكان العقاد وما يزال مرتبطا بالوفد مدافعا عنه ٠٠ فقـد كتب العقـاد افتتاحية البلاغ فى رثاء أمين الرافعى ومما قاله له :

رأيت أمينا قبل مرض الوفاء يمشى فى الطريق ، على مهل ، فرأيت شبحا

يتماسك وجسدا قد تهدم الا قليلا ، ونفسا تمشى فى عـــالم وحدها ، وهى تشـعر بعزلها ولا تكـاد تشـعر بها من فرط الاطمئنـان اليهـا وسـيما السكينة والرضوان التى تحف بها ، فعلمت اننى رايت امينا فى قوة جسده ، وامينـا فى قـوة نفسـه ، ورايت كيف يعمر الايمان الجسوم الفانية فهى منه فى مـلا عزيز الحوزة ، منيع الجانب » ٠٠

واذا كان القول بظلم الصراع الحـزبى لكل من العقـاد وامين الرافعى وكل من سار مسيرتهما فى هذه الفترة ، فان هذه الصورة التى رسمها العقاد للصراع الحزبى تحسم القول وتؤكد الزعم (١) :

فقد تعود الناس فى خلافات الاحزاب السياسية ان يسمعوا التهمة الواحدة تقال وتعـاد من الجانبين و من الجوانب الكثيرة ٠ فكل حـزب هو الحزب المخلص العامل النافع الرشيد ٠ وكل من عداه هو الحزب المغرض المتواكل الذى لا ينفع ولا يهتدى إلى صواب ٠ واذا كانت الاونة من اونات الثورة واشتعال الخصومة وغليان الحقود فالخيانة والاجرام وسوء الدخيلـة وقبح الصنيع تهمة أو تهـم لا يســلم منها انسـان مشترك فى الســياسة : يقولهـا هذا الفـريق كما يقولها ذلك الفريق ، ويعلم اناس من المطلعين بطلانهـا او صدقها فى حينها ثم يتراخى الزمن ويقـدم العهـد ويجئ اليــوم الذى يحار فيه التاريخ بين الاقاويل المتضاربة والنقائض المتراكمة ، فيفصل فيها على طريقة الفصل بين المراة الصادقة والمراة الكاذبة فى ادعاء الامومة ، وهى شطر الحقيقة نصفين شطرا لهذا وشطرا لذلك ، فكلاهما مصيب وكلاهمـا معيب ، لان الشان فى كل سائس وكل زعيم ان يقول فى خصومة وان يقال فيه ، فلا حاجة اذن بالمؤرخين الى الفصل والانصاف ، ولا موجب اذن للتحقيق أو التلفيق ٠

وهنا نتساءل : هل كانت معارك العقاد الصحفية أثرا من آثار البرامج الحزبية يسير وفقها ويكتب ما تمليه عليه ؟

يحدثنا العقاد فى كتابه عن سعد زغلول أنه كان فى أوقات قليلة يجرى بين سعد وبينه حديث فى الشـعر والأدب والفنون : « أحـادثه فى ذلك اذا قصدت خدمة لأهل الفن استعين به على قضائها ، أو أحادثه اذا فاتحنى فى بعض آرائى عن الأدباء المعاصرين أو الأقدمين أو عن مقالاتى الأدبيـة التى كنت انشرها يوما من كل أسبوع ولا أكتب يومها فى السياسة ٠ وكنت أشعر اذا انقضى الحديث ولم اتجه بالقول اليـه انه كان يراقبنى طويلا

---

(١) راجع : سعد زغلول للعقاد ص ٥١٤ وما بعدها ٠

ولا يلبث ان يقول بين الجد والفكاهة: « يا فلان ، ما أحسبك الا تعجب منا ومن خصوماتنا فوق سحابك بين الشعر والخيال ! » ٠

قال له العقاد يوم اعلى أثر كلمة من هذه الكلمات : الحق انني لا أعجب من هذا يا باشا لأنه ليس بعجيب أن تكون للسياسة خصومات ، وأن يكون لهذه الخصومات أهلها والقادرون عليها ٠ ولكن الحق أيضا أنني لا أنصر رأيا على رأي رعاية للبرامج الحزبية أو المناوشات الموقوتة ، فانها كما تقول يادولة الباشا لا تستغرق انسانا مشتغلا بالأدب والخيال ٠ انما نصر الرأى على الرأى للقيم الانسانية العليا التى هى عندى أرفع من القيم الحزبية ، بل أرفع حتى من القيم الوطنية ٠

ثم يذكر العقاد أن الخصومات السياسية فى عهد سعد لم تكن تعنيه الا لانها كانت تمثل له جانبين فى أحدهما القوة المستقيمة والدعوى الصحيحة وفى الجانب الآخر الحيلة الملتوية والدعوى الزائفة أو التقليدية على أحسن ما توصف به من صفات (١) ٠

وحين ننظر الى العقاد وخصومه من هذه الزاوية فسنرى ان القيم الانسانية هى الباقية من وراء الخصومات والمعارك العنيفة التى اشترك فيها بقلمه واشترك فيها خصومه بأقلامهم ٠٠ وستبرز امامنا صورة العقاد الانسان الذى ظل أسير هذه القيم الانسانية الباقية من وراء ضلال الاضغان وحروب الأحزاب والأوطان ٠

ونذكر هنا على سبيل المثال ما يؤكد ان العقاد لم يكن يستمد آراءه السياسية من البرامج الحزبية ، ما حدث حين زار اللورد جورج لويد مدينة « المنيا » وهيأت له الادارة استقبالا كاستقبال الملوك فحمل العقاد على اللورد الانجليزى وعلى المحتفين به حملة شعواء غضب من أجلها ، وبلغ به الحنق ان استدعى الأسطول الانجليزى الى ميناء الاسكندرية ليزيل ما أصاب هيبته من جراء تلك الحملة ولم يفاتح أحد العقاد فى موضوع مقالاته التى جرحت اللورد فى كبريائه ٠

« انها تهمة لا أدفعها أو شرف لا أدعيه » ٠

« انها تهمة لا أدفعها أو شرف لا أدعية » ٠

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٥٢٥ وما بعدها ٠

اعلن الدستور فى أبريل سنة ١٩٢٣ أثناء حكم يحيى ابراهيم باشا واستمرت وزارته فى الحكم الى أن استقالت فى يناير سنة ١٩٢٤ ، وخلفتها وزارة سعد زغلول باشا بعد النجاح الساحق فى الانتخابات الذى حققه الوفد ·· ولأول مرة فى تاريخ مصر ، منذ عهد الاحتلال ، اكتسب الحكم فى مصر المظهر البرلمانى ، وتمتعت الصحافة بحريتها ، فكان منها صحف معارضة وصحف مؤيدة · وكانت الصحف المعارضة تعالج ما ترى معالجته من موضوعات بكامل الحرية ، وكانت تمثل حزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى وبعض المستقلين ، وأصحاب المصالح ممن ضايقهم أو عص من مقامهم قيام النظام البرلمانى ·

ومما يؤسف له « أن المعارضة لم تتجه فى كل الاحوال الى الشعب ، بل اعتمدت على القوى الخفية المناهضة للوزارة البرلمانية · وكانت تعتقد فى قرارة نفسها ان اجلاء الوزارة عن كراسيها مرهون بارادة المحتلين فى المقام الأول ، وارادة السراى فى المقام الثانى · وواضح ان كلا السلطتين أخذتا تضيقان بالوزارة ، لما كان من مواقفها المضادة لارادتهما ، ولما كان من استمساكها بسلطاتها وحرصها على عدم التفريط فيها (١) » ·

وما لبثت دسائس القصر ان لعبت دورها فى اجبار سعد على الاستقالة، فاوعز القصر الى الأزهريين لكى يضربوا ، وعين القصر حسن نشات وكيلا للديوان الملكى بغير علم الوزارة ، ثم يقتل « السير لى ستاك » سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام اثناء تولى سعد الوزارة فى سنة ١٩٢٤ ، فطرد الانجليز الجيش المصرى من السودان ، واحتلت جنودهم الجمارك ، وفرضو على مصر غرامة قدرها نصف مليون جنيه ، وانذروا مصر بأنهم سيأخذون من مياه النيل لرى أى مقدار فى اقليم الجزيرة السودانى يزيد على ثلثمائة ألف فدان ·

ولم تجد وزارة سعد زغلول بدا من الاستقالة ، وقد فكر سعد فى بقاء الدستور بعد ذهاب الوزارة فاعلن فى خطابه الذى القاه على النواب تبليغا للمجلس باستقالة الوزارة : « انه مستعد مع أصدقائه الكرام من أعضاء هذا المجلس لان يؤيدوا كل وزارة تشتغل لصلحة البلاد » ·

وأعلن مثل ذلك فى ندائه الى الأمة باعتباره رئيسا للوفد ، وفى خطاب ألقاه على الجموع الذين وفدوا الى بيت الأمة بعد استقالته حيث قال :

---

(١) محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور ص ٥٢ ·

« اننى مستعد لتأييد كل وزارة تأتى وتكون حائزة للرضاء العام ، عاملة على تحقيق أمانى البلاد ، فان الموقف دقيق جدا وأنا واثق من أنى وأنا خارج الوزارة سأستطيع خدمة البلاد أكثر ألف مرة مما لو كنت داخلها · وتأكدوا ان الله معنا ، ولا بد أن تفوز الأمة فى النهاية ان شاء الله ·

ولكن الغرض الأكبر فى تلك الأيام ـ كما يقول العقاد ـ لم يكن هو الخلاص من حادث السردار بوسيلة من الوسائل المرضية ، بل هو استغلال ذلك الحادث لتحطيم سعد ومن يواليه ، و لاسبيل الى هذ التحطيم مع بقاء البرلمان وسريان أحكام الدستور (١) ·

ولكن الوزارة التى تلت وزارة سعد لم تحز للرضاء العام لأن أحمد زيور رئيس الوزارة كان رجلا مسالما للاحتلال والقصر ، مجرد موظف ارتقى حتى بلغ منصب الوزارة ، فلا شأن له بالشعب ولا شأن للشعب به ، فأنى لـه العمل على تحقيق أمانى البـلاد ! ·

ويصور الأستاذ زكى عبد القادر كيف أن الوزارة جاءت للتسليم على طول الخط أو لانقاذ ما يمكن انقاذه على نحو ما جاء فى كلمات رئيسها ، وكيف انها تضت على الروح الدستورية أو كادت ، فأجلت البرلمان شـــهرا وعينت إسماعيل صدقى وزيـــر الداخلية ثم عـــادت فحلت مجلس النـــواب · ودعت الناخبين لاجراء انتخابات جديدة طبقا لقانون الانتخاب ذى الدرجتين· وكان هذا القانون قد الغى ، واستبدلت به حكومة ســعد زغلول قانونا للانتخاب المباشر ذى الدرجة الواحدة (٢) ·

وفى الواقع لقد كان هذا المسلك من وزارة زيور خروجا على طول الخط عن أحكام الدستور ، ومن سوء الحظ ان هذه الظاهرة تكررت فيما تلا من وزارات وقام من حكومات ، وكانت من أسوأ الظواهر التى عجلت بالانهيار الدستورى ، وزعزعت ايمان الأمة بجدوى النصوص الصريحة القائلة بأن الامة مصدر السلطات ·

فقد بدأ محمد محمود حكمه (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩) بحل البرلمان وتعطيل الحياة الدستورية وكان بذلك اداة لحكم البلاد حــكما ديكتاتوريا ، فعطلت الصحف الوفدية بقوة واستقال من صحيفة « السياسة » كل من محمــود عزمى وتوفيق دياب احتجاجا على موقف حــكومة الاحــرار الدســتوريين

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٥٧٤ ·

(٢) زكى عبد القادر : محنة الدستور ٥٥ ·

واتجاهها ٠٠ وما لبث توفيق دياب ان انضم الى جانب الوفد واصـدر صحفا تتحدث بلسانه ، عاشت منها « الجهاد » ٠٠

وقد استمرت وزارة محمد محمود فى سياسة اليد الحديدية التى بدائها٠ وكان من مظاهر هذه السياسة أنها أعادت العمل بقانون المطبوعات الصادر فى سنة ١٨٨١ واستندت عليه فى تعطيل عدد من الصحف المعارضة يقرب من المائة ، ومنها صحيفة البلاغ وصحف روز اليوسف ، وكوكب الشرق ، ووادى النيـل ، والاهـرام ، والوطـن ، والأفـكار ، ولا باترى الفرنسـية وغيرها (١) ٠

ثم توالت القوانين التعسفية التى صدرت عن هذه الوزارة ومنها القانون القاضى بالحبس والغرامة على كل من يحرض على كراهية النظام القائـم ٠ ومنها القانون القاضى بمنع الموظفين من حضور الاجتماعات السـياسية وابداء الآراء المتصلة بذلك فى الصحف ٠ ومنها القانون الذى يعاقب الطلبة على تأليف المظاهرات أو اللجان والجمعيات السياسية أو تحرير المـواد المتصلة بالسياسة فى الصحف أو نحو ذلك ٠

ويستخدم العقاد سلاحه الباتر ـ سلاح السخرية ـ فى مقالاته السياسية التى كتبها وسط هذه الظروف ٠ فقال عن محمد محمود باشـا انه « سيحكم البلاد بيد من حديد » وأخذ حزبه وانصاره يتشدقون بهذه الكلمة حتى رددتها الصحف الانجليزية ، ووجد العقاد مجالة لاشهار سـلاحه السـاخر فنشر مقالا بعنوان :

« يد من حديد ولكن فى ذراع من جريد »

وقد تناولته الالسن فى كل مكان ، واعاد للناس ذكرى « نادى العجول » التى كتبها العقاد فى ظروف الحياة وكبت الحريات وحفظها الناس ٠ وهنـا اسقط فى يد صاحب اليد الحديدية ٠ ولم يعد يردد هذه الكلمة ٠

ونشر العقاد سلسلة من المقالات الساخرة تشكل حملة صحفية ضخمة على وزارة محمد محمود ، متضامنا فى حملته مع خطة البلاغ كذلك التى استخدمت كل طرقها الصحفية فى محاربة هذه الوزارة ٠

من مقالاته « حزب الاوباش ، زعماء الاوباش ، الحل الدستورى الوحيد هو أن يستقيل محمد محمود ، الواعظ محمد او الشاطر محمد » ٠٠

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ ٨ ص ١٩٤ ٠

وقد أصبح لمقالاته العقاد السياسية قوة يحسب حسابها فى انتصار الوفد وهزيمة خصومة واسقاط وزارتهم ، فلجئوا الى اغلاق الصحف التى يكتب فيها ، وقد اغلقت لصاحب البلاغ خمس صحف فى أيام متتالية ٠ وعلم العقاد أن صاحب هذه الصحف قد اشترى مقادير كبيرة من الورق فى الوقت الذى اغلقت فيه كل صحيفة أصدرها ، ويحدثنا الأستاذ طاهر الجبلاوى أن العقاد لم يخف عنه دهشته لهذا ، وأسر اليه أن البلاغ لا بد عائد الى الظهور ولن يغلق ، والا ما اشترى صاحبه هذه الكميات الوافرة من الورق ٠ وعاد البلاغ الى الظهور وعاد العقاد الى الكتابة فيه ولكن صاحبه طلب اليه تخفيف الحملة على الوزارة ، ثم طلب منه ان يكتب يوما بعد يوم ، ثم تنحى العقاد أخيرا عن الكتابة وبذلك كتب للصحيفة البقاء (١) ٠

وفى عنفوان الصراع ضد ديكتاتورية محمد محمود ، تجلى العقاد للجيل الناشىء حينذاك كبطل اسطورى « يسحق بهراواته الشهيرة الأفاعى والتنانين والمردة (٢) ٠

وخلال هذا الصراع العنيف عطل محمد محمود جريدة البلاغ عام ١٩٢٨ فأصدر صاحبها عبد القادر حمزة سبع مجلات أسبوعية تصدر كل منها فى يوم مختلف من الأسبوع لتحل محل الجريدة اليومية فاغلقتها الحكومة كلها ٠ ولما ترك العقاد البلاغ الى كوكب الشرق » اغلقتها الحكومة بعد ثلاث مقالات من تسلمه ، وسلمت البلاغ من التعطيل بقية عمرها الطويل ٠

وهذه أمثلة من حملة العقاد على ديكتاتورية محمد محمود ٠٠ ومن مقالاته فى صحيفة (كوكب الشرق) ٠٠

يقول العقاد فى مقاله (٣) :

« قال محمد محمود ليس الحزب السياسى بكثرة انصاره فان كثرة الانصار عرض تاتى به ظروف وتذهب به ظروف » أنت كذاب يا صاحب الدولة يجب ان تسمع انك كذاب ، أنت رجل دجال ياصاحب الدولة ويجب أن تسمع انك دجال ولا تقول شيئا الا كما يقول ويفعل الكذابون والدجالون ثم أنت غبى جهول يا صاحب الدولة ويجب أن تسمع أنك غبى جهول ، فالتفاخر بذلة الأنصار قصة تليق بحصة المحفوظات حين ينشد التلاميذ قصيدة السموأل التى يقول فيها (وما ضرنا أنا قليل عديدنا) ٠

---

(١) محمد طاهر الجبلاوى : العقاد سيرة وتحية ص ٦٤ ٠
(٢) الدكتور لويس عوض ـ دراسة عربية وغربية ٠
(٣) كوكب الشرق : يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٩ ٠

متى قالوا محمد محمود : الا ليقولوا قبل غيرهم انه هو « العتل الغبى الذى كانت مكانته فى صحيفة حزبه لا تساوى قبل اللورد لويـد نشر اعلان صغير ، ليس فى الوفد أكفاء مثل محمد محمود • خيبة الله عليك يا بعيد ، الا تسمع بشىء فى الدنيا يسمى الحياء ، الم يقل لك قائل مرة أن لكلمـة حياء مدلولا يظهر على الوجوه ، ولقد علمنا كيف يتعزى هذا المنحوس فى محنته التى تطير بعقله الضئيل وعزمه القليل وقلبه الهزيل » •

وكتب العقاد أيضا تحت عنوان :

« مجنون فى يده سيف (١) » •

« فلأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية قام محمد محمود فى الحكم وافترى على المصريين ما افتراه من الكذب والتشهير ولأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية صنعوا كل ما صنعوه •

سحقا لهـؤلاء من أنـــذال ، فلئـن كان فى الجرائـم ما هو أكبر من جريمتهم فلن يكون الا الوقاحة التى يواجهون بها الناس بعد ما أسلفوا لهذا البلد كل تلك الخيانة والكنود ولا جرم لا يستحى امثال هؤلاء الا اذا ارغمتهم على الخزى سلاسل الأقياد وغيابات السجون » •

ثم يكتب تحت عنوان :

« الكفـــاءة » (٢) •

« قالوا : انه تعلم فى اسكفورد • قلنا ماذا تعلم فى اكسفورد • قالوا : انه تعلم الاقتصاد والتاريخ الحديث ، ولكننا لم نعرف له أثرا واحدا بل لم نسمع له كلمة واحدة ولا حرفا واحدا يدل على علم بالاقتصاد أو اطـلاع على التاريخ •

ونذكر ان مراسل صحيفة أسبوعية سأله : أى رجل فى العصر الحديث هو عندك أعظم الرجال فقال : نابليون • كلمة يقولها كل مسئول لم يفتح كتابا ولم يدرس أى تاريخ من التواريخ ، أرأيت أيها القارىء الى الفلاح الريفى الساذج الذى ينزل القاهرة ولا يعرف فيها الا بنك سمعان ، ان هذا لهو بعينه الفلاح محمد محمود حين ينزل عالم التاريخ الحديث ولا يسمع فيه الا باسم نابليون •

---

(١) كوكب الشرق : يوم ٢٦ من نوفمبر ١٩٢٩ •

(٢) كوكب الشرق : يوم ٤ يناير ١٩٣٠ •

ما كان عمله فى الوزارة الا الآلة التى يشترك فى ادارتها اللورد لويد ، ولطفى السيد ، وحافظ عفيفى ومصطفى عبد الرازق وكل من املى عليه خطته ٠

ان الفرق بين الرجل المحبوب الموثوق به والرجل الممقوت المحتقر لأبعد وأكبر من ان يقاس عليه » ٠

ويقارن العقاد فى هذا المقال بين النحاس ومحمد محمود ، بين من توليه الأمة وبين من يوليه غاصب الأمة ٠٠ يقول العقاد :

كان النحاس محاميا ناجحا ذائع الصيت مشهودا له بين المحامين والقضاة حتى اختارته وزارة الحقانية لوظيفة القضاء اعترافا بذلك الفضل الذى لم يعرف الا للقليليين ولما تولى القضاء كانت أحكامه مضرب المثل فى الدقة والعدل ودلائل العلم بالقانون ٠

محمد محمود ولى الوظائف الادارية فدل على طبيعة فيه لا تنسى الهمجية بعقل لا يفقه روح الحكم الحديث فى هذه العصور ، وكانت قضية التعذيب فى اقليم البحيرة وصمة بل جريمة كادت أن تلقى به فى السجن ٠

ولم يتول الوظائف بكفاءته كما ولى النحاس باشا بل كانت الوظيفة مكافأة لأبيه على علاقتــه بالمحتلين ، ولم يكن عنده ، من حسـن الكياســة ما يستبقى به المكافأة لولا رعاية الانجليز لأبيه ٠

النحاس باشا أحبط مكيدة اللورد لويد وقطع حجته وكشف غرضـه وسلك المسلك الوحيد الذى يمكنه من الحكم ووزن الأمور ، أما محمد محمود فما كان عمله فى الوزارة الا عمـل الآلة التى يشـترك فى ادارتهـا اللورد ولطفى السيد وحافظ عفيفى ومصطفى عبد الرازق وكل من أملى عليه خطته٠

ولا نعرض للاخلاق والكرامة الوطنية فان الفـرق بين الرجل المحبوب الموثوق به والرجل المحقوق لأبعد وأكبر من أن يقاس عليه ، وأن الفرق بين مهانة محمد محمود باشـا فى انتظاره رحمة خصومه وبين عزة مصطفى النحاس باشا فى جميع مواقفه ان أعظم الفوارق بين النقيضين ، وان الفرق بين من توليه الأمة ومن يوليه غاصب الأمة لهدم دستور الأمة واستغلال الامة لهوالبون الذى لا يسبر غورة ولا يدرك مـداه » ٠

ويكتب العقاد فى صحيفة أخرى متابعا حملته ضد ديكتاتورية محمد محمود مقالا بعنوان :

» محمد محمود والاحرار الدستوريون (١) » ٠

« هل يذكر هذا العقل لنفسه او يذكر له غيره موقفا واحدا يدل على نخوة أو تضحية بمصلحة ٠ لا موقف لــه ولا شبه موقف ٠ وكل حيــاته ان هى الا مداورة حيث تــدور المصلحة من اليمين الى الشــمال ومن الشمال الى اليمين ، فلمــا كان كرومر يحميه كان يسىء لأدب فى حــق أمير البــلاد ٠ ولما خرج كرومر من مصر اسرع فاستقال من حزب الأمة ولـما طرده الانجليز من وظائف الادارة وقع مكرها فى احضان الوفد المصرى ٠

ولــا شجر الخلاف فى الوفــد ، ولاحت بوادر الوظيفة فى جانب آخر ، أسرع الى ذلك الجانب وادعى على زعيمه ورئيسه ما ادعاه فى ذلك الحين ٠

ولما نبــذه حزبه وبئس من الوظيفة عاد مــرة أخرى ليترامى فى احضان الائتلاف ولـما أأومأ اليــه جورج لويد بالمنصب خــرج على الائتلاف ونقض الدستور وقوض البرلمان ٠

ولما انصرف جــورج لويــد رجع مرة أخرى يحمل غصن الزيتون ويطمع فى الائتلاف وسيعيش هكذا اطول عمره ، هو هو ، عقل حزبهم الذى يذكرون جلافته كلمــا أرادوا ان يذكروا الصلابة والاباء ٠

انما هؤلاء عصــابة يطلبون الحكم لانهم يطلبون المصالح لا اكثر ولا اقل ٠ ان الاحرار الدستوريين لا عمل لهم الا هــدم الحرية والدستور ٠

ونجحت المقــاومة الشعبية اخــيرا فى الاطاحــة بحــكم محمد محمود ، وجاءت وزارة مصطفى النحاس الثانية التى لم تدم الا شهورا لانهــا رفضت ان تصل الى تفــاهم فى مفاوضاتهــا مع الانجليز ٠ فعهــد الملك فــؤاد الى اســـماعيل صدقى بتأليف الوزارة ، وما لبث اســـماعيل صدقى ان اقام ديكتاتورية « اصحاب المصالح الحقيقية ، وأعلن الغاء دستور ١٩٢٣ وأعلن مكانه دستور سنة ١٩٣٠ فتجددت المقاومة الشعبية وسالت الدماء ، فاعلن الوفد صاحب الأغلبية الكبرى عدم تعاونه مع الحكومة وهاجم سرا وعلنـــا اجراءاتها التعسفية ضده وضد انصاره ٠ وانقلب الاحرار الدستوريون من مؤيدين لحكومة اسماعيل صدقى الى معارضين لهــا ، واشــتدت موجـــة المقاومة ، وأحست الحكومة بوطأتها ، فازدادت وسائلها عنفا ، وازدادت بها بعدا عن لشعب وارتماء فى احضان القصر وخضوعا لمشيئته ٠ وازداد حزب

---

(١) المؤيد الجديد ـ أو اكتوبر ١٩٣٠ ٠

الاتحاد ـ الذى أنشأه القصر ضعفا ولكن أمله كان معلقا بالدستور الجديد واجلاء اسماعيل صدقى عن الحكم كخطوة لابد منها ، لكى يصبح الامر خالصا للقصر ، وهو فارسها المرجو · بينما كان الحزب الوطنى يقف فى موقف تردد وضعف يخاف سطوة الكتلة الشعبية الممثلة فى الوفد · ويستحى ان يكون نصيرا ظاهر للقصر والحكم الاستبدادى ، وكان القصر يعد عدته لكى يكون الدستور الجديد وسيلة لتوسيع سلطته ووضع خيوط الموقف فى يده ، عله بهذا يستطيع الوقوف فى وجه الشعب ، واغراء الانجليز على الاتفاق معه ·

وقد آثر الانجليز كما فعلوا فى تجربة الاعتدائين الدستوريين الاول والثانى ان يتربثوا ويتدبروا الموقف ، قانعين بانصراف الجهود الحزبية وغيرها بل ومقاومة الاستبداد والدفاع عن الدستور مطمئنين الى أن هذه المعركة ستضعف حتما من قوة الشعب على الكفاح (١) ·

واستمر حكم اسماعيل صدقى من سنة ١٩٣٠ لى سنة ١٩٣٣ ، أى نحو أربع سنوات ، كتمت فيها انفاس البلاد كتما واستفحلت سلطة القصر ، وانتهى حزب الشعب بأن اصبح صورة لا حقيقة له · وكان القصر قد دخل الميدان محاولا ان يفيد من معارك الاحزاب المتناحرة ، ليعوق التطور الشعبى ويحقق مصالحه فيكون من انصاره حزب الاتحاد عقب حادث السردار ثم أعان على انشاء حزب الشعب عام ١٩٣٠ محاولا ان يحقق بذلك ما زعم انه توازن ضرورى للقوى بين الاحزاب المتصارعة ، وكثيرا ما كان القصر يتدخل فى شئون الحكم بما يجاوز حقوقه المشروعة ·

وهنا برز العقاد م نجديد حين تردد أن الملك فؤاد يوشك أن يقوم بمحاولة جديدة من محاولته المستمرة لتعطيل لدستور وحل البرلمان وتضييق الخناق على الشعب · وهنا وقف العقاد فى مجلس النواب ـ وكان يومئذ نائبا فيه ـ وقال كلمته الخالدة : « ان الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس فى البلاد يخون الدستور ولا يصونه » ·

ولم يستطع القصر أن يحاسب العقاد على هذا الكلام ، على الرغم من معرفته الاكيدة انه هو المقصود بهذا الكلام ، لان العقاد كان يتمتع بالحصانة البرلمانية فلم تتخذ ضده الاجراءات الجنائية وظل اسماعيل صدقى يتربص به شهورا بعد تعطيل الحياة النيابية حتى تصيده فى مقال كتبه يندد فيه بالرجعية ، وهو من سلسلة مقالات نارية نشرها العقاد فى

---

(١) راجع محنة الدستور لمحمد زكى عبد القادر ص ٧١ وما بعدها ·

« المؤيد الجديد » التى كان يحارب فيها الرجعية واعمالها ضد مصلحة البلاد ، فدبرت له تهمة العيب فى الذات الملكية وقدم للمحاكمة فحكم عليه بالسجن تسعة أشهر قضاها وخرج يستانف جهاده ضد صدقى والحكم المطلق ٠

ويحدثنا صاحب كتاب « عباس العقاد ناقدا » ان العقاد حدثه أن الملك فؤاد ساومه على أن يتنازل العقاد عن آرائه ويخرج من الوفد لقاء العفو عنه وتنصيبه رئيسا للقسم العربى بالديوان الملكى ٠

وفى السجن زاره على ماهر وكان يومذ وزيرا للحقانية ، ليساله عن حاله فاجابه العقاد بقوله : « مهنا خير من الخارج » ولما افرج عن العقاد اتجه الى ضريح سعد زغلول ليجدد العهد والميثاق ، ويلقى عليه قصيدة منها :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر
وهانذا فى ساحة الخلد اولد

ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى
وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد

وما أقعدت لى ظلمة السجن عزمة
فما كل ليل حين يغشاك مرقد

وما غيبتنى ظلمة السجن عن سنا
من الرأى يتلو فرقدا منه فرقد

عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما
سيعهدنى كل كما كان يعهد (١)

ويستمر العقاد فى حربه لصدقى شاهرا عليه مقالاته فى صحف مختلفة مثل الأفكار والمساء وكوكب الشرق والجهاد ، ويجن جنو نصدقى ويغلق الصحيفة تلو الصحيفة وينشر العقاد مقالاته النارية ضد صدقى وحكمه الارهابى ٠

وقد نشرت صحيفة « المساء » مقالا يبين أزمة الصحافة ابان حكم صدقى والعنت الذى لقيه الصحفيون ، وعنوان المقال :

سياسة تعطيل الصحف (٢)
هى شر ما تجنيه الوزارة نفسها

---

(١) العقاد : وحى الأربعين ص ١٧٣ وما بعدها ٠

(١) المساء ــ يوم ٤ من سبتمبر ١٩٣٠ ــ راجع ادب المقالة الصحفية ج ٨ ص ٢٧٤ ٠

وقد وقع عليه عباس العقاد مع حافظ عوض وتوفيق دياب ومحمد التابعي وعبد القادر حمزة ، ويحتجون على تعطيل وزارة صدقى للبلاغ ، اليوم ، وكوكب الشرق ، وروز اليوسف ، والنهار ، والثبات ، والبرق الخ ويفتخرون بانهم هدف ديكتاتورية صدقى كما كانوا هدف الديكتاتورية محمد محمود فى سنة ١٩٢٨ ، وكما كانوا قبل هذا وذاك هدفا للانجليز فى حكمهم البلاد بالحديد والنار (١) ٠

وقد نشر العقاد عدة مقالات يشبه فيها اسماعيل صدقى فى جبروته وسطوته بشارلى شابلن ، مستخدما سلاحه فى السخرية والتهكم ، فعقد مقارنة ظريفة بين الشخصيتين فى وقت كان الارهاب فيه على اشده ، ومقالة عن سياسته المالية تحت عنوان « طبيب الكالو » ومقاله بعنوان « علوية يكره الاوباش ! » و « حلمى عيسى على الربابة » و « الوزير الفرسيسى » ٠

ومن هنا كان الجزاء الرادع للصحف التى ينشر فيها العقاد هذه المقالات المصادرة والاغلاق كما رأينا امثلة لها من الاسماء المذكورة فى المقال السابق ٠

ولم يكتف العقاد فى محاربة الاستبداد السياسى بالمقالات بل انه أصدر كتابين هما « اليد القوية فى مصر » و « الحكم المطلق فى القرن العشرين » عام ١٩٢٨ ٠

وفى هذا الكتاب الأخير يعالج العقاد قضية الحرية الانسانية وما نالها من طغيان المتجبرين المستبدين ، وصدر كتابه بفصل تساءل فيه : هل فشلت الديمقراطية ؟ وأجاب على هذا التساؤل بفصل تال فحواه انها لم تفشل على الرغم من تسليمه بأن لها عيوبها ، ولكنه يرى انها عيوب الطبيعة الانسانية التى لا فكاك منها ، وقد يكون لهذه العيوب فى مجموع الحضارة فضل كفضل المحاسن المصطلح عليها ان لم يزد عليه ٠

ويرى على مزايا كثيرة فى تلك الأمة ، او دليل على أن الأمة فى معيشة طيبة ومعاملة حسنة وانها ذات اخلاق لا ضرر من اطلاق الحرية لاصحابها واطوار لا تعدو طوقها ولا تستعصى عليها ٠

وليس أدل على وخامة الديكتاتورية فى نظره من أن قيامها فى الأمة دليل على شذوذ فى معيشتها او على خوف من بعض الأخطاء المحدقة

---

(١) العقاد : هتلر فى الميزان ص ١٩١ ـ ١٩٣ ـ أنظر ـ ايضا : عباس العقاد ناقد لعبد الحى دياب ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ٠

بكيانها ، كما يعترف الحاكمون بأمرهم كلما اعوزهم ان يسوغوا قيامهم فى شعب من الشعوب ٠ « والبيئة الديمقراطية كالارض الامنة القريرة ، والبيئة الديكتاتورية كالحجر الصحى او كالمخفر الذى لا يعاش فيه بغير طغيان وتضييق » (١) ٠

ويذهب العقاد كذلك الى أن سلام الدنيا يتحقق اذا ما حكمتها الديمقراطية لانها تقوم على التفاهم ولا تحصر الرأى فى يدى انسان واحد، وذلك على عكس الديكتاتورية التى تقوم على تسلط طبقة على الحكم بعد طبقة وسيد بعد سيد لانها راجعة الى القفزات والنوادر منوطة بالآحاد المتفرقين معرفة للهدم والتخريب بعد كل بناء وتعمير (٢) ٠

ويتضح من هذا التقديس للديمقراطية علة وقوف العقاد بقوة لمحاربة السلطان والجبروت والاستبداد ، وايثاره للسجن فى سبيل الدستور والحياة الديمقراطية ٠ وقد أعلن فى كتابه عن هتلر أن كل قوة تنشأ عن الاستبداد مصيرها الى الزوال ، لانها قائمة على غير أساس ٠٠ قائمة على سياسة البطش والارهاب ٠ ومن هنا قامت حملته العاتية على هتلر ودكتاتوريته وتنبأ بسقوطه ورأى ان نجاحه اول الامر هو أول خطوة فى سقوطه ٠

وفى الواقع لم تكن خصومة العقاد لهتلر شيئا جديدا ، فهى قديمة منذ أن نشر العقاد مقالة فى يوم ٧ من يوليو عام ١٩١٢ وعمره ثلاثة وعشرون عاما ، يهون فيها من شأن نابليون بونابرت وتزييف عظمته واحتقاره لهذا الطراز من الوجاهة أو العظمة الزائفة ، لأن نابليون ومثله هتلر يطلبون المجد والشهرة من طريق الغزوات والفتوح وقاسا عظمتهما بقدر احتقارهما للانسان ٠

نفس الموقف مع الفارق مع محمد محمود واسماعيل صدقى ، فالعقاد يبغض الدكتاتورية فى أى صورة من صورها ، ويرفض الاعتداء على الديمقراطية والحياة الدستورية ٠٠ لذلك شهر العقاد قلمه ٠٠ وكان لمع السيوف فى معركة القلم فى حكم ظالم ٠

---

(١) العقاد : هتلر فى الميزان ص ١٩١ ـ ١٩٣ ـ ـ أنظر أيضا : عباس العقاد ناقدا لعبد الحى دياب ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ٠

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧ ـ ١٦١ وما بعدها ٠

البـــاب الثـــانى

العقــاد والتيارات الإجتماعية والسياسية



الفصـــل الأول

العقـــاد والقضـــايا الاجتماعية

كان من الطبيعى أن يرتبط بثورة ١٩١٩ نشاط فكرى تحررى ثائر على بعض القيم القديمة ، وعبر عن هذا النشاط الفكرى كوكبـة من الشـبان المثقفين الذين عرضوا آراءهم فى صحف الأحرار الدستوريين وبعض الصحف المســتقلة ٠

وما لبث بعض هـذه الاتجاهات التجديدية فى الفكر أن تحولت الى قضـايا شغلت الـراى العام والســلطات ، ودارت حولهـا فى بعض الصحف معارك توازى فى ضراوتهـا المعـارك السياسية ، وكان أهم هذه القضـايا « الاســلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرازق عام ١٩٢٥ ، و « فى الشــعر الجاهلى » لطـه حسين عام ١٩٢٦ ، وكان الكاتبان يومئذ من المنتمين لحزب الأحـرار الدستوريين فهاجمتها صحف الوفـد والحزب الوطنى ــ والصحف الدينية الاسلامية وفى مقدمتها « المنـــار » ٠

واهتمت الصحف المصرية بالنواحى الثقافية الخالصة ، فخصصت بعض صفحاتها للانتــاج الأدبى والعامى ، وقامت من هـذا المجال بـدور كبير فى احيـاء الأدب العربى القديم وفى تقدم حركة الترجمة والدراسات النقـدية ، فمنذ صدرت « السياسة » سنة ١٩٢٢ برزت كوكبة من المثقفين ذوى الثقافة الفرنسية ممن عادوا من باريس فى خلال الحرب العالميـة الاولى ، ومنهـم طـه حسين ومصطفى عبد الرازق ومحمد حسين هيكل ومحمود عـزمى ٠ وهم تلاميذ « الجـريدة » ولطفى السيد فى مطلع هذا القرن ، وكان منهـم من ترك الأزهـر وانضوى تحت لـواء هذا الاتجاه الجديد كعـلى عبد الـرازق وعبد العزيز البشرى ٠

وكانت « البلاغ » منــذ صدورها سنة ١٩٢٣ تخصص صفحة أدبيــة كانت تزخر بالأفكار الجديدة وفيها كتب سلامة موسى ومحمود الشرقاوى وابراهيم المصرى ، وكان العقــاد يكتب فى البلاغ حينئذ كل أســـبوع أو أسبوعين صفحات أدبيــة يتناول فيهـا الشعر والفنــون الجميـلة وبعض المذاهب الفلسفية وبعض نظرات فى الطبيعة او فى الآثار المصرية او فى المتنبىء وأبى العــلاء ٠ فجمع من كتاباته طائفـة وأضاف اليهـا بعض مقـــالات قديمة ، ونشرها باسم « مطالعات فى الكتب والحيــاة » ولم يلبث فى السنة

التالية أن نشر طائفة ثانية من مقالاته الادبية فى البلاغ باسم « مراجعات فى الآداب والفنون » • وقد ضم اليها مقالة من مقالاته فى مجلة البيان وأخرى نشرها فى الهلال لسنة ١٩٢٥ وفيها يتحدث عن المرأة الشرقية وما يحسن أن تستبقى من أخلاقها التقليدية وما يحسن ان تقتبس من شقيقتها الغربية •

واتسعت دائرة اهتمام الصحافة بالأدب ، فأصدرت كل من «السياسة» و « والبلاغ » عام ١٩٢٦ ـ على طريقة بعض الصحف الغربية ـ ملحقا أدبيا اسبوعيا ، وفى الواقع أن هذا الاهتمام يستحق وقفة أمام كل من « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعى » •

وقد صدر العدد الاول من السياسة الأسبوعية فى مايو ١٩٢٦ ، وكان سبب ظهورها القيام بنهضة ثقافية جديدة الغرض منها ازالة الجمود الفكرى الذى كان موجودا من قبل وقد حشدت الجريدة لهذا الغرض كل كبار الكتاب فى ذلك الوقت فكان على رأسها رئيس تحرير السياسة الدكتور هيكل ومعه محمود عزمى والشيخ مصطفى عبد الرازق وعلى عبد الرازق وابراهيم المازنى والشيخ عبد العزيز البشرى ومحمد توفيق دياب ومحمد عبد الله عنان •

ويحدثنا الدكتور هيكل عن التجديد الذى مارسه فى صحيفته فيقول : « لقد جددنا فى الاسلوب ، وجددنا فى المواضيع • فخرجنا من تلك الدائرة الضيقة التى كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسة فى الداخل والخارج وافردنا صحائف الأدب والفن والزراعة والسيدات • وكان خروجنا الى هذه الآفاق التى كانت مغلقة خطوة سعيدة • فان غيرنا من الجرائد جاهد ليحذو حذونا • والتنافس فى ذاته دافع الى التقدم•

وفى حديث شخصى مع الاستاذ حافظ محمود نقيب الصحفيين السابق ، علمنا أن الصفحة الاقتصادية فى السياسة الأسبوعية كان يكتبها المرحوم كامل عبد الرحيم وكيل وزارة الخارجية • وكان يكتب الصفحة العلمية فيها الدكتور محمد والى الذى صار عميدا لكية العلوم فيما بعد ، وكانت تكتب الصفحة النسائية الآنسة (مى) الى جانب عدد كبير من المحررين والمترجمين الذين تتلمذوا على هذه الجريدة وأصبحوا من ألمع الكتاب فيما بعد مثل عبد الحميد يونس وحافظ محمود •• الخ •

وكانت جريدة السياسة الاسبوعية منذ نشأتها أوسع الجرائد العربية والشرقية انتشارا فى العالم ، وهذه الصحيفة التى كانت تصدر قبل أربعين عاما كان متوسط توزيعها ـ كما ذكر لنا الاستاذ حافظ محمود

احد رؤساء تحريرها بعد الدكتور هيكل ـ يبلغ اربعين ألف نسخة أسبوعيا بينما كان أعلى توزيع فى الصحف اذ ذاك لا يتجاوز عشرين ألف نسخة ، وكان نصف هـذا العدد بالضبط يوزع فى البـلاد العربية خارج مصر ٠٠ ولذلك كان لهـا فضل الربط الفكرى بين القاهرة والعواصم العربية الأخرى ٠

وكانت السياسة الأسبوعية فى مبتدأ ظهورها تصدر فى حجم الصحف اليومية من حيث (القطـع) ولكن فى ضعف عدد الصفحات ، ولكنها بعـد قليـل اخـذت طابـع الصـحف النصـفية وتبلغ صـفحاتها ٣٢ صـفحة ولهـا غلاف (برتقالى) من نفس اللون والورق الذى كانت تغلف به النسخة الاسبوعية لجريدة التايمز ، وقد ساعد ذلك على زيادة توزيع الجريدة بنسبة خمسة الاف زيادة على الرقم الذى ذكرناه (١) ٠

كما كانت الافكار الجديدة التى تثيرها الجريدة موضع اهتمام كبير من الرأى العام لدرجة أنها أوجدت تيارا فكريا بين الشباب يختلف عن جميع التيارات القديمة ٠

وكان من الافكار التى قامت الجريدة بالدعوة لها فى أول نشأتها الدعوة لاقامة اسبوع أدبى لتكريم امير الشـعراء احمد شوقى ٠ وقد حضر هـذا الاسبوع جميع كبـار الشعراء فى الدول العربية وأصدرت الجريدة عددا خاصا عن شوقى بلغ توزيعه (١٢٠ الف نسخة) سنة ١٩٢٦ واعيد طبعه بنفس النسبة فى نفس اليـوم ٠

ومن الأفكار التى دعت اليهـا الجريدة :

١ ـ انشاء بيـوت الفلاحين ٠

٢ ـ الغاء الطرابيش ولبس البرانيط ٠

٣ ـ عدم تدخل جانب الدين فى شئون العلم والسياسة ٠

وقد أثـار البنـد الثالث معركة كبرى ظلت الصحافة المصرية مشـغولة بهـا زهاء عام كامل ٠

وكان للسياسة الأسبوعية الفضل الاول فى اظهار الآثار الأدبية الآتية التى نشرت فى أول الأمر على حلقـات أسبوعية فى الجريدة وهى :

١ ـ حيـاة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ٠

---

(١) من حديث خاص مع الأستاذ حافظ محمود ٠

٢ ــ كتب الدكتور طـه حسين الآدبية .

٣ ــ قصص ابراهيم عبد القادر المازنى .

وغير ذلك من الآثار الادبية التى بلغ من جدتهـا حدا اتهمت فيه الجريدة احيانا بأنها تنشر الالحـاد الى ان ظهرت فصول كتاب « حيـاة محمـــد » فاختفت هذه التهمة أو كادت .

وقد اصدرت (البلاغ) كذلك ملحقا اسبوعيا باسم (البلاغ الاسبوعى) وقد صـدر العد الأول من البلاغ الاسبوعى فى ٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٢٦ أى بعد صدور (السياسة الأسبوعية) بأكثر من خمسة شهور وكان ذلك فى مظهره نوعا من التنافس الحزبى الذى أفاد الحركة الفكرية فى مصر ، وقد ضم البلاغ الاسبوعى كذلك كوكبة بارزة من الكتاب والمفكرين ، وقد استفاد اخـــراج صحيفة (البلاغ الأسبوعى) من المنافسة مع السياسة الاسبوعية فظهر فى طباعة أنيقة على ورق جيـد مشتملا على كثير من الصور والرسوم .

وقد تضمن البلاغ الأسبوعى صفحات خاصة بالعلوم والفنون والسيدات تماما كما فعلت السياسة الأسبوعية ، ويحدثنا الدكتور عبد اللطيف حمـزة فى كتابه القيم عن (عبد القادر حمزة) صاحب البلاغ ، ان البلاغ استن سنة أخرى شبيهة بما يحدث فى الصحف اليومية فى أيامنا هذه . وبمقتضى هذه السنة كان على البلاغ أن يخص كل يوم من أيام الاسبوع على وجهالتقريب بمادة من المـواد الصحفية ينتدب لهـا رجلا من كبـار الكتـاب فى مصر ، تاركا له أن يملأ فراغ الصفحة بما يحلو له (١) .

وقد اشترك فى تحرير البلاغ الاسبوعى مع العقـاد ابراهيم عبد القـادر المازنى وسلامة موسى وغيرهم من كبار الكتاب .

وفى الواقع لقـد كان لظهور السياسة الاسبوعية أثر بعيد فى النهضـة الصحفية ذاتها فقد ظهر على غرارها البلاغ الاسبوعى ــ كما سبق القول ــ وظهرت مجلة الرسالة التى اصدرها الاستاذ احمد حسن الزيات فى ســـنة ١٩٣٣ والثقافة التى أصدرتها لجنة التاليف والترجمة والنشر برئاسة المرحوم الاستاذ احمد أمين فى سنة١٩٣٩ .. وكانت هذه المجلات ألوانا ثقافية جديدة لا عهـد للقارئ العربى بمثلها من قبل واستطاعت هـــذه المجلات أن تتم الرســالة الثقافية التى بدأتها السياسة الاسبوعية ثم البلاغ الاسبوعى على

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ ٨ ص ٣٧٧ .

الرغم من أنهما لم تعيشا طويلا ·· فقد توقفت (البلاغ الاسبوعى) عام ١٩٣١ وتوقفت (السياسة الاسبوعية) من عام ١٩٣١ الى عام ١٩٣٦ ·

وقد قامت كل من السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعى بما يشبه الانقلاب الفكرى الذى ظلت آثاره على مدى الاجيال التالية ·

والسؤال الذى نطرحه هنا : هل كان للسياسة الحزبية اثرها على هذه الصحف الأدبية ؟

لقد حدث فى سنة ١٩٣٠ وهى السنة التى توقفت فيها البلاغ الاسبوعى والبلاغ اليومى معا نتيجة الضغط على الحريات وكبتها ، أن دخلت جريدة السياسة (اليومية) فى صراع مع الحكومة التى كانت قائمة اذ ذاك وهى حكومة صدقى التى عطلت البلاغ ، ففكر اصحاب (السياستين) - وليتهم ما فعلوا ذلك - على حد قول الاستاذ حافظ محمود - فى استغلال نفوذ السياسة الاسبوعية بين الجماهير للأغراض السياسية الحزبية ، وقد أدى ذلك الى نتيجتين :

الاولى : أن جمهور السياسة الأسبوعية الثقافى قد أحس بأنه قد حرم من الكثير بسبب اقحام السياسة الحزبية على جريدته المفضلة ·

الثانية : أن الجريدة قد اصبحت هدفا لاضطهاد الحكومة اضطهادا أدى الى اغلاق نهائيا بعد ذلك بقليل فى سنة ١٩٣١ (١) ·

وهذه الصفحة من تاريخ الصحافة الأدبية نرى أن نتمها حتى ولو خرجنا بذلك عن الخط الرئيسى لكتابنا هذا، وعذرنا فى ذلك أن الصورة لن تتم فى هذه الزاوية مجهولة ·

فى مستهل عام ١٩٣٧ ، وكانت الاحوال السياسية قد هدأت عاد الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة الأسبوعية الى اصدارها من جديد على الأسلوب الأول الذى انشئت من أجله وهو الاسلوب الثقافى مع خلاصات سياسية عابرة لا تؤثر على اسلوب الجريدة الثقافى ·

وفى هذه المرحلة اختار تلميذا من تلاميذ السياسة الأسبوعية الذين تدربوا فيها على الاعمال الصحفية ليكون مساعدا له وكان هذا التلميذ هو الاستاذ حافظ محمود ·· ثم ما يلبث الدكتور هيكل بعد بضعة أشهر أن

---

(١) من حديث خاص من الأستاذ حافظ محمود ·

يتولى منصب الوزارة وان توكل رئاسـة تحريرها الى تلميذه الاستاذ حافظ محمود الذى تولى رئاسـة تحريرها من اول يناير سنة ١٩٣٨ الى اخريات سنة ١٩٤٤ حينما انتقل من رئاسـة تحرير السـياسة الاسـبوعية الى رئاسة تحرير الساسة اليومية مما جعل الاسبوعية تتوارى عن الانظـار بعد كفاح فكرى استمر جيلا كاملا ٠

وفى الواقع لقـد كان للسياسة الحزبية أثرها على الصحافة الادبيـة ، نذكر موقفين أبرزا هذه الحقيقة ، أما الاول فقـد كان حين أصـدر على عبـد الرازق كتـابه (الاسلام وأصول الحكم) وهو من كتاب السـياسة ومن أعضاء حـزب الأحـرار الدستوريين ، واما الثانى فقـد كان حين أصـدر طه حسين كتابه (فى الشعر الجاهلى) وكان فى ذلك الوقت من الدستوريين ونظرة الى صحيفة (البلاغ) الوفدية فنجدها لا تعطف على أى منهما وتقف فى صفوف المعارضة منذ اول الامر وتقف منهما موقف الخصومة وتفتح صدرها لهجوم عنيف شنه كل من رجال الأزهر ودار العلوم ٠

ولكننا سـنجد العقـاد يبرز كعملاق لا تهزه السياسة الحزبية حينما تتعرض حرية الفكر لأى عدوان فيقف الى جانب طه حسين على الرغم من كون كل منهما ينتمى الى حزب معـاد للآخر ٠

لكننا نختم هـذه الصفحة من تاريـخ الصحافة الادبية بالقـول أن السياسة الأسبوعية كانت رائدة حذت حذوها البلاغ الاسبوعى الذى اراد ان يستن سـنة فى التجديد تحدث عنها عبد القادر حمزة صاحب البلاغ فقال :

و« كنت أسعى لأن يكون البلاغ الاسبوعى صـلة وثيقة بين المـاضى والحاضر حتى لا تنصم العـرى بيننـا كما يريد البعض ٠ فالبلاغ الاسبوعى على هذا من انصار التجديد عن طريق التطور لا التجديد عن طريق الخروج على التقاليد والثورة على كل شىء جديد ٠ وهذا يصل بنـا الى ناحية الدين٠ فقـد رأينا بعض الدعاة الى التقـدم يضمنون دعوتهم سعيا ظاهرا او خفيا لنشر الالحـاد فى مصر ولكنـا لم نر فى مثل هذه الدعوة الا تأخرا لا تقدما ٠ فان الالحاد صنو الاباحية وكلاهما من أسباب التدهور والفناء للأمة(١) » ٠

وانت ترى من حيث صاحب البلاغ أن النزعة الحزبية السياسية تغلب على موقفه من التجديد ، فهـو يرى فى تجديد السياسة الأسبوعية وأفكارها

---

(١) البلاغ الأسبوعى : يوم ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٢٩ ٠

الجديدة اباحية والحادا كما كان يروج اعـــداء الدستوريين فى ذلك الوقت لحاجة فى نفس يعقوب ٠

ونحن لا يعنينا هـذا بقدر ما يعنينا موقف العقاد ازاء تدخل السياسة الحزبية فى حرية الفكر ! ٠

ان « تشارلز آدمز « صاحب » الاسلام والتجديد « يقول :

« وأهم عامل فى تكييف المثل الأدبية للعقـاد والمازنى هو الأدب الانجليزى وهما من الكتاب المصريين الذين يعتقدون أن الشرق يستطيع الأخذ من ذخائر العــلوم الغربيـــة دون ان يتخـــلى عن الطـابع الاســـلامى العـربى الذى يطبـع مدنيـة الشـرق وثقـــافته (٢) » ٠ بينمـــا يـرى (جب) أن العقاد والمازنى يجعلهما هـذا الرأى أقرب الى المحافظين من هيكل وطـــه حسين ، ويرى أن هيكل « كان يعمل الرويـة والفطنة فى تدريج الرأى العام الى مستوى الثقافة الاوربية ٠ ولكن طـه حسين لم يقتف اثر زميله ولـــم يزاحمه فى سبيل التؤده والتفطن بل هاجم الرأى العام المصرى بطريقة الشك الفلسفى والرأى العام المصرى غير مستعد لهـا ٠ وسار يقطـــع المراحل من انكار الى انكار » ٠

وفى رأينا أن الاستاذ جب قد خالفه الصواب بالقـدر الذى حالف فيـه الاستاذ تشارلز آدمز ، فالعقـاد لم يكن من المحافظين فى يوم من الايـــام فالعقـاد هو الذى شق طريق التجديد فى الشـعر وهو الذى شق طريق التجديد فى السياسة ، فدعا الى الثورة والحرية ودافع عن الدستور والشعب ، وعارض القصر الى الحـد الذى بلغه فى حملته فى عـام ١٩٤٨ والتى أدت بـــه الى السـجن ٠

فكيف يمكننا القول اذن بأن العقاد أخذ جانب المحافظين او الجـانب الرجعى كما يحلو للبعض ان يتهمه اليـوم ٠ ٠العقـاد المجـدد فى الشـــعر العربى ، العقـاد الذى ناصر تحرر المرأة ، وهذه نماذج من كتابات العقـــاد الاولى تبين لنـا نظرتــه الى الحريات التى كانت لا تختلف ـ كما يقـــول كامل زهيرى عن نظرته الى الجماليات لانه كان يرى أن الجمال ، فى الأدب والطبيعة هو الحرية المتسقة (١) ٠

---

(٢) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد ، الترجمة العربية لعباس محمود ص ٢٤٣ ٠

(١) كامل زهيرى : مجلة الهلال ـ أبريل ١٩٦٦ ٠

كتب العقاد فى الفصول (عام ١٩٢٢) يقول :

« أين هو الرجل الذى ينعم بالحرية ، وهو يسكن الى شريكة فى الحياة مستعبدة ، وأين هو الرجل الذى ينعم بثمرة الحرية وهو وليد أم مقيدة ؟ وأين هو الرجل الذى تحيا نفسه وقد مات فيها الجانب الذى خلقت المراة لتحييه ؟

انه العنقاء التى يتحدثون عنها فى اساطير الاولين » .

ثم يقول العقاد فى نفس المقال (١) الذى جعل عنوانه :

نهضة المرأة المصرية

« لن تضام امة عرف نسؤها الحرية . أجل فهذه قوله حق لاشك فيها . ولكن كم من الشك فى قول من يزعم أن عرفان الرجل بالحرية هو حسب الأمة ضمانا لها من الضيم ؟! فان حرية لا يعرفها غير الرجال أحرى ان تكون حرية شوهاء ، لانها كالتربة الشحيحة التى لا يسرى غناؤها الى كل فروع أشجارها . فلا نباتها كلها بمروى ، ولا المروى منه بسابغ الرواء على جميع اجزائه . والمراة فى أمثال هذه الامم فرع يابس لا خير فيه ، وقد يكون الرجل أندى منها حالا ، ولكنها حال لا تنفعه الا كما ينتفع بالفرع تتمشى فيه الخضرة واليبوسة . فلا هو للاثمار ، ولا هو للوقود ، وليس هذا شأن الأمم التى يظفر نساؤها بقسطهن من الحرية ، فانها أمم تستقى الحياة من أبعد اطرافها ، وترسلها الى ابعد اطرافها فهى شجرة يانعة لا حطبة لينة » ..

ويقول فى نفس المقال :

« .. وسيغضب على أنصار القديم . لا لأنى قلت شططا ، فى انتهاجى بنهضة المرأة المصرية ، ولكن لأمر صغير بسيط : وهو اننى قرنت بين كلمة الحرية ، وكلمة المرأة . وهم يكرهون جد الكره أن تقترن هاتان الكلمتان فى وقت من الأوقات . لا فى العصر الحاضر ولا فى مستقبل قريب او بعيد .

ولو سألتهم هل تحبون الحرية لانفسكم ؟ لقالوا نعم نحبها . ولأبنائكم نعم . ولابنائنا ولامهات بناتكم ؟ هنا يسكتون » ..

وفى هذه الفترة من شباب العقاد يمكننا ان نلمح فى شخصيته شخصية المجدد الثائر على التقاليد التى ميزت المجتمع المصرى طويلا ونجده

(١) مجلة الرجاء : العدد ١٢ .

ينظر الى القضية الاجتماعية نظرة الثائر المجدد كذلك كما سيتضح فى فصل آخـــر ٠٠

وهنـا نستطيع ان نقول ان (جب) جانبه التوفيق فى رأيه ان العقاد اقرب الى المحافظين ، فالعقاد كما رأينا بـدأ حياتـــه الفكرية والصحفية مجددا ، ونعيد الى ذاكرة قارىء هذا الكتاب موقفه من الفنـــون الصحفية التقليدية عندما بـدأ حياته الصحفية ، وعندما وجـد ان فن المقالة الصحفية بلغ على أيدى محمد السباعى ورفقائه شأوا بعيدا ، أراد ان يسلك طريقـا جديدا فى الفنون الصحفية وهو الفتى ذو الستة عشر ربيعا ، فكان أول صحفى مصرى يفتح باب « الاحاديث الصحفية » ٠

ونعود الى قضية كتاب فى الشــعر الجاهلى للدكتور طه حسين ، وهو الكتاب الذى اثار معركة كبرى بين الصحف وبعضها البعض غلب عليهـــا الطابع الحزبى ، وكان طـه حسين آنذاك (عام ١٩٢٦) من المنتمين لحزب الاحرار الدستوريين فهاجمتــه صحف الوفـد والحزب الوطنى والصـــحف الدينية الاســلامية وفى مقدمتها (المنــار) للشيخ محمد رشيد رضا ٠ وكان الدكتور طـه حسين يشتغل آنذاك بالتدريس بالجامعة الى جانب اشتغاله بالتحرير فى صحيفة (السياسة) ٠ وقد أقام الدكتور طـه حسين بحثه فى الشــعر الجاهلى على نظرية ديكارت ، وقد اصطدم راى الدكتور طه حسين بالدين وعلمـاء الدين فأثار هذا الكتاب معركة فى الصحف وفى مجلس النواب وكاد الأمر أن يفضى الى ازمــة وزارية عندما طرحت وزارة عدلى يكن أمـر الثقــة بهــا على مجلس النواب فى اثنــاء هذه الازمــة وانتهى الامر بمصادرة الكتاب وتقديم مؤلفه الى القضــاء للنظر فى هذه القضية ٠

وكان موقف صحيفة البلاغ الوفدية من هذا الكتاب موقف الخصـومة التى شعر بها تجاه الكتاب السابق ونعنى به (الاسلام واصول الحكم) : وفتح البلاغ صدره لهجوم عنيف شنه كل من رجال الأزهر ودار العلوم على الدكتور طه حسين (١) ٠

وهنا نجد العقـاد يثبت بدليل قاطع أنه أقوى من السياسة الحزبيـــة وانه انما كان يصــدر فى كتاباته عن عقيـدة وطنية اعتقدها ، لا عن حزبية وقد كان عباس العقـاد عضوا فى مجلس النــواب ، فيقــوم بعض الوفديين يطالبون بابعـاده عن الجامعة بتهمــة المســاس بالدين ، وكان سعد زغلول

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية جـ ٨ ص ٢٥١ ٠

زعيم الوفد يرى رأيهم ، فاذا بالعقاد يقوم فى وجههم مدافعا عن حرية الفكر والبحث العلمى غير مبال بسخط الساخطين منهم ٠

وفى الواقع لم يكن دفاع العقاد عن طه حسين دفاعا عن شخص او كتاب وانما كان دفاعا عن مبدأ عزيز من مبادىء ثورة ١٩١٩ وهو مبدأ حرية الفكر ٠ وهنا نجد العقاد قد خرج من تلك المشكلة المعقدة وهى تأثير السياسة الحزبية على اتجاهات الكتاب ، حتى كان هذا التأثير علة من علل الضعف فى الأدب ، وقد صور الدكتور طه حسين هذه الحقيقة فيما كتبه عام ١٩٣٢ يقول :

« ٠٠ على أن هناك علة أخرى لهذا الضعف لم يبق من الممكن أن نهملها او نعرض عنها ، لأنها شديدة الخطر حقا على الفن والذوق والخلق جميعا ، وهى حرص الساسة على استغلال الأدب والأدباء ٠

ومن الأشياء التى لا تقبل الشك ، أن هذا العهد السياسى الذى نعيش فيه قد احس ان الأدب المعروف والأدباء المعروفين لا يميلون اليه ، ولا يرضون لأدبهم أن يكون له صورة ومرآة ٠ وأراد مع ذلك ان يكون له أدب وأدباء وان يكون له شعر وشعراء ٠ فجد فى ذلك وأنفق جهدا غير قليل واذا ميول تظهر ، وأهواء تلتقى وانباء تذاع فى الصحف ٠ وجماعات تؤلف٠ وأندية تنظم ٠ ومحاضرات تلقى ، وأصوات كثيرة ترتفع ، وما كانت تسمع من قبل واذا أدب جديد أو ادب يوصف بأنه جديد ، وقد أخذ يدنو من الناس٠ ويتقرب اليهم ، ويتملقهم بالوان من أسباب الملق فيبلغ من بعضهم ما يريد ويعجز عن أن يبلغ من أكثرهم شيئا » ٠

بينما يعارض سلامة موسى الراى الذى يزعم بأن السياسة أفسدت الأدب فيقول فى عام ١٩٤٦ :

« ٠٠ هناك من يزعم أن السياسة قد أفسدت ادباءنا وشغلتهم عن مهمتهم الأصلية ٠ وهذه المهمة انما هى عند هؤلاء الزاعمين أدب البرج العاجى الذى لا يتصل بالمشكلات العصرية ، ولكنهم مخطئون ، لأن الأديب فى عصرنا يخون عصره اذا لم يكن سياسيا ٠ ولذلك لا يستحق ادباؤنا اللوم على أنهم أخضعوا أدبهم للسياسة ٠ بل الحق انهم يستحقون الثناء والحمد (١) » ٠

---

(١) مجلة الكاتب المصرى : سبتمبر ١٩٤٦ ٠

والحق ان سلامة موسى قد أصاب كبد الحقيقة ، فالأديب فى عصرنا يجب ان يكون سياسيا ، ولكننا نضيف تحفظا وهو على شريطة الا يكون للسياسة الحزبية تأثير سىء على ضمير الكاتب وآرائه ومعتقداته ٠٠

وعلى اساس هذا المقياس يمكننا ان نضع العقاد فى مرتبة عالية من مراتب الكتاب السياسيين الذين لم تجرفهم الحزبية الى سوأتها وسيئاتها ٠ فالعقاد منذ ثورة ١٩١٩ اشترك فى العمل الثورى بكل كيانه ٠ وكان أبرز كتاب حزب الوفد الذى قاد الثورة ، وكانت مقالاته المتتالية فى (البلاغ) من المقالات الرئيسية التى تعبر عن مبادىء الثورة ، ولكن العقاد استطاع ان يقهر الحزبية عندما تعارضت مع مبدأ عزيز من مبادىء الثورة التى اشترك فيها بكل كيانه ونعنى بهذا المبدأ « حرية الفكر » ٠

وقد تحدث الدكتور طه حسين عن موقف العقاد منه وعن خصوماته معه قال « لقد هاجمت العقاد فى غير موطن من مواطن الخصومة ، خاصمته فى السياسة وخاصمته فى الأدب ، وخاصمته فى السياسة والأدب أيضا ، ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد فى نفسى ٠ وما أظن أن بين لدات العقاد واترابه ومعاصريه من يقدره مثلما اقدره انا واكبره ، وليس يعنينى أن يكون رأى العقاد فى كرأيى فيه ٠٠ والذين عاصروا خصوماتى للعقاد يذكرون من غير شك اننى أثنيت على ادبه فى جريدة السياسة بين الوفد والدستوريين كاعنف ما تكون الخصومات ، وقد كانت الحرب سجالا بينى وبينه ولم يمنعه ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم فى مجلس النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على حربا » ٠

وموقف العقاد من قضية كتاب « الاسلام واصول الحكم » للشيخ على الرازق يبين لنا من مناقشته مع سعد زغلول فى هذا الأمر ، وقد كان سعد يظاهر الحانقين على الاستاذ على عبد الرازق حين تعرض للتجريد من لقب العالمية لأنه الف كتابا فى الاسلام واصول الحكم يخالف به بعض العلماء ، وكان سعد يسوغ ذلك التجريد بكل ما اوتى من قوة المنطق والبرهان ٠ وقال يوما وكان العقاد يناقشه فى ذلك : أو ليس من حق كل طائفة من الناس ان تقبل فيها من تشاء وتقصى عنها من تشاء ؟ هب هؤلاء العلماء جماعة أنشأوا لهم ناديا وحكموا فى يوم من الأيام على واحد من حظيرتهم بالاقصاء من هذه الحظيرة ٠ أتراه يحق له أن يبقى بينهم على الرغم منهم ولو كان مصيبا وكانوا هم المخطئين ؟

قال العقاد : يا باشا ليس من حق جماعة أن تحرم واحدا منها حقوقه المصرية ٠ لأن وظيفة القضاء التى يليها الأستاذ على عبد الرازق حق من

حقوقه الوطنية التى لا سلطان عليها لغير القانون ٠ ولو كان قصارى الامر ان يخرج الرجل من ناد او زمرة لا تريده لما استوجب اختلاف ، ولكنه يجرد من وظيفه القضاء بعد التجريد من لقب العالمية ، وليس هذا بحق لهم يستأثرون فيه بالمنع والاعطاء ، فضلا عما فيه من مصادرة الحرية والحرج على التفكير ٠

ويعلق العقاد على ذلك بأن سعدا وافق كعادته حين تتضح له الحجة ، وقال : « اما أن كان الامر هكذا فقد اختلف على هذا الوجه ٠٠٠٠ (١) ٠

وهكذا كانت مواقف العقاد من القضايا الفكرية التى تتصل بحرية الفكر منزهة عن الخصومات السياسيه ، وتبرز لنا كيف نصر العقاد الرأى رعاية للقيم الانسانية العليا التى هى عنده ارفع من القيم الحزبية ، بل ارفع حتى من القيم الوطنية ٠

ولم يدفع اعجاب العقاد بسعد زغلول وحبه اياه أن يحيد عن هذه المبادئ وفى اوقات قليلة كان يجرى الحديث بين سعد وبين العقاد فى الشعر والادب والفنون « احادثه فى ذلك قصدت خدمة لأهل الفن استعين به على مقاصدها . او احادثه اذا فاتحنى فى بعض ارائى عن الادباء المعاصرين او الاقدمين او عن مقالاتى الادبية التى كنت أنشرها يوما من كل اسبوع ولا اكتب يوميا فى السياسة ٠ وكنت اشعر اذا انقضى الحديث ولم اتجه بالقول اليه أنه كان يراقبنى طويلا ولا يلبث أن يقول بين الجد والفكاهة : « يا فلان ، ما أحسبك الا تعجب منا ومن خصوما تنا وانت فوق سحابك بين الشعر والخيال ! » ٠

قال العقاد له يوما على اثر كلمة من هذه الكلمات : الحق اننى لا اعجب من هذا ياباشا لانه ليس بعجيب أن تكون للسياسة خصومات ، وان يكون لهذه الخصومات أهلها والقادرون عليها ٠ ولكن الحق أيضا أننى لا أنصر رأيا على رأى رعاية للبرامج الحزبية أو المناوشات الموقوته ، فانها كما تقول يا دولة الباشا لا تستغرق انسانا مشتغلا بالأدب والخيال (٢) ٠

ولم تكن الخصومات السياسية فى عهد سعد تعنى العقاد الا لأنها كانت تمثل له جانبين فى احدهما القوة المستقيمة والدعوى الصحيحة وفى الجانب الآخر الحيلة الملتوية والدعوة الزائفة أو التقليدية على احسن ما توصف به من صفات (٣) ٠

---

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٥١٨ ٠

(٢)،(٣) العقاد : سعد زغلول ٥٢٦ ٠

وقد رأينا أن العقــاد حين أخذ جانب الوفد وهو حزب الأغلبية كان ذلك جنوحا منــه الى النضال من أجل الشعب ، وهو مما ينفى عنه تهمــة الرجعية أو المحــافظة كما يريد له خصومه ، ورأينــا أن الســياسة الحزبية لم تجرفه الى الدفاع عن تضــية باطلة ، فهو انخرط فى سلك السياسة لهدف واحــد وهو خدمة القضية الوطنية وكانت مبادىء الوفــد كما رسمها سعد زغلول على المبــادىء المثلى للدفاع عن هذه القضية ٠ وحين تعارضت هذه السياسة مع حرية الفكر هب مناهضا لاعــداء حرية الفكر ٠٠

أخذ العقاد الجانب التجديدى اذن ، وهذا يجعلنا نرى ان قول الاستاذ تشارلز آدمز كان أقرب الى الصواب وفحواه ، ان اهم عامل فى تكييف الفن الادبية للعقاد هو الأدب الانجليزى ، وأنه من الكتاب المصريين الذين يعتقدون أن الشرق يستطيع الاخــذ من ذخائر العلوم الغربيـــة دون أن يتخلى عن الطابع الاســلامى العربى الذى يطبع مدنية الشرق وثقافته (١) ٠

وحينما دافع العقــاد عن كتاب « فى الشعر الجاهلى » لطــه حســين كان يعتقد أن هزيمة الفكر فى هــذه الازمة هى هزيمة منكرة سيعقبها افتئات أصحاب الحكام على رجال الاقلام ، ولكن من جهة أخــرى لم يكن العقــاد يعتقد فى سلامة النظرية ذاتها ٠ وقال العقاد فى رهط من صحبه هم الاستاذ على أدهم والاستاذ عبد الرحمن صدقى والمرحوم عبد القادر المازنى وغيرهم اننا اذا اتبعنا خطــة الدكتور طــه حسين على نحــو ما يفعل خيال الشعراء الجاهليين لشككنا فى وجوده هو شخصيا ٠ فالبعض يقــول انه أزهــرى وآخرون يقولون انه درس بالسربون والبعض يقول انه صعيدى وآخــرون يقولون انه متزوج من سيدة فرنسية والبعض يقول انه صعيدى وآخرون انه رزق بولد اسمه كلود وبابنه ذات اسم فرنسى ، والبعض يقول انه ضرير وهو يقول فى كتاباته عن المؤلفات والمراجع والمسرحيات : قرأت وشهدت ٠٠ فمن هذه الروايات المختلفة الى حــد التناقض يمكن القول بأنه غير موجود ٠

والتقط هــذه الفكرة المرحوم المازنى وصاغها فى مقال طويل هجــوما على نظرية الدكتور طــه حسين فى الشعر الجاهلى بجريدة البلاغ (٢) ٠

ويرجع رأى العقاد الى ان نظرية الدكتور طه حسين ترتكن الى مواقف بعض المستشرقين ٠ ولم يكن العقاد معترفا بأحقية المستشرقين بالحكم على آدابنا

---

(١) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد ترجمة عباس محمود ص ٢٤٣ ٠

(٢) عبد الفتاح الديدى : عبقرية العقاد ص ٥٥ ٠

منـــا نحن أنفسنا • وكان يقول لو أن المستشرق كان قادرا على النقـد والفهم للأدب لاشتغل بآداب بلاده ولابدى قدرته على التذوق فى معالجة الانتـــاج الادبى فى لغته الأصلية • وكان يرى أن بعض المستشرقين فضـلاء حقـــا فى تقديمهم للمناهج العلمية والنظرات الخاصة بأسلوب البحث الى جمهــور المثقفين العرب • ولكنه كان يمس عند غيرهم غير قليـل من الرغبة فى زعزعة العقائد وتشويه الحقائق التاريخية العربية المتصلة بالتراث ورجاله (١) •

ويقــول العقــاد (٢) :

« وأيسر ما يبـدو من جهل هؤلاء الخابطين فى أمر اللغة العربية قبـل الاسلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم انهم يحسبون ان علماء المسلمين يلقون فى بحث تلك الابيات وصبا واصبا لينكروا نسبتها الى الجاهلية ولا يلهمهم الذوق الأدبى ان نظرية واحدة كافية لليقين بادحاض نسبتها الى امرىء القيس او غيره من شعراء الجاهلية •

« وهذه النظرة الكافيــة هى التى تعيى الناقدين المستشرقين وهى أصل وثيق من أصول النقـد يعول عليه الناظر فى الأدب كل التعويل ولا يقـــدح فيـــه أن يتسع للجدل وأن يجوز عليه الخطأ فى القليل دون الكثير •

« كذلك يتسع سبيل الجـدل فى انكار خبرة الخبير بكتابة الخطوط • وكذلك يجـوز الخطـأ فى محاكاة كلمة او بضع كلمات ولا يجوز فى السطور والصفحات •

« أما المستحيل أو شبيه المستحيل ، فهو تزوير أدب كامل ينسب الى الجاهلية ويصطبغ فى جملته بالصبغة التى تشـــمله على تباين القائلين والشـــعراء • فاذا جمعنا الشعر المنســوب الى الجاهلية كله فى ديوان واحـد فمن المستحيل ، أو شبه المستحيل أن نجمع ديوانا يماثله من كلام العباسيين او كلام الأمويين المتأخرين • واذا تل الفارق بين الشــعر المخضرم والشعر الأموى الاول والشــعر الجاهلى فتلك آيـة على صحة العلامات التى تميز الشعر الجاهلى وعلى صحة القرابة بينـــه وبين الشعر الذى لم يفترق عنـــه افتراقا بعيدا بزمانه وثقافة قائليه وبيئاتهم فى المعيشة ومناسبات التعبير• فلا يتشابه الشعر الجاهلى والشعر المخضرم ان لم يكن بينهما ميزان مشترك مع انتمائه الى عشرات الشعراء الجاهليين والمخضرمين •

---

(١) عبد الفتاح الديدى : المرجع السابق ص ٥٦ •
(٢) مطلع النور ص ٧٢ ــ ٧٤ •

« ان الملامح الشخصية التى تميز بين الفرزدق والاخطل وجرير لم يكن لهـا ثبوت أوضح وأقوى من ثبوت الفوارق التى تميز بين امرىء القيس وعمرو بن كلثوم وزهير · فمن يرى أن خلق دواوين الفرزدق والأخطل وجرير فى وسع راوية واحـد فقد سهل عليه أن ينسب شعر الجاهليين جميعا الى رواية أو رواة · ولكنه يذهب فى الحالين مذهبا لا سند له ولا سابقة من مثله فى آداب الامم ولا نصيب له من الذوق الأدبى غير النبو والاستغراب » ·

ولا يعنى هذا أن العقـاد لا يقـدر « ديكارت » الذى أخـذ الدكتور طه حسين عنه نظرية الشك ، فهو عند اعتقاده بأن على الشرق أن يأخذ من ذخائر العلوم الغربية ·· يقول العقـاد فى مقال بعنوان (رينيه ديكارت) (١) :

« وكذلك أدخل ديكارت فكرة الشك فلم يأت بشىء رائع ولا شىء جديد، ولكن كم قد ترتب على هذه الفكرة من تقدير حق الفكر الانسـانى بعد أن كان مسلوب الحقوق ؟ وكم قد ترتب على الاعتراف بحقوق الفكر من التغير الحاسم فى النظر الى طبائع الاشيا ء؟

« ان ديكارت كان يبحث عن حقيقة واحـدة موثوق بهـا ثم يتكفل اذا وجـدها بعرض جميع الحقائق عليها والخروج بها من ظلمات الشـك التى تحيط بهـا الى ساحة النور ·

وقد أعتقد أنـه وجـد تلك الفكرة حين قـال : « أنا أفكر فأنا اذن موجود » واثبت وجود فكره أولا بهذه البديهة المسلمة فى نظره ·

« فان كان قد أصاب أو كان قد أخطأ فليس المهم منــــا صوابه أو خطـأه · وانما المهم انه اعلن حق الفكر فى زمن كانت جميع الحقوق الفكرية فيه مستمدة من التقليد الاعمى والتقيد بكل حرف من حروف الأقدمين ·

« وسيبقى الاعتراف للعقل بحق الشـك أكبر دليل على الايمان بعقـل الانسان على تعدد صور الايمان · فاذا قلت « شك حتى توقن » أو قلت : « جرب حتى تثبت » أو قلت : « أبحث تعرف » فأنت على وفاق مع ديكارت على مبـدأ واحد متعدد الأساليب · ولهذا كان أيضا ممهد الطريق الى اساطين العـلم التجريبى ومناطق الحـس والاختبار » ·

وحين رأى العقـاد ان يأخذ العرب من ذخائر العلوم الغربية ، لم تشغله هذه العـلوم عن المقومات الحقيقية الأصيلة فى حضـارة العرب وفنـــونهم

---

(١) مجلة الكتاب : أبريل ١٩٥٠ ·

وفلسفاتهم · وان كان قد استفاد لكثير من ملازمة المؤلفات الغربية وتراثها ، واستفاد من الفلاسفة والشعراء والأدباء والعلماء المنهج المرن وفحص الامور على نحو تحليلى ينفذ الى قرارات المبادىء الاولية ويخترق حجم الصفات الاقليمية والعادات البيئية · ولكنه لم يفقد فى كتاباته « الحماسة لأصالة العرب وحمكتهم ولعل ذلك ما حدا بالاستاذ تشارلز ادمز أن يقول قولته الصحيحة فى العقاد ، وان كنا قد رأينا أن الاستاذ « جب » قد خالفه التوفيق فى زعمه ان العقاد أقرب الى المحافظين ·

وفى هذه المرحلة من حياة العقاد (١٩١٩ ـ ١٩٢٥) خاض العقاد معركته الادبية الكبيرة ضد أحمد شوقى · وتكتسب هذه المعركة الادبية وجها أجتماعيا اذا علمنا ان شوقى كان يمثل التقليد ابان الحرب الأولى وبعدها وظل يمثل ارباب الجاه والقصور ويستعين بالمال فى القضاء على خصومه ومخالفيه ويملأ الصحف قسرا بالمدح والثناء على شعره · ويذكر العقاد تلك الكتابات التى أحاطت شعر شوقى منذ البداية بهالات الثناء والتمجيد على صفحات المؤيد واللواء والظاهر . على انها من العوامل التى ضاعفت « غروره » · لذلك كان شوقى فى عرف العقاد اشبه بملحق ادبى بلاط أمير مصر السابق · ولا يستثنى العقاد من صحف اوائل العشرينات سوى « مصباح الشرق » التى كتب فيها المويلحى بضع مقالات لا تسبح مع التيار ، ولكن سرعان ماانقطع نشر هذه لسلسلة « وهذا أدعى الى الريبة » كما يقول العقاد ·

هذا هو الخصم الذى واجهه العقاد ـ شاعر للقصر ، مفاخر بلقبه « شاعر العزيز وما ، بالقليل ذا اللقب » قادر بحكم اتصاله بالسلطة العليا على أن يستفيد من تسخير الدعاية الصحفية لمولاه ، فيخرج منها بنصيب لنفسه حين تنشر مدائحه الرسمية ، بالثناء على شعره ، والتمجيد لصاحبه والنيل من غيره ، منادين بتفضيله حتى على شاعر العربية « المتنبى » الذى قيل فى وصفه أنه « ملأ الدنيا وشغل الناس » والذى كتب عنه قبل ذلك فيلسوف العربية الشاعر « أبو العلاء المعرى » كتابا سماه « معجزة أحمد » والذى كان فى القرن العاشر يقول حين يمدح مهنئا كافور الاخشيدى الجالس وقتذاك على عرش مصر :

وانا منك لا يهنىء عضو

بالمسرات سائر الأعضاء

على حين جاء مزاحمه شاعر القرن العشرين ليقول للخديوى :

فاسمع لعبدك ، وابن عبدك ، منطفا
منطايرا بك فى الفوافى صـــيته (١)

هذا هو شوقى الذى ثار عليه العقاد ليهدم سلطانه فى عالم الادب الشعر واذا بالعقاد يعلن حربا عوانا على الفن الشعرى الذى يمثله شوقى · فقد نبغ شوقى الغنيه فى الاستبداد والاستهانة بالشعب والادب ·

ويمكن ان نجمل اسباب حرب العقـاد على شعر شوقى فى ·

اولا : ان العقـاد يؤمن بتاثير الشخصية الانسـانية فى الشخـصيه الفنيـه ايمانا عميقا · وشخصية شوقى كشاعر للقصر ومرتبط بالطبقه العليا كما سبق القول ، قد اسهمت فى افساد شعره وذوقه ، فاصبح شوقى يمـدح ويهجو ويرثى وما الى ذلك من اهداف الشعر الموروثة ·

ثانيا : أن العقـاد بوصفه منتميا الى الطبقة الثورية الناشئة يحمـل عداء اجتماعيا واضحا ومباشر لشخصية الشـاعر الاجتماعيه . فى المستوى الفكرى والقومى الوطنى ·

وحزم العقـاد الامر فاذا به يقدم فصولا فى النقد لشعر شوقى لم تعرفها اللغـه العربية من قبل . ويكتب شوقى قصيدة رثاء فى زعيم وطنى يديـن له الشعب المصرى بالكثير من آيات النضال الثورى · وهنا يتناول العقاد هذه القصيدة بالنقـد لاعتقاده ان الشـاعر الملكى لا يمـكن ان تطـابق مشاعره احاسيس المصريين ازاء فقـد احد زعمائهم الوطنيين . محـاولا فى نقـده تلمس مدى الصدق الذى تنطـوى عليـه القصيدة فى بكاء الزعيم الوطنى محمد فريد · وقد التفت العقـاد الى الجانب الفنى فى القصـيدة على اعتبار ان المعايير الفنية الدقيقـه تكشف لنـا مدى الصدق الذى يعتمل فى وجدان الشـاعر ، او الزيف الذى يغلف كلماته ، وقد تنـاول العقاد قصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل من قبل التى مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبـان قاصيهما فى مأتم والدانى

واقام عليهـا نفس المقاييس الفنيـة التى تكشف زيف الشاعر ، وابان تفكك اجزائها بحيث يتسنى لمن يشاء ان يضع ابياتها على اى وضع ثـم يعيد ترتيبها على وضع آخـر لافتقارها الى الوحدة التى لا قوام للقصيدة بغيرها · ويقول فى ذلك :

---

(١) عبد الرحمن صدقى : مقال بمجلة الهلال ــ مارس ١٩٦٦ ·

« ان القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصور بأجزائها ، واللحن الموسيقى بأنغامه » ٠

ويثير العقاد فى قصيدة شوقى عن محمد فريد قضية الشعر ولغة الشارع ، هل يمكن على سبيل المثال ان يستعير الشاعر تعبيرات الشحاذين الاستجدائيين فى صياغة معانى الموت التى يمكن استلهامها من هذه التعبيرات ببساطة ويسر ٠ أى اننا نستمع الى الشحاذ يتوكأ على عكازه متمتما فى نغم حزين : « دنيا غرور ، كله فان ، من قدم شىء التقاه ، ياما دست جبابرة تحت التراب ، اللى عنده باق » الى آخر هذه القائمة من الدعاءات فى استرحامها لقلوب الناس عن طريق تذكيرهم بالآخرة ٠٠ فاذا جاء وصاغ نفس هذه العبارات شعرا ، ماذا يمكن ان نلاحظ ؟

والعقاد يثور على « أسلوب » شوقى فى استخدام لغة الشارع لان شوقى اكتفى بتحويل الحكمة الشعبية المتداولة برنينها العذب المألوف الى بناء فصيح مؤسس على الهندسة الكلاسيكية للشعر العربى ، فلا هو يعطى الكلمات المألوفة معنى غير مألوف ، ولا هو يجزل فى العطاء فيسخو على الحكمة القديمة ببناء حديث ٠ وانما نراه قد استدرج اللفظ من مخبئه الشعبى الدافىء الى قصر من الرخام البارد يزهو برصف الكلمات على نحو عروض موزون غير مختل ، وقافية وقورة غير لعوب ٠ واذا قرأنا لشوقى فى رثاء محمد فريد :

كل حى على المنية غاد
تتوالى الركاب والموت حاد
ذهب الاولون قرنا فقرنا
لم يدم حاضر ولم يبق باد
هل ترى منهم وتسمع عنهم
غير باقى مآثر وأيادى

أحسسنا على الفور أن العقاد لم يكن يهزل فى تفضيل ادعية الشحاذين على هذا «النظم» الخالى من حرارة الخلق العفوى والابداع الذاتى ٠ ثم نكاد نوقن بأن احدى أدوات « الصدق » الفنى الاساسية قد غابت عن صياغة شوقى لهذه الابيات تلك هى توظيف الصورة الشعبية المألوفة فى احتواء مضمون جديد ، ينتقل بالحكمة العامة التى يمكن أن تقال فى رثاء اى انسان الى العبرة الخاصة بانسان محدد ٠ لهذا أيضا يتوقف العقاد

كثيرا عند الأبيات التى تصف موقع القبر أو استخدام الامثال الدارجة فى مقام الوعظ والارشاد لكى يقرر بعدئذ أن شوقى يهتم أشد الاهتمام بالعرض دون الماهية ، بالمظهر دون الجوهر ‥ ومن هنا تتفتت القصيدة الى مشورات متفرقة لا يجمع بينها سوى الحبر الواحد والقافية الموحدة(١)» ·

وهكذا لم يستطيع الشعر المحافظ أن يتلاقى مع الفكر التحديدى للعقاد ، الذى ارتبط بتقدم الفكرة السياسية عنده فى ذلك الوقت ، كلاهما دفعه لأن يمجد محمد فريد ويفضله على مصطفى كامل (٢) · بل ويضعه فى مصاف شهداء الانسانية فى العالم كله ، كما جاء فى مقاله بمجلة « المصور » ·

ومن هنا تبنى العقاد اكثر الاتجاهات الثورية نضجا فى النقد الاوربى الحديث كمدخل الدراسة اكثر لاتجاهات الكلاسيكية نضجا فى الشعر المصرى الحديث ، وهكذا شارك العقاد فى وضع الاساس فى بناء عصر النهضة الادبية فى تاريخ مصر الحديث ·

ويصدر العقاد كتاب « الديوان » بالاشتراك مع ابراهيم عبد القادر المازنى فى سنة ١٩٢١ وكان العقاد آنذاك محررا بالأهرام ، وطبعته مكتبة السعادة بأول شارع درب الجماميز وجعل عنوانه « كتاب فى النقد والأدب يتم فى عشرة أجزاء » بيد أنه لم يصدر منه سوى جزآن ·

وكان شوقى هدف العقاد والمنفلوطى هدف المازنى ، وقد جاء فى مقدمة الديوان ، التى نرجح أن كاتبها هو العقاد :

« ان كان للسكوت عن الخوض فى احاديث الأدب داع فقد زال ذلك الداعى اليوم ، وقد تجددت دواع للكتابة فى أصوله وفنونه اخصها الأمل فى تقدمه لالتفات الاذهان الى شتى الموضوعات ، ومتنوع المباحث ، والحذر عليه من الانتكاس لاجترا الأدعياء والفضوليين عليه وتسلل القلام المغمورة ، والمآرب المنتمية الى حظيرته · وكتابنا هذا مقصود به مجاراة ذلك الأمل ، وتوقى تلك العلل ، وهو كتاب يتم فى عشرة اجزاء ، موضعه الأدب عامة ووجهته الابانة عن المذهب الجديد فى الشعر والنقد والكتابة ، وقد سمع الناس كثيرا عن هذا المذهب فى بضع السنوات الأخيرة ، ورأوا بعض آثار موتهيات الأذهان الفنية المتهذبة لفهمه ، والتسليم بالعيوب التى تؤخذ على شعراء الجيل الماضى وكتابه ومن سبقهم من المقلدين ، فنحن بهذا الكتاب فى اجزائه العشرة وبما يليهم من الكتب نتم عملا مبدوءا ، ونرجو ان نكون فيه موفين الى الافادة مسددين الى الغاية ·

(١) مجلة الطليعة ـ انظر الملف الخاص بالعقاد ·

(٢) راجع التذييل بالديوان ·

« وأوجز ما نصف به عملنا – ان افلحنا فيه – انه اقامة حد بين عهدين ، لم يسبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما . واقرب ما نميز به مذهبنا انه مذهب انسانى مصرى عربى : انسانى لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولانه من ناحية اخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة او مظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ومصرى لأن دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربى ، لأن لغته العربية . فهو بهذه المثابة أتم نهضة ادبية ظهرت فى لغة العرب منذ وجدت ، اذ لم يكن أدبنا الموروث فى اهم مظاهره الا عربيا بحتا ، يدير بصره الى عصر الجاهلية .

وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل ، وقضى ان تحطم كل عقيدة اصناما عبدت قبلها . وربما كان نقد ما ليس صحيحا أوجب وأبر من وضع قسطاس الصحيح وتعريفه فى جميع حالاته فلهذا اخترنا أن نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادىء الحديثة ، ووقفنا الاجزاء الأولى على هذا الغرض . وسنردفها بنماذج للأدب الراجع من كل لغة " وقواعد تكون كالمسبار وكالميزان لاقدارها . فان أصبنا الهدف والا فلا أسف ، وحسبنا بهذه المقدمة الوجيزة بيانا » .

وقد عرض العقاد للديوان بعد خمس سنوات من صدوره فى البلاغ الأسبوعى (١) حيث قال :

« .. منذ بضع سنوات نشر كتاب « الديوان » فذاع ذيوعا لم يسبق له مثيل فى مصر ونفدت طبعة الجزء الأول منه فى أقل من أسبوعين . وثارت حوله ثائره الناقمين المدسوسين عليه . والذين يغنيهم وغر نفوسهم عن الايغار والاغراء فخيل اليهم أنهم طامسو أثره ومخفو صوته وعادلون بالقراء عن الاصغاء اليه والاقتناع بحقه . وبقينا نحن نلمس آثاره فى اقوال المحدثين ومقالات الكاتبين وتعليق المعقبين على ما ينشر من الشعر ويروى من الأدب القديم والحديث ، الى أن جاء يوم الاحتفال الذى دبره شوقى لتكريمه . وسئل الأدباء رأيهم فى شعره فكان فريق الناقدين أرجح من فريق المقرظين فعرفنا الآراء التى بسطناها فى كتاب الديوان وهى تتخلل مقالاتهم وملاحظاتهم .

« وكان أناس يوافقوننا فى مجمل الرأى ويطلبون الينا أن نتخذ النقد لهجة غير التى اتخذناها لندفع مظنة التحامل على شوقى والنظر الى شخصه فكنا نقول لهم أن مثل شوقى واحابيله هى التى ينصبها لترويج امره والكيد لغيره لاتستحق هنا غير تلك اللهجة .. » .

---

(١) لبلاغ الأسبوعى : يوم ٢٤ من يونيو ١٩٢٧ .

الفصـــل الثـــانى

اتجاهـــات جـديدة

توالى تعطيل البلاغ بعد صدوره فى عشرة ايام بنحو عشرة اسماء ، وعلم العقاد أن عبد القادر حمزة قد اشترى مقادير كبيرة من أورق فى الوقت الذى أغلقت فيه كل صحيفة أصدرها ، وكان ذلك دليلا على أن البلاغ لابد عائد الى الظهور ولن يغلق ، والا ما اشترى صاحبه هذه الكميات الوافرة من الورق · وعاد البلاغ الى الصدور بعد احراج العقاد واخراجه منه ، وبقى منتظما فى صدوره عدة شهور ·· واحتجبت ـ بدلا منه ـ صحيفة كوكب الشرق التى نشر فيها العقاد مقالاته ثلا ثةأيام متواليات ، وظلت محتجبة طوال الوقت الذى انتظم فيه صدور البلاغ ·

واشتغل العقاد فى عدة صحف بعد ذلك فكانت تغلق الواحدة بعـــد الأخرى ، منها كوكب الشرق ثم المؤيد الجديد ، وهى التى كتب فيها مقالاته التى كانت موضع المحاكمة والسجن ، وبعد خروجه من الســجن أصــدر « الضياء » ، وحتى اذا جاء عام عام ١٩٣١ نجد عبد القادر حمزة يصــدر البلاغ من جديد بعد أن أصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيلها نهائيا فى منتصف شهر يونية سنة ١٩٣٠ ، وتصدر البلاغ باسم (البلاغ الجديد) ونجـد العقاد لا يشترك فى تحريرها من بعد خروجه فى سنة ١٩٢٩ ·

ولكن العقاد يحرر فى جريدة (مصر) فى عام ١٩٣١ الى أن يصـدر محمد توفيق دياب جريدة (الجهاد) ١٩٣٢ يحرر بها العقاد حتى ســنة ١٩٣٤ ، وكانت الجهاد من أقوى الصحف التى واجه بها الوفد حـكم اسماعيل صدقى وقد لقى صاحبها فى سبيل ذلك كثيرا من العنت والاضطهاد وتعرض للمحاكمة والسجن · وقد توقفت عن الصدور عام ١٩٣٨ بعد أن غرقت فى ديون عجز صاحبها عن سدادها ·

ثم ما لبثت روز اليوسف اليومية أن صدرت وفدية فى عام ١٩٣٥ ، ولكنها اختلفت بعد ذلكع مع الوفد فأصدر قرارا بقطع الصلة بينها وبينه فى أواخر العام نفسه · ثم حار بها بعنف بسبب موقفها المعارض من حكومة توفيق نسيم التى كان الوفد يهادنها لما وعدت به من أعادة دستور ١٩٢٣ ، ولما كان متوقعا أن يترتب على ذلك من عودة الوفد الى الحكم ·

وفى عام ١٩٣٧ تتوقف روز اليوسف اليومية نهائيا ويعود الى البلاغ التى كانت قد تحولت عن الوفد منذ عام ١٩٣٢ ·

وقد تميزت هذه الفترة ببعض الاحداث الهامة التى اثرت حياة البلاد .
وقد تفاعلت بها الصحف وكان لها ازاءها مواقف ايجابية واضحة منها بعد حكم محمد محمود ، وحكم اسماعيل صدقى عام ١٩٣٠ والغائه دستور ١٩٢٣ ، واقامة دستور جديد ضيق فيه ما اكتسبته الامة من حقوق فى الدستور السابق وزادت فيه سلطة القصر ، وما لبث حكم صدقى أن ادبار ، وطالب الشعب بعودة دستوره القديم ، ولكن وزارة توفيق نسيم تلكأت وظل الوفد يؤيدها أملا فى أن تعيد الدستور الملغى وأن تجرى الانتخابات ، ولكن المظاهرات التى تعبر عن سخط الرأى العام المصرى قامت معلنة غضبها ، فقامت مظاهرات الطلبة فى نوفمبر ١٩٣٥ واستشهد فيها عدد منهم .

وكانت وزارة نسيم الثانية (١٩٣٥) تلقى التأييد من الملك والانجليز ثم من حزب الوفد كما سبق ، وشاع يومئذ وصف الوزارة بهذا اللفظ . (قنطرة) « لعبور الوفد الى الحكم ، مع ان بيان الوزارة صريح فى انها جاءت لاصدار دستور ترضاه الأمة » ولم تشر قط الى أن غرضها اعادة دستور سنة ١٩٢٣ نفسه . وراقب العقاد هذه القرائن مجتمعة ، وهو الذى قاتل بضراوة فى سبيل دستور ١٩٢٣ ، وأحس بأن وراء تسويفها نية الخاتلة فشن على وزارة توفيق نسيم عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ حملة ضارية فى روز اليوسف اقضت مضجعها ، كما اقضت مضجع الوفد الذى كان يؤيدها ، وحمل العقاد على وزير المعارف فى الوزارة النسيمية حملة شديدة حتى قيل إنه دخل على رئيس الوزارة ذات يوم واستقالته فى يده ومقالات العقاد فى اليد الأخرى .

وطلب مصطفى النحاس من العقاد ان يكف عن هجومه على الوزارة . واستدعاه لمقابلته بالاسكندرية ودار بينهما حديث يعتبر فصل الختام لجانب هام من حياة العقاد ، وبداية انفصال العقاد عن حزب الوفد ، ولعل أهمية هذا الحديث تقتضى ذكره ، فبعد أن وصل العقاد الى الاسكندرية توجه لمقابلة النحاس ودارت بينهما هذه المناقشة الحادة :

النحاس : لماذا تحمل على الوزارة يا أستاذ عقاد ؟

العقاد : لانها انحرفت عن الطريق السوى وهى تماطل فى اعادة الدستور وتعمل لصالح السراى والانجليز ووزير معارفها نجيب الهلالى يضطهد المواطنين .

النحاس : ولكن الوفد يؤيد هذه الوزارة وعند توليه الحكم يصلح كل شئ .

العقاد : أنا لا أستطيع ان اغض الطرف عن اعمال الوزارة ، ولن أقف موقف الاغضاء عن مساويها وهى تنكشف يوما بعد يوم ٠

النحاس : انا زعيم الأمة أؤيد الوزارة فما عساك تصنع يا عبــس يا عقاد ؟

العقاد : أنت زعيم الأمة لأن هؤلاء انتخبوك (مشيرا الى بضـــعة أشخاص من اعضاء الوفد) ولكنى كاتب الشرق بالحق الالهى ٠

النحاس : ان الوزارة باقية ما دام الوفد يؤيدها ويضع ثقته فيها ٠

العقاد : لن تنتهى برية هذا القلم الا وقد انتهى أجل هـذه الوزارة (وأخرج قلما صغيرا من جيبه) ٠

وانصرف العقــاد والحــاضرون يتشبثون به ويلاحقونه حتى يزينوا ما بينه وبين النحاس ، ولكن العقاد أصر على الانصراف ٠

ويقول رفيقه فى هذه الرحلة الأستاذ طاهر الجبلاوى : « وكانت أول كلمة سمعتها من فيه بعد هذه المقابلة « لسنا مع الوفد بعد اليوم (١) » ٠

واتصل العقاد بصحيفة روز اليوسف اليومية التى كان يكتب فيهــا وطلب اليها انتعد عنوانا مرسوما « أكلشيه » ليواصل حملاته ضد الوزارة ، وخرج العقــاد على الوفد ، ولــم تمض أيام حتى تكشــفت نوايا الوزارة النسيمية ، وسحب الوفد ثقته منها ، ودار الزمن وخرج من الوفد من كانوا يلومون العقاد على موقفه منه ، وتبعهم مكرم عبيد (باشها) الذى كان يناوىء العقاد ويناضله ويقول له « ان من يخرج على الوفد لا بد أن يتحطم » وكان العقاد يجيبه بمقالاته المشهورة تحت عنوان « لسنا عبيدا يا عبيد » ٠

وكانت هذه أول محنة حقيقية يتعرض لها الوفد عندما بــدأت تنسلخ منه عناصر أشد من قياداته اصرارا على الديمقراطية وجنوحا الى التجــديد فى ذلك الوقت ٠ وفى حالة العقاد كان المثقفون من الشباب يرون رأيه ويشدون أزره ويتظاهرون من أجله ويرون أن الوفد قد أخذ يفرط فى الدستور مكتفيا بمكاسب جزئية وقانعا بمعسول الوعود لأنه تعب من النضال ومن فداحــة التضحيات ٠ وقد دخل الوفد من قبــل فى تاريخه الطويل ســواء فى أيام

---

(١) محمد طاهر الجبلاوى : فى صحبة العقاد ص ١٠٢ ٠

سعد زغلول او فى أيام النحاس معارك عديدة رهيبة مع أعداء الديمقراطية وانصار الحكم الاوتوقراطى ودعاة التفاهم مع الانجليز ، ولكن كل هذه المعارك لم يكن الا جولات عظيمة فى ملحمة الكفاح الديمقراطى العظيم ، وكان الوفد فى كل مرة يخرج منها منتصرا ومؤكدا سيادة الشعب بعد ان يدفع ضريبة الكفاح الفادحة وينزف نزيفا غزيرا فى المال والرجال • ولم تكن هذه أول مرة يتعرض فيها الوفد للتصدع والانشقاق ، ولكن هذا الانشقاق كان يجرى عادة فى صفوف قيادته لا فى قاعدته الشعبية ، وكان المنشقون منه عادة هم فئة « المعتدلين » فى الوطنية « العقلاء » فى محاربة الملكية المطلقة ، أو باختصار دعاة المهادنة من ميمنة الوفد ، فكان الوفد باستمرار يطهر صفوفه منهم ويحتكم الى الشعب فيخرج من الاحتكام أشد تماسكا وأصلب عودا ، وكان آخر المنشقين من قيادة الوفد هم جماعة السبعة ونص التى كانت تشكل أكثرية القيادة فطردت الأقلية المكافحة الاكثرية المهادنة وأحالتها الى هشيم فى أربع وعشرين ساعة (١) •

بل لم تكن هذه أول مرة يتعرض فيها الوفد الى انسلاخات من القاعدة ، كما يبين ذلك الدكتور لويس عوض ، على أساس أن ريح الفاشية والنازية التى هبطت على أوربا أدركت منها مصر موجات فى أوائل الثلاثينات تحت ضغط الأزمة العالمية فظهرت فى مصر شيع من الشباب المتحمس اليائس من جدوى الديمقراطية والتمست الحل الوطنى فى تشكيلات مصر الفتاة بين المثقفين (٢) وفى تشكيلات عباس حليم بين العمال • ولكن هذه الانسلاخات فى قاعدة المثقفين وفى قاعدة العمال كانت انسلاخات الى اليمين لا الى اليسار وكانت تتضمن تفريطا فى أحد وجهى فلسفة ثورة ١٩١٩ ، وهو الوجه الديمقراطى فى سبيل تحقيق الوجه الآخر ، وهو الوجه الوطنى • أما أزمة الوفد التى بدت تباشيرها فى ١٩٣٥ وبلغت مداها حين وقع الوفد معاهدة ١٩٣٦ فقد كانت أول أزمة حقيقية مربها الوفد لانها لم تكشف فقط عن ظهور تصدع فى قاعدته الجماهيرية بل كشفت أيضا عن بدايات الانسلاخ منها نحو الوان من اليسار والشعبية بعضها داخل الاطار الديمقراطى وبعضها خارج عنه تماما •

---

(١) الدكتور لويس عوض : الأهرام ـ عدد الجمعة يوم ٢٠ مارس ١٩٦٤ •

(٢) أصدرت جماعة مصر الفتاة عدة صحف هى :
الصرخة ـ الضياء ـ الثغر ـ ثم صحيفة تحمل اسم الحزب « مصر الفتاة » •• وكان العقاد يكتب فيها مع لفيف من كبار الساسة •

وسرعان ما أدرك الوفـد ما سبق للعقـاد أن أدركه : أدرك أن توفيق نسيم المهادن فى اوج الغليان الوطنى سنة ١٩١٩ هو عينه توفيـق نسـيم المهادن فى أوج الغليـان الديمقراطى سـنة ١٩٣٥ فانقض عليه واعلن على حكومته الجهاد حتى سقطت واضطر الملك فؤاد صاغرا ان يعيد دسـتور ١٩٢٣ • وأجريت الانتخابات وتولى الوفـد الحكم فى جـو دولـى عاصف تجمعت فيـه كل مقدمات الحـرب العالمية الثانية • ووقع الوفـد معاهدة ١٩٣٦ ووقعت معه المعاهدة كافة الأحزاب ذات الوزن فى حياة مصر السياسية بنـاء على طلب الانجليز • كان واضحا يومئذ أن الانجليز يمهدون للحرب العالميـة الثانية بتامين كافة جبهاتهم الخارجية وبتبريد كافـة المنـاطق الملتهبة ، وفى مقدمتها مصر ولو بتقديم بعض التنازلات استعدادا لمواجهة المحـور • وبعد أن وقع الوفـد معاهدة ١٩٣٦ طرده الملك من الحكم واقـام مكانه سلسلة من حكومات الاقليـة حتى فرضـه الانجليز فرضـا اثنـاء الحرب بانذار ٤ فبراير ١٩٤٢ كجزء من استراتيجية الحرب لتأمين الجبهة المصرية • التى طوقتها النازية من الخارج ومن الداخل كان واضحا فى ١٩٣٦ وفى ١٩٤٢ ان الانجليز كلما تأزمت أحوالهم الدولية لم يجدوا مناصـا من التعامل مع حزب الأغلبية حتى يتاح لهم أن يخرجوا من مأزقهم (١) •

وايا كان تقدير الوفد ، فان أزمة الديمقراطية المصرية بمعناها الليبرالى الذى ورثناه عن ثـورة ١٩١٩ ممثلا فى حـزب الوفـد تكشفت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ فبعد ١٩٣٦ عمت حياتنا السياسية بلبلة عظمى ثم تصدع عظيم فى قاعدة الوفـد وفى قيادته جميعا • وبعد انسلاخ العقـاد انسلخ ماهر والنقراشى وابراهيم عبد الهادى انسلخ مكرم عبيد ورجال الكتلة وبعد هؤلاء جميعـا انسلخ نجيب الهلالى وعبد الحميد عبد الحق وعديد من « المستقلين » ويقول الدكتور ليس عوض أنهم رأوا كل من ينسلخ من قيادة الوفـد كان يعاهد الناس على مبـادىء سعد ثم يتعاون تعاونا كاملا مع فاروق ورجاله (٢)••

وبعد خروج العقـاد من الوفـد حاربه الوفـد محاربة عنيفة ومنع نشر مقالاته فى الصحف واضطهد كل صحيفة تنشر مقالاته ولو كانت فى الأدب والمعرفة ، وهدد أصحاب المكاتب ومنعها من شراء مؤلفاته ومنها كتابه العظيم عن « سعد زغلول » الذى أصدره فى عام ١٩٣٦ •

ولقد كان هذا الكتاب عظيما حقـا ــ لا لأنه كان دعـوة وبشرى وعهدا بتجديد الكفاح الديمقراطى الذى كان سعد زغلول عنوانه الاول ، ولكن لأنه

---

(١) الدكتور لويس عوض : المرجع السابق •

(٢) نفس المرجع •

ـ كما يقول الدكتور لويس عوض ـ كان بمثابة المذكرات التى يكتبها العظماء فى نهـاية حياتهم ليرثوا بها شبابهم الزاهـر ويبكوا فيهـا امجاد الكفـاح البطولى من اجل الديمقراطية الليبرالية الذى شارك فيه العقـاد بدم القلب وبوهج الفكر وبصلابة الفولاذ ٠ لقد أدرك العقـاد أن هذا العهد مضى وانقضى وما من رجعة اليـه ولو فى الاحلام فدون على قبره ـ ذلك الشـاهد العظيم الذى سماه « سعد زغلول : سيرة وتحية » (١) ٠

ولم يابه العقاد لمحاربة الوفد له ، فهاجم معاهدة ١٩٣٦ وفند ابوابهـا فى مقالات نشرتها صحيفة « مصر الفتـاة » ٠

ويحدثنا الاستاذ طاهر الجبلاوى ان خصوم الوفـد دعوا العقاد عقب حملاته على الوفـد الى حفل شعبى فى الجزيرة وأعلنوا فى الصحف أنه سيلقى قصيدة سياسية فى هذا الحفل فحضره ثلاثون ألفا من المسـتمعين وكانت حفلاتهم لايغشاها أحـد غير افراد معدودين ، والحق أن الوفـد دالت دولته بعد انصراف العقـاد عنه ، وكشف الستار عما حل بـه من الضعف والتدهور ولم يتحطم العقـاد كما زعم مكرم عبيد ولكن تحطم الوفـد ٠

ومما يذكر أن العقاد حين أصدر صحيفة « الضياء » بعد ان اخرجـه الوفـد من الصحف التى كان يحاربه فيها ، لم تملك الحكومة الا ان اشترت اعدادها جملة من متعهدى توزيع الصحف لقـاء ثمن اغلى من ثمنها ، حتى تحـول بين الناس وصوته ، ولجـأت الى غير ذلك من اقامة العراقيل امام قلمه حتى لا يصـل الى الناس ٠

وينشر العقاد فى تلك الفترة كتابه « عالم السدود والقيود » مفكرا فى جهاده الوطنى وما يلى فيـه ومما ذاق من مرارة السجن ٠ وصور فيـه رحلته فى السجن لمـدة تسعة أشهر وعرض لبعض وجـوه الاصلاح التى ينبغى ان تجرى فى السجون ٠

الفصـــل الثـالث

صــحيفة جـديدة

اصــدر محمد توفيق دياب صحيفة « الجهــاد » اليومية فى عــام ١٩٣١ وذلك بعد عدد من الصحف اغلقتها له السـلطات ، وهى من الصحف التى واجــه بها الوفـد عهـد اسماعيل صدقى ٠

وبعـد أن خرج العقــاد من السجن فى ١١ يناير سنة ١٩٣١ كتب فى صحيفة ممصر ثم استقر فى « الجهــاد » منذ صدورها فى سبتمبر ١٩٣١ حتى غادرها الى « روز اليوسف اليومية » عام ١٩٣٥ ٠

وتميزت هـذه الفترة التى كتب فيها العقــاد فى الجهاد ببعض الاحداث المهمة التى كان للعقــاد دور كبير فيها ومواقف ايجابية واضحة ، وهى على الترتيب اجراء الانتخابات وفاز الوفد الساحق فيها ثم تاليف الوزارة برياسة مصطفى النحاس من اول يناير سنة ١٩٣٠ وبدات مفاوضات رسمية بينه وبين مستر هندرسن وزير الخارجية البريطانية فى سنة ١٩٣٠ بيــد أن هذه المفاوضات بعد أن أوشكت على النجاح اصطدمت بالنص الخاص بالسودان٠ واستقال مصطفى النحاس فى ١٧ يونيو من السنة نفسها وعهد القصر الى اسماعيل صدقى بتاليف الوزارة ، وعندما تولى الحـــكم عام ١٩٣٠ الغى دستور ١٩٢٣ وأقام دستورا جديدا ضيق فيه ما اكتسبته الأمــة من حقوق فى الدستور السابق وزادت فيه سلطة القصر والف حـزب الشعب ، وقــد هاجمته الصحف الوفدية بمنتهى العنف وهادنته « السياسة » فى أول الأمر ثم اختلف معه حـزب الاحــرار الدستوريين وتحالف مع الوفــد ، ومن ثم اشتركت « السياسة » مع الصحف الوفدية فى مهاجمة حكم صدقى ٠

وأغلب الظن ــ كما يقول الاستاذ زكى عبد القادر فى مذكراتــه ــ أن اسماعيل صدقى كان يعرف جيدا حقيقة مهمته ، وانه جاء ليحكم باســـم السراى ، وليس باسم الاحرار الدستورين ٠ وربما كان الانجليز يريدون شيئا آخر ، لعلهم قصدوا أن يؤدى الحكم الى تقوية أصحاب المصالح الحقيقة على نحو ما كانوا يسمونهم حينئذ ، لكى تتاح لهم الفرصة لعقــد المعاهدة التى يريدونها ، بحسبانهم اكثر اعتدالا من الوفــد ٠ ولعلهم حسبوا أن وفاة سعد زغلول ووجود انشقاق او ما يشبهه فى صفوف الوفــد فرصـــة

---

(١) محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور ص ٧١ وما بعدها ٠

مواتية لبلوغ هذا الغرض • ولكن السراى انتهزت الفرصة هى الاخرى وارادت ان تنعم بحماية اسماعيل صدقى لدى تؤيد سلطانها (١) •

وقد وقف العقـاد بعد خروجه من السجن الى جانب الوفـد ورئيسـه الجديد ، معتقدا نفس المبـادىء التى دافع عنها خـلال زعامة سعد للامـة . ومدافعا عن الوفـد فى مرحلته الجديدة لاعتقاده ان الوفـد مازال يسير فى نفس الخط النضالى الذى بـداه سعد زغلول •

وفى جريدة البلاغ نلمس هذا الموقف بعد انشقاق الثمانية الذين كان منهم نجيب الغرابلى وفتح الله بركات وعلى الشمسى وذلك فى عـام ١٩٣٢ وقـد تعرضت جبهه الوفـد الى كثير من النقـد مما جعل العقاد يدافع عنها بايمانه القديم وحماسه النضالى فيصدر رئيس الوفـد بيانا بعد انشقاق الثمانية على الوفـد وهنا نجد العقـاد يكتب فى الجهاد تحت عنوان :

أصـــاب الرئيـــس (٢)

وقد احتل هـذا المقال افتتاحية الجهاد التى اتخذت عنوانا ثابتا لهـا وهو « **حديث الصباح** » وكان يكتب هـذه الافتتاحية محمد توفيق ديـاب صاحب الجهاد فى بعض الاحيان ، وكان العقاد يكتب كذلك تحت عنوان ثابت فى الصفحة الخامسة « الموقف الحاضر » ، وكان « المانشت » فى صدر الصفحة الاولى من الجهـاد يحمل عنوان المقـال الذى يكتبه العقاد مبرزا أهمية •

ويواصل العقاد حملته على المنشقين على الوفـد فيرد الغرابلى باشـا ونجـد الجهـاد تنشر هذه العناوين :

« **الغرابلى باشا يتخذ من قانون المطبوعات**

وسيلة الى نشر رده على الاستاذ عباس محمود العقاد

رد الغرابلى باشا ـ وتعليق الاستاذ على رده (٣) »

وفى اليوم التالى يكتب العقاد فى الافتتاحية بعنوان :

« أصـاب الرئيس

وسخف الغرابلى باشـا (٢) »

---

(١) الجهاد : يوم ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ (العدد ٤٠٧) •
(٢) الجهاد : يوم ٢٩ من أكتوبر ١٩٣٢ العدد ٤٠٨ •
(٣) الجهاد : يوم ٣٠ من أكتوبر ١٩٣٢ العدد ٤٠٨ •

ثم يصور تأييد الامة لموقف الوفد فى مقاله الافتتاحى الذى جعل عنوانه :

« الوزارة تتظاهر حول بيت الامة (١) »

وهكذا وقف العقاد من الوفد بعد الأزمة التى تعرض لها نفس موقفه القديم مدافعا عنه ، وحاملا هراوة التأديب لكل من يخرج عليه ، أو بمعنى ادق لكل من يخرج على المبادىء التى وضعتها الامة له بزعامة سعد زغلول٠

ولم ينس العقاد موقف حكومة صدقى منه ودخوله السجن لدفاعه عن الدستور ولم يثنه عن مواصلة حملته على الحكومة الدكتاتورية التى فرضت نفسها على الشعب وكتمت أنفاسه ، فيبين علاقة صدقى بالانجليز ويشرح حقيقة هذه العلاقة فى افتتاحية الجهاد التى احتلت نصف الصفحة الاولى :

« المراوغة مع الاصدقاء

فكيف بالخصو ؟ » (٢)

« صدقى باشا لا يأمن الانجليز ولا يتفاهم معهم على نية صريحة فى امر الحاضر ، ومستقبله ، ولا يدرى ما هم صانعون به حين قريب او بعيد٠

هذه حقيقة لا ريب فيها عن العلاقة القائمة بين صدقى باشا والانجليز ، يشعر بها صدقى باشا قبل غيره ، لأنها تؤله وتخيب رجاءه ، ففيها من قوة الحضور فى الذهن والمثول أمام النظر ، فى كل شىء يؤلم ويخيب الرجاء ٠

صدقى باشا على ريب شديد من الانجليز ، وصدقى باشا مع هذا قد كان أولى الناس أن يأمنهم ويستريح اليهم لو كان للمستعمرين امان ، وكيف وهو وزير مصرى أفاد الانجليز من المال والمآرب والسياسة ، فوق ما أفادهم وزير ممن وزرائهم المعدودين ؟ فلا مكدونالد ولا سنوابن ولا بلدوين ولا أحد من زملائهم يستطيع أن يزعم لنفسه او لقومه أنه أضاف الى ثروتهم ومصالحهم بسياسته المباشرة مثل ما أضافه الى تلك الثروة وزيرنا المصرى الخطير الى ما تحت قدميه فلا يحس الأرض ثابتة مكينة تحت قدميه ، وينشد امنيته الكبرى عند السياسة فلا يصيب عندها جوبا غير المراوغة والتسويف ٠

---

(١) الجهاد : يوم أول نوفمبر ١٩٣٢ العدد ٤١١ ٠

(٢) الجهاد : يوم ٢ من نوفمبر ١٩٣٢ ٠

ثمانية وعشرون شهرا فى انتظار المعاهدة ولا معاهـدة ولا مفاوضة ، بل لا زيادة للعاصمة البريطانية يشيع عنها الانصار هنا ما يشيعون ، بل لا مقاله سياسيه بين الوزير المصرى ورجل من رجال الانجليز المسئولين ولو فى ناحيه من نواحى القارة الاوربيه ، وكل ما ظفر به صاحبنا بعـد المحاولة والالحاف ان يجلس مع وزير الخارجيه البريطانية جلسه خاصـة فى جنيف كم ايجمتع اى رجلين فى قهوة من القهوات ، ثم اسفرت هذه الجلسة القهوية عن ثنـاء الوزير البريطانى على سياسه صدقى باشـا الماليـة كما قال صاحبنا فى خطابه الاخير ، وعاد صاحبنا فظن انه قد ظفر بشئ كبير ، أو ان هنـاك انسانا فى مصر لا يستطيع ، ان يذهب اليوم الى جنيف فيلقى فيها وزيرا بريطانيا يسمع منـه مثل هذا الكلام فى معرض المجاملة وازجاء الفـراغ .

« لا . بل يحق لنـا أن نقول ان ثنـاء الوزير البريطانى على سياسة صدقى باشا المالية انما هى من ضرب التقاضى والاستزاده وليست ضربـا من التحيـة والمجاملة وازجاء الفراغ .

اذ أى وزير بريطانى لا يثنى على السـياسة التى تكسـبهم جبل الاوليـاء ، وصفقات المقاولات والتوريدات ، ومكاسب الأفراد والشركات ، وربح الملايين من قناطير القطن التى تباع فى ابان المواسم ، وربح زيوت الوقود التى يخسر المصرى بضعة قروش فى كل صفيحة منهـا فرق ما بين الواردات البريطانية والواردات الروسية وربح الفرق بين عملة الورق والذهب ، وربح الفوائـد التى نقصت واحـدا ونصفا فى المائـة على الاستاذ الانجليزية ، وربح ما وراء ذلك من المنافع التى لا تدخل فى حساب ولا يجهلها الـوزراء البريطانيون .

أى رجل من رجال انجلترا المسئولين لا يثنى على سياسة مالية تفيدهم كل هـذه الفوائـد وتجلب لهم كل هذه الأموال ، ان من الخيـانة العظمى ان لا يثنى السيرجون سيمون على مثل هذه السياسة او يستزيدها جهـد الطاقة وما كان لصـاحب الدولة ان ينتظر الخيـانة العظمى من السيرجون سـيمون .

فاذا كان هذا قيمة ما خرج به صاحب الدولة من ثناء الجلسة القهوية فى جنيف فقـد خرج بغير طائل ، بل خرج مدينا لجليسه الأريب ، مطالبـا بالمزيد ومضاعفة الجهـود !! .

ثم كان التصريح الاخير فى البرلمان الانجليزى فماذا جنى منه صاحب الدولة او ماذا يجنى منه بعد الآن ؟

لا شيء ، أو أقل من لا شيء

فهل فاوضوه ؟ لا ٠٠ لم يفاوضوه !

هل وعدوه المفاوضة فى وقت معلوم أو فى موعـد يسهل تقديره والاتفاق عليـــه ؟

« لا ٠ لم يعدوه ولم يقولوا الا أن المفاوضات غير مستحيلة فى الوقت المناسب ثم لم تخلص نيتهم حتى بهذا الوعـد الهزيل الضئيل فسرعان ما نطقوا به حتى أوعزوا الى صحفهم أن تفسده وتمزجه بالمنغصات والمعقبات، فقالت المورنينج بوست : » ان ،لناقد النزيه يـرى أن على تصريح وزارة الخارجية صبغة البيانات الرسمية لخلوه مما يقيـد قائله ، فهو لا يشـير الى التحفظات والضمانات التى يمكن ان تطلبها الحكومة البريطانية قبل الشروع الجدى فى المفاوضة » ٠

أرأيت يا دولة الباشـا ؟

انك اذن غير موعود بشىء وان السكوت كان خيرا لك على الاقل من ذلك التصريح الهزيل الضئيل ٠

أعرفت الآن يا دولة الباشا « شغل الحواة » البارعين الذى يتقنه كل الاتقان جون بول صديقك الحميم ٠

ــ أتريد المفاوضة هكذا يا صديقى ؟

أحريص أنت كل هذا الحرص على المفاوضة يا نور عينى ؟

اذن خـذ : هاك المفاوضة برمتها ٠٠ افتح يدك ٠٠ اطبقها جيـــدا لكيلا تفر منها المفاوضة ٠٠ المفاوضة فى يدك الان فافـــرح يا صديقى ٠٠ افرح يا نور عينى ٠٠٠ وارقد وانت مستريح ٠٠

« وهكذا قال لك جون بول يا صاحب الدولة وهو صديقك الحميـم فافتح يـدك فماذا ترى فيها الآن ؟؟

يا للعجب ٠٠٠ لا شىء ٠٠ لا شىء على الاطلاق ٠٠ لا مفاوضة ولا وعد بالمفاوضة ولا امكان المفاوضة متروكا بغير تحفظات ولا منغصات ولا معقبات!!
وكذلك فليكن شغل الحواة البارعين ٠٠

* * *

« ولقد فرح صاحب الدولة وانصاره لأن وكيل الخارجية قال فى البرلمان الانجليزى ما معناه انهم لا يعترضون على الوزارة الصدقية فى شئون العلاقات

بينها وبين الحكومة البريطانية ٠٠ فرح صاحب الدولة وفرح انصاره بتلك الكلمة التى « لا طلعت ولا نزلت » فدبت الى قلوبنا الغيرة الشديدة من حسن الحظ الذى يلقاه جون بول وسوء الحظ الذى نلقاه » نحن عند هؤلاء الوزاريين القانعين الطيبين ٠

هانحن أولاء نقول لهـم آن الانجليز يعطفون عليهم ويرضون عنهم ولا نكتفى بانهـم يحتملونهم ولا يعترضون على سياستهم فى الشئون التى بينهم ، ها نحن اولاء نقول لهم اليوم ان « الحياد البريطانى » ان هو الاحياد مزيف وان الوزاريين يعلمون فى مصر كل ما يريده الانجليز المحايدون ٠ فاذا كانوا يطربون ويرتعون للكلمة الصغيرة التى قالها الوكيل البريطانى فلماذا نجود عليهم بأضعاف اضعافها فلا يطروبن ولا يرقصون !

« اطربوا وارقصوا يا معشر الوزاريين القانعين الطيبين ، ثم افتحـوا ايدكم آخر لامر فانهـا على كل حال تخرج بيضاء ٠٠ ولكن لا تقول بيضاء من غير سوء ، والحمد لله ٠

عباس محمود العقاد

وكانت حكومة العمـال البريطانية قد اختارت سير برسى لورين مندوبا ساميا لهـا فى مصر خلفا للورد جورج للويد ، بعد أن عزلت هذا الاخير فى ربيع عام ١٩٢٩ ٠ وكان السير برسى لورين من رجال السلك السـياسى البريطانى ، واعتقد السياسيون فى مصر أنه كان يطمع فى أن تتوج مفاوضات النحاس ـ هندرسن بالنجاح ، فيحسب ذلك انتصارا له ٠ فلمـا فشلت هذه المفاوضات وتولى صدقى باشا الوزارة واحل دستورا مكان دستور ، بقى سير برسى متظاهرا بالابتعاد عن تحت مسئوليتها (١) ٠ ويذكر الدكتور هيكل فى مذكراته السياسية أن سير برسى لورين ذكر لعدلى باشـا يكن ان الحكومة البريطانية مستعدة ، اذا تألفت وزارة قومية فى مصر برئاسـة رجل كعدلى باشا ، أن تعقد مع مصر المعاهدة التى انتهت اليهـا مفاوضات سنة ١٩٣٠ ، وأن تشير باعادة دستور الامة اليها (٢) ٠

وفى الواقع لقد كان الانجليز ينظرون الى عدلى يكن على انـه رجل « معتـدل » ولذلك خصوه برئاسة حكومة قومية يضمنون أن تكون «معتدلة» فى مفهومهم ورحب الاحرار الدستوريون الذين حظوا لدى الانجليز بنعت « المعتدلين » بقبول فكرة الوزارة القومية وحجتهم فى ذلك أنهم ظنـوا أن

---

(١) هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٣٣٧ ٠
(٢) نفس المرجع ص ٣٣٨ ٠

عرضها قد لا يعدو ان يكون مناورة ، أريد بها احباط نشاطهم فى مقاومة صدقى باشا ودستوره ، فان هى كانت مداورة ولعبة سياسية واعلن الدستوريون والوفديون جميعا قبولها على اساس اعادة دستور الامة وعقد المعاهدة ، اسرع انكشاف المداورة وان هى كانت حقيقة كسبت مصر من ورائها اكبر غنم (١) » ٠

وناقش الوفد الفكرة ، وانقسم فى أمرها ، وكان النحاس يرفضها كل الرفض يؤيده فى موقفه مكرم عبيد بينما ايدها واصف غالى وعلى الشمسى ونجيب الغرابلى ٠ وكان النقاش حول هذه الفكرة سببا فى فصل ثمانية من أعضاء الوفد ٠ وهكذا انقسمت الكتلة المعارضة لصدقى شطرين وكان الفضل للبراعة السياسية التى أبداها سير برسى والتى ادت الى هذه النتيجة٠

وهكذا استطاعت السياسة الانجليزية فى مصر أن تزيد من مؤيديها وأن تفتت من جبهة المقاومة ٠

ويقف العقاد ازاء هذه الاحداث مفسراً واعيا مدركا لخفايا السياسة الانجليزية وأهدافها من تفتيت الجبهة الوطنية المناضلة ويكتب تحت عنوان:

« التطرف والاعتدال » (٢)

حيلة قديمة مضى آوانها

ماذا وراء السير برسى لورين ؟!

« لما ظهر الخلاف الاخير فى الوفد المصرى كتبت فيه الصحف الاستعمارية والصحف الوزارية وأسرعت الى ذكر التطرف والاعتدال على عادتها فى مثل هذه المسائل ، وهى بطبيعة الحال تنصر المعتدلين وتخذل المتطرفين ان كان لها نصر وخذلان غير النصر المعكوس او الخذلان المعكوس٠ ولسنا نتعرض هنا لصوابها أو خطئها فيما ذهبت اليه فذلك شان لا محل للكلام فيه الان ، وانما نستعرض هذه الحيلة الرثة البالية التى لا يقطع عنها المستعمرون وأشباههم مع ما يتبين لهم من خطلها وسوء ما فيها فى كل يوم ٠ فقد كان الاحتيال باسم التطرف والاعتدال نافعا او مرجو النفع يوم كان الزعماء هم كل شئ يدخل فى الحساب وكانت الامم تبعا مهملا بين زعمائها تتقلب بينهم حيث يتقلبون ، فأما فى القضية المصرية حيث لا مكانة لزعيم الا بمقدار ما تبوئه الأمة من مقام الثقة والولاء فمن السخف أن يعول أحد على حيلة التطرف والاعتدال بعدما رثت ايما رثاثة وابتذلت ايما ابتذال،

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٨ ٠

(٢) الجهاد : يوم ٦ من نوفمبر ١٩٣٢ ــ العدد ٤١٦ ٠

فكل من يسميه المستعمرون معتدلا فمعنى ذلك عند الجميع انه يتبل ما يراد المستعمرون ، وكل من يسمونه متطرفا فمعنى ذلك عند الجميع انه لا يقبل الا ما تريده الامة بغير نقص ولا هوادة . وما دام المرجع الى الامه فالمهم اذن هو تريده الامة بغير نقص ولا هوادة . وما دام المرجع الى الامة فالمهم اذن هو الجانب الذى تكون معه او يكون معها لا الجانب الذى ينعتونه عندنا وعناك بنعت التطرف أو نعت الاعتدال ، وتلك حقيقة واضحة قد آن تفهم وتذكر بعد أن طال الامد على اعمالها وكان من عواقبها السيئة ما كان فى كل بلد عالج فيه المستعمرون تقريبا أول تمييزا بين المتطرفين والمعتدلين .

« ان المعتدلين ـ ونعنى الذين يسميهم المستعمرون بالمعتدلين لم يقودوا قط امة فى العصر الحديث ولن يقودوا امة ابدا ما دام للأمم حساب فى توجيه الأمور . وسبب ذلك بسيط لا يحتاج الى انعام طويل ولا لجاج كثير سببه ان المعتدلين يحصرون أنفسهم فى المصالح الوقتية القريبة ولو كانت من المصالح العامة القومية ، والامم لا تستوعبها المصالح الوقتية القريبة ولا تلبث أن تنقضى فيها هذه المصالح بانقضاء وقتها حتى يزول ما كان لها من خطر وما كان لدعاتها من نفوذ ، فمن يمشى مع المعتدلين لا يمشى معهم الا خطوة واحدة حتى ينقطع بينهما الطريق ، ثم يعود الامر الى المتطرفين حين لا تجدى مساومات الاعتدال ولا خطواته القصار .

« قال مصطفى كمال فى مذكراته : « كانوا يقولون للامة من جهة ولحكومة الآستانة من جهة اخرى لا تعترفوا بمصطفى كمال ولا تثقوا به لأن الحلفاء لم يشتدوا على تركيا الا من جراء فعله ، كانوا يقولون ذلك ويزعمون أنه اذا قضى عليه نالت البلاد عند الدول الاجنبية كل صداقة وهوادة » .

قالوا ذلك للترك فهل يدرى القارىء من الذين قالوه ؟! انهم هم هم الانجليز الذين كانوا يحتلون العاصمة التركية فى ذلك الحين .

قالوه للترك كما قالوه للمصريين عن سعد زغلول وكما يقولونه الان عن مصطفى انحاس .

وقالوه للترك كما قالوه للهند عن غاندى ورجال المؤتمر الوطنى ، وكما قالوه للارلنديين عن دى فاليرا .

ثم انقضت كل تلك الاقاويل ولم تسفر الا عن شىء واحد هو الثابت المستقر الان وبعد الان . فقد نظر المستعمرون الى معتدليهم الذين اعتمدوا عليهم فاذا هم قد ذابوا ممن تحت ايديهم واذا بتركيا والهند وارلندا ومصر ولا زعامة عليها الا لمصطفى كمال وغاندى ودى فاليرا ومصطفى النحاس ؟

ولا يزالون بعد هذا يقولون : المعتدلون والمتطرفون · ويحاولون عندنا أن يستغفلوا المصريين حين يزعمون لهم انهم يبغون استقلال مصر ولا يشترطون كذلك الا ان يهدموا مصطفى النحاس !! ·

« لقد كانت للمستعمرين عبرة عن الهند أكبر من عبرتهم فى مشكلة ارلندة الاخيرة ·· فهذا المؤتمر الوطنى الذى يستولى اليوم على قيادة الهند ويقيم القيامة على الانجليز من الذى انشأه ولفقه يوم ظهر ملفقا مرقعا قبل سبع واربعين سنة ؟

« هل انشأه الهنود كما قد يتبادر الى اذهان بعض الناس ؟ كلا · لم ينشئه الهنود وانما انشأه المستعمرون فى عهد رجال من كبار اساطينهم المعروفين بيننا وهو اللورد دوفرين ، وظن هذا اللورد أنه خلق الهيئة التى يستولى بها على قيادة الهند ويقضى بها على نزعات التطرف والعداء للدولة البريطانية فما هى الا فترة من الزمن حتى تغلب المتطرفون على المؤتمر أمامهم فأشفق المعتدلون ان يحاورهم فانفصلوا ثم عادوا فالتأموا ثم عادوا فانفصلوا مرة اخرى والفوا : « اتحادهم الوطنى الحر » بمعزل عن المؤتمر ورجاله· ولكن الهند ظلت تعرف المؤتمر المتطرف ولا تعرف « الاتحاد الحر » وهى لا تدين اليوم بالزعامة الا لتلك الهيئة التى تحمل راية العصيان المدنى وتشن الغارة على الانجليز كما تشنها على انصارهم « المعتدلين » ·· وكل خطة تنكرها تلك الهيئة لا تجدى الحكومة البريطانية فى سياسة الهند ولا تلبث ان تدخل فى خبر كان ·

« تلك عبرة بالغة وفى تركيا وارلندة ومصر عبر من قبيلها ، ولكن ما أكثر العبر فى تاريخ الاستعمار والاعتدال واقل المعتبرين !

« أن الأمر فى الحقيقة ظاهر بطبيعته كما أسلفنا ، فالفئة التى يسميها المستعمرون بالمعتدلين لا تمثل الامم ولا تقودها فى قضاياها الوطنية لانها تنظر الى النفع القريب الذى سرعان ما يتقلب ويطويه النسيان ثم يؤول الأمر الى المصالح الدائمة والآمال الخالدة ، وهى ميدان لا يحسن المعتدلون التقدم فيه ·

« هذا من جهة

« ومن جهة أخرى يفشل المعتدلون فى قيادة الامم لسبب آخر يرجع الى مزاجهم وطبيعة تكوينهم ولا حيلة لأحد فى تبديله واصلاحه فالمعتدل بطبيعته رجل ينفر من النضال ولا يعرض نفسه للخطر · فاذا مشت الامة فى طريق فليس هو بالرجل الذى يصمد لها ليصدها عن تلك الطريق · بل أقرب الى مزاجه أن يتبعها ويمشى فى أثرها لا أن يهاجمها ويتمرد عليها ، فاذا ساعدته القوة الاجنبية فاجترأ على مناوأة قوية فهو اذن عدو

ظاهر لن يصلح لتمثيل قومه ولن يستمع له أحد اذا تكلم بلسانهم ، ومن هنا تنتهى سياسة التفريق بين التطرف والاعتدال بالفشل ولا تفيد الا فى اثبات سوء النية والايغال فى الحذر والعداء .

« والذى نعتقده أننا قادمون على عام فاصل فى القضية المصرية تجمع فيه الامة كل تجاريبها وعظاتها فتستفيد بقدر ما يحضرها من اليقظة والصلابة وشجاعة اليقين . ونعتقد كذلك أن الانجليز سيدخلون فى تجربة جديدة من تجاربهم العديدة . وربما كانت طليعة الخطة النوية ما نشرته « الديلى اكسبريس » عن مستقبل السير برسى لورين بعد أن اذاعت خبر سفره الى القاهرة فهى تتوقع أن يتخلى السير برسى عن منصبه هنا لينتقل الى باريس أو واشنطن ، وترى لذلك أسبابا كثيرة منها أن السفارة البريطانية فى باريس ستخلو قريبا من سفير ، وان هناك مفاوضات منتظرة بين باريس والقاهرة فى شأن قناة السويس ... الى آخر ما روته من تلك الاسباب .

« فماذا فى هذه الاشاعة ؟ وماذا تخفى وراءها من الخطط والمناورات ؟ هل سينتقل السير برسى لوين حقا أو هو باق هنا الى نهاية العام ؟ ليكن من حقيقة ذلك ما يكون ؟ وليبق فى مصر او ينتقل الى حيث تشاء حكومته او يشاء ، فهذه الاشاعة لن تصلح لتحرير المصريين وحملهم على الانتظار شهرا بعد شهر حتى ينتقل السير برسى الى وظيفته الجديدة ويخلفه المندوب الذى يناط بـه تغير السياسة البريطانية !! فربما كانت الاشاعة مسبوكة لغرض مثل هذا يساعد على المراوغة والتأجيل والتعليق والتأويل : يعود السير برسى والناس ينتظرون نقله ولا ينتظرون تغييرا على يديه .. وينقضى الشهر بعد الشهر فى هذا الانتظار حتى ينتصف العام ، وعند ذلك يقال ان العادة لم تجر بنقل السفراء فى أواسط الاعوام فلننتظر أيضا الى الاجازة الصيفية وما بعد الاجازة الصيفية .. وهكذا ينصرم العام كله فى غير طائل وينتقل السير برسى لوين أولا ينتقل حد سواء ، لن ينقاد المصريون بعد اليوم لاساليب التخدير والتغرير ، فلنتلق الاشاعات على حذر ويقظة ، ولا نستبعد على خصومنا اية نية وأى تدبير » .

عباس محمود العقاد

وفى اليوم التالى يواصل العقاد كشف الأسرار الخفية وراء اشاعة نقل السير برسى لوين فيكتب تحت عنوان :

ما وراء السير برس لوين ؟ (١)

اشاعة فى طيها شرك !!

---

(١) الجهاد : يوم ٧ من نوفمبر ١٩٣٢ العدد ٤١٧ .

يبين فى مقاله بتحليل سياسى عميق أهداف الاستعمار الانجليزى ونواياه والخطط التى يسلكها لتفريق المصريين والسيطرة الكاملة على موارد مصر ٠ ويتضح من هذا المقال اطلاع العقاد الواسع فى السياسة وادراكه للعوامل التى تحركها فى العالم ، مما اضفى على مقالاته الشىء الكثير من الاقناع المنطقى والقدرة الجدلية فى مواجهة الصحف الانجليزية التى لا يرضيها غير هذا الاسلوب ، اقناع ودحض الحجة والبرهان بالبرهان ٠

ثم يواكب قلم العقاد الاحداث اليومية فى السياسة المصرية ، فتحدث الافتتاحية عن دعوة « الحكومة القومية » وتتوالى مقالاته تحمل عناوين مختلفة منها :

« مناظر متفرقة

من فصول المهزلة الصبيانية

مهزلة الوزارة القومية (١) »

ثم يتابع تأييده للوفد فيكتب بعنوان

الوفد الخالد (٢) ٠

مبينا ومعربا عن تأييده على الرغم من انشقاق الاعضاء الثمانية على الوفد ٠

ويواصل بعنوان

خذلتهم الدعاوى

حتى الدعاوى الشخصية (٣)

وحدث بعد فصل الاعضاء الثمانية أن أظهر محمد محمود باشا والاحرار الدستوريون تأييدهم لهم ، فأقام لهم حفلة تكريم وأبدى تضامنه وتضامن الاحرار الدستوريين معهم ٠ وهنا كتب العقاد محللا موقف الاحرار الدستوريين فى مقال بعنوان :

ارضاء الوزارة وتأييد المنفصلين شىء واحد (٤)

---

(١) الجهاد : يوم ٢ من ديسمبر ١٩٣٢ العدد ٠

(٢) الجهاد : يوم ٤ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٣) الجهاد : يوم ٥ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٤) الجهاد : يوم ٦ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

ثم يصدر الغرابلى باشا بيانا عن المنشقين ويصدر مكرم عبيد بيـانا عن الوفـد · وهنا يكتب العقـاد مواصلا حملته على المنشقين :

بعـد البيـان

بيان الغرابلى باشا الاستاذ مكرم عبيد (١)

وفى هذه الاثناء توفى فتح الله بركات باشا على اثـر مرضـه ويكتب العقـاد مقالا يواصل حملته على السبعة الباقين بعنوان :

نقصـوا واحـدا (٢)

وقبل ذلك كتب مقالا بطريقته الساخرة جعل عنوانه :

« بركة الثمانيـة ! (٣)

ويكتب عن زعيم الوفـد معربا عن الأسباب التى يستند اليهـا فى تأييد الرئيس الجـديد ابان تلك الفترة الحرجة التى مر بها الوفد فيقول تحت عنـوان :

زعامة النحاس باشا

هى القضـية المصرية

كلمة بكلمة وحرفا بحرف (٤)

« لقـد أيدنا رئيسنا الأمين فى مواقفه الصريحة الحكيمة كما ايدته مصر باسرها لاننا نظرنا الى دعاوى الانجليز زعامته وزعامة سعد من قبله هذه النظـرة المستقيمة التى لا نحتاج الى تأمل ولا طول دراسة وما أيدناه لامـر **بعينـه هـو ، أو يتعلق بذاته ، ولكننا أيدناه لأن الزعامة تولى مسـألة الاستقلال** ومسألة الدستور ومسألة الثقـة **بالنفس الغـيرة والكرامة »** ·

* * *

وخلال هـذه الفترة وقعت حـوادث مشـهورة باسم حوادث البـدارى وكانت هـذه الحوادث صـورة من صـور الاستبداد من جانب الادارة فى عهد صدقى بالشعب وبالفلاحين على وجـه التخصيص · ووصلت قضـيـة

---

(١) الجهاد : يوم ١٢ من ديسمبر ١٩٣٢ ·
(٢) الجهاد : يوم ١٣ من ديسمبر ١٩٣٢ ·
(٣) الجهاد : يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩٣٢ ·
(٤) الجهاد : يوم ٢٢ من نوفمبر ١٩٣٢ ·

البدارى الى محكمة النقض والابرام وكان يرأسها عبد العـزيز فهمى ٠٠٠ وأصدرت محكمة النقض حكما أثبتت فيـه اعتـداء البوليس على الاهـالى ووصفت تصرف الحكومة بأنه « اجـرام فى اجرام » ٠٠ واراد عبد الفتـاح يحيى أن يحقق فى حوادث التعذيب على ضوء هـذا الحكم ٠٠ ورفض صدقى خشية أن يكشف التحقيق عن سائر تصرفات الحكومة نحـو الاهالى ٠٠ فاستقال عبد الفتاح يحيى احتجاجا ٠٠ واعلن انه مستقيل ايضا من منصب وكيـل حزب الشـعب !

وهنـا وجد العقـاد فى حوادث البـدراوى فرصـة لشـن حملة جديدة تضاف الى حملاته على استبداد حكومة صدقى ويبـدأ هذه الحملة بمقـال جعل عنوانه :

فظائع القرون الوسطى

أين نحن ؟ وأين أعداء الفوضى فى الادارة المصرية (١)

ويستمر فى حملته بمقالات متواصلة جعل عناوينها هكذا :

الادارة التى يؤيـدها الاسـتعمار

لا تكون الا على هـذا المثـال (٢)

وايضـا :

تخفيف الحكم لا يكفى

فى قضـية مامـور البـدارى (٣)

ثم بطريقته السـاخرة التى تنضح مرارة والمـا من اجل الفلاحين :

لماذا التحقيق ؟

وما هى النتيجـة المطلوبة ؟ (٤) ٠

ويبين علاقة الانجليز بحوادث البدارى فى هـذا المقال :

حادثـة البـدارى

وألف حادثـة مثلهـا

---

(١) الجهاد : يوم ١٩ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٢) الجهاد : يوم ٢٠ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٣) الجهاد : يوم ٢١ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٤) الجهاد : يوم ٢٢ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

لا تمنع المستعمرون ان يفاوضوا (١)

ويكشف بعد ذلك خفايا الاستبداد من جانب صدقى بالشعب ، ويذكر الناس بالحوادث المماثلة لحادث البدارى فى مقال :

البدارى مثل واحـد

من امثال كثيرة (٢)

وتستمر الحملة فيكتب بعنوان :

لآفـة اصيلة

فابحثوا عن جذورها (٣)

وفى هـذا المقـال يحلل العقـاد بأسلوب سياسى بارع تصبغه صبغة حزن عميق من أجل ما يلاقيه مواطنوه من استبداد وخسف ، ويكشف أسرارا جـديدة تضيف الى مقالاته السـابقة تنويرا بالقضـية وبعثا لهـا فى ضمير الرأى العـام ٠

ويعـود الى الحديث عن دور الانجليز فى هـذه الحوادث ومؤازرتهـم لاسـتبداد صدقى بالشعب فيكتب :

تبعـة تامة اكبر من كل تبعـة

تلك هى تبعة الاستعمار البريطانى (٤)

ويستخدم الاسلوب الساخر بحدة فى مقال :

أسـلوب بديع

لاحترام القوانين (٥)

ثم يختم حملته بعد البدارى بهذا المقال :

نتيجـة منتظـرة

هى النتيجة التى انتهت اليها مسالة البدارى (٦)

---

(١) الجهاد : يوم ٢٣ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٢) الجهاد : يوم ٢٥ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٣) الجهاد : يوم ٢٧ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٤) الجهاد : يوم ٢٨ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٥) الجهاد : يوم ٢٩ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

(٦) الجهاد : يوم ٣٠ من ديسمبر ١٩٣٢ ٠

ويمكن القول ان حوادث البدارى كشفت عن سلوك صدقى أثناء الانتخابات ذلك ان الشعب قاوم هذه الحكومة مقاومة عنيفة وكان النحاس يجوب البلاد فى رحلات تؤكد كراهية الشعب للحكومة ويسقط فيها القتلى عشرات ، وكانت محاولات الاغتيال تجتاح البلاد ، وحين فتح صدقى باب الانتخابات أعلنت الأحزاب مقاطعتها للمعركة ·· ويورد الدكتور هيكل فى مذكراته عريضة قصد أن يوقعها رجال القانون ترسم صورة صادقة للاجراءات التى اتخذها صدقى فى ذلك الحين · وهذا بعض ما جاء فيها : « ان وزارة حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا قد جرت فى حكمها البلاد على طريقة يعافها القانون وتأباها مبادئه وأصوله الأولية · فهى لم يكفها أن الغت دستور مصر ··· وان وضعت من تلقاء نفسها نظاما للحكم يسلب الامة سيادتها ويجعل السلطة التنفيذية فى الواقع مصدر السلطات فى البلاد ·· بل تجاوزت بعد ذلك كل قانون معروف فى تصرفاتها لتفرض هذا النظام الذى استصدرته بوسائل عرفية ، مستهترة بكل ما كفلت القوانين للأفراد والجماعات من حقوق وحريات · عطلت حرية القول وحرية الرأى وحرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية التنقل فى بلاد الدولة واكرهت الموظفين على أن يكونوا أدوات هذا التعطيل وهذا الازدراء المهين للقانون ، وغامرت بالروح المعنوية للبوليس وللجيش بأن سخرتها لأغراضها العرفية ولمحاربة النظام والقانون ·· ثم أنها تدفع رجال الادارة جميعا كى يقولوا ، أثناء الحركة الانتخابية التى تحاول اكرا ءالناس على الاشتراك فيها ، بكل ما يحقق أغراضها وما يخالف القانون فى سبيل غاياتها ، بل بارتكاب الجرائم فى سبيل هذه الغايات (١) » ·

وشاهدت الديمقراطية فى مصر اعتداء صارخا عندما أعلن صدقى انه فاز فى الانتخابات وأن الذين أشتركوا فى الانتخاب بلغت نسبتهم المئوية الى مجموع الناخبين ٨/٧ ٦٧ فى المائة وهى بالفعل نسبة عالية لو أنها كانت صحيحة ! لكن أحدا ممن شاهدوا يوم الانتخاب ، لم يستطع أن يصدق هذا الرقم ، رغم أنه الرقم الرسمى الذى ظلت الحكومة متشبة (٢) بصحبته » · ولقد كشف القضاء عن تسامح صدقى مع موظفى الادارة فى معاملتهم الناس غاية فى البطش حيث تخطى العنف الى التعذيب فى اقبح صور التعذيب ·

وكشفت حملة العقاد العنيفة هذه الحقائق اتفق عليها جميع المصريين ، وأنها وصمت عهد صدقى اقبح وصمة ·

---

(١) هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٣٤٤ ·

(٢) الدكتور هيكل : نفس المرجع ص ٣٤٥ ·

ونزعم هنـا أن حملة العقـاد بشأن حوادث البدارى لم تكن لنزعـة سياسية قائمة بنفسـه وتعارض حكومة معادية للوفـد ، ذلك أن كلمـة المصريين جميعـا اتفقت على أن استبداد رجال الادارة بالشـعب وصـمة تصم عهـد صدقى اقبح وصمة ، وكان عبد العزيز فهمى أحد زعماء الاحرار الدستوريين قد سـاهم فى كشـف هـذه الحقائق عندما أصدر حكمه مدعما بحيثيات وصمت عهـد صدقى كله أقبح وصمة ٠٠ وحملت صحف الوفـد وصحف الاحرار الدستوريين على صدقى وعلى رجال الادارة ، مما يجلعنـا نقول أن حوادث البدارى كانت من الحـوادث التى التقت عليهـا قلـوب المصريين ، وكان دفاع العقـاد عن الشعب ضد صدقى جنـوحا منـه الى القضية الوطنية والى الشعب الذى دافع عنه طيلة حياته ٠

وشاهدت فترة كفاح العقـاد الصحفية بجريدة الجهـاد اقصاء انجلترا لممثلها فى مصر سير برس لوين فى أغسطس سنة ١٩٣٣ أى قبيل اسـتقالة اسماعيل صدقى فى سبتمبر ١٩٣٣ ، وانتخب حزب الشعب عبد الفتاح يحيى رئيسـا له ٠ واستمر البرلمان الذى أيـد اسماعيل صدقى مؤيـدا للرئيس الجديد ، وكان ذلك ايذانا بأن الحكم اصبح خالصـا للقصر وهنـا يطلق الانجليز المعركة بين القصر والشعب ، وينتظرون كيف تسير ٠ وقد استمر العقـاد فى الجهـاد يكشف عن دور الانجليز فى هذا كله ويكشف للشـعب الحقائق التى تساعده على اختيار طريقه من بعده ٠

الفصل الرابع

العقاد والوفد

صدرت روز اليوسف اليومية وفدية عام ١٩٣٥ ، ثم ما لبثت ان اختلفت مع الوفد فأصدر قرارا بقطع الصلة بينها وبينه فى اواخر العام نفسه ، وحاربها بعنف بسبب موقفها المعارض من حكومة توفيق نسيم التى كان الوفد يهادنها لما وعدت به من اعادة دستور ١٩٢٣ ، ولما كان متوقعا أن يترتب على ذلك من عودة الوفد الى الحكم ·

اصيبت الجريدة باضطراب أحوالها مما أدى الى جعلها لا تصدر بانتظام فأصدرت حكومة الوفد قرارا بالغاء رخصتها فى منتصف عام ١٩٣٧ · وقد امتازت بتجديداتها فى التحرير والاخراج ·

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف فى مذكراتها أنها فكرت فى مستهل تنفيذ فكرة اصدار الصحيفة اليومية فى أن تضم العقاد الى اسرة الجريدة ، وذهب اليه رسول يستطلع رأيه ·· وسأل العقاد :

ـ الجرنال حيكون اسمه ايه ؟

ـ روز اليوسف اليومية ·

ـ لا ·· أنا لا أعمل فى جرنال يحمل اسم واحدة ست !!

ولكن الرسول لم ييأس من هذا الموقف فمضى يفاوضه ·· وعدل العقاد عن موقفه نظير بعض الشروط المالية : ان يكون مرتبه ٨٠ جنيها فى الشهر ـ وكان مرتبه فى الجهاد ٧٠ ـ وأن يأخذ مرتب أربعة شهور مقدما تخصم من مرتبه بالتقسيط ـ ٢٠ جنيها كل شهر ـ وأن تكون سياسة الجريدة وفدية ·

واشترطت عليه صاحبة الجريدة ان يكتب مقالا افتتاحيا كل يوم ، وصفحة أدبية كل اسبوع ··

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف انها عاتبت العقاد بعد ذلك على كلمته عن العمل فى جريدة تحمل اسم سيدة ، فقال انه لم يقصد الى كونها تحمل اسم سيدة ، بل كان اعتراضه على تسمية الجريدة باسم شخص أيا كان ··

ولو كانت الجريدة تحمل اسم سعد زغلول نفسه لابدى نفس الملاحظة ٠
وقد ضمت « روز اليوسف اليومية » مجموعة بارزة من المحررين الى جانب العقاد منهم الدكتور محمو دعزمي والدكتور محمد ابو طايله والدكتور رياض شمس وكامل الشناوى وغيرهم ٠٠

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف ان الجريدة الناشئة لاقت من عنت الوفد الكثير على الرغم من مساندتها اياه فى أول الامر فرفض النحاس ان يرسل كلمة يصدر بها العدد الاول رغم ان كاتب الجريدة الاول هو كاتب الوفد الاول « عباس العقاد » ٠

وارادوا أن يستعيضوا عن ذلك ، فأخذوا يبحثون عن كلمة مأثورة يجعلونها شعارا للجريدة ٠٠ ولاحظ العقاد ان النحاس ـ على عكس سعد زغلول مثلا ـ لم تشتهر عنه كلمات مأثورة ٠٠ واخيرا اختاروا قوله : « من كذب بالامة او داخلة فيها الشك فليس منها (١) » ٠٠

وكانت الافتتاحية التى يكتبها العقاد تحتل الصفحة الاولى من الجريده ٠٠ ولكن حدث ان وضعوا فى اسفل الصفحة الاولى من العدد الاول فى برواز صغير كلمة تقول : « أبدأ بقراءة الصفحة الثانية » وهى الصفحة التى تحتوى على الاخبار السياسية الداخلية الهامة وعلى كلمة السيدة فاطمة اليوسف وعلى مقال الدكتور محمود عزمي رئيس التحرير ٠

وتحدثنا صاحبة الجريدة أن العقاد غضب من هذا غضبا شديدا ، ورأى أن فيه افتياتا على كرامته ٠

وكان من عادة العقاد أن يكتب مقاله اليومى فى البيت ويتركه فى الجريدة صباحا ويترك للاستاذ كامل الشناوى مهمة مراجعته ٠٠ ثم يعود ليلا ليلقى عليه بنفسه نظرة اخيرة ٠٠ كذلك كان يهتم بقراءة مقال الدكتور عزمي رئيس التحرير ـ ولو بغير علمه ـ اذ كان يعتقد أن عزمي غير وفدى٠ **وأنه ربما وضع فى مقاله كلمة تسىء الى الوفدين من قريب أو بعيد(٢) ٠**

وتشن روز اليوسف اليومية حملات على وزارة توفيق نسيم التى يؤيدها الوفد ، وكادت روز اليوسف اليومية أن تكون الصحيفة الوحيدة التى ترفض ان تهادن توفيق نسيم بعد أن ظهرت نواياه ٠٠

---

(١) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٥٦ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٦٦ ٠

ويشن العقاد في روز اليوسف اليومية حملة شديدة على نجيب الهلالي وزير المعارف الذي لم يكن في تاريخه القديم وفديا ولكنه لم يكد يدخل وزارة توفيق نسيم حتى عرف انه تقرب من الوفديين حتى صار صديقا لهم ٠٠ ومن أبرز مراحل حملة العقاد سلسلة متصلة من المقالات بعنوان :

وزير المعارف يحلم ٠

شغلت افتتاحيات « روز اليوسف اليوميه » اياما كثيره ٠٠

كتب العقاد في احدى هذه المقالات يقول ٠

« كان وجود نجيب الهلالي بك في الوزارة دليلا عندنا على أن الدستور لن يعود الى مصر قبل سنتين ، الا اذا حدث ما يبدل النيات غير النيات ٠

« ولسنا نعنى تاريخ صاحبنا في ماضيه واعماله المعهودة أيام الوزارات الرجعية ولكننا نعنى أن مجرد قبوله الوزارة دليل على علمه ببقاء الوزارة أو بقاءه هو في المركز الوزارى سنتين على أقل تقدير ، لا سيما وهو متصل ببعض الانجليز في دار المندوب السامى ٠ فهذا الموظف كان في منصب دائم مضمون وهو منصب المستشار الملكى ، وهذا الموظف شاب لم يبلغ سن المعاش ولم تمض عليه في خدمة الحكومة مدة كافية ، للوصول الى معاش يرضيه ٠ فلماذا يجازف بخدمته كلها ليعتزل العمل بضعة أشهر ؟

« أهو من رجال المجازفات في ماضيه ؟

« كلا ٠ بل هو على نقيض رجال المجازفات ٠

« أهو ممن يعولون على زعامة في الحياة القومية او الحياة الحزبيه سواء في ميدان السياسة أو ميدان المشروعات العامة !

« كلا ٠ولو خرج للزعامة القومية او الحزبية بمعترك الحياة لما ظفر منها بنصيب » ٠

ثم يقول في مقال آخر :

« ٠٠ والان يحلم صاحب العزة برياسة الوزارة المقبلة أو بوزارة مقبلة غير بعيدة ٠ وصاحب العزة الوزير الحصيف يعلم أن من يطمع في رياسة الوزارة لا غنى له عن رضى الانجليز ٠٠ فاذا سار الوزير الحصيف سيرته في تعيين الموظفين الانجليز وتثبيت الموظفين الانجليز ، ومحاباة

الموظفين الانجليز ، وتعميم الصبغة الانجليزية على الطريقة الدنلوبية فى الجامعة والمدارس العالية والمدارس الثانوية · فلماذا لا يكون رئيساً للوزارة المقبلة او لوزارة اخرى تطلع على البلد بتجربة جديدة من التجارب التى لا مكان فيها لدستور ١٩٢٣ على اقل تقدير ؟ » ·

وتحققت نبوءة العقاد بالفعل · فراس نجيب الهلالى وزارة لاجراء تجربه لا مكان فيها للدستور ، بعد نشر هذا الكلام بثمانية عشر عاما ·· اى فى أوائل عام ١٩٥٢ ·

وبعد أن خرج العقاد على الوفد مضى فى حملته على هذا المستوى من العنف وكان ذلك سببا فى أن قرر الوفد فصل « روز اليوسف » وتزعم مكرم عبيد الحملة عليها واوعز الى الجهاد جريدة الوفد بمهاجمة روز اليوسف ، وذهب الاشتباك بين العقاد وتوفيق دياب الى أبعد الحدود · فنشر توفيق دياب أن العقاد مصاب « بالبارانويا » والجنون ·

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف أن العقاد دخل عليهم ذات ليلة وهو يهد صائحا : سوف أقضى على توفيق دياب :

« وتجمعت حوله متسائلين ، ونظرنا اليه مترقبين ، واستطرد وهو يقول : لدى مستندات خطيرة جدا ، سوف يكفى ان ننشرها القضاء عليه ··

« وطلبنا منه أن يطلعنا على المستندات فرفض · وقال أنها سرية جدا · وانه يريد أن يذهب بها أحد موظفى الجريدة الى محل زنكغراف ليصورها ويعيدها اليه ·· ورضخنا لرغبته وتفرقنا عنه واستدعى اليه ابراهيم خليل وأعطاه المستندات الخطيرة فى مظروف مغلق ، لكى يذهب بها الى محل الزنكغراف ، وخرج ابراهيم خليل ، وقبل ان يبرح الادارة استبد به الشغف لكى يطلع على هذه المستندات الخطيرة جدا ففتح المظروف فى حجرة ثانية ·· ورأى المستندات فوقف ذاهلا ·· ونادى على فذهبت اليه، وناديت أنا على كامل الشناوى ·· وتجمعنا فى الحجرة نتأمل المستندات الخطيرة جدا ونحن نكاد ننفجر من الضحك ·

« وكانت المستندات تثبت أن الاستاذ دياب لم يكن يدفع للعقاد مرتبه فى مواعيده حين كان يعمل معه فى « الجهاد » ! أى أنها تثبت أن الجهاد لم يكن فى حالة مالية حسنة ! وهو ـ كما ترى امر غير خطير ·· وليس فيه ما يشين الاستاذ دياب فى شئ · فقد جرت عادة أغلب الصحف على أن تتأخر فى دفع مرتبات موظفيها ، ولكن العقاد ـ وله قلب طيب

حسب انها مستندات خطيرة · وكنا حريصين على الا نغضبه ، فجاريناه فى نشرها ، وكنا نتظاهر أمامه باهتمامنا بها ، فاذا تولى عنا انطلقنا — بزعامة كامل الشناوى — ضاحكين (١) » ·

وفى الواقع أن هذا الامر من العقاد لم يكن ليثير هذا الضحك اذا عملنا أن توفيق دياب كتب مقالا فى الجهاد من بين حملته على العقاد ، يعيره بعمله فى الجهاد ، يقول فيه : (٢)

« فلما خرج العقاد من السجن كانت عقيدتنا هى التى نشرت له ما نثر وما نظم فى تلطف وعطف شديد عرضت عليه مائة جنيه فى الشهر ·· ويعلم الله كم كان هذا العرض فادحا لو قبله الاستاذ لاثقل ميزانية الجريدة وانما أردت به التضحية لكاتب مهما يكن أسباب سجنه فقد كان أحد كتاب الوطن ·

« وشكرنى العقاد وطلب الى تأجيل جوابه يومين او ثلاثة رأى فى خلالها أن يتعاقد مع جريدة اخرى هى جريدة مصر ·

« فلما سئل كيف آثر « مصر » على « الجهاد » أجاب بأنه يريد ان يكون على رأس جريدة يقول لصاحبها « هات قهوة » فيحملها اليه بنفسه دون امتعاض ، فقد كان ذلك لسان العقاد ، ولسانه بذىء لذاع حتى لأولياء نعمته ·

« ولكن العقاد كما يزعم ، فاذا شئت فهو جبار الحقد ، جبار الحسد لكل نعمة يرى ظواهرها على مخلوق ، وانقضت الستة شهور ، ثم لزم العقاد بيته يفكر وينعى مصيره على الدنيا وعلى الوجود وعلى جهل الامة بمقداره وتنكرها لآثاره حتى تعرض عن جريدة هو رأسها المدبر — اى معولها المدمر — فكان يهذى فى المجالس بالسخط على الوطنية الوفدية والوفديين وكان وجود العقاد كعدمه فى الجهاد فلم يزدد ذيوعها نسخة واحدة ، ومما يروى أنه بينما كان داخلا الى دار الجهاد ذات ليلة وقع نظره على جمع من عمال الصف الجالسين وكان من سوء حظهم أنهم لم يفطنوا الى وصول العظيم الجبار والصنديد المغوار أمير الشعراء ، وشيخ الخفراء عباسيا العقاد فلم ينهضوا واقفين ، فوقف على الافريز وصاح بهم صيحة افزعت اليه محررى الجهاد ·

---

(١) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٨٥ — ١٨٦ ·

(٢) الجهاد : يوم ٢٤ من سبتمبر ١٩٣٥ ·

« كيف تظلون جالسين والعقـاد يقترب منكم أيها الكلاب ، فلمـــا قالوا له انهم لا يعرفونه ٠٠ قال : او فى مصر من لا يعرف العقاد ايهـــا الحمقى الجاهلون ٠ وطلب فصلهم جميعا » ٠

* * *

ولم يكن أمام العقـاد الا ان يواجه الحملة بحملة مماثله ، ويرد الهجوم بســلاح مماثل فكتب العقاد تحت عنوان :

الفضائح الدامغة للمهرج السياسى الدجال (١)

« كتبت امس وبالخزى ما كتبت : يخونك العيش والملح يا اســتاذ يا عظيم ، عيش الجهـاد لا عيش ، سمرات ، كان عملى فى الجهـاد فضـلا لصاحب الجهـاد فى عنقى ويعيرنى به الان لاننى كنت فيه عالة لا تعـود عليـه بخير ٠

لقـد كان توفيق ديـاب يجلس فى مكتبـه وفى بيتـه بـلا عمـل فى التحـرير ولا فى الادارة غـير قبض الأمـوال والبحث عن ضـيعة يقتنيها أو عقـار يشـتريه ٠ وكـان الاسبوع بعـد الاسبوع والشـهر بعد الشهر ينقضى قبـل أن يكلف نفسـه كتابة مقـال من ذلك الهـراء الذى تسـود به الصحف ، ولا يعقل هو ولا يعقل احـد ماذا يعنيـه ٠ أما الصحيفة فمـا كان يجود عليهـا بدرهم فى تحسين لازم او زيادة ضرورية ما دام قادرا على الكسب وجمع الاموال وشراء الضياع ٠

وقد سجن صاحب الجهاد فلم انقطع عن العمل غير اسبوع واحد فى السنة مع الحاجة القاهرة الى الراحة والعلاج والرياضة مبالغة حتى فى العنــاية بالصحيفة فى غيبة صاحبها ٠

« ولما تركت الجهـاد لم يستطع صاحبه ان يعوض عملى فيه بأقل من سبعة أو ثمانية من الكتاب الدائمين او المتطوعين ٠

« تلك هى فائدة الجهـاد منى فماذا كانت فائدتى أنا من الجهاد مرتب لا يسـاوى عشر ما كان يكسبه توفيق دياب فى الشهر الواحـد علنـا ولا عشر ما كان يكسبه سرامن مصـادر السحب المعهودة ٠

« وسيدهش القـراء بالغ الدهشـة اذ يعلمون أنه ــ حتى هذا المرتب ــ

---

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٥ من سبتمبر ١٩٣٥ ٠

لم اكن استوفيه فى كل شهر الا مقطعا ممطوطا مؤجلا من وعد الى الوعد ويميى بعد يمين حتى لا انتفع به ولا ادرى كيف اعول عليه لاننى لا اعرف متى يأتى وكيف يكون حسابه عند الحاجة اليه ·

« ولو ان هضم الحقوق واختلاس الاجور والاكثار من المواعيد والانسام التى برع فيها واستهلكها كما برع فيها اجمعون كان اضطرابا تقضى به علة المال وشح المورد لكان له عذر مقبول ·

« ولكنه يماطل ويسوف ويقسم ويأكل حق الضعاف والكاتب فى اليوم الذى يعقد فيه صفقة بألوف الجنيهات على شراء ضيعة كبيرة يتفق على شرائها مع عبد الفتاح يحيى ويكتبها بعد ذلك باسم زوجته ·

« بل فى الشهر الذى ما طلنى فى دفع مرتبى وانا ذاهب الى راس البر المتواضع التماسا للراحة القليلة والاستجمام اليسير ـ كان هو يستأجر فى الاسكندرية قصرا من قصور بولكى باربعمائة جنيه فى اشهر الصيف ويستأجر سائسا (جروما) يركب الى جانب السائق ليبادر الى النزول عند وقوف السيارة كى لا يفتح البك باب السيارة بيده الشريفة ولا ينتظر السائق حتى ينزل اليه ·

وعلى هذا النحو يفهم الرجل الشريف تجارة الصحافة وتجارة الوطنية وتجارة الاخلاق ويطعن فى اخلاق العقاد لان عمله فى الجهاد لم يكن الا مروءة مضاعفة من الاخلاص للعمل والقناعة بما دون حقه والصبر على مكاره الغبن الخسيس والوفاء لمن لا يستحق الوفاء » ·

* * *

وفى الواقع لقد كشفت هذه المعركة الصحفية ، التى دارت بين توفيق دياب فى الجهاد من جهة ، وبين العقاد فى روز اليوسف اليومية من جهة أخرى ، حقيقة الصراع فى ميدان الصحافة من الباب الخلفى ايضا ، كيف كان يمكن للصحفى الوطنى المجاهد فى سبيل القضية الوطنية أن يواجه وجود أصحاب الصحف الذين يتاجرون بالقضية على حساب الوطن ، مستغلين فى سبيل ذلك جهد الوطنين الشرفاء الذين كل همهم هو المنبر الذى من خلاله يمكنهم مواصلة الكفاح ··

هذه هى المعادلة الصعبة التى كان على كل صحفى مصرى مجاهد ان يحلها فى عمله بالصحافة السياسية خلال عهد الاحزاب ، وقد خرج العقاد من سجنه فى عام ١٩٣١ ويعرض عليه صاحب الجهاد أن يعمل بصحيفته ،

نيقبل العقاد ، وتسوء المعاملة المالية ، لأن أصحاب الصحف يريدون الضياع والقصور ويبخلون على الصحيفة بما يفي نفقاتها ، وتنتهي المسألة بانتقال العقاد الى صحيفة اخرى ، فماذا يسوء صاحب الجهاد من وراء ذلك ؟ فيشن حملة تنأى به عن اصول شرف المهنة ويعيره بعمله في صحيفته. وفي الواقع اياكان تقدير هذه الحملة من الطرفين ، الا انها كشفت عن حقيقة الصحافة من واجهتها الخلفية ·

ونعني كبمواجهة الصحافة الخلفية مقومات الصحيفة المادية التي تعتمد عليها في القيام بتكاليفها ، وصحيفة الجهاد التي تتحدث باسم الوفد تحظى برضاء سكرتيره مكرم عبيد صاحب الكلمة العليا في الوفد ، وهنا نجد ان أساس المعركة التي دارت بين العقاد في « روز اليوسف اليومية » وبين صاحب « الجهاد » تكمن في العلاقة التي بين مكرم عبيد وصاحب الجهاد الذي يعطي العقاد مرتبه على دفعات ويبالغ عندما يزعم انه كان يعطيه ثمانين جنيها مشاهرة والوثائق التي نشرها العقاد في « روز اليوسف اليومية » تثبت مدى صدق دعوى العقاد ، وتكشف عن العناء الذي كانت تكبده الصحف الوطنية ·

ونقدم لقارىء « افتتاحية للعقاد شغلت معظم الصفحة الاولى ونصف الصفحة الثالثة من « روز اليوسف اليومية » تكشف لنا حقائق عن الوفد وعن الخط الوطني الصريح الذي بدأه في ثورة ١٦١٩ ·· كتب العقاد هذا المقال اثر اعلان الوفد فصله لصحيفة روز اليوسف اليومية ، واحتد هذا الهجوم ويأخذ العقاد موقف الدفاع في روز اليوسف اليومية ، وكانت الحرب الايطالية الحبشية في ذلك الوقت على الابواب ، ولوحت انجلترا في تصريحات المسئولين فيها بأن مصر ستكون « في حمايتها » طوال مدة الحرب التي توشك على الاشتعال وكان موقف الجهاد مائعا من هذه القضية ·· ونشر مرة يقول : « هكذا شاءت سياسة الاحتلال أن تظل مصر في حاجة الى حماية القوم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » ، واتخذ العقاد من هذه العبارة مجالا لحملات عنيفة على الجهاد ·

ثم تنشرالجهاد كلمة بامضاء محام اسمه « وليم بطرس الدويني » يقول فيها انه « رأى السيدة روز اليوسف والدكتور محمود عزمي يجلسان مع احمد عبود باشا في فندق مينا هاوس يتهامسون ، وقد أمسك عزمي ورقة وقلما ، وتذكر السيدة روز اليوسف في مذكراتها أن هذا اللقاء لم يحدث قط · ولكن الجهاد ارادت بنشره أن تقول أن روز اليوسف تأخذ مالا من عبود (١) · »

---

(١) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٨٦ ·

وفى اليوم التالى كتب محمود عزمى مقالا طويلا عنيفا بعنوان ضخم ملفت للنظر :

« وليم الكذاب » (١)

كان المقال كله حملة عنيفة على «وليم الدوينى» صاحب النبأ الملفق٠٠ ولكن مكرم عبيد ثار ثورة هائلة ، اذ رأى فيه وفى عنوانه بالذات تلميحا الى شخصه هو ٠٠ اذ كان مكرم عبيد يحمل قبل ثورة ١٩١٩ اسم وليم ثم تنازل عنه حين شبت الثورة ٠ وثارت لثورة مكرم الدوائر الوفدية ، اذ كيف تطعن جريدة وفدية فى سكرتير الوفد او تعرض به على هذا النحو ؟

وتذكر السيدة روز اليوسف أن هذا كان السبب المباشر الذى دعا الوفد الى فصل الصحيفة اليومية ، وعرضت حلول كثيرة لتسوية الموقف منها اخراج محمود عزمى من الجريدة بوصفه صاحب المقال ، ولكن صاحبة الصحيفة رفضت هذا العرض بعد أن أبدى الدكتور عزمى استعداده لترك الجريدة اذا كان فى ذلك ما ينهى الأزمة ، ثم تضامن الدكتور عزمى مع العقاد على مؤازرة الصحيفة وصاحبتها فى هذا الموقف ، فما لبث الوفد ان أصدر بيانه فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ بأن « هذه الجريدة لا تمثل الوفد فى شىء ولا صلة لها به » ٠

ونترك لمقال العقاد يصف لنا الحقائق وراء هذه الوقائع :

الرئيس الجليل « مكرم عبيد »

يسوق البلاد بدسائسه الى هاوية الخراب

السر ان طال احتجاجه فلابد له من ظهور (٢)

« لا يزال الاستاذ مكرم عبيد يتهالك بكل ما عنده من حيلة وطمع ودسيسة على شىء واحد ، وهو أن يوقع فى اذهان الانجليز أنه هو القابض على ناصية الوفد والمسيطر على ارادة رئيسه وأعضائه من ورائه ٠ فاذا حسبوا له حسابه فلا ضير عليهم بعد ذلك أن يهملوا حساب كل انسان وفى مقدمتهم الرئيس ٠

يحرص الحرص كله على هذه الامنية ولا يتورع فى سبيلها أن يجازف باكبر المصالح القومية كما يجازف باصغر الأمور ٠ ومساعيه الخفية فى

(١) روز اليوسف اليومية : العدد ٢٠١ ٠

(٢) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٥ من يناير ١٩٣٥ ٠

يروى منها الكثير لن يعملون الكثير ، واظهرها واخطرها فى الزمن الاخـــير تصرفه العجيب فى مسألة الدستور قبل اجتماع الوزارة (يقصد وزارة توفيق نسيم) فى شارع الهرم ، ذلك الاجتماع الذى وصفته الصحف يومئذ بالاجتماع الخطير لما سينبنى عليـه من مستقبل السياسة الوزارية ، وقد ينبنى عليه تحول فى خطة الوفـد وفى خطة الانجليز » والقـراء يذكرون أن ذلك الاجتماع انمـا كان معقودا لافضاء الوزراء الى أعضاء الوفـد بما لديها من معلومات وحقائق عن المسالة الدستورية ٠ وكان من الجائز أن يعدل الانجليز عن بعض عنادهم (اذا احسوا ان البـلاد ستنقلب على الوزارة اصرارا منها على طلب الدستور ، وكان من الجائز كذلك أن تضاعف الوزارة جهودها اذا أحسـت هـذه العقبة المشكوك فيها ، فاذا لم يكن هـذا ولا ذاك جائزا على غرض من الفروض فالواجب على كل حال ان لا يعلن راى الوفـد قبل حصول الاجتماع وسماع ما يدور فيه والا كان انعقاده عبثـا لا معنى له وفضولا لا خير فيه ٠

لكن كيف يعبر الاستاذ مكرم عبيد عن اعتقـاد الانجليز ان للاعضـاء الاخرين فى الوفـد رأيا يحسب له حساب ؟ كيف يترك عنـد الانجليز ذرة من الشك فى قبضه وهو على ناصية الحال وسيطرته هو على جميع الاعضاء وتسخير مهو من ورائهم لجميع البلاد ؟

ذلك مستحيل ٠٠ والفرصة سانحة لمناورة يثبت فيهـا من جـديد انه هو وحده « كل شئ ولا شئ غيره يصح أن ينظروا اليه ، فجازف بالمستقبل الدستورى كله وبسمعة الوفـد علانية ، وبكل امل فى النتيجة المرقوبة ٠ وقام فى جلسة الجمعية العمومية للمحامين السابقة لاجتماع الهرم مباشرة يعلن اقتراحا يقول فيه ان المحامين المجتمعين الآن « يعربون عن املهم القوى فى ان تواصل الوزارة النسيمية السعى لاعادة دستور الامـة الصادر فى سنة ١٩٢٣ اليها حتى تحيا البـلاد الحياة الدستورية التى ترتضيها »

سكرتير الوفـد يعلن فى نقابة المحامين على الملا أجمع نتيجة الاجتماع الذى سينعقد بعديوم ٠٠

يعلن تأييد الوزارة وطلب الوفـد منها ان تبقى فى المناصب حتى تعيد الدستور ، ويلمح للانجليز من خلف الرؤوس تلميحا هو التصريح بعينـــه قائلا : « أرأيتم من هو صاحب الرأى فى الوفـد وفى البـلاد ؟ أتصدقون بعد اليوم ان الاعضاء الموقرين الذين يسرعون الى مواعيد الاجتماعات ويتناقشون هنالك فى جد ورصانة يملكون أو يملك رئيسهم أن ينقضوا شيئا مما يريده قبل ذلك مكـرم عبيد » ٠

ولقـد فضح بفعلته الوفد كله ، وعبث بالمسألة الدستورية على هواه ، واستراح الى ما صنع ، لأنه يرى المأرب الذى يعنيه فوق جميع المآرب · وهو اقنـاع الانجليز بالاتجاه اليه وحده وقلة المبالاة بأحـد من الناس غيره كائنا من كان ·

* * *

« ولا بد للاستاذ مكرم عبيد من السيطرة على الصحافة الوفدية بغير شرك ولا منازع حتى يتسنى له السيطرة على الرأى العام واقناع الانجليز بقدرته على توجيه السياسة العامة حيث يشاء ·

وهو يستفيد من ذلك فائدة أخرى لا تقل عن الفائدة الأولى فى نظـره وهى الاعلان عن حركاته وسكناته وقضاياه ومساعيه ، ولتمهيد للاضرار بالناس عن طريق التشهير او الظهور بهم من طريق التحبيب والتبشير ·

ولهذا لا يطيق هـذا الرجل صحيفة واحدة وفـدية تحيا فى البلاد ما لم تكن طوع يديه ورهينة امره فى كل كلمة واشارة · ولهـذا تولى حمـاية « الجهـاد » كما تولى حمايته لسبب غير ذلك السبب ، ونعنى الحـادث المشهـور بين صاحبه وبين الدكتور ماهر والحادث الذى لا يعرفه القليلون قبل ذلك بين صاحبه والاستاذ النقراشى » ··

فلا ينبغى أن يعلم أحد من الصحفيين ولا أن يعلم الانجليز خاصة أن احدا من اعضاء الوفـد يهم الصحفيين رضاه وغضبه ما داموا فى حمـاية الاستاذ ·· « الرئيس الجليل » ·

* * *

» سيقول المأجورون والأذناب كثيرا عن سبب القرار الاخير الذى حفز الوفـد الى النفخ فى النفير العام والهرولة بالقطار السريع من الاسـكندرية الى القاهرة يجتمع ويتباحث ويعلن بعد الاجتماع والبحث ان « صحيفة روز اليوسف لا تمثل الوفـد ولا صلة لها به » ··

سيقول المأجورون والأذناب كثيرا ويجدون من يقول ، لأن السادة الذين يخدمونهم يشملون فى صف واحـد الدولة البريطانية والوزارة النسـيمية والاستاذ ··· الرئيس الجليل مكرم عبيد ·

سيقول المأجورون والأذناب كثيرا ولكننا نسرد لهم الحقائق فيعلمون ان المأجورين مأجورون وأن الأذناب أذناب ، وأن صحيفة روز اليوسف لم

ترض الوفـد لانها لم ترض الاستاذ مكرم عبيد ، وأنها ما كانت لترضى مكرم نعبيد الا لا بحالة واحـدة دون سواها ، وهى الا تظهر بتاتا فى عالم الوجود ، والا تحيا لتـ كون لكتابها حرية يقولون بها خلاف ما يمليه عليهم ، وتكون حياتها على اطلال « الجهـاد دليـلا يفهم منه الانجليز ويفهم منه الصحفيون أن الاستاذ « الرئيس الجليل » لا يحير ولا يجيب ٠

* * *

« فقبل أن تظهر صحيفة « روز اليوسف » فكر بضعة عشر عضوا من الوفـد والهيئةالوفديةفى الاكتتاب لانشـاء صحيفة تعبر عن الوفـد وتريحه من سمعة المرتزقة بالصحافة ٠ فكروا فى ذلك على أثر حادث المؤتمر وقرروا الاكتتاب بعشرة الاف جنيه وخاطبوا النحاس باشـا أولا فقبل وبـدأ عليه السرور ثم عادوا اليه فماذا كان ؟

كان أن الأستاذ ٠٠ « الرئيس الجليل » أدخل فى روع النحاس باشـا أن المسألة من بدايتها الى نهايتها مكيـدة من بعض منافسيه الطامحين الى الرئاسة ٠٠ بدأوها بحادث المؤتمر وشفعوها بالاكتتاب ، وسيشفعونهـا غـدا بالدعاية لرئيس غير النحاس والاشراف على الرأى العام من غير طريق الزعامة ٠٠٠

« فصدق النحاس باشا لانه يصدق أن مكرما لا ينافسه ولا يتطلع الى الرئاسة الوفدية ولا الى الرئاسة الوزارية ، ولكن الآخرين قد ينافسـون ، ولمـا جاءه رسول المكتتبين يخاطبه فى التفصيلات اذا به يتهجم ويتبـرم ويصيح به » ما دامت عندكم فلوس فلماذا لا تتبرعون بها لخزانة الوفد ؟ »٠
وعلى ذلك أسدل الستار

واتفق أن شاعت الاخبار بقرب ظهور هذه الصحيفة على أثر ما تقـدم فسرعان ما تناول صاحبنا أذنى النحاس باشا وقال له : أرأيت انهـــــا الدسيسة القديمة تبرز فى ثوب جديد ٠٠ انه الاصرار بعينه ٠٠ انه تبييت النيـة على الجريمة ٠٠ والعقـاد الذى كان سيكتب فى الصحيفة المطلوبة هو الذى سيكتب فى الصحيفة الجديدة ٠٠ ومن لك بضمان العقـاد أن يقـول ما تريـد كما نريد ؟ » ٠

وحوربت الصحيفة قبل ظهورها بطريق مباشر وغير مباشر ، فقبل ان يظهر العدد الاول منهـا اوعز الاستاذ « الرئيس الجليل » الى صاحب العزة على سالم بك أن يتولى سياسة الجهـاد تحصينا له فى وجه هـذه الصحيفة التى لم تزل فىعالمالغيب ٠

وكان ذلك كله خلال رحلة الصعيد · فارسلنا مندوبا خاصا لنا يوافينا باخبار الرحلة عن كثب فقوبل أسوأ استقبال ، وأبى مكرم أن يراجع معه الخطب التى يلقيها النحاس باشا ·· وهى على حسب العرف لا ترسل ولا تنشر الا اذا عرضت على السكرتير « ·· أما مندوب الجهاد فكان يرسل الخطب بمراجعة أو بغير مراجعة ولا تثريب عليه ·· والغرض من هذه المناورة المكشوفة ان يفهم الناس أن « الجهاد » ·· وصاحبه مستقيل يومئذ من الهيئة الوفدية – هو صحيفة الوفد المرعية دون الصحيفة الجديدة·· واذا عجزت صحيفتنا عن نشر الخطب بعد هذه المعاكسات قال النحاس باشا : « أرأيت ؟ ·· ها هم أولاء يضربون عن نشر خطبك استخفافا وتمهيدا لما كانت تمهد له الصحيفة المطوية » ·

وتجاوزت هذه المناورة فى التحيز الواضح فارسلوا جواب النحاس باشا الى امام اليمين ردا على تهنئته بالمؤتمر الوطنى الى الجهاد وحجبوه عن هذه الصحيفة عامدين ·

« ثم عاد النحاس باشا الى القاهرة واستقبلناه فى بيت الامة مرات فهل سمع احد من حضرات القراء أنه فاه بكلمة ترحيب واحدة بهذه الصحيفة قبل سبعة شهور من خلق العلل التى يتعللون بها الآن ؟ هل زارها النحاس باشا كما يزور الملاعب والمراقص وعلى الكسار ؟ هل زار العقاد فى عمله الجديد كما يزور « الوردة البيضاء » ست مرات أو سبعا فى القاهرة والاسكندرية وحيثما انتقلت بين مسارح القاهرة ؟

الجواب عند القراء

* * *

وجاءت مسألة « الخبير الفنى » ولزمت الصحافة المكرمية الصمت العميق وحملنا نحن حملتنا العنيفة على الكارثة التى قل نظيرها فى تاريخنا الحديث وهذا ما كانوا يخشونه م نصحيفة لا يملى عليها الاستاذ « الرئيس الجليل » ·· وهذا ما خاطبونى فيه يومئذ ·

وطرأ هنا سبب قوى للقضاء على الصحيفة التى يكتب فيها العقاد ·· فان الانجليز شكوا من حملاتنا وكرروا توجيه النظر الينا ومطالبة الوزارة بعلاجها وكيف يشكو الانجليز شيئا ولا يتكفل لهم بعلاجه الاستاذ مكرم عبيد ؟

لقد ذكرت الصحف يومذاك ما ذكرت عن تلك الشكاية وتأهبنا نحن للقاء الجزاء المدبر بعد تبييت وتدبير ٠

« فلم يكذب ظننا فيما تأهبنا له من جزاء ٠ وما مضت فترة وجيزة حتى نشرنا خبرا عنمقابلة سياسية هامة فى شارع الهرم فثار الرئيس الجليل أو قل ثار الرئيسان الجليلان ٠٠ وطردوا مندوبنا من بيت الأمة ومنعوه ان يتلقى أخبار الدار ، وتكلم الاستاذ مكرم عبيد مع صاحبة الصحيفة مهددا متوعدا فأحالته على كاتب هذه السطور ٠

وكان سكوت ! ٠٠

ولكنهم لم يستطيعوا أن يتخذوا من الخبر البسيط تعلة « لفصل صحيفة واصدار قرار وهرولة بالقطار أو بغير القطار ٠٠ ولا سيما وهو خبر لو لم يعرفه الناس هنا لعرفوه من صحف أخرى ، ولا فائدة للوفد ولا للصحافة الوفدية فى أن تمتاز الصحف المعادية علينا أو تستأثر بتقدير القراء ٠

ثم كانت مسألة وزير المعارف وحملتى عليه لعدائه الصريح للوفديين وتنفيذه سياسة دانلوب فى معاهد التعليم ، فظنوا الفرصة ملائمة ولكنهم لم يصدقوا الرجاء ، ومرت هذه المسألة دون أن ينجح فيها الاستاذ الرئيس الجليل ٠٠ فهل يتركها تفوت وهو مستحث فى تنفيذ الطلب الانجليزى لايعلم متى تسنح بمسألة طريفة ؟ ٠٠

كلا ! بل جاءنا بعد انتهاء المسألة يأمرنا ٠٠ نعم يأمرنا والا تحطمت رؤوسنا أن نعلن بأيدينا « أن الظنون تحوم حول هذه الصحيفة فنحن لا نرى بدا من التصريح هنا بأننا وفديون نخضع للرئيس الجليل ٠٠ » اقرأ لمكرم عبيد ٠٠ الى آخر ما فرضوه وقرروه ٠

« قلنا سبحان الله ٠٠ متى اتهم انسان نفسه بنفسه ؟ وما معنى ذلك الا ان الشبهة تمكنت من النفوس حتى احتاجت منا الى المبادرة بالتفنيد ؟ وما ضرورة ذلك والصحيفة تنشر أنباء الوفد ورئيسه وتقرن عنوانها بكلمة من كلامه ؟ ما ضرورة ذلك الا قصد الاضرار والاعنات ؟

أبينا أن نطعن أنفسنا بأيدينا فهل يستريح مكرم عبيد ويدع الأمور تسير حيث تسير ؟

معاذ الدسية والوقيعة والتحريض والغرض المستور ٠ بل جاءنا بعد يومين اثنين بطلب جديد ٠

وماالطلب الجديد ؟

أن يخرج الأستاذ محمود عزمى على الفور ٠٠ لماذا ؟ هكذا ولا كلام !

قلنا : ولكن الصحيفة لاتستغنى عن محرر سياسى فى هذه الأزمة التى تناط بها الأنباء الهامة جميعا بالدوائر السياسية العليا ونحن فى منافسة لا يغتفر فيها التقصير ! ٠٠

لا يهم ٠٠٠ بل يخرج والسلام !

قلنا : هل عندكم من يعوضه فى عمله ؟ وهل تنسون حقوقه المسطورة فى العقود ؟ وهل تنسون أن الرجل لا ذنب له واننا لسنا بأطفال حتى نلقى التبعة عليه ونعجز عن حماية أنفسنا فيه ؟ وهل كان عزمى مأمونا فى الجهاد مع توفيق دياب فأصبح شخصا آخر فى هذه الصحيفة ؟

لا يهم ٠٠ بل يخرج والسلام !

ولو خرج عزمى لتقدم مكرم فى اليوم التالى ليأخذه من يده الى الجهاد ليقول ها هو الشريد قد عاد اليك تائبا فانتظر قليلا ريثما يجيئك العقاد !

كذلك صنع فى أمر الأستاذ عبد الرحمن نصر حن أوعز باخراجه من صحيفة « روز اليوسف الأسبوعية وأخذه بيده الى صحيفة أسبوعية من طرازها ٠٠ ونال الأستاذ عبد الرحمن حكما بالتعويض لأنه « وفدى » مظلوم يستقبله الأستاذ مكرم فى بيت الأمة ٠٠٠ وقد تجنت عليه الصحيفة فاخرجته ظلما لأنها زعمت أنه يخالف فيما يكتبه المبادىء الوفدية !

* * *

والآن وقد انقضت جميع تلك المحاولات التى أريد بها الاضرار بنا هل يقلع الأستاذ الأريب عما نواه ؟

أبـــدا ٠٠٠

بل يحرم مندوبنا فى الاسكندرية الخطب الرسمية حتى ما يصل اليه مزيد غيره ، ويظن أننا عالة على خطبه نسعى اليها زاحفين على الركب مستغفرين ٠

« ضاقت صدورنا بهذه اللجاجة الصبيانية فى ايذائنا مرة بعد مرة وخلعا للاشكال بعد الاشكال ، ونحن صابرون كاظمون ٠

فاحببنا أن يفهم الرجل أننا لسنا عبيدا له ولا عبيد للمسـخرين فى يديها وحذفنا لقب المجاهد الكبير الذى لا نرى له مصداقا الا فى جهـاده فى

الدسائس والتخريب ، رأينا أن ننشر له خطابا اذا وصل الينا فى الموعد الذى يصل فيه الى صحف الصباح ، ونشرنا مقتبسات من احدى خطبــة « المرتجلة » على النحو الذى لابد منه ولا نشبع من الصغائر ولا نفرط فى لبانة وهى تسوم الناس أن يفرطوا فى الكرامات والمبادىء والحقوق ٠

وهنا وقعت الواقعة والى القراء البيــان ٠

أفيحسب القراء أن سببا من الأسباب الهامة ـ حتى ما أشيع عـن استقالة الوزارة النسيمية ـ له دخل مباشر فيما صدر من قرار وخف الرئيس والأعضاء على عجل فى حمـلة الانقاذ و « الاستبسال » ؟ كلا ٠ كل اولئك فى المنزلة الثانية عندما يصاب مكرم من قريب ٠٠ أو عند ما يصاب فى مكمن الدسيسة وسر الصنعة ٠٠ أو سر الارتجال !

لقد نشرنا المقتبسات المرتجلة (١) (!) صباح الخميس فاذا الصحيفة المكرمية تتفجر فى العدد التالى على الفور بتلك الضجة المفتعلة التى اختلقتها باسم الزعامة والجبهة الوفدية ٠٠ فى جرأة الواثق من التواطؤ والأعضاء وهى الصحيفة التى سكتت ثمانية أيام سكوت الخائف الوجل حين فاجاها بما اقترفته من جناية التبشير بالحماية !! وهى الصحيفة التى تذعن للصفع فى ذلة وصغار خلت من كل رجولة وحياء ، وهى الصحيفة التى أجفلت من تهم البلاغ اذ لم يكن يسندها من ورائها الأستاذ « الرئيس الجليل » ٠٠ وهكذا لا يعرف المأجور أن « يضج » ويثور الا مدفوعا مسحورا !

وبعد « استواء » الحملة فى زعم الأستاذ البارع برزت أول لجنة وفدية بالاحتجاج على العقاد والصــحيفة المارقة م ن‌الوطنيــة ـ ايمانا بدعـوى الجهاد ٠٠ أين كانت هذه اللجنة ؟ فى الاسكندرية !! فى الاسكندرية التى كان فيها مكرم عبيد ٠٠ !

ثم سيق النحاس باشا الى القاهرة غضبا للزعامة أو غضبا للمبادىء الوفدية ! وغضبا لكذا وكذا وكذاك ٠٠٠ وصدق من صدق ان « الوفد » قد اجتمع وبحث وقرر ٠٠٠ وعلم من علم أن مكرما قد اجتمع وحده وبحث وحده وقرر وحده منذ سبعة شهور ٠٠٠ وما على الجماعة الا التنفيذ !! وها أنا ذا أيها الانجليز فهل فى الوفد ـ هل فى مصر ـ أحد سواى يحسب له حساب ؟

تلك هى الوقائع ناطقة بلسانها المتين ، وتلك هى المشــيئة الوفدية كما زاد عليها فى هذه الأيام ٠٠

يراد منا أن نسكت عن كارثة الخبير الفنى كما سكتت الصحافة المكرمية فلم تنطق الا بعد أن أحرجناها بالنقد واستحال عليها السكوت ..

يراد منا أن نخدع الأمة بقرب عودة الدستور ونحن على يقين جازم — كما قلنا من اللحظة الأولى — أن الأمر غير جد وان الدستور غير مطلوب ولا عائد فى ذلك الحين .

يراد منا ان نهلل بالتبليغ البريطانى كما هللت الصحافة المكرمية ولولا أن أدركناها بالبيان الصحيح .

والتبليغ البريطانى ، مع ذلك حماية فى اشنع الوان الحمايات لانه لم يفرض علينا الحماية العسكرية وحسب ، بل يضيف اليها حماية الأمة القاصرة التى لا تفقه معنى التطورات الدولية الا أن يرشدها اليها البعض كما يرشد الآباء أطفالهم الصغار يراد منا أن نقول ان الوزارة النسيمية مقدمة على الدستور كأننا لم نقل للناس قبل سنوات قليلة : اذبحوا أنفسكم فى شوارع العاصمة من أجل الدستور .

يراد منا أن نتغنى بعهد الوزارة لانها أطلقت نا حرية الصحافة كأنها اطلقت لنا الحرية لنفقدها بأيدينا ، وكأنها لم تحتفظ بقوانين الحجر والاستثناء حتى هذه الساعة ، وكأنها لم تسخر الوفد فى وظيفة اسكات الصحف التى كان يؤيدها — فى عهود الوزارات المنبوذة — مراقبون فى ادارة المطبوعات ..

يراد منا هذا وأمثاله ، ويراد منا مع هذا وأمثاله الا ننسى أبدا أننا آلات فى يدى مكرم عبيد ، وأبواق له تحوطه بالدعاية وتخالفه على الخصوم ولا تقف دون العداوة لكل من ينحرف عنه ولا يصطفيه . وتتوخى مواقع هواه قبل أن يجهر بها ، لأن الدساسين لا يجهرون .

فان كنا كذلك فنحن أبرار احرار ولو كنا جواسيس مجرمين مبشرين بالحماية ودعاية الاستعمار ، وان لم نكن كذلك فلا شفاعة لنا ولا حقوق ولو كانت بنا ألف شفاعة وألف حق فى ذمة البلاد ، لأن مكرما يستطيع ان يقول للرئيس فيقول الرئيس للوفد فيقول الوفد لعبيده المصريين : هذا العقاد مارق فاذا هو مارق ، وهذا الجاسوس بطل شريف فاذا هو بطل شريف برئت من الوفدية ألف مرة ان كانت هذه هى الوفدية .

« ما علمناها حين أيدناها الا حرية وكرامة ، فكيف نفقد حريتنا وكرامتنا لأننا نطلب الحرية والكرامة للناس أجمعين ..

ما علمناها حين أيدناها الا الأمة كاملة لا الامة منصرفة سائمة كما تشاءت سياسة مكرم النحاس ، فكيف تتعطل وظائف النقد فى أمة كاملة من أجل وزارة لم ترفض قط للانجليز طلبا ولم تحقق قط املا المصريين !

وانى لآسف أن يصير النحاس باشا بالوفد الى هذا المصير ، وان ينعكس المقصود من ثقة الامة على يديه فيصبح قصارى نفعه ان يتقرب بضمائر الانصار على مذابح الخصوم · ولكنى على أسفى هذا أحمد الله ان قيض لى الحرية الكاملة ، وساق النحاس باشا لنفسه الى اطلاق قلمى فيما يعقب به على الاعمال والاراء والهيئات والتبعات ، لا فرق بين النحاس باشا ونسيم باشا · وسائر المسئولين عن سياسة البلاد · ويزيدنى حمدا اننى حين انفصل بينى وبين النحاس باشا وجماعته كنت انا فى مكانى وكان هو الدى تحول عن مكانه ، واستقبل حياة الدعة والرخاء ، وحصر القضية كلها فى التسبيح للوزارة المعبودة عسى ان تسبح هى للانجليز عسى ان ترق لنا قلوبهم بدستور ممسوخ او حكومه دستوريه يعصفون بها فى لمحه عين !!

وما كان انتظار الرحمة على هذا المنوال بالبرنامج الخطير الذى يفتقر الى زعامة ومشاورة وخطط ظاهرة وخطط خفية فيما به يلغطون · ولكنه برنامج قانع وادع سقيم عقيم ندركه ونحن نائمون ·

فاذا كان لا بد من انفصال الرأى بينى وبين هذه السياسة الخاشعة الخائفة ففى هذا المفترق الكريم فلننفصل على بركة الله · والحمد لله على ذلك ثم الحمد لله » ·

* * *

وهكذا يمكن القول بأن صحيفة روز اليوسف اليومية شهدت الفترة الأخيرة من تأييد العقاد للوفد وتعاطفه معه ، ثم فيها كان الحد الفاصل بين تعاطف العقاد وانفصاله عن الوفد ·

والمرحلة التى تعاطف فيها العقاد مع الوفد منذ ثورة ١٩١٩ حتى انفصاله عنه فى عام ١٩٣٥ ، تمثل مرحلة الكفاح الشعبى بمعناه الحقيقى · ولكن بداية انفصال العقاد عن الوفد تؤرخ لبداية ابتعاد الوفد عن القضية الوطنية وانحرافه عن الخط الكفاحى للشعب المصرى وقد توج هذا الانحراف بعقده مع الأحزاب الأخرى معاهدة ١٩٣٦ ··

ونحب أن نعطى فى هذه الصفحات أمثلة من تأييد العقاد للوفد ، ثم نتابع من هذه الامثلة مسلك كل من العقاد والوفد وما أدى اليه فى النهاية من انفصال العقاد عن الوفد صراحة ··

كتب العقاد فى العدد الأول من الصحيفة بعنوان :

الوفد فى غنى عن الدعاية (١) ٠

يقـول :

« الوفدية عقيدة وطنية

والوفدية هيئة سياسية

وكلتاهما من عقيدة ومن هيئة ــ فى غنى عن الدعاية والتهريج بين الأمة المصرية ولا نعرف مكانا أولى بتقدير هذه الحقيقة من صدور العدد الأول فى صحيفة وفدية ترفع شعارها وتتقدم على ميدانها ، فانه من شرف الصحافة الوفدية فى راى نفسها ورأى قرائها أنها وسيلة للتعبير عما نفوس الأمـة وليست وسيلة للدعوة الى خطة مفروضة عليها ، فهى بين المصريين ترجمان عقيدة وليست بترجمان دعاية ، وهى لسان الأمـة الذى يتحدث بوجدانها وليست بلسان الأجنبى المسلط على آذانها ٠٠

ثم يقول :

« انما تؤدى الصحافة الوفدية واجب التعبير عن عقيدة البلاد السياسية لا واجب الدعاية الحزبية وما اليها ، وما من مبدأ أصيل تدين به صـحيفة مصرية بريئة الا الأمة تصدقه قبل ذلك تصديق من لا يحتاج فيه الى اقناع أو تدليل ، ومن الشرف لهذه الصحيفة أن تعرب فى عددها الأول عن تلك الحقيقة الوفدية الأولى ٠

« فحسبها من الرضى عن عملها والأمل فى مستقبلها أن تقوم بقسطها الكامل فى هذا الواجب الشامل ، وأن تكون لسانا معبرا صادق التعبير عن تلك العقيدة القومية التى يحمل لواءها الرئيس الجليل مصطفى النحـاس باشا ويمشى فى طليعة صفوفها صحابته الأمناء ويجتمع على الايمان بهـا أمة ناهضة عرفت فى تلك العقيدة معنى اجتماع الكلمة والثبات عليها كما لم تعرفه من قبل فى أمر من الأمور » ٠

ويواصل العقاد فى هذه الصحيفة حربه على الانجليز ولا ينى عن دحض مزاعمهم وكشـف نواياهم ٠٠ وينتهز ذكـرى تصريح ٢٨ فبراير ويكتب بعنوان :

---

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٥ ٠

« ٢٨ فـبراير (١)

يقـول :

« انما الواقع أن السياسة البريطانية كانت خليقة أن تكرهنا على قبول ذلك التصريح ولو بذلت فى سبيل ترويجه بيننا كل ما تستطيع لانها وضعت هذه السياسة العامة لكى تربح بها :

أولا :سمعة الحرية والانصاف بين أمم العالم على اثر الدعوة الولسنية ٠

ثانيا : ايقاع الفتنة بين الوطنيين وتدويخهم بالمنازعات الداخليـة بدلا من الاتفاق بينهم على السيطرة الأجنبية اذا جهرت بالقبض وحدها على أعنة الحكومة ٠

ثالثا : القاء التبعية عن كاهلها وقذفها على كواهل الوطنيين لتعـود فى يوم من الأيام فتتخذ من سوء الادارة فى جو المنازعات والدسائس حجة لها على أولئك الوطنيين ٠

رابعا : ارضاء الأفراد وذوى الأغراض الذين ترضيهم المظاهر والصور الخلابة فيحسبون أنهم مستقلون لأنهم يوصفون بأوصاف المستقلين ٠

ومثل هذه المغانم التى قدرتها السياسة البريطانية من وراء أسلوبها الجديد خليقة أن تسعى بها وتحتال على بلوغها وتبذل ما فى وسعها من اثمان لو لم يحاول فريق منا أن ينخدع لها ويدعى لنفسه تلك الدعوة الصبيانية من خداع الانجليز ! ٠٠

من أجل هذا أصاب سعد حد الاصابة حين قال عن تصريح ٢٨ فبراير أنه نكبة وطنية ونعمة استعمارية ٠

ومن أجل هذا صدقت العواقب ما تشاءم به الوفد من البداية عـن دخائل ذلك التصريح ٠

* * *

ويدرك العقاد خطر الدعاية السياسية لمصر كسلاح لا يقل شأنا عن الأسلحة التقليدية فى سبيل التحرر ، ونراه يكتب بعنوان :

« الدعاية لمصر

---

(١) روز اليوسف اليومية : يوم أول مارس ١٩٣٥ ٠

اثر الوزارات الاستبدادية فيها (١) ٠

يتحدث عن ضرورة وجود دعاية سياسية واسـعة تتولاها الحكومة نفسها « لدفع الوساوس التى خامرت قلوب السائحين من جراء الاكاذيب ، الاثيمه التى ذاعت على اذاعتها فى مصر والعالم وزارات الاستبداد والطغيان ومن يعاونونها من انصار الاستعمار ودعاة التشهير بالبلاد المصريه من الوجهه السياحيه ومن كل وجهه يقدرون فيها المنفعة لهم والضرر لهذه الامه فالمعروف ان وزارات الاستبداد والطغيان كانت لا تقوم الا على الارهاب والشـذوذ واعتساف الخطط الاستثنائية فى القوانين واختيار نظام الحكومة ، وكانت الامة المصرية فى حالة من الفوضى والاضطراب لا تفلح فى سياحتها الا امثال حجتها التى لا مناص لها من اللجوء اليها لتسويغ هذه المظالم والفضائح ان هذه الخطط العنيفة ، لانها قد اذعنت لاناس من الهيجين الثائرين المعروفين بالعداء للأجانب والفوضى فى ادارة الحكومة الوطنية حين يسـتولون على مقاليدها فى عهد من العهود ٠

فرسخ فى اذهان الأجانب البعيدين من هذه الأمة انها لا تكون الا فى إحدى حالتين كلتاهما لا توافقان السائح الراغب فى الراحة والفرجة أو الراغب فى الشفاء والامان ٠

فان كانت فى عهد وزارات الاستبداد والطغيان فهى اذن فى حالة تستوجب إعلان حكم الارهاب واتباع سياسة القمع والاستثناء والشذوذ فى معـاملة المحكومين ٠ وان كانت فى عهد الوزارات الدستورية فهى اذن فى رعاية الطائفة التى يشيع عنها المغرضون من المستعمرين وأذناب المستعمرين أنها تنشر الفوضى والاضطراب وتدين بالعداء للأجانب المقيمين أو القادمين للسياحة ٠

« وللغريب البعيد من الديار العذر اذا هو اشفق من زيارتها فى هذين العهدين وتوجس من المصريين فى ظل الحكومات الطاغية والحكومات الدستورية على السواء ، فاذا اقترن بما يسمعه عن مصر من دعاية واسعة عن الاقطـار الأخرى المشهورة بمشاتيها ومصايفها والمثابرة على الدعاية لنفسها بلسان حكوماتها ولسان شركاتها ولسان أدبائها ورجا لفنونها ومن يكتبون عنها فلا جرم يعرض السائح عن مصر ويقبل على غـيرها وهو لا يشـغل بأنه بالمبالغة فى التقصى والبحث وراء الاشاعات والاقاويل » ٠

ثم يتفق أن يجىء عيد التضحية وعيد الدستور فى يوم واحد ، فيكتسب مقالا بعنوان :

---

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٤ من مارس ١٩٣٥ ٠

عيدان فى يـوم (١)

يجدد فى هذا المقال كفاحه مع الشعب طلبا للدستور الذى تداولت عليـه معاول الهادمين فليس « اتفاق التضحية والدستور بالشىء العجيب ولا بالشىء النادر لأن تاريخ الدستور هو تاريخ التضـحية فى جميع الأوقات وجميع الشعوب ولكن اتفاق العيدين مصادفه نادرة نرجو ان تكون علامة خير وبشاره توفيق وفالا صادقا للمتفائلين » ٠٠

ويكتب مقالا بعنوان :

حرية الاجتماع وحريه الصحافة (٢)

يقول فيــه :

« واذا كان أعداء حرية الاجتماع لا يعرفون لهم حجة تسوغ الصرامة والبطش فى منع الاجتماعات وتقييد حرية الجماهير المعقولة فلن يجدوا حجة تسوغ مذهبهم فى الحجر على الصحافة والكتابة على الجملة وتجيز لهم أن يتمادوا فى هذا الحجر الى شل الاقلام واعتبار الصحف شرا يحتمله الحكام احتمالا حتى يجدوا الوسيلة للقضاء عليه أو ابقائه فى حالة مكبوحة يستوى فيها البقاء والزوال ٠

فنحن قد رأينا عواقب أطلاق الحرية للحكام ورأينا قبل ذلك عواقب اطلاق الحرية للصحف والكتاب ، فهل حدث من جرائم الغلو فى النقد شىء كالذى حدث من فضائح الغلو فى تسليط الحكام على الناس وحمايتهم من العقاب !

* * *

وخلال هذه الفترة ــ ١٩٣٥ ــ تلقى وزارة توفيق نسيم الثانية التأييد من الملك والانجليز ثم من حزب الوفد الذى ظن انها قد جاءت لتجرى انتخابات حرة تعيده الى الحكم ، بعد أن تعيد دستور سنة ١٩٢٣ (وكان قد عطل قبل ذلك ثم استبدل به دستور سنة ١٩٣٠) وشاع يومئذ وصف الوزارة بهذا اللفظ « قنطرة Bridge » لعبور الوفد الى الحكم ، مع أن بيان الوزارة صريح فى انها جاءت لاصدار « دستور ترضاه الأمة » ولم تشر قط الى انهـا ترمى الى اعادة دستور سنة ١٩٢٣ نفسه ، وكان ذلك مع غيره من القرائن هو الذى راب العقاد فى الوزارة فلم يهادنها على الرغم من تأييد الوفد لهـا ،

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ١٦ من مارس ١٩٣٥ ٠

(٢) روز اليوسف اليومية : يوم ١٧ من مارس ١٩٣٥ ٠

وكانت حملة العقاد العنيفة على هذه الوزارة سببا فى انفصال العقاد عن الوفد كما بينا فى الفصل السابق ، ومن مقالات العقاد هذا المقال :

احراج يندم عليــه غيرنا (١)

يبين فيه العقاد موقفه من الوزارة النسيمية بعد أن حمل عليها ، واحدث الصحف الاخرى ومن بينها الجهاد تلوم العقاد على موقفه متضامنة فى ذلك مع مكرم عبيد الذى كان يؤيد الوزارة ٠٠ يقول العقاد :

« كان فى وسعنا أن نثنى على الوزارة الحاضرة فيما احسنت وفيمــا اساءت من أعمال سياسية أو اعمال الادارة الداخلية ٠٠

وكان فى وسعنا اذا صدرت قرارات مجلس الوزراء وفيها قرار بتعيين الموظفين الانجليز ـ أن نسكت كما يسكت غيرنا ، ونتغاضى كما يتغاضون حتى تمر المذكرة أو المذكرات بسلام ثم نواصل السكوت أو نعقب على الأمر بكلمات لا تخرج عن (براءة العتب) كما يقال فى الاحاديث العامة ٠٠

وكان فى وسعنا اذا صدرت قرارات مجلس الوزراء وفيها قرار بتعيين « خبير فنى » لوزارة التجارة مزود بحق الاتصال ان نشايع الوزارة ولا نطالبها باستدراك خطئها ولا ننبهها الى الخطــر الجسيم الذى تنطوى عليــه تلك الصيغة وقد انطوت عليه امثالها فيما سلف من المعاهدات المرفوضة وكان فى وسعنا الا تمثل للوزارة غضب الأمة من هذه الأخطاء الجسام حتى يتــاح للانجليز أن يجدوا فى الطلب ويتاح للوزارة ان تجد القبول وكان فى وسعنا أن ننسى سيئات الهدايا والمجانية فى وزارة المعارف لا يزا لاصحابها بقية فى تلك الوزارة ، وان ننسى كذلك حقوق المناصب الكبيرة وما ينبغى لها من الماضى الناصع والخلق المتين والشجاعة على احتمال التبعات واجتنــاب المراوغه بين العهود والوزارات » ٠٠

« كل أولئك كان فى وسعنا

وكان اجدى لنا وايسر علينا

وكان شيئا لا بدعة فيه قياسا على ما يصنعه غيرنا ويعرضونه على الأمة باسم الاخلاص والوطنية !

ولكننا خيرنا أنفسنا فاخترنا أن ننقد الوزارة فيما هى مخطئة فيه ، وأن ننبه الى الخطر الجسيم كلما انتبهنا اليه ، وأن نعبر عن شعورنا وعن

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ١٧ من مارس ١٩٣٥ ٠

شعور الناس فيما يحسن أولا يحسن من اعمالها ، ومضينا فى سبيلنا كما رأى القارىء فلم يعجب ذلك أناسا من الصحفيين وراحوا يستطيلون ويعيدون الاستطالة حتى عرضوا « للنيات والغايات والتهم » فيما تكتبه هذه الصحيفة من هذه الشئون ٠

« ولقد مضينا فى سبيلنا دون أن نعرض لنيات غيرنا أو غاياتهم أو لتهمة يتهمهم بها كائن من كان ، ولكن « غيرنا » هؤلاء يأبون أن يتركونا كما تركناهم ثم يابون الا ان يستطيلوا علينا حين يقذفوا من أقلامهم بأخبث النيات والغايات !

فبالله كيف تكون هذه النيات وهذه الغايات ؟

أتكون يا ترى لأننا نتوخى رضى الانجليز ونحن لا نفتأ نحارب مطامعهم فى التجارة وفى وظائف الدواوين ؟ ٠٠

أتكون ياترى لاننا نتوخى رضى الوزارة ونحن لا نسكت عن أخطائها ، أو مآخذها ولا نزال نستحثها على اتمام واجبها والذود عن مصالح بلادها ! ؟

أتكون يا ترى لأننا نتوخى رضى الابراشيين والصدقيين وليس أشـد عليهم فى الماضى ولا الحاضر من معارضتنا والحافنا فى القضاء على عهـدهم وعلى أذنابه وبقاياه ؟

أتكون نحن المتهمين فى نياتنا وغاياتنا ، لأننا نغضب الاقوياء جميعا ونسجل الاخطاء على الانجليز وعلى الابراشيين وعلى الوزراء ، ثم تكون النية المباركة والنزاهة عن المآرب عند من تزلفون الى هؤلاء جميعا ويحنون كل ما فى ايديهم من الخير والمعونة ؟

« هل بلغ من استغفال العقول أن يطمع طامع فى تصديق هذه الأحاجى والألغاز وان يجر على مواجهة الناس فى وضح النهار ؟

تعست صناعة القلم وتعست السياسة ان ارضختنا على احتمال هذا ٠٠

فيا أيها الناس : اننا لا نجاد لكم فيما تكتبون ، فدعونا وما تمليه علينا ضمائرنا واستمعوا أنهم لما تمليه عليكمضمائركم كما يطيبلها الاملاء والا فاذا بلغ من قلب الأوضاع ان نسكت عنكم وأنتم لا تسكتون عنا فمرحبا اذن بما أردتم وما اشتهيتم ، وستعلمون أنه احراج تضيق به الصدور ولكننا لا نندم عليه نحن ولا نتحاماه ٠٠ بل غيرنا النادمون » ٠

وتشتد حملة العقاد على الوزارة النسيمية ويكشف تسويفها وتلاعبها ··

ومن مقالاته العنيفة :

ـ هم اعداؤه من قديم (١) ·

ـ طريقة أخرى من طرق التسويف والتأجيل (١) ··

ـ تقديرات واضحة حول المسالة الدستورية (٢) ·

ـ ماذا يرجون من الانتظار (٣) ·

ـ اعذار مقلقة لا تدعو الى طمانينة (٤) ·

ـ الوزارة والنقــد (٥) ·

ـ لا بد من القول الصريح فالسكوت عن هذا اجرام (٦) ·

ـ اذن لا دستور ولا قضــية وطنية الا الوزارة النسيمية تبقى حتى تنتهى الحرب المنظورة (٧) ·

ثم يخرج العقاد على الوفد ، ويواصل كفاحه الوطنى متعاطفا مع الشعب ويكتب مقالا يبين فيه خطته الجديدة فى الكفاح بعد انفصاله عن الوفــد فى مقــال :

خطتنا فى السياسة المصرية (٨) ·

ويتحدث فى هذا المقــال عن :

١ ـ خطته مع الاحزاب والوزارات ·

« فلن نؤيد بعد اليوم الا (أعمالا) ولن نحارب بعد اليوم الا (أعمالا) ولن نقيم بعد اليوم مقياسا للخطط والبرامج غير الاعمال » ·

---

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٢ من مايو ١٩٣٥ ·
(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٤ من مايو ١٩٣٥ ·
(٢) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٦ من مايو ١٩٣٥ ·
(٣) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٧ من مايو ١٩٣٥ ·
(٤) روز اليوسف اليومية : يوم ٣١ من مايو ١٩٣٥ ·
(٥) روز اليوسف اليومية : يوم ٩ من سبتمبر ١٩٣٥ ·
(٦) روز اليوسف اليومية : يوم ١٧ من سبتمبر ١٩٣٥ ·
(٧) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٥ ·
(٨) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٩ من أكتوبر ١٩٣٥ ·

٢ ـ خطته فى القضية الوطنية .

وهى « توجيه القوى الوطنية كلها الى محاربة الاستعمار وتأليف الاعداء المختلفين عليه وسلاحنا فى حرب الاستعمار وسيلتان : الدعاية والمقاطعة الاقتصادية وهى تتناول المقاطعة المدنية كلما اوجبتها الأحوال » .

٣ ـ الزعامة .

« والواجب فى الزعيم المصرى على ما نعتقد أن لا يرشح نفسه لوزارة وأن يكون « قائدا » لا سياسيا ولا حاكما من حكام الادارة ، وخير لمصر أن يكون شابا فى الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الاقدمين .. وعمل هذا الزعيم ان يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب . وقد أصبح الوصول الى الاستقلال من طريق الوزارات أمرا غير معقول ولا منظور بعد أن تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول .

« فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية» وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على الرأى العام الذى يتصل بزعيمه على أساس صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب ، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذى لا ينظر الى غير الاستقلال والحرية ، كما كان ينظر اليهما المصريون فى النهضة القومية » .

الفصل الخامس

العودة الى البلاغ

رأينا أن العقاد قد استمر مشاركا فى تحرير البلاغ منذ انشائها وصدورها فى عام ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٣٠ ، ولكنه عند صدور البلاغ مرة أخرى فى عام ١٩٣١ لايعود الى التحرير فيها ، وليس غريبا أن لا يعود العقاد الى البلاغ فى طوره الجديد وقد أحرج وأخرج منه فى نهاية طوره الأول عندما توالى تعطيل البلاغ بعد صدوره فى عشرة أيام بنحو عشرة أسماء ، ثم عاد البلاغ الى الصدور بعد خروج العقاد منه ، وبقى منتظما فى صدوره ، واحتجبت بدلا منه ـ صحيفة كوكب الشرق التى نشر فيها مقالات ثلاثة أيام متواليات، وظلت محتجبة طوال الوقت الذى انتظم فيه صدور البلاغ ٠

واستمرت البلاغ فى تأييد الوفد بعد صدورها فى طورها الثانى ثم ما لبثت أن خرجت على الوفد فى أواخر عام ١٩٣٢ متضامنة مع الأعضاء الثمانية الذين فصلهم الوفد اختلفوا معه حول تأليف الوزارة الائتلافية وكان موقفهم هذا يتفق مع موقف الاحرار الدستوريين الذين رحبوا بالفكرة رغم أنها من بنات أفكار المندوب السامى الذى اراد بدوره من ورائها امكان اسقاط الوزارة الائتلافية بخروج بعض أعضائها اما بايعاز من الانجليز ان امكن ذلك ، واما بايعاز من القصر نفسه كما حدث فى سنة ١٩٢٨ ٠ بيد أن مصطفى النحاس ومكرم عبيد رفضا هذه الفكرة وكانا على حق فى ذلك استنادا على نصوص (الميثاق) الذى عقد فى شهر سنة ١٩٣١ ومن أهم قواعده الا يقدم على تأليف الوزارة غير حزب الأغلبية ٠

ولكن خروج هذه الجماعة التى أطلق عليها فى ذلك الوقت حزب السبعة والنصف كان فى الحقيقة تطهيرا للقيادة الوطنية أكثر منه انقساما فى صفوفها كما يذكر فى أكثر الاحيان ، فقدكانت هذه الجماعة تمثل قطاعات من الرأسمالية النامية فى اتجاه الاحتكار من ناحية والقبلية من ناحية أخرى ٠ فخروجها جعل القوى المركزية المسيطرة فى الوفد تنتمى الى الطبقة المتوسطة ، الأمر الذى ساعد بالتالى على تقارب قيادة الوفد مع قواعده الجماهيرية (١) ٠ وعلى ذلك فقد كان تضامن البلاغ مع المنشقين على الوفد لا يمثل ظاهرة طيبة فى الكفاح الوطنى ، ومن هنا لا نرى ان حملة العقاد التى شنها على البلاغ أثناء عمله بتحرير الجهاد الا من قبيل التأديب لكل من خرج على الخط الوطنى الصريح ٠

---

(١) راجع ، الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو أصولها التاريخية ص ١٤٩ ٠

وقد استمر العقـاد مرتبطا بالوفـد حتى سنة ١٩٣٥ ، وقـد استطاع طوال هـذه الفترة ان يكون فى طليعة كتاب الطبقة الجديدة يجسـد افكارها وفلسفتها ومبادئها ، فهو ثورى فى السياسة من أجل الدستور ، وهـو فى الفكر مدافع الى أقصى حـد عن حرية الفكر ، وعن الاتصال بالثقافة الغربية بـدون الانفصـال عن المـاضى الذى يمنح الانسـان جذورا واصـولا تذكى شعوره القومى وتؤكده ..

ولكن شتان بين من يخرج على الوفـد فى مرحلته الاولى ومن يخـرج عليه بعـد معاهدة ١٩٣٦ ، فالذين خرجوا منه فى مرحلته الأولى خرجوا وهـو فى قمـة نضـاله الوطنى ، وكانت انسـلاخاتهم تتضـمن تفريطـا فى احـد وجهى ثورة ١٩١٩ وهو الوجه الديمقراطى فى سبيل تحقيق الوجـه الاخـر وهو الوجه الوطنى ، بينما الذين خرجوا عليه فى اواخر عام ١٩٣٥ وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ كانوا يجنحون الى الجماهير الشـعبية . لذلك لم يكن غريبـا بعد سنة ١٩٣٦ - وبالذات خلال الحرب العالمية الثانية - أن تتسرب الى قيادات الوفـد عناصر تنتمى الى كبار الملاك الزراعيين أمثال سراج الدين والبدراوى والوكيل . وكان نتيجة تحول الوفد عن اهدافه أن اتسعت الهوة السحيقة بين قيـادته الجديدة وبين القـواعد الجماهيرية للوفـد ..

وهنـا نخلص الى ان العقـاد عندما انضم الى الوفـد بكل ثقله منـذ ثورة ١٩١٩ كان ذلك جنوحا منه الى التقدم الوطنى المتصرف الذى يدرك بايمان عميق قيمة التمسك بوجهى فلسـفة ثورة ١٩١٩ (الديمقراطى ، والوطنى) ، وكان خروجه على الوفـد عام ١٩٣٥ جنوحا منـه أيضا الى التقدم الوطنى معتقدا نفس الاعتقاد القديم مدافعا عنه بكل ثقله كذلك .

ويعود العقـاد الى صحيفة البـلاغ التى سبقته فى الخروج على الوفد، ولم تكن محقة فى موقفهـا ، ولكنـه عاد اليهـا ليضفى عليهـا بمقـالاته السياسية دفاعها القديم عن وجهى فسفة ثورة ١٩١٩ ، ومنـذ اكتوبر عام ١٩٣٧ شهدت صفحات البلاغ القلم الجبـار الذى ايـد الوفد بكل جبروته يهاجم الوفـد الذى انحرف عن مبادىء ثورة ١٩١٩ بكل جبروته كذلك .

ويعكس العقـاد صورة الوفـد فى مقالات نشرها بالبـلاغ يقـول فى بعضـها :

« لبث سـعد فى ميدان النهضة الوطنية تسع سنوات ثم انتقل من عالم الحياة الىعالم الخلود فلولا أن الوفدكان هيئة لابد لها منرئيس لما خطر لاحد

من المصريين أن يجعل مصطفى النحاس خليفة لسعد زغلول ولا استحال على زملائه انفسهم أن يتفقوا على اختياره لذلك المقام ٠

« لو سالت فى السنوات الأخريات ماذا ابقت الزعامة لمصطفى النحاس لما علمت لذلك من سبب الا أنه تكفل بتسهيل الوطنية المصرية فجعلها من اهون الواجبات بعد ان كان السر فى اختيار سعد والاجماع على اختياره ان المصريين قد ارادوا أخطر الرجال لأخطر الأعمال (١) ٠

ثم يقول فى مقال آخر يصور تفريط مصطفى النحاس فى الوجه الاول لفلسفة ثورة ١٩١٩ ونعنى به الوجه الدستورى (٢) ٠

« ماذا يكون مصير دستورنا اذا استبد مصطفى النحاس وقلنا له لا يستبد فقال : لا : اما أنا فأستبد ويستبد معى أذنابى وأتباعى ومن أشاء ،، واما أنتم فان رضيتم فذلك شأنكم ، وان لم ترضوا فاغضبوا ما بدا لكم وانظروا كيف يدوم الدستور » ٠

ثم يكتب مقالا آخر يصور فيه انشقاق الجانحين الى التقدم الوطنى تاركين الوفد ليستقطب العناصر التى تنتمى الى كبار الملاك الزراعيين والهوة السحيقة التى اتسعت بين الوفد وقواعده الجماهيرية :

« اليوم ينقضى عن الوفد جميع أبناء الجيل الجديد بغير استثناء فرد واحد لان الافراد القلائل الذين يحومون حول الوفد من أبناء هذا الجيل لايولونه حبا ولا اعتقاد ولا غيرة على مبدأ من المبادىء ، ولكنهم يوالونه لانهم ابناء هذا أو اقرباء ذاك ، فاذا قلنا أن الجيل الجديد كله يحارب الوفد بغير استثناء فتلك هى الحقيقة التى لا مبالغة فيها او هى تلك الحقيقة التى تدل على حقائق كثيرة بعيدة الغور متشعبة الأطراف » ٠

ويصور رأيه فى النحاس بعد تحوله عن أهداف الوفد بزعامة سعد زغلول يقول : (٣)

« ان صاحب المقام الرفيع أعظم رؤساء الوزارات المصريين ربحا واقلهم خسارة باشتغاله بالسياسة دون استثناء واحد من اولئك الرؤساء فى القديم و الحديث أو بين الاحياء والاموات ٠

---

(١) البلاغ : يوم ١٣ من نوفمبر ١٩٣٧ ٠
(٢) البلاغ : يوم ٦ من نوفمبر ١٩٣٧ ٠
(٣) البلاغ : يوم ١٩ من أغسطس ١٩٣٧ ٠

« فالنحاس باشا كان قاضيا من الدرجة الاولى او الثانية فى ايام الثورة الوطنية فاصبح وزيرا بعد بضع سنوات واصبح رئيس وزارة بعد بضع سنوات اخرى ولا نعلم رئيس وزارة ، وثب هذه الوثبة فى سلم الترقية منذ كانت فى هذا البلد وزارات ومصطفى النحاس تولى الوزارة أربع مرات ، وليس بين الاحياء من تولاها أكثر من مرة واحدة ما عدا توفيق نسيم ، ومصطفى النحاس باشا ـ قد نشأ فى بيت من الطبقة المتوسطة الفقيرة فى بلاد الريف ثم وثب من هذا البيت الى اعلى المقامات الحكومية • أما رؤساء الوزارات الاخرون فجميعهم بالاستثناء لم يثبوا هذه الوثبة ولم يصعدوا هذا الصعود لانهم كانوا ابناء باشوات او سروات ولدوا فى بيئة الحكم والثراء •

« والنحاس باشا قد أنفق فى شئونه الخاصة ما لا يقل عن نفقات الوزراء الآخرين ، وانفق فى الدعاية السياسية ما لا يقل عما أنفقوه • وعاش فى دعة لا تقل عن الدعة التى عاشوا فيها وزاد عليهم بالتصفيق والتهليل والتمجيد والتبجيل اسم التضحية واسم البلاد فى ميدان الوطن » •

وفى مقال آخر يتمم لنا صورة النحاس يقول (١) :

« أى خطوة من خطواته ليس لها اشتهاء المنصف والاستماتة فيه • وأى امر أقدم عليه منذ جرت مفاوضة بين المصريين والانجليز لم تكن الغاية منها حب المنصب او الاتجاه اليه ، نادى بمشروع ملنر وغضب من ناقديه لانه كان يطمع فى دخول الوزارة التى أساس المشروع ، ثم انحى باللائمة على مشروع ملنر وانقلب عليه لانه يئس من دخول الوزارة الداخلين •

« وبقى مع سعد لأنه موظف فى الوفد يتقاضى شهريا أكبر من مرتب الوظيفة •

« واستبسل فى رفض المعاهدة بين تشمبرلن وثروت لان الرفض طريقه الى رئاسة الوزارة •

« واستبسل فى رفض المعاهدة بين هندرسن ومحمد محمود لان الرفض طريقه مرة اخرى الى رئاسة الوزارة •

---

(١) البلاغ : يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ •

ويستخدم العقاد سلاحه العظيم ، سلاح السخرية ، برجال الوفد ، وذلك عندما يكتب محمد نحيب الهلالى بجريدة المصرى سلسلة من المقالات تحت عنوان « مخالب القط » فينبرى له العقاد مستخدما سلاح السخرية فى مقال بعنوان :

« واستبسل فى قبول المعاهدة الأخيرة لأن القبول طريقه الى رئاسة الوزارة » ٠

مطالب الشطط ومقالب الخطط

أو جوانب العبط فى مخالب القطط(١)

وهو مقال طويل مسرف فى الطول نكتفى منه بهذا القدر الضئيل ٠ وأوله كما يلى :

« قالت الببغاء الخضراء وهى تكثر من الهراء ، وتلتفت الى الوراء (يعنى بالببغاء هنا نجيب الهلالى) : عندئذ ألقى عليهم الوزير الأكبر درسا بل درسا فى الرسم والهندسة والهيئة والفلك٠ فعلمهم أن الخط المنحنى خير من الخط المستقيم ، وان الزاوية المنفرجة الكبرى أضيق من الزاوية الحادة أو الصغرى ٠ وان القطع خير من الوصل ٠ وان أجمل الدوائر هى الدائرة المخروطة : أما عرض من غير طول وأما طول من غير عرض ٠ ولا بأس من أن تبتدىء الدائرة من سطح مستديرة ، ثم تستدق حتى تنتهى الى نقطة ٠ الى آخر ما قالت الببغاء بحرف كلامها ونص نظامها ٠ فالتفت اليها الراوى يقول وهو يسأل الله حسن القبول : لك الله يا ببغاء من حكيمة رعناء ٠ أنك لا تنسين ما تصبحين فيه وتحسين من دوائر وخطوط وزاوية ومخروط ٠ فهل خرجت من هذه الطفولة الى حد الرجولة قبل أن تنكشف الفولة ؟

قالت الببغاء : ان قول الحق لم يدع لى صديقا ٠ فهل تركتم من المقال طريقا ؟

قال الراوى : بل لعل الباطل ـ لاقول الحق ـ هو الذى جنبك الأصدقاء ، وأكسبك عداوة الأعداء ، واليك حقيقة الأنباء :

قالت الببغاء : وما حقيقة الأنباء ؟

---

(١) البلاغ : يوم ٧ من فبراير ١٩٣٨ ـ أنظر أيضا « أدب المقالة الصحفية فى مصر جـ ٨ ص ٣٢٧ » الدكتور عبد اللطيف حمزة ٠

قــال الــراوى : حقيقة الأنبــاء يا صاحبتى البيغــاء هى أنك حمقاء ، وأن حسبوك من الأذكيــاء · فقد كنت فى وظيفة غير صغيرة ، فأعرضت عنها لتصبحى وزيــرة · وتلك حمــاقة منك أيتهــا البيغــاء فيهــا من خــلل الحســاب وما فيها من قبح الريــاء ·

قالت البيغــاء : أيهــا الراوى الذى هو للتاريخ حــاوى ، ان كان مازعمت خلا حســاب وقبيحــا من ريــاء ، فلمــاذا رضى عنى زعيــم الزعمـــــاء · ودخــلت من أجــله فى زمــرة الأوليــاء ؟

قــال الراوى : لأن زعيم الزعمــاء صغير النفس صغير الذكــاء . صغير الهمــة صغير الرجــاء · نسى جنايتك على الدستور لأنك أسأت الى (وفدى شهور) ، كل ذنبــه أنه صديق النقراشى وماهــر · وتلك عند الزعيم كبيرة الكبائر ، وآفــة البواطن والظواهر · وهكذا يكــون الجــزاء عند زعيم الزعماء اذا كان صــغير النفس صغير الذكــاء ·

قالت البيغــاء : ثم ماذا من مثــل هذا يامن لا يزال للعقــل مــلاذا وللباطل نبــاذا ؟

قــال الراوى : الذى هــو للعقــل مــلاذ وللباطل نبــاذ : ثم فــاتك الدخــول فى المنصب المأمول · فملأت الأرض والســماء بالقدح والبذاء ــ أيتهــا البيغــاء الرعنــاء · وجعلت تخرجين من قهــوة الى قهــوة ومن ندوة الى ندوة · ولا حديث لك الا الطعن المقصــود فى الزعيم المعبود والمجاهد المحسود · حتى أنفصــل النقراشى من تلك الزعامة ، وقامت على رأســها القيــامة · فعــاد الزعيم كمــا كان فى الابتداء صغير النفس صغير الذكــاء · ولجــأ الى كيد الأطفــال · ودق الكــف وأخــرج اللســان وحــك الأنف وتلقيح المقــال · وظــن أن دخولك الوزارة يغيظ العــدا ويدل على الشطارة· وما درى أنهــا نكبة جناهــا عليك ، ونفعــة ساقها اليك · ولا تزالين فيهــا ولــم تزالى ، ولو أنفقت فى الســجع الليــالى ، والحديث الخيــالى والجنون القمــرى الهــلالى ·

(الى آخــر المقــال)

* * *

رأينــا كيف بدأ العقــاد حملته على الوفد بعد انفصاله فى روز اليوسف اليومية ، ولكننــا نجــد هذه الصحيفة بعد ائتلاف الأحــزاب وتشكيل الجبهــة الوطنية ترفض استمرار العقــاد فى حملته ، وهنــا تفترق خطــة الصحيفة وعباس العقاد فيتركها ليواصل حملته فى صحيفة أخرى تتيح له ذلك ، وقد عمل العقاد بصحيفة البلاغ منذ أكتوبر ١٩٣٧ ، وقبل ان يحرر بالبلاغ كان الملك فاروق قد دعا النحاس الى تاليف وزارته الرابعة فى أغسطس

١٩٣٧ ، وتألفت الوزارة بعد ان انشق على الوفد محمــود فهمى النقراشى ومحمد غالب وعلى فهمى ومحمد صفوت ، وكان ذلك تصدعا جديدا فى الوفد وبدأت تتسرب الى الوفد عناصر تنتمى الى كبار الملاك الزراعيين ، وبدأ النحاس ـ فقد ثقة الجماهير به وبزعامته ، ولذلك سخر العقاد فى البــلاغ من تلك « الزعامة المقدسة » ولم يقل عنف مقالاته أثناء وجود مصطفى النحاس فى الحكم ، وكانت حملته على النحاس سببا فى اسقاط وزارته الرابعة . واستمرت هذه الحملة الى ما بعد سقوط الوزارة واليك بعض العنوانات التى استخدمت فى هذه الحملة منها :

ـ أصحاب العقول فى راحة (١) .

ـ شارب البحر (يريد النحاس باشا) (٢) .

ـ الزعامة الظافرة بالاستقلال تستجدى الانجليز التدخل باعادتها الى الحكم . ويستخطها ويثير نفسها تصريح المستر (ايدن) أن حكومته تحترم استقلال مصر ولا تتدخل فى شئونها (٣) .

ـ القنبلة النحاسية تنفجر على رأس النحاس باشا (٤) .

ـ النحاس باشا يرفس السلم الذى ارتقى فيه الى غايته ويتنكر لسعد

وذكراه بعد أن تاجر باسمه واتخذ من كفنه راية له (٦) .

ـ جنون النحاس باشا (٥) .

ـ أصبح الانجليز يكون حلوا اذا كان النحاس باشا وزيرا . فاذا أقصى عن الحكم فهو أصبح سياسة خادعة (٧) .

ـ انحاس باشا يحرص على الثورة . فان كان عاقلا فحاكموه . وان كان مجنونا فقيدوه (٨) .

وما لبث العقاد ان اعتقل بسبب هذه المقالات . ولكنه عاد بعد أربعة أيام من خروجه من المعتقل الى حملته الساخرة باقسى مما كان ، وبقى على

---

(١) البلاغ ـ يوم ٣ من يوليو ١٩٣٧ ـ راجع الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ٣٣١ .

(٢) البلاغ : يوم ٢٦ من أكتوبر ١٩٣٧ .

(٣) البلاغ : يوم ٨ من ديسمبر ١٩٣٨ .

(٤) البلاغ : يوم ٢٦ من يوليو ١٩٣٨ .

(٥) البلاغ : يوم ٣ من أغسطس ١٩٣٨ .

(٦) البلاغ : يوم ٢٥ من أغسطس ١٩٣٨ .

(٧) البلاغ : يوم ١١ من أكتوبر ١٩٣٨ .

هذه الحال حتى سقطت وزارة الوفد الرابعة فى ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٣٧ فشيعها العقاد بمقاله المشهور :

دالت دولة المهرجين (١)

ومنها قوله :

« كل ما يسقط الوزارات اقترفته الوزارة النحاسية جهارا نهارا ٠ وهى لا تحسب حسابا للسقوط اعتمادا منها على انها بذلت الثمن للانجليز ٠

وأنظر فرحة المنافقين الاخساء يوم يقال ان الوزارة فى ازمه ٠ وان الانجليز يحمونها من عواقب هذه الازمه ٠ انك لترى اذنابهم واشياعهم فى الطرقات والاندية يتباشرون ويتعانقون ويتقبلون التهانى بما يسمونه او يشيعون ٠ ولا يخطر لواحد منهم أن يسأل : ازعامه وطنية باحـراب الاجنبيه ؟ ايحمى الانجليز هذه الوزارة لانهم تخدمهم ، او لانها تخـدم المصريين ؟ كل ذلك لا يعنى الاشياع والاشياع ان يسالوه ٠ ولكن يعنيهم ان تبقى الوزارة ٠ وان تبقى غنائم الوزارة ، وان يهتفوا بوزارة الاستقلال ، وهم يومنون كل الايمان حين يهتفون انهم ينتظرون الحماية مـن دولة اجنبيه ، ولا يرحبون بشئ كما يرحبون بتاييد الاحتلال ودوام الاحتلال !!

لتبق الوزارة فى الحكم وليكن بعد ذلك ما يكون ٠ لتشتر البقـاء من كل طائفة غاضبة متواعدة على حساب الادارة والنظام ٠ لتشتر البقاء من الطلبة على حساب التعليم ومستقبل الوطن ٠ لتشتر البقاء من المجرمين المتشردين على حساب الحرية والدستور والاعراض والارواح ٠٠ لتشتر البقاء من الصحفيين على حساب خزانة الدولة ٠ لتشتر البقاء من كل نصير تارة بالقروض من بنك التسـليف ، وتارة بالهبات واشباه الهبات مـن املاك الحكومة ، وتارة بالوساطات والشفاعات ، وتارة بتوظيف الابناء والاخوان والاصهار ، وتارة بالعمـد والمشـايخ ينتخبون ، وتارت كثيرة بكل ثمـن الا العدل والانصاف والاقبال على مصالح البلاد ٠

هكذا يفهم النحاس باشا الدستور ويفهم الاستقلال ٠ وكلاهما ليس له من مظهر فى رأيه الا قيامه فى المناصب ، وانطلاقه بالعربدة والتهريج على هواه ٠ فالاحتلال معيب حين يقصيه عن المناصب ٠ وكذلك الدستور لا معنى له من حرية الناس ولا من توزيع السلطات ولا من توزيع السلطات ولا من اصلاح الشئون ، ولا من عقوبة اللصوص والمدلسين ، وانما معناه الوحيد ان يحكم مصطفى النحاس ولا يحكم أحد غير مصطفى النحاس ٠ وأن يحكم دون غيره لا لغرض وطنى أو برنامج سياسى ، و لالاشتغال بأمر غير المنفعة

(١) البلاغ : يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٣٨ ٠
أنظر الدكتور حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ ٨ ص ٣٣٢ ٠

القريبة والتهويش المبتذل السقيم · ولكن للفرعنة وتفريح الحبايب عليه وهو ينفش ريشة ، ويصعر خده ، ويتيه بمنظره الذى لولا شؤمه ونحسه لكان من مضحكات المسارح فى ساعات المجون ·

وهؤلاء المصريون الذين استكثروا على أحمد فؤاد وتوفيق اسماعيل ان ينفردوا بالسلطان ، وان تجتمع فى أيديهم وحدهم أعنة الامور يمسخون يرتكسون حتى يصبح الأمل الاعلى عندهم فى عرف مصطفى النحاس ان يجمعوا بين يديه وتحت قدميه سلطان الزعامة ، وسلطان البرلمان ، وسلطان الادارة ، وسلطان الجيش يقسم له اليمين ، وسلطان القصر لا يناقشه فى كثير ولا قليل · ثم لا يكفيه ذلك حتى تجتمع بين يديه شراذم من المتشردين المتعطلين يرسلهم الى من يسلم من هذه السلطات جميعا ليضربوه ورجموه ، وهم فى حراسة الشرطة ، وينجو من الحساب والعقاب ·

هذا هو الدستور وهذا هو تقسيم السلطات ، وهذه هى حريات المصريين التى جاهدوا من أجلها ويجاهدون ، ويبذلون من أجلها الغالى والرخيص لأنهم لم يجدوا فى اجيالهم انسانا فى رجاحة مصطفى النحاس ، ورصانة مصطفى النحاس : لا النحاس ولا الثورة · وذهب المسكين الى حيث لا رجعة هذه الحريات وجميع هذه السلطات وهم تابعون صاغرون !!

الأرواح والأموال يبذلها المصريون من أجل مصطفى النحاس · مالها من مهزلة كان أولى الضاحكين منها أولئك المهرجون الذين اشفقوا على البلد بالأمن أن تجرى فيها بحار الدماء ، وتنفجر فيها الحمم والنيران يوم يتخلى عن الحكم مصطفى النحاس · لقد نادى المهرجون : النحاس والثورة · فنادى النحاس : لا النحاس ولا الثورة · وذهب المسكين الى حيث لا رجعة ولا مآب ·

اذ ذاك ولد الدستور من جديد · فما الدستور ان لم يكن احدا يقول لكل انسان : هنا مكانك قف لا تتعداه ؟ !

و (قف هذا مكانك) التى قيلت للنحاس وحواشيه يوم اقيل من الوزارة هى مولد الدستور وهى مولد الحرية المصرية من جديد · أما (اذهب فى طريقك الى غير مدى) كما قال له المأجورون والمهرجون فهى هى الوبال ، وهى هى القضاء على ما حضر وما مضى وما يأتى بعد اليوم من جهاد ·

(الخ ما جاء بالمقال الذى شغل الصفحة الأولى كلها)

ويستمر العقاد فى خطته ، ثم يفترق مع البلاغ عندما تعود وبعد وفاة صاحبها عام ١٩٤١ الى صفوف الوفد ، فيحرر فى صحف أخرى كالدستور والكتلة والأساس ·

الفصـل السـادس

العقـاد والاتجاهات الجـديدة

لاشك ان الفترة الخطرة على نضال الشعب المصرى هى هذه الفترة الطويلة الحافلة بالخديعة ، ما بين انتكاسة سنة ١٩١٩ الى حين تنبهت القوى الشعبية للخطر الحقيقى الذى يتهددها من منطق المساومة والاستسلام ، ومن ثم بدأ التأهب النفسى لثورة يوليو ١٩٥٢ ٠

وهنا يجب أن نسـجل لانفصال العقاد عـن الوفد وكشـفه لمساوئه ومساوىء الحزبية ، وللقيادات الباقية من ذكريات الثورة التى فقدت كل طاقاتها الثورة وأسلمت كل الشعارات التى رفعها الشعب سنة ١٩١٩ الى كبار ملاك الارض الذين كانوا دعامة التنظيمات الحزبية القائمة ، نسـجل للعقاد بأنه يكاد يكون الحارس الوحيد على أمانى الثورة الحقيقية ، ولم يستسلم للاغراء اذى جذب جماعات كثيرة من المثقفين ٠

وننظر الى المقال الذى نشره فى عام ١٩٣٥ فى روز اليوسف اليومية الى أنه التبشير الحقيقى بوجوب تحول نضال الشعب ضد هذه الأوضاع الفاسدة والتبشير بزعامة جديدة لها صفات ارتآها العقاد تتفق مع أثبته التاريخ من بعـد ٠

« الواجب فى الزعيم المصرى على ما نعتقد ان لا يرشـح نفسـه لوزارة ولا نيابة ، وأن يكون « قائدا » لا سياسيا ولا حاكما من حكام الادارة ، وخير لمصر أن يكون شابا فى الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الاقدمين ٠

« وعمل هذا الزعيم أن يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب ٠ وقد أصبح الوصول الى الاستقلال عن طريق الوزارات أمر غير معقول ولا منظور بعد أن تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول ٠٠

« فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على الرأى العام الذى يتصل بزعيمه صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب ، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذى لا ينظر الى غير الاستقلال والحرية كما كان ينظر اليهما المصريون فى أوائل النهضة القومية » ٠

« وهكذا يكشف العقاد الواجهة الديمقراطية المضللة التى استعانت بها الفلول المنهزمة من ثورة ١٩١٩ لتخدع بها الشعب عن حقيقة مطالبة ٠

واذا كانت القيادات الثورية اغفلت أغفالا لا يكاد يكون تاما ــ مطالب التغير الاجتماعى فان تبرير ذلكواضح فى طبيعة المرحلة التاريخية التى جعلت من طبقة ملاك الأراضى أساسا للأحزاب السياسية التى تصدت لقيادة الثورة » ٠

ويحدثنا الدكتور محمد أنيس فى كتابه « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » أن « حركة العمال فى مصر قد اشتدت ابان ثورة ١٩١٩ بسبب تحول جزء من رأس المال المصرى من الزراعة الى الصناعة ابان الحرب العالمية الأولى ونتيجة لارتفاع تكاليف المعيشة بعد الحرب فشاهدت فترة ١٩١٩ تأليف عدد كبير من النقابات ٠ وكثرت « اعتصابات اعمال » ــ أى اضراباتهم ــ كثرة دفعت بعض الصحف الأجنبية الى اتهام الحركة العمالية والحركة الوطنية كلها بالبلشفية » ٠

ولكن قيادة ثورة ١٩١٩ لم تلتفت الى المطالب الاجتماعية للجماهير ، ولا الى تحسين أوضاع العمال والفلاحين الذى اتركوا فى الثورة بكل ثقلهم ٠٠

ويقول عبد الرحمن الرافعى اننا « اذا رجعنا الى زعامة ثورة ١٩١٩ نجد أنها اهملت الناحية الاقتصادية اهمالا شاملا » ٠٠

وهذه حقيقةو واضحة من دراسة موقف قيادة ثورة ١٩١٩ ٠ فلم يكن فى بيانات هؤلاء القادة ولا فى خططهم السياسية محاولة للتعبير عن مشاكل الجماهير العملية ووضع حلول لها ٠

ويكشف الأستاذ رجاء النقاش فى مقال له بمجلة الهلال عن تردد قياد : الثورة الى أقصى حد فى عقد أى علاقة من هذا النوع ، بل كانت أكثر من ذلك رافضة كل الرفض لهذه العلاقة ٠ ومن جهة أخرى حاولت الثورة بكل جهدها أن تجذب التنظيمات العمالية الى الرضوخ لمنطق أصحاب رأس المال وقوانينهم المختلفة ، وكانت تعمل بقوة على اضعاف اى نزعة ثورية اجتماعية فى العمال ٠ وفشلت قيادة الثورة فى أن تجعل من حزب الوفد الذى كان على رأس الثورة حزبا للعمال والفلاحين ، وعجزت عن تحديد برنامج اجتماعى

واضح محدد فيه لمحة من لمحات الفكر الاجتماعى النابع من تجربة الطبقات الشعبية فى مصر ، أو المتأثر بالاحتكاك الواعى بالقوى الاجتماعية العالمية ٠

وفى الواقع لقد كان العقاد أول من بذور الفكرة الاشتراكية فى مصر ، وبين أصولها النظرية ،، وفى كتابه (الفصول) الذى نشره عام ١٩٢٢ بحث مستفيض علق فيه على ترجمة فتحى زغلول شقيق سعد زغلول على كتاب جوستاف لوبون الذى يهاجم فيه الاشتراكية ، وفى هذا المقال يدافع العقاد عن المذهب الاشتراكى ويبرئه من جميع المزاعم التى ألصقها به الفيلسوف لوبون فى كتابه المشهور « سر تطور الأمم » ٠

ونقتبس من المقال بضع فقرات كقوله :

« فالكتاب بجملته جملة منكرة على المساواة والاشتراكية ، نحيل اليك أن الدكتور لوبون يكتب عن المساواة بقلم شارل الأول أو لويس السادس عشر ٠ وأنه يكتب عن الاشتراكية بأيعاز من رتشيلد أو روكفلر ٠ فتراه ينعى على مبدأ المساواة ، ولكنك لا تعلم منه كيف يكون عدم المساواة ٠ وتراه يتشاءم من الاشتراكية ، كما يتشاءم الناس من نعيب البوم ٠ لا يعلمون لذلك التشاؤم سببا ٠

ويقول العقاد :

« ٠٠ على أن دعاة المساواة لم يشطوا فى مذهبهم ، ولا قالوا أن الناس طبعوا على غرار واحد فى العقل والفضل ٠ وهل ترى أن دعوتهم الى تساوى اناس فى الحقوق أمام القانون تعطل تنازع البقاء بينهم ، وتذهب بمزايا التفاوت بين قادرهم وعاجزهم ؟ أليست هى أخرى أن تفسح المجال لهذا التنازع ، وترفع العوائق التى يضعها فى طريق المنافسة استئثار بعض الناس ببعض المنافع بلا موجب للاستئثار ؟ ٠٠ وكل ما يعنى به الداعى الى المساواة ذلك العامل الفقير أنه يكون متساويا مع سائر الناس فى الأمن على حياته ٠ وهل فى ذلك صغير ؟ ومتى كان مبدأ المساواة لا يمنع انسانا حق التمتع بثمرة تفوقه فى المعارف أو المواهب العقلية على سواه فأى ضير فى ذلك ٠٠ » ٠

ويهاجم العقاد كذلك رأى لوبون فى الاشتراكية ، فيقول :

« ٠٠ اما الاشتراكية فهى كما يرى من الشذرات التى نقلناها عنه شديد الطيرة منها وهو يمثلها تمثيلا مشوها ٠ ويعمد الى شر مذهبها ، فيعرضها على القارىء فى حالة مشوهة ، ثم يعمم حكمه على مذاهب الاشتراكية بحذافيرها ٠ فتارة يحكم بأنها ستؤدى بالامم الى ارذل درك الانحطاط حيث يقول : « نعم لأن يكون الانسان ضليعا فى علم النفس ، ولا فى علم الاقتصاد ، لينبىء بأن العمل بمقتضى مبادىء الاشتراكيه يفضى بالالم الى ارذل درك الانحطاط وأقسى صور الاستبداد » ٠

وتارة يعرضها لك كما تتصورها أذهان الجهلاء الواهمين ٠ فيسبق الى ظنك أن هذه الاشتراكية صنف من الافيون استورده ائمة الاشتراكيين من بيكين » ٠

ويقول العقاد :

« الحقيقة أن نظام مجتمعنا الحاضر مشتمل على نقائض ومثالب لا ينفرد بالسخط عليها ، وطلب تبديلها الاشتراكية ٠ ومن العلماء من أنفسهم من الاشتراكيين ولا يحسبهم الاشتراكيون منهم ، وهم مع هذا يشكون ظلم النظام الحاضر شكوى غلاة الاشتراكية ، ويرون رأيهم فى بعض الحلول التى يقترحونها ــ ومن هؤلاء العلماء انسير او ليفرلورج رجل لا يتهم فى هواه ، ولا تفكيره ولا شبهة عليه من جانب الاشتراكيه ولا من جناب أى حزب اجتماعى آخر ، ولكنه يقترح فى فصل كتبه عن وظائف المال أن تهتم الحكومة بشخصية الحائزين للمال كما تهتم بشخصية الحائزين للسلاح لأن المال ربما كان أخطر فى يد الشرير من السلاح فى يد القاتل ، وفى رأيه أن الثروات العظيمة خطر على المجتمع ، وأن هذه الثروات تكثر من جراء أنظمة مصطنعة يمكن تبديلها ، وليست هى ما تقضى به طبيعة سير الأمور ، وانه يجب أن يعاد النظر فى قانون التوريث ، وان ينقح ٠٠

ويقول فى فصل آخر عن « الاصلاحات الاجتماعية » بعد التساؤل عن علة مصاعبنا الحاضرة فى ملكية الأرض :

« ولا يسعنى الا القول بأن عادة السماح للأفراد بحق الملك المطلق على الارض بدل من المجابهة هى أساس كثير من هذه المصاعب » ٠

ويقول العقاد :

« ان الاشتراكية الصحيحة ليست أسطورة من الاساطير ، ولا هى وعد خيالى يبشر الناس بالتعادل فى الاقدار والتشاكل فى المنازل والارزاق ٠٠

كـلا ! فليست المسـاواة بين الناس من همهـا ، ولكنها انما تدعـــو الى المساواة بين الاجـر والعمل ، وتطلب ان يعطى كل عامل ما يستحقه بعمله . وان ينتفع المجموع باكبر ما يمكن الانتفـاع به من قـوى الافراد » .

والذى دعا اليــه العقـاد عام ١٩٢٢ مذهب من مذاهب الاشتراكية ليس من الماركسية فى شئ ، او كما يقول الدكتور لويس عوض (١) ، قريب جـدا من الديمقراطية ننظـر اليه اليوم فنقول انه راديكالية متطرفة . وقد ظلت اشتراكية العقـاد هـذه حتى ثورة ١٩٥٢ أشيع نوع من انواع الاشتراكية فى « الرأى العـام » المصرى الذى ما جنـــح قوامه فى يوم من الايام الى الاشتراكية الا فى حدودها الراديكاليـــة .

ويعتمد دفاع العقـاد عن الاشتراكيين فى الدعـوة الى مذهبهم على طائفة من الحجج لا يجـد الاشتراكيون خيرا منهـا على حـد تعبير الدكتور لويس عـوض .

والحجـة الاولى هى أن الاشتراكية ليسـت فلسفة اجتماعية تهبط على المجتمعات من السـماء او بتوليد من أدمغة بعض المفكرين الحالمين الذيـن اولعـوا بالتفكير المجـرد وبتخطيط مستقبل البشرية بالحبر على الـورق ، ولكنها نتيجة لاوضـاع اجتماعية قائمـة بالفعل ولعلل دفينة فى جســـم المجتمع .. وفى هـذا يقول العقـاد :

« واذا كانت الاشتراكية على هـذا التقدير عرضـا للعـلة وليست هى العلة نفسها فماذا يجدينا أن نمحوها ونكمم أفـواه الداعين اليها وماذا فى محوها دن الدواء للانحـــــلال والتدهور الذى لا مفـر منه ؟؟ ألا يكون ذلك كمعالجة الجدرى بنـوع قشور طفحة من ظاهر البشرة وترك جرثومة تسرى فى الـدم وترتع فى باطن الجســم ولا من يلتفت اليهـا فيعمل عمل الجـد على استئصال شأفتها او تخفيف ضررها ؟؟ فان كان ثم دواء فليكن الدواء للعـلة الاصلية والا فلا معنى للقـدح فى الاشتراكية ولا فائدة من اضطهاد دعاتهـــا » .

والحجـة الثانية التى يسوقها العقـاد دفاعا عن الاشتراكيين وحقهم فى التعبير عن مذهبهم « هى الجبرية التاريخية التى أدت الى ظهـور المذهب الاشتراكى أو ما يسميه هو « الضرورة » التى شـعر بها الناس فنشأت فيها المبادئ الاشتراكية وفى هـذا يقول : « وهذه المبـادئ والقواعد لا تدحض

---

(١) مقالات فى النقد والأدب ص ٩٤ .

بالســفسطة ولا تنقض بالتعوذ والحوقلة ، لانها نشــأت من حاجة ضرورية شعر بهــا الناس وتكلموا فيها قبل أن يعلنهــا الفلاسفة وأهل النظر (١) »٠

والعقــاد يذهب الى ان المنطق ذاتــه والبيئة ذاتهــا غير كافيين لازالة « الحاجة » الى الاشتراكية ، وفى هــذا يقول : « وكيف تدفع الحاجــة الى الاشتراكية بالسفسطة والمغالطة او بالمنطق والبينة وهى كما يقول الدكتور « جوستاف لوبون » سر لا يعــــرفه الا علمــاء النفس الواقفون على اسرار الحيــاة ولا تاتى الادلة التى تقنع به من طريق العقل ؟ » ٠٠

ويرد العقــاد ظهور المبــادىء الاشتراكية الى الوضع الاقتصادى الناجم عن الثورة الصناعية أولا والى الانتــاج الضخم ثانيا ، فيقول : « ومنـــذ أخرج العلم للنــاس تلك الآلات الضخمة ، أصبح كل صاحب معمل يتمتع بتعب الالوف من الصناع الذين يستخدمهم فى معمله ، فكان التعب والحرمان من نصيب فريق والراحة والربح من نصيب الفريق الاقل ، فتجددت الشكوى القديمة ، وعادت الاشتراكية ، ولكن هل تراها عادت اليــوم لتشــهد خاتمة هذه المدنية وهل لا مفر من هذه الخاتمة بعد عودة هذه الاشتراكية الجديدة ؟

« لا نظن ذلك ـ لأننا اليوم فى مأمن من غارات القــرون الاولى ، ولان العلم والنظام قد أصبحا فى هــذه العصــور ملكا للانسانية عامة وليســـا من خواص امة يذهبان بذهابهــا » ٠

وليس معنى هــذا الكلام ان العقــاد كان ماركسيا فى اشــــتراكيته ، ولكنه يوضح لنـــا أن الاشتراكية الفابية كانت أقرب الى تفكيره حين قال فى مقــال آخــر :

« لقــد كانت الاشتراكية الفابية نصــب عينى حين كتبت فى تعزيــز الفلســفة الاشتراكية والرد على خصومها قبل أكثر من خمسين ســنة ٠ ولا تزال الفالبية كما بقيت الى اليوم أقرب الى اعتقادى من سائر الجماعات ٠ ومبادئها تقــوم على الاسس الاخلاقية قبل قيامهــا على الاسس الماديـــــة الاقتصادية ٠ ووجهتها الكبرى هى بنــاء المجتمع ارفع المثل العليـــا فى الآداب الانسانية والفابيون تطــوريون وليســوا بانقلابيين ٠ وعندهم أن نشر المعــرفة وتأليب الانصــار من جميع الطبقات والتوسل بالوســـــائل الديمقراطية الى ولايــة الحكومة للمرافق العامة أصلح لتحقيق الغرض المقصود

---

(١) راجع الدكتور لويس عوض : مقالات فى النقد والأدب ص ٩٤ ٠

من الاشتراكية وهو منع الاستغلال والاحتكار والتسوية بين الناس فى فرص الاعمـال والمشاركة فى ادارة الأداة الحكومية ٠

ومفهوم العقـاد للاشتراكية واضح مـرن مستخرج من طبيعة البيئة ذاتهـا قبل أن يكون نظـاما اجباريا ٠ « لهـذه الاشـتراكية أو لهـذه الاشتراكيات على الاصح عشرون تطبيقا على الاقل فى انحاء العالم لا يتشابه بينهمـا تطبيقان على نحو واحـد ٠ اذ كل أمـة يناسبها نظامها الحكومى وظروفها الاقتصادية وعلاقاتها الخارجية التى لا تناسب أمـة غيرها ٠ ولا يزال كل تطبيق من هـذه التطبيقات قابلا للتعديل بين عام وآخر الى غير أمـد ممدود ٠

وشرح العقـاد فكرة الاشتراكية الاصلية فى العـدل والمساواة فيقول : « وانما المسـاواة شرف حين ترتفع بالادنى الى ما هو أعلى منه وحين تعطى الرفيع حقـه وتأبى عليه أن يجور على حـق غيره وحين تكون انصافا للعاجز لانهـا تستنهضه الى القـدرة وانصاف للقـادر لانها تكافئه على المزيـد ولا تعاقبه عليهـا بحرمانه من جرائها ٠ وحين تكون فى أعماقها انصـافا للفطرة السليمة التى فطرت على التفاوت والتنوع من أجرام الفضـاء الى ذرات العناصر فى المـادة الصماء ٠ وذلك هو انصاف الحق والخير وهو انصاف الاسلام (كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ٠

* * *

ذكرنا ان ثورة ١٩١٩ أهملت مطالب التغيير الاجتماعى وخرج العمال والفلاحون من الثورة دون مكاسب ، بل ان اشتراك العمـال فى الثـورة واكسابهم اياها ذلك الطابع العنيف الذى لم يكن موضع رضاء البورجوازية، دفع الحكومات البورجوزية المتعاقبة الى محاربة الحركة العماليـة ٠ ولكن الطبقة العمالية نمت فى مصر باطراد فى فترة ما بين الحربين العالميتين من ناحيـة الكم والكيف ولقـد كان نمـو الطبقة العاملة المصرية أمـرا طبيعيا من ناحية الكم نتيجـة لازدهار التجـارة والصناعة التدريجى فى مصر وقيام عـدد كبير من المشروعات الصناعية والتجارية ، الامر الذى أدى الى زيادة عـدد الطبقة العاملة وتركيزها فى ديد من المنـاطق ٠ غير أنه مما تجـدر ملاحظته حول نمط الطبقة العاملة المصرية من ناحية الكيف ، ان قضـية التناقض بينهـا وبين اصحاب رؤوس الاموال لم تكن المسالة الوحيدة التى شغلتهم ، بل كان للمسألة الوطنية وزنهـا الكبير فى الحركة العمالية ، لأن الكثير من هـذه المشروعات الصناعية والتجارية كانت فى يـد رؤوس الاموال الاجنبيـة ، فكفاح العمـال فى سبيل قضاياهم كطبقة ارتبطت اوثق الارتباط بكفاحهم الوطنى ٠ وهـذه حقيقة على جانب كبير من الخطـورة فى تقويم

الحركة العمالية فى مصر (١) • وقد كتب العقاد فى سنة ١٩٣٥ مقالا يصور فيه تعاطف العمال مع القضية الوطنية ، وهنا يجب ان نذكر أن العقاد ناب عن العمال فى مجلس النواب وتحمل مؤنة الدفاع عن حقوقهم فكانوا يجتمعون فى بيته ويستشيرونه فى جميع شئونهم ومن شعره يخاطب العمال :

ايها العاملون لبيكم اليوم
ولبيكم غدا فى المجال

نعم جيش السلام أنتم اذا ما
جرد البغى جيشه لاغتيال

لكم العدة التى ما استطاعت
أمة قط تركها فى نزال

وهذا هو مقال العقاد :

« مسألة العمال » (٢)

« قرار الوفد فى مسألة العمال قرار واجب على الوفد من جهة كما يجب عليه الاهتمام باصلاح القرى وتحسين أحوال الفلاح والعناية بما عدا ذلك من شئون الامة التى تتناول التعليم والمحاماة والتشريع والمسائل الصحية وسائر المرافق القومية العامة •

« وهو من الجهة الاخرى قرار سديد فى مراميه نافع فى جميع نواحيه ، ليس فى شىء منه ما يعترض عليه أحد ممن يعينهم الامر أو يتفق لهم ابداء الرأى فيه فالشريف عباس حليم يؤيد الصلة بين الوفد وحركة العمال ولا يرى فى هذه الصلة خروجا بالحركة عن مبادئها او انحرافا بها عن غايتها ، وقد كان الشريف رئيسا للجنة العمال فى المؤتمر الوفدى فجاء فى تقرير اللجنة : « من اجل ذلك نادى العمال بانهم وفديون قبل أن يكونوا عمالا • من أجل ذلك أبى العمال أن تتقدم مطالبهم الخاصة مطالب الامة العامة ، مغتبطين فى الوقت نفسه اذا ما وسع جهاد الوفد رعاية شئونهم وسندهم كطائفة من مصلحة الشعب أن تتحرر من كل عسف بل من عزته وكرامته ان تتمتع بجميع المنشآت الاجتماعية التى يتمتع بها العمال فى

---

(١) أنظر الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز : ثورة ١٩٥٢ وأصولها التاريخية ص ١٥٤ وما بعدها •

(٢) روز اليوسف اليومية : يوم ١٦ من فبراير ١٩٣٥ « وكان العقاد مايزال مرتبطا بالوفد » •

جميع البلدان . وكان لرابطة العمـال بالوفـد أخطر النتائج ، فاذا ما انتصر الوفـد تنفس العمـال مستبشرين بالخير من اطلاق الحريات فتنشـط جماعاتهم وتقوى روابطهم ويقل الحيف عنهم .. وأما اذا عصفت بالبـلاد زوابع الانقلابات ومخازنها كان العمال الهدف الاول لبطش القوات المسلحة وما كان العمـال فى ذلك بمعتدين ولكنهم كانوا فى موقف المدافعين عن النفس والكرامة والحق منتصرين للديمقراطية السمحة ضـد اجـرام الدكتاتورية البغيضة الحمقـاء » .

ومن البـداية أن تأييد الصـلة بين الوفـد والعمـال أول ما يقتضيه هـذا الموقف الطبيعى المعقـول .

* * *

« أما الحكومة المصرية ونعنى بهـا هنا الحكومة على اطلاقها ـ فالمنتظر منهـا والمفروض عليها ان ترحب بكل علاقة تجمع بين حركة العمـال ووحدة الامـة على اختلاف طبقاتها .

والمنتظـر منها والمفروض عليها أن تأبى كل نزعة منفصلة تعـزل العمـال عن سائر الطبقات وتفردهم وحدهم فى مصر كأنهم طائفة لا شأن لها بما يعنى وطنهـا ولا شـأن لوطنها بما يعنيها .

« فلا يخفى على كل من ألم بطرف من حركات العمـال فى العـالم ان هـذه الحركات لابـد أن تسير فى احدى طريقين :

فاما ان تسير فى طريق العصبية الطائفية « المعروفة فى مذهب كـارل ماركس والتى شعارها : « اتحـدوا يا صعاليك العالم » ولا تعويل لهـا على الوطن ولا على الطبقات الاجتماعية الاخرى ، ونهايتها فى خاتمـة المطاف الى الشيوعية وما هو من قبيلها .

وأما أن تسير فى طريق الوطنيـة والتضامن بين الطبقات الاجتماعية ، على علم بأنهـا حركة نافعـة للوطن وأن الوطن نافع لهـا ، وانـه ما من طبقة فى الامة غنيـة كانت او فقيرة ، وكبيرة كانت او صغيرة ، الا وهى جزء من اجـزاء الامـة يسندها وتسنده ، ويحتاج اليهـا وتحتاج اليـه وهذه هى الطرق القديمة التى اختارها الوفـد واختارها العمال من البداية ولم يعارضها ولن يعارضها الا الذين يريدون اغتصاب الامـة المصرية بجميع طبقاتهـا وطوائفها ، ويريدون اذلالها فى حياتها السياسية وحياتها الاقتصـادية وكل مظهر من مظاهر استقلالها .

« فاذا كانت هـذه هى الحقيقة التى لا مراء فيها ، وكان لابـد للعمال من أن يصبحوا طائفة معزولة على ذلك النمط او جزءا من الامـة على اكمـل نمط مستطاع ٠٠ فاين هى الحكومة الصالحة التى تدفع بالعمال الى الطريق العوجاء وتنأى بهم عن الطرق القومية وتستحق بعد ذلك أن تسمى حكومة تعرف ما يجرى حولها وما يجـرى فى بلادها وتنظـر الى الحاضر والمستقبل نظرة الحكمـة والاصلاح والغيرة على جميع الطبقات ؟ ٠

« ولقد سمعنا صـوتا فى هـذه المسـألة من جانب بعض الصحف الاستعمارية اساءت الى أصحابها والموعزين اليهـا من حيث ارادت المنفعـة لهم على أسلوبها العقيم الذى فضحته الحـوادث الكثيرة وعرف المصريون خباياه منـذ زمن طويل ٠

فهـذه الصحف تتخوف من اتصال الوفـد بحركة العمال وتأبى أن يتم هـذا الاتصال على وجـه من الوجوه ٠

فلمـاذا ذلك التخـوف ؟

ولمـاذا ذلك الأبـاء ؟

لا نظنها من الحمـاقة بحيث تزعم أنهـا تغـار على مصلحة العمـال المصريين وتحب انصافهم من أصحاب الاموال وطلاب المغانم والاسـتغلال فاذا كانت تغضب من الاتصال بين الوفـد وحركة العمـال فمعنى ذلك بغـير جـدال ولا خلاف أنهـا تترقب المنفعة للعمـال من وراء اتصالهم به واتصاله بهم وتخشى كل الخشية أن ينالوا حقوقهم بهـذه الوسـيلة من الشركات الطامعة وأصحاب الاموال الجائرين وأشباههم أو أنهـم من الذين تدافـع عنهم تلك الصحف وتسعى فى تحقيق مطامعهم وتعصف فى سبيل ذلك بحقوق العمال وحقوق المصريين أجمعين ٠

« وعلى هـذا النحو قامت الصحف الاستعمارية بدورها المعكوس المألوف فى تأييد قـرار الوفـد واظهار فوائده ووضع المصلحة فيـه !

ولا نحسب أن أحـدا أحق باستنكارها والسخط عليهـا من اولئك الذين تواليهم وتفضلهم على الوفد وتتمنى لهم أن يقبضوا بأيديهم وحدهم على زمام حركة العمال ٠

فان من يقرأ الأكاذيب التى نشرتها تلك الصحف خليق أن يسأل : لماذا تخاف الصحف الاستعمارية من الوفـد ولا تخاف من غيره ؟ ٠٠ اليسـوا كهم

ومن يكون فى وسع الصحف الاستعمارية أن توحى الجواب هنا كما ابتدأت بايحاء السؤال ..

وعلى أن الرأى الاول والاخير فى مسألة العمال انما هو للعمال انفسهم العربية » وان هذا الرأى المعروف محفوظ لاخفاء فيه من بداية النهضة وليس لاحد من الذين يكتبون عنهم فى الصحف الانجليزية او فى الصحف الوطنية اليوم » .

وهكذا لم يكن العقاد مجددا فى مجال الشعر والادب فحسب ، ولكنه كان مجددا فى السياسة » متعاطفا مع القضية الاجتماعية ، وكانت نظرته أقرب ما تكون الى الاشتراكية الفابية كما سبق القول ..

ولكنه لم يكن يؤيد الماركسية ، وظل يحاربها بلا هوادة باعتبارها فى طليعة المذاهب الصداقة ، واعتبرها بتعبيره « مذهب ذوى العاهات » .

والعقاد فى النهاية كان الحارس الوحيد على أمانى ثورة ١٩١٩ الحقيقية ، ولم يجرفه انحراف الاحزاب فى تياره ، ووضع بانفصاله عن الوفد وكشفه لمساوئه ومساوىء الحزبية معالم ثورة ١٩٥٢ من بعيد ..

الباب الثالث

العقاد أديباً

الفصل الأول

العقـــاد ورواد شـعراء مدرسـة الديـوان

- ١ -

العقاد (٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١٢ مارس ١٩٦٤) شخصية نـادرة فى تاريخنا الادبى والفكرى الحديث .

فهو عبقرى موهوب ، وأديب مفكر ، وناقد ، وكاتب عصامى ، وامـام **من أئمة الأدب والشـعر فى العالم العربى ، كان شاعرا مجددا يجمع بين** قـوة العاطفة ، وعمق الفكر ، ظهر فى الميـدان الادبى والفكرى والسياسى فى مصر ، من اوائل القرن العشرين ، واشترك فى مختلف الحركات الوطنيـــة والفكرية ، ونقل الصدارة فى كل مجال وميـدان .

ظهر فى سنة ١٩١٣ الجـزء الثانى من ديـوان عبد الرحمن شكرى وفيـه مقدمة قيمة بقلم الاستاذ العقـاد عن الشـعر ومزاياه يقول فى مستهلها عن الشـعر : « ليس الشـعر لغـوا تهذى به القرائح فتتلقاه العقـول فى ساعة كلالهـا وفتورها ، فلو كان كذلك لـما كان هـذا الشـأن فى حياة النفس ، لا بل الشـعر حقيقة الحقائق ولب الالباب والجوهر الصميم من كل مالـه ظاهر فى متنـاول الحواس والعقول . وهو ترجمـان النفس والناقل الامين عن لسـانها » .

وفى عام ١٩١٤ ظهر الجـزء الاول من ديوان المازنى ، وفيـه مقدمة رائعة بقلم العقـاد عنوانها « الطبع والتقليـد » يقول فى أولها : « حســب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم ان اراد ان يكون شـاعرا عصريا الا أن يرجع الى شـعر العرب بالتحدى والمعارضة ، فان كانت العرب تصف الابل والخيـام والبقاع ، وصف هو البخـار والمعاهد والاعصار ، وان كانـــوا يشببون فى أشعارهم بدعـد ولبنى والرباب ، ذكر اسما من اسماء نســاء اليوم . ثم يحور من تشبيهاتهم ، ويغير مجازاتهم بما يناسب هذا التحدى، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصرى ، **وليس بمقلد قديم ، وهـذا حسبان خطـا ، فما أبعد هذا الشـعر عن ابتداع ، والاخلق به أن يسمى الابتـداع التقليدى ، لانه ضرب من ضروب التقـليد ، فـلولا أن شـاعرا سبق هـؤلاء** الشعراء لـما استطاعوا ان يعارضوه » .

وفى سنة ١٩١٦ ظهر الجـزء الاول من ديوان العقـاد الذى أسـماه فى الطبعات التالية « يقظة الصباح » ، وقد امتازت قصائد هذا الديوان بمـــا كان يسميه العقـاد « الوحدة العضوية » فكانت القصيدة تقوم على موضوع

واحـد تتناوله من شتى نواحيـه ، فى وحدة مسلسلة ، وترابط يكاد يكون منطقيا ، على خلاف ما الفناه فى الشـعر القديم وفى شـعر الشعراء الذيـن كانوا يتبعون فى نظم قصائدهم طرائق القدماء ، وقد اعجبتنى هـذه الطريقة فى ديـوان شكرى وديوان المازنى وديوان العقـاد ٠ ولا شـك أنهم تاثروا بأدب الغرب فى اتبـاع هذه الطريقة وبخاصة فى العهـد الذى سـاد فيـه الأدب الرومانى ٠

وظهرت الحركة القومية التى قادها المرحـوم سعد زغلول ، وكان العقاد فى طليعة الكتـاب الوفديين المناضلين عن مبـادىء الوفـد وخطته ، وقـد ناصره العقـاد بقلمه ، ووقف بالمرصـاد لخصومه ، وبـرز فى الجـدل السياسى ، والحمـلات الحزبيـة ، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الادبية، فظهر فى سنة ١٩٢١ الجـزء الاول والثانى من كتـاب الديوان ، وقد اشترك معـه فى تحريره الاستاذ المـازنى ، وهاجم العقـاد فى كتاب الديوان شـعر شوقى هجوما عنيفـا ، ونقـده نقـدا مريرا ٠٠ لم يكن دائمـا البادىء ٠ بل كان موقفه موقف المدافع الذى يـرد الهجوم ، وكان شوقى لا ينفك يغرى بـه صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل ، فكان لا يخلو عـدد من أعدادها من نقـد العقـاد أدخل فى باب الهجـاء والسباب منه فى باب النقد الادبى ٠

وكان فى العقـاد حدس الشـاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العـالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة احاطته، وكان العقـاد يلتزم القصـد فى حياته ويتحرى الاعتدال فيعيش فى كتبـه ومطالعاته ولكنـه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيـا ولكن فى غير اسراف ، وكان حريصا على حيـاته وصحته ووقتـه ولم يكن بخيـلا بماله ، وكان يعتز بلغتـه ودينـه وعروبته ، ومع ذلك كان وسع الافق انسـانى النظرة، يكتب عن غانـدى ويشيد به كما يكتب عن عمـر بن الخطـاب وأبى بكـر الصـديق ، ويعجب بالزعيم الباكستانى جنـاح كما يعجب بمحمد فريـد وسعد زغلول ، ويكتب عن عبقرية محمد كما يكتب عن عبقرية المسيح ٠

وكان أدب العقـاد وشعره كذلك سواء فيما قدمه من خواطر انسانية أو فيما جعله صـورة كذلك لمجتمعه وبيئته ٠

وقد استغل هـذا المضمون فى شعره الوطنى والاجتماعى ، فهـو عندما أراد أن يدعو مواطنيه الى العـزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الواعظ ، ولكنـه وقف موقف الاديب الثائر فصـور مجتمعه وكأنه متشائم من الاوضاع التى يراها ، فالمائعون المتملقون لهم أسمى الوظائف ، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم وفشت خستهم ودناءتهم وكثر نفاقهم

وتملقهم وجثوا خاضعين تذللا ، واللئـام قـد بلغوا أسمى الدرجات فكأنهم القـرود وقد اعتادوا التسلق • فهـو الذى يقول فى قصيدة جعل عنوانهـا « زماننـا » (١) :

فشـت الجهالة واستفاض المنكـر
فالحـق يهمس والضـلالة تجهـر

أنا لفـى زمـن كان كبـاره
بسـوى الكبائر شـأنها لا يكبـر

كان العقـاد مولعـا بالتجديد والابداع والابتكـار ، وقد دفعـه هـذا الولع الى الاسهام فى خلق مدرسـة شعرية وكذلك مدرسـة شـعراء الديوان التى تعد اسـاسا للادب الرومانسى فى الادب العربى •

وأهم البواعث عند هاتـه المدرسة فى نظم الشـعر ، الحب وصـدق العاطفة وجمال الطبيعة وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليـد مظاهر البطـولة وابراز الخواطر والتـأملات ، فهى قد حررت الشـاعر من ربقـة العبودية وأبعدته عن التملق والتكسب •

وكان العقـاد يتناول الاغراض الشعرية المتنوعة ، ولكنه كان يبـدع فى الوصف وفى ابراز عواطف الحب الكامنة فى نفسه ، وفى ابـداء خواطـره الفلسفية التى اقتبسها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التى روضت فكره على التعميق فى البحث والامعان فى الملاحظات •

فقـد تحدث فى شعره عن الانسـان وعن سر وجوده وعن عجـزه عن معرفة سر الكون الغامض وعن حاجته الى الايمان ، كمـا عبر عن كثير من خوالجه وتأملاته وارتساماته التى كانت مرآة لآرائه فى الحياة ، ومن ذلك قـوله :

ما وجـدنا من البريـة الا
خلقـا زائفـا وجهـلا مبينـا (٢)

وقـوله :

انصفت مظـلوما فانصـف ظالمـا
فى ذلـة المظـلوم عـذر الظـالم

---

(١) الجزء الأول من ديوانه صفحة ١١١ •

(٢) عن الديوان الأول صفحة ٣٦ •

من يرض عــدوانا عليــه يضـيره
شـر من العـادى عليـه الغـانم (١)

وقــوله :

اذا صاحت الاطمـاع فاصـبر فانهــا
تنـام اذا طـال الصـباح على النهـم

وقهـر الفتـى آلامـه فيـه لــذة
وفى طاعـة اللذـات شىء من الألـم (٢)

والذى يتتبع شـعر العقـاد يجد فيه طابع التبرم والشـكوى ، يظهر ذلك فى جل الاغراض التى نظم فيها ، ولقـد كان يحـاول ان يخفف بالشعر عن نفســه من حين لآخـر ، لكنه لم يزده الــورد الا عطشـا فهـو الذى يقــول (٣) :

ظمآن ظمآن لا صـوب الغمـام ولا
عـذب المدام ولا الانـداء ترويـنى

حيـران حيـران لا نجـم السماء ولا
معالم الارض فى الغمــاء تهـدينى

وهذه القصـيدة تعد بحق من روع قصـائد العقـاد ، فهى نفثـة من نفثاته ، وعصـارة حبـه ، ومرآه وضـاءة لنفسه الرقيقة الحزينة القلقة

انـه ظمــآن حــيران يقظـان ، انـه غصــان أســوان حــزين ، انـه يعيش وحيــدا فى هـذه الحيــاة لا يجـد قلبــا يســعده ولا خلا يأسوه ، انه يتمنى أن تنتهى حياته وأن ينقـذه المـوت من الوجــود لتفنى عبراته وأناته وهكـذا نجد العقـاد يصور خوالجه وفيها من رنـات الاحزان ما يسترق القـلوب ويستجلب المدامع • ولعـل هـذا القلق من الحياة هو الذى دفعه الى الحـذر منها والى التفكير فى مصير الطارئين عليها ، انهـا مادامت حيـاته الاما وأحزانا فلمـاذا يعمل من جديد على ايجاد أبنائه فيها • لهـذا آثر حياة الوحدة ، فهو من هذا الجانب شبيه بالمعرى الذى كان يقول :

---

(١) عن ديوانه وحى الأربعين •

(٢) عن الديوان الأول ص ٢٧ •

(٣) الجزء الثانى من ديوان العقاد ص ١٩٤ •

واذا اردتـم بالبنين كرامـة
فالحـزن أجمع تركهم فى الاظهـر

وقد كتب العقـاد قصيدة رائعة جعلها حوارا بين المعرى وابنه ، الابن يريد ان يخرج الى الوجود ، ان يستمتع بالحياة ، فقد ضاق بالعدم وأحب ان يرى مفاتن الطبيعة وأن يستلذ بمحاسنها ، انه يتوق الى رؤيـة الوجوه احسان ،، ويود ان يرى الورود والازهار والفلاة والبحار ، ولكن الاب يشرح لابنـه أسباب اعراضه ، فيقول عن الحيـاة :

شرهـا يا بنى شر ثقيـل   خيرها يا بنى خير قليل (١)

وكان العقاد جعل هاته القصيدة تعبيرا عما يحس به ، لذلك قدمهـا بتعيق وجيز قال فيه عن المعرى أنه والد رؤوف صـد أبنـا عن الحيـاة رحمة بهم ، فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ٠

وكان العقاد يقصد من تشـاؤمه أن يستغله لاثارة غريزة الخـير فى الانسان ، فهو اذا صادر الرذيلة فانما يريد بذلك ان ينفر الانسان منهـا ٠ واذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فانما يريد بذلك أن يخفف من سورة الظلم فى النفوس الطاغية عساها أن تشعر بالشر الذى ترتكبه فترق أخلاقها وتعمل للمصلحة الانسانية عامة ، وقد حقق بعض الباحثين أن الأدب كلما كان هادفا الى اصلاح المجتمعات فهو أدب ايجابى ثورى ، وان قدم فى صورة تشاؤمية ٠

وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر ، وثار على الابتذال والعامية والسوقية ،، ورأى الشعر فنا يجب ان ترتفع الاذواق الى مستواه ، لا أن ينزل هو الى مستوى الناس ، وكتب فى « مجلة الهلال » (١) يقول :

ليس فى وسع « المتحررين » أن يحاربوا الشعر القديم بتحريره كمـا يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية ، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار فى طبيعة الشعب كما نرى من أوزان الأزجال والمواويل وتراتيل الفرح والنواح فى كل بيئـة من بيئات الحضر والريف ٠٠ وبعض هؤلاء المتحررين يجهل أو يتجاهل معنى العروض فيقول أنه يزن الشعر بالتفعيلة

---

(١) الديوان الثانى ص ١٨٤ ٠
(١) عدد فبراير ١٩٦٢ ٠

وهى كلمة لا فرق بينها وبين ألوف الكلمات فى الاوزان العروضية . اذ ليس فى اللغة كلمة يتجرد من أوزان التفاعل بين فعـــل وفاعل وفعولن وفاعلان ومستفعلن ومفاعيلن وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال ، وانمـا يأتى الوزن من جميع التفعيلات معا ويختلف بين بحر وبحر باختلاف التركيب وإختلاف حركات الحروف . ومن قال أن التفعيلة هى « تصميم » البيت فهو كمن يقول ان الحجر الواحد هو « تصميم » المنزل أو الحجرة أو النافذة أو الباب ، ولن يقوم بناء فوق وجه الارض على مثل هذا التصميم .

وقد عجزت هذه الدعوات ـ قديما وحديثا ـ عن المساس بتراكيب الاغانى الشعبية التى يمكن أن يقال انهـا تستغنى بأنغـام الآلات عـن الأوزان العروضية ، وعجزت عن المساس بتراكيب الزجل وهى مقياس للشعر الذى يمكن أن يشيع فى اللغة العامية ، فاذا عجز هذا الشعر المتحرر ـ كمـا يقولون ـ عن الشـيوع فى الكلام الدراج فهو أعجـز من الشيوع فى اللغـة الفصحى ، وهو على هذا أعجز من ان يتهم بالتأثير فى هبوط الشعر الحديث.

ولسنا نبرىء الأسباب الأخرى جميعا ، من هذا التأثير الا اننا نستبعد أن نجرد الطبيعة الانسانية حاسة الشعر فى فترة من الزمن ، لأن التجرد من هذه الحاسة هو بعبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة ..

وقد خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الادب والنقد والدفاع عن الاسلام وتحليل عبقرياته ، ومن أوائل كتبه : مراجعات ومطالعات وسواعما. ومطالعات ، وسواعما .

وقد حارب بعض الشباب العقــاد فى حياته ، وكتب العقاد يقول (١) :

انه يكتب للخاصة ، ولا يسوءه أن يقرأه العامة . وكان يعجب بتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وصوفى عبد الله وجاذبية صدقى فى القصة .. وأكد العقاد ان الشعر الحديث كافة ليس شعرا على الاطلاق ، اذ تنقصه الموسيقى والوزن ، والشعر وزن قبل كل شىء ، وقال : ان الأدباء وشبابهم يعيشون فى عصرى أنا ، عصر العقاد .

(٢)

وللعقاد مع شكرى والمازنى قصة طويلة ، فقـد جمعت زمالة العـلم والشباب فى مدرسة « المعلمين العليا » فى القاهرة فى اوائل القرن العشرين

---

(١) عدد المساء الأسبوعى ـ نوفمبر عام ١٩٦٦ .

بين ابراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى ، وكانا طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة ، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة ، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد ، وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكر أدبيا جديدا دعوا اليه ، وكتبوا حوله ، ودخلوا معارك نقـدية كثيرة من أجله ·

فى عام ١٩١٣ أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه ، وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات ، وكتب العقاد مقدمة هـذا الجزء (الثانى) واثنى على شاعرية صديقة شكرى وعلى موهبته ، وكتب المازنى فى العام نفسه عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية المصرية وازن فيها بين حافظ وشكرى ، وفضل صديقه شكرى على حافظ ، ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية ·

وفى العام نفسه أصدر المازنى الجزء الاول من ديوانه [١] فكتب العقـــاد مقدمته ، يرحب فيه بالديوان ويرفع من شـــأن المازنى الشاعر واتجاهـه الرومانسى الغالب على شعره ·

وكان الاتجاه الرومانسى ذائعا فى الأدب المصرى آنذاك بتأثير المنفلوطى وكتاباته وبتأثير ذيوع أدب لا مرتين وهو جو وغيرهم من الشعراء الغربيين فى محيط الأدباء المصريين آنذاك ، وبتأثير مطران وكتاباته كذلك ·

وأكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة الى مذهبهم الجديد فى الشعر والنقد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعانى والصـــور الغربيـــة [٢] ويكتبون فى وحدة القصيدة ، ويدعون الى الأصالة وصدق الشاعر فى العاطفة والاحساس والتعبير ، وظهور شخصيته الفنية واستلهام الشاعر للطبيعة ، وتنازله لشتى الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين وشعر المناسبات الطارئة ·

ومن حيث كان مطران ينادى بالشعر الموضوعى [٣] والجانب الوجدانى فى الوصف ، كان العقاد وزميلاه يدعون الى الجانب الذاتى أو الغنائى منه · وخرجوا بنظراته جديدة أسموها « شعر الوجدان » واتخذ شكرى شعارا له على الجزء الأول من ديوانه ، الذى سماه « ضوء الفجر » هذا البيت من شعره :

ألا يا طائر الفـــردو

س ان الشعـــر وجـدان

ومن نظرية الشعر الوجدانى عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة الى ان يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته ، وان يبعد عن المناسبات ، وان بغلب عليه طابع الألم والانين وحب الطبيعة وتصويرها ، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة ، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة ، وأدخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الى شعر الفكرة ، وأخذ المازنى على شعر شوقى ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية فى قصائدهم واغراقهم فى شعر المناسبات وفى التقليد للقدماء ، وصور ذلك فى مقدمة كتابه « شعر حافظ » الذى صدر عام ١٩١٥ ونقد فيه حافظا نقدا لاذعا ، ودعا المازنى لذلك الى الرومانسية فى كتابه « الشعر : غاياته ووسائطه » الذى صدر فى هذا العام (١٩١٥) كذلك ٠

ويقول المازنى : كان شكرى أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على المحجة الواضحة ٠ وكان الجزء الاول من ديوان شكرى ، ويوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد فى الادب ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، ومذهب شوقى وحافظ وأضرابهما كما يقول المازنى ٠٠ وعندما يقول وردت زورث : ان الشعر انفعال يسترجعه الشاعر فى هدوء ، وكان المازنى يعود به الى منبعه الاول وهو العاطفة والوجدان ٠ وكان شكرى كما يقول العقاد من أوائل من دعا الى وحدة القصيدة ، وجدد فى موسيقى الشعر ، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية ، بل كان شكرى من اوائل من مهدوا للمذاهب النقدية الحديثة فى الادب المصرى الحديث ٠٠ ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل فى كتابه « رواد الشعر الحديث فى مصر « ـ ص ٤٦ » : « ان شاعريته تحتضن الحياة جميعها وتصور الوجود بأسره » ٠٠ وفى عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الاول من ديوانه ، وسماه فى الطبعات التالية « يقظة الصباح » وقصائده فيه تحتفى بالوحدة العضوية للقصيدة احتفاءا ظاهرا ، والعقاد حريص كل الحرص فى شعره على نظرية « الوجدان الشعرى » فها هو ذا يقول فى الجزء الثانى من ديوانه ص ١٩٤ :

ظمآن ظمآن ، لا صوب الغمام ولا
عذب المدام ، ولا الأنداء ترويني

وهكذا صار المضمون الشعرى عند هؤلاء الثلاثة لابد وأن يتخذ فى الشعر الغنائى الطابع الوجدانى سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية ٠

ويرجع هؤلاء الثلاثة فى النقد الى هازليت وماكولى وارنولد وشاسترى وأغلب آراء العقاد فى النقد تعود الى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء

الانجليز ، ويشبه العقاد كثيرا فى عنفه النقدى ، من ايثار للمذهب النفسى فى النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك ٠

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقى وحافظ والمنفلوطى ، ولكن الايام عادت ففرقت بينهم ، ففى عام ١٩١٦ أنفصل شكرى عن زميليه بعد أن استفحلت الوشايات بينهم ، وثارت أثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم ، فاخذ شكرى يعتب على المازنى انتحاله لبعض الاشعار الانجليزية بعامة ، ومما دون فى « الكنز الذهبى » بخاصة ، وكتب فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية ، وتبادلا النقد على صفحات جريدة « النظام »، وكتب شكرى يهاجم المازنى والعقاد — الذى انتصر لصديقه المازنى — معا على صفحات « عكاظ » فى مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و ١٩٢٠ ٠

وفى عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزئين من كتاب جديد سمياه « الديوان » نقد فيه العقاد شوقيا والمنفلوطى ، ونقد المازنى فيه حافظا وعبد الرحمن شكرى ، الذى سماه « صنم الألاعيب » ورماه بالشعوذة والجنون ٠

واطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم من ان الكتاب هو للعقاد والمازنى فقط ، وعلى الرغم من أنه يحمل هجوما على زميليهما شكرى ٠

وقد احدث كتاب « الديوان » ضجة كبيرة فى العالم العربى ، وكان حافزا الظهور كتاب الغربال الشاعر المهجرى نعيمة ، الذى كتب العقاد مقدمته٠

وبوازع من شوقى وشكرى كتب رمزى مفتاح كتابه « رسالة النقد » يهاجم فيه العقاد ويتهمه بالسرقة من شكرى ٠

ويذكر العقاد فى كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » — الذى كان ينشر « مقالات فى صحيفة « الجهاد » القديمة التى كان يصدرها الصحفى المصرى محمد توفيق دياب : ان ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية ، عن طريق الادب الانجليزى ، وانها استفادت من النقد الانجليزى ، واتخذت مازلت رائدا لها فى النقد ، وكان مرجعها الأول كتاب « الكنز الذهبى » الذى كان يحتوى على مختارات من الشعر الانجليزى من شكسبير الى نهاية القرن العشرين ٠

ويقول العقاد : ان مدرسة الديوان هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث متجاهلا مطران ودعوته التجديدية قبل مدرسة الديوان ، وان كان صوت مطران في الدعوة الى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهوري .

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر ، وأن الشعر اذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب ان نحتفي به " وكان وردزورث الشاعر الانجليزي يقول ، وقد سئل عن شعر شاعر : « انه ليس من الحتم في شيء » ، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره ، فاذا أصبح شعره على لسان الناس ، ولا غنى لهم عنه ، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم العامة ، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس .

ولا ريب أن هؤلاء الشعراء الثلاثة ، على اختلافنا معهم في كثير من آرائهم في النقد ، وأحكامهم على الشعر والشعراء ، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم ، وفرضوا شخصيتهم على الأدب الحديث والشعر المعاصر فرضا .

ويشاء الله أن يعود الصفاء بينهم فيحل محل العداء والجفاء ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ ، فيتصافون ويمد بعضهم يديه الى البعض الآخر .

ويكتب العقاد والمازني الفصول الطويلة عن شكري ، اعترافا بفضله ، وأقر المازني باستاذية شكري له ، ونظم شكري قصيدته الطويلة « بعد الاخاء والعداء » ، ونشرها في مجلة الرسالة وقال فيها :

حنوت على الود الذي كان بيننا
وان صد عنه ما جنينا على الود

وهؤلاء الثلاثة هم رواد مدرسة شعراء الديوان المعروفة في ادبنا الحديث ، ومدرسة الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة ، وهي المدرسة المجددة الابتداعية — الرومانسية — وقد خلفت مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران المحافظة — الكلاسيكية — وتزعمت حركة التجديد في الشعر ، والحث في الدعوة اليه .

اعلامها الثلاثة : عبد الرحمن شكري ، وابراهيم المازني ، وعباس العقاد ، قاموا بدور كبير في خدمة نهضتنا الشعرية ، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث . وتسمى « مدرسة شعراء الديوان » نسبة الى هذا

الكتاب النقدى المشهور الذى ألفه اثنان من هذه المدرسة ، وهما : العقاد والمازنى ، وأصدراه فى جزئين وبسطا فيه دعوتها الجديدة ، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطى ، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكرى ، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة فى الجو الأدبى والشعرى فى مصر والعالم العربى ، وكان له تأثيره على شوقى والمنفلوطى ، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة • وعلى الرغم من أن شكرى فارق زميليه وتركها وحدها فى الميدان الا أنه يعد رائد هذه المدرسة الاول ، وامامها الذى اقتدى به زميلاه وهؤلاء الثلاثة ثقافتهم انجليزية » ووجهتهم هو الادب الانجليزى •

وقد احتدم الخلاف بين المازنى وشكرى ، واسرفا فى نقد بعضهما لبعض فكتب المازنى فى « الديوان » يهاجم عبد الرحمن شكرى فى مقال نقدى بعنوان « صنم الألاعيب » ، وكتب شكرى يهاجم فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه زميله القديم المازنى ، كما كتب رمزى مفتاح كتابه المشهور « رسائل النقد » يهاجم فيه العقاد ، ويتهمه بالسرقة من شكرى •

وقد قرر العقاد فى كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث ، وأنكر فضل مطران على حركات التجديد هذه ، وكانت ثقافة مطران فرنسية ، وذكر العقاد كثيرا أن شوقيا وحافظا تأثرا به وبمدرسة الديوان » وقد يكون ذلك مبالغة لا غير •

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة الى الشعر الموضوعى ، كانت مدرسة الديوان تدعو الى الجانب الذاتى أو الغنائى ، فشعرها هو شعر الوجدان الذى يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير •

وادخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة ، والخيال ، واتجه العقاد الى شعر الفكرة ، ودافع عنه فى ديوانه « بعد الاعاصير » •

وقد صدر للعقاد فى حياته : الجزء الأول من ديوانه (١٩١٦) ـ الأربعة الاجزاء الاولى من ديوانه (١٩٢٨) ـ وحى الاربعين هدية الكروان (١٩٣٣) ـ عابر سبيل (١٩٣٧) ـ أعاصير مغرب ـ بعد الأعاصير (١٩٥٠) •

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان : العقاد وشكرى والمازنى لواء الشعر بعد شوقى ، وأعلنوا الثورة على الشعر القديم (الكلاسيكى) ، وكتبوا أعنف الفصول النقدية التى غيرت مسار الشعر العربى المعاصر •

وقد جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة « فى القاهرة » فى اوائل القرن العشرين بين ابراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى وكانا

تلميذين فى المعلمين العليـــا ، ثم تعرف بهما العقـاد ، وصاروا مدرســة واحدة · الى أن انفصل عنهما شكرى ، ودب الجفاء بينهم ، ونقـد شـكرى والمازنى بعضهما بعضا نقـدا شديدا ·

ويشاء الله ان يعود الصفا بينهم فيحل محل العداء والجفاء ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ ، فيتصافحون ويمد بعضهم يديه الى البعض الآخر ·

ويكتب العقاد والمازنى الفصول الطويلة عن شكرى ، اعترافا بفضله ، واقر المازنى باستاذية شكرى له ، ونظم شكرى قصيدته الطويلة « بعد الاخاء والعداء » ونشرها فى مجلة « الرسالة » وقال فيها :

جنـوت على الود الذى كان بيننا
وان صـد عنـه ما جنينا على الود

وقد تحدث الشاعر عبد الرحمن شكرى فى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٣ فى قصيدته (نبوءة شاعر) ، ثائـــرا ناقـــدا لمذاهب التقليديين فى شعرهم ، ولعله كان يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من أمثال شـــوقى وحافظ واضرابهم ··· ويوضح شـكرى مذهبه فى الشـعر فى قصـيدته (شكوى شاعر) التى نشرها فى الجزء الثانى من ديوانه أيضا حيث يقول :

قـد طال نظمى للأشعار مقتدرا
والقوم فى غفلة عنى وعن شانى

قد أولعـوا بكبير السن أو رجل
يبنى له الجاه ما يغلو به البانى

ويشرح شكرى مذهبه فى الشعر فى مقدمته الطويلة التى كتبها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه بعنوان (فى الشعر ومذاهبه) ، التى نادى فيهـا بوحدة القصيدة ودعا الى حرية التعبير ، وطلاقة الأسلوب ، وتصوير الشعر لنفس الشاعر ، وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا ، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم ·· وبهذا بدأ شكرى دعوته الى التجديد فى الشعر المصرى الحديث الذى كان مطران ينادى به ، ويدعو اليه ·· وبدأ شـكرى بعد ذلك كفاح مدرسة شعراء الديوان فى سبيل التحرر الفنى للقصيدة ، وحرية الشاعر فى تعبيره ، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر وأفكاره وموضوعاته، وقد اتسم شكرى فى شعره بنزعة انسانية عميقة تتجلى فى مثل قصائده : اليتيم ، غلام مريض ، رثـاء عصفور ، ليتنى كنت الها « التى ينـــادى فيها بانسانية الحياة والتفكير والعمل ·· ويسود شعر شكرى النزعـة التصويرية العميقة ، التى تتجلى فى عمق حبه للطبيعة وروعة تصويره لها ، ولنقرا قصيدة شكرى القصيرة « سحر الطبيعة » التى يقول فيها الشاعر :

كؤوس من النور هـذى الزهـو
ر أم هـى أخيـلة الشـاعر

وليست بحـلم ولكنهـا
أجـل من الحـلم الباهـر

وما خلقت لفنـون الخيـا
ل فتنـة حسـن لدى الخـابر

وماء الحيـاة ونبـع الخلـو
د فى مائهـا السلسبيل المـائر

وهيام شكرى بالطبيعة وحبه لها جزء أصيل من كيانه فقد ولد ونشأ على شاطىء البحر الابيض المتوسط فى بورسعيد فى الثانى عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وعاش فيها أيام عزلته سبعة عشرة عاما من سنة ١٩٣٨ حتى عام ١٩٥٥ ، وأصيب فيها بالشلل النصفى فى أواخر ١٩٥٣ ، ثم ودعها فى أكتوبر عام ١٩٥٥ ليعيش مع أسرته فى الاسكندرية ، حيث الشاطىء والبحر والجو الجميل الى أن قضى حياته ، ولفظ انفاسه الأخيرة فى منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨ .

ويؤمن شكرى بالنزعات الانسانية النبيلة ، ويعد من بين شعراء الديوان شاعر الحب والخير والجمال ، الحب الذى يقول فيه شكرى من قصيدته « ليتنى كنت إلهـا » :

انا بالخـير قائم واخـى
ابليس بالشـر قائم والوعيـد

كم سـخرنا من خائف غـير نـدب
انمـا الجبـن آفـة الرعـديد

وطربنـا من عابـد العمـل الجـم
عظيم القـواد غـير قعيـد

انـا والحب خـالدان كلانـا
ذو خيـال ونشـوة وجنـود

ومن أجل رسالة الانسانية والحب التى آمن بها شكرى ، ترك شكرى زميليه فى مدرسة الديوان ، ثم اعتزل الحياة . وبين الحين والحين كان يرسل نفثات يراعه الى مجلتى الرسالة والمقتطف ، وكنا منذ قامت رابطة الأدب الحديث نريد أن نزور شكرى فى عزلته لنعرب له عن اعجاب الجيـل

المعاصر به ويشعره ، ولنكير جهاده في سبيل امته وشعبه ، وفي سبيل الادب الذي أعزه ، والشعر الذي آمن به ·· ولكننا كنا كمن يبحث عن السراب · لم نعرف عنوان شكرى لنذهب اليه ، ثم ودع الحيـــــاة الوداع الاخير ··

وكتب نقولا يوسف في جريدة المساء عن شكرى (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨) يقـول :

كانت وصيته الأخيرة ·· المكتوبة بيده اليسرى غير المشلولة :

« لا تدفنونى في حجرة تقفل على كالسجن ، ولكن في قبر يهال عليــــه التــراب » ·

والحق أنه لم يحب القيود ·· فكان متحرر النفس من الرذائل ·· متحرر العقل من الخرافات ·· متحرر الشعر من أغلال الشكل والموضوع ·· منطلق الخيال في رحب الفضاء ·· معتزلا قيود الوظائف ·· مطالبا في عهود الاحتلال والاقطاع بتحرير بلاده من ربقة الاستعمار والاستغلال ·

أما السجن المادى فقد جنى على أبيه وعلى اسرته من قبل ، يوم اعتقل أعوان الخديوى ، والده ـ محمد شكرى عياد ـ لمناصرته الثورة العرابية ، وصداقته لعبد الله النديم ·· فنجم عن هذا السجن والتعطـل ، واما كابـده من الضيق والارهاق ، أن خرج أبناؤه غير اشداء العود ·· كما جنى أعوان المحتلين على الشاعر في حركة مصطفى كامل عام ١٩٠٦ لما وقف زميل الشاعر عبد الحميد بدوى « القاضى بمحكمة العدل الدولية » والقى على الجماهير قصيدة عبد الرحمن شكرى الوطنية :

ثباتا فان العـــــار اصـعب محمـلا
من الذل لا يفضى بنا الذل للعــــار

فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة وفصلوه من مدرسة الحقوق بعد أن قضى بها عامين · ويلتحق الشاعر بمدرسة المعلمين بالقاهرة ·· ويتخرج منها عام ١٩٠٩ ، ليرسل في بعثة الى جامعة شيفيلد ، ويعود في خريف ١٩١٢ ليشتغل بالتعليم مدرسا فناظرا فمفتشا بالتعليم الثانوى ·· ولكنه يظل ينظم الشعر ، وينشر الأبحاث الأدبية والنقدية في الصحف والمجلات ·

وكان ديوانه الأول : « ضوء الفجر » قد ظهر عام ١٩٠٩ ـ والشـــاعر في الثالثة والعشرين ·· يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ســاحات

مشاكلها وتجاربها ٠ ومع ذلك فان الروح الثائر المجرد الذى سطع فى تلك الباكورة كان باهرا ، فانبرى صديقه المازنى يقرظه فى الصحف ٠

وفى ١٩١٥ يظهر الجزء الثالث « أناشيد الصبا » ويتلوه كل من الرابع والخامس عام ١٩١٦ ، فالسادس عام ١٩١٨ ، فالسابع : « أزهار الخريف » عام ١٩١٩ ، ثم تشغله هموم المهنة التعليمية والتنقل فى البلاد عن جمع أشعاره فى دواوين أخرى بعد هذا التاريخ ، فيكتفى بنشر شعره وأبحاثه فى عديد الصحف والمجلات مرددا :

القـى بشـعرى فى حلق الزمان ولا

أبيت منـــه على هـم وبلبـــال !

وقد أمكن جمع ما نشره من الشعر بعد عام ١٩١٩ فى الجزء الثامن ٠

وأما كتبه النثرية التى تضم فصوله وأبحاثه فى الأدب والنقد والدراسات النفسية والفلسفية ، فقد طبع منها فى حياته خمسة كتب وهى : « الثمرات » و « حديث ابليس » و « الاعترافات » وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦ ٠٠ ثم « الصحائف » ــ ١٩١٨ وقصة « حلاق المجنون » ــ ١٩١٩ (بتوقيع ع ٠ ش) ولم يطبع منها بعد خمسة أخرى كان قد نشر فصـولها فيما بين ١٩١٩ و ١٩٥٢ فى مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال وغيرها ٠٠ وهى : كتابه « نظرات فى النفس والحياة » وقد نشر مسلسلا بمجلة المقتطف فيما بين ١٩٤٧ ــ ١٩٥١ ٠ و « الشعر العباسى و « دراسات نفسية » و « بين القديم والجديد » و « أبحاث ودراسات شتى » ٠ ولم يضع الشاعر أسماء لهذه الكتب الأربعةالأخيرة التىتفرقت فصولها فى عدد من الصحف والمجلات ٠٠ وهكذا لم ينقطع الشاعر عن نظم الشعر وكتابة الأبحاث حتى عام ١٩٥٢ يوم أرغمه الشلل الذى افلج نصفه الأيمن ولازمه الى نهاية حياته على الكف عن الانتاج الأدبى وان كان لم ينقطع عن كتابة الرسائل الخاصة بيده اليسرى الى أهله وأصدقائه وتلاميذه حتى نهاية حياته ٠

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعليم عام ١٩٣٨ بعد أن مارس التعليم نحو ربع قرن حتى رغب فى شـبابه أن يوفر على النقـــاد بعض الجهد ، فأخذ ينشر فصول كتابه « الاعترافات » فى الصحف ثم طبعهـــا عام ١٩١٦ فى كتاب : كما نشر بعض الذكريات عن نشأته وعن التعليم ٠٠ وراح يصحح بعض الأخطاء التى وقع فيها ناقدوه فى مقدمات دواوينه وفى مقالاته التى لم تجمع أو رسائله التى لم تنشر ٠٠ ويشرح رأيه فى الشعر ومذاهبه ، والشـعراء ومدارسهم ، كمـا عرف الشـعر والشـاعر ، وتوالت

الأنباء عن سوء صحة الشاعر ، وحين جدت الدولة فى تكريمه مـات الشاعر العظيم شكرى رائـد شعراء مدرسة الديوان ، وكانما كان يتمثل ما قاله فى صدر شبابه وهو فى الغربة :

كنت مثـــل الغـيد جىء بـه من
روضـــه والزمـــان غـــير ذميم

حيث وجـــه النهـــار جذلان بسا
م ووجـــه الظـــلام غـــير بهيم

ودواع الى الغنـــــــاء كثـــــــار
من حبيب وموطـــن وحميـــــم

انزلوه فى منزل مثـــل بطـــن الا
رض جهـــم الســـماء جهم الأديم

الفصـــل الثـــانى

العقـــاد ٠٠ وفن المقـــال الصحفى

- ١ -

يرتبط فن المقـــال فى أدبنا الحديث بتاريخ الصحافة فى بلادنا ، وهـــو فـــن جديد ، نشـــأ فى أدبنا الحديث بتأثير اتصالنا العقلى بآداب الغرب ٠

ويختلف النقاد فى تحديد معنى المقـــالة وخصائصها الفـــكرية ، وأول ما يصفونها به ، أنها لا تخرج عن كونها تعبيرا عن احساس الكاتب ، وعن آرائه الخاصـــة فى الحيـــاة ٠

فهذه دائرة المعـــارف البريطانية تذكر عن المقـــالة الادبية أنها « قطعـــة مؤلفـــة ، متوسطة الطول ، وتكون عادة منثورة فى أســـلوب يمتـــاز بالسهولة والاستطراد ، وتعالج موضوعا من الموضوعات ، ولكنها تعالجه ــ على وجـــه الخصوص ــ من ناحية تأثر الكاتب به (١) ٠

ويصفها أحدهم ــ وهوالكاتب آرثر بنسن ــ بأنهـــا تعبير عن احساس شخصى أو أثر فى النفس ، أحدثه شىء غريب ، أو جميل ، أو مثير للاهتمام ، أو شائق ، أو يبعث الفكاهة والتسلية ٠٠ ثم يسترسل فى كلامه ، فيقـــول : وهكذا تكون المقـــالة قريبة الصـــلة بالقصيدة من الشـــعر الغنائى ! ولكنها تمتـــاز الى جانب ذلك بما ينتجـــه النثر من الحـــرية ، وباتساع الافـــق وبمقدرتها على أن تتناول نواحى يتحاماها الشـــعر ٠٠ ثم يستطرد «بنسن» فيصف لنـــا كاتب المقـــالة بأنه شخص يعبر عن الحيـــاة ، وينقدها بأسلوبه الخاص ٠٠ انه لا ينظر الى الحياة نظرة المؤرخ ٠٠ أو الفيلسوف ٠٠ أو الشـــاعر ٠٠ أو القصـــاص ولكن فى فنـــه شيئا من هـــذا كله ٠٠ انه ليس يعينه أن يكشف نظريات جديدة أو يوجد الصـــلة بين أجزائها المختلفة ، ان طريقته فى العمل أدنى الى ما يسمى الأسلوب التحليلى : يراقب ، ويسجل ٠٠ ويفسر الأشياء كما تبدوا له ٠٠ ثم يدع خياله يمرح فى جماها ومعزاها ، والغاية فى هـــذا كله أنه يحس احساسا عميقـــا بصفات الاشياء ، وبسحرها ، ويريد أن يلقى عليها كلهـــا نـــورا واضحا رقيقا ، لعله يستطيع بـــذلك أن يزيد النـــاس حبـــا فى الحيـــاة » وأن يعدهم لما اشتملت عليه من المفاجـــآت المفرحة والمحزنة (١) ٠

---

(١) محاضرات عن فن المقالة الأدبية ــ للدكتور محمد عوض محمد ٠

(٢) المصدر السابق ، د٠ عبد العزيز شرف : فن المقال الصحفى ، دار المعارف (سلسلة كتابك) ٠

وعلى هذا النحو نجد المؤرخ « هـ ب · تشارلتن » أستاذ الادب فى جامعة مانشستر يقول عن المقالة الأدبية : انها فى صميمها قصيدة وجدانية ، صيغت نثرا · لتتسع لما لا يتسع له الشعر المنظوم ! ثم يضيف : ان الأسلوب الجيد فى المقالة يجب أن يكون « ذاتيا » لاينبنى على أساس عقلى ، ولا يبسط حقائق موضوعية (١) ·

تلك هى – فى اجمال – آراء الغربيين فى تعريفهم للمقالة الادبية ·

وهذه الآراء – أو الأوصاف – نفسها نصادفها عندما نستعرض ماكتبه عنها بعض المعاصرين من الكتاب العرب كالدكتور محمد يوسف نجم فهـو يعرف المقالة الأدبية بأنها قطعة نثرية محدودة فى الطول والموضـوع ، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب (٢) ·

والدكتور محمد عوض محمد يذكر فيما يذكره ، فى محاضرة من محاضراته أن المقالة الأدبية الموفقة تشعرك وأنت تطالعها أن الكاتب جالس معك يتحدث اليك ·· وأنه ماثل أمامك فى كل عبارة وكل فكرة (٣) ·

والعقاد يرى أن من شروط المقالة الحديثة أنها ينبغى أن تكتب على نمط المناجاة ، والأسمار ، وأحاديث الطرق بين الكاتب وقرائه ، وأن يكون فيها لون من ألوان الثرثرة أو الافضـاء بالتجـارب الخاصـة ، والأذواق الشخصية (٤) ·

ونعمات أحمد فؤاد فى دراستها لأدب المازنى الذى ترى فيه كاتب المقالة الأول · فى الأدب العربى الحديث ·· تقول فى حديثها عن المقالة : أنها ليست دراسة ·· ولكنها كلام ليس المقصود به التعمق والتركيز ، وهى فى مدلولها الحديث ثرثرة بليغة محببة ·· يبدأ صاحبها ولا يعرف كيف ينتهى (٥) ·

---

(١) فنون الأدب تأليف « تشارلتن » تعريب الدكتور زكى نجيب محمود ·

(٢) أدب المقالة للدكتور محمد يوسف نجـم ·

(٣) محاضرات الدكتور عوض ·

(٤) فرنسيس باكون للاستاذ العقاد ·

(٥) أدب المازنى للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ·· ومن الجدير بأن نشير هنـا الى ما تراه الكاتبة من أن المقالة بمدلولها الحديث الذى لا يعترف بالتنظيم والتبويب والمنطق نجدها عند الجاحظ فالبيان والتبيين مثـلا بأجزائه الثلاثة مجموعه مقالات تقـوم الواحدة منها على فكرة يستطرد منها الجاحظ الى فكرة أخرى وان لم يجمعها رابط · والكاتبة تخالف الرأى السائد فى أن مولد المقالة انما كان فى الغرب ·

أما عن موضوع المقالة الادبية ٠٠ فيمكن القول : ان كل ما يوصف به ـ فى كلمة موجزة ـ موضوع المقالة الأدبية ، هو « اللامحدود » ان جاز هذا التعبير ! ٠

ان كل موضوع بالنسبة للمقالة الادبية ملائم لها ٠٠ أو كما يقـول الدكتور أحمد أمين : كل شىء فى الحياة صالح لأن يكون موضوعا : من الذرة الحقيرة الى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح الى قصر الملك ، ومن الماضى الى الحاضر الى المستقبل ، ومن أقبح قبيح الى أجمل جميل ، ومن الحياة الى الموت ، ومن الزهرة النـاضرة الى الزهرة الذابلة ، ومن كل شىء الى كل شىء (١) ٠

والمعروف عند نقاد الأدب الغـربى ، أن أول ظهور للمقالة بالصـورة التى عرفت بها كان فى سنة ١٥٨٠ ميلادية حينما ظهرت مجموعة مقالات الكاتب الفرنسى الحكيم « مونتين » ٠ ويروى عنه أنه رأى فى مدينـة « بارلى دك » بفرنسا صورة رسمها لنفسه « رينيه » ملك صقلية فسأل مونتين نفسه قائلا : لماذا لا يباح لكل انسان أن يصور نفسه بالقلم على هذا النمط كما صور ملك صقلية نفسه بالألوان والخطوط ؟ وقد اسـتطاع مونتين أن يرينا فى مقالاته جوانب شتى من شخصيته وأسلوب حياته ، حتى قيل عنه « انه أول من قال بوصفه أديبا ما شعر به بوصفه انسانا » ٠

فأول ميزة للمقالة هى أنها تعبير عن وجهة النظر الشخصية وقد تطورت كتابة المقالة منـذ عهد « مونتين » ولكنها مـع ذلك لاتزال محتفظـة بأبرز مميزاتها وهى تناول الموضوعات من وجهة النظر الشخصية ٠ وقد أصبحت هذه العلاقة الأكيدة بين الكاتب والمقال الذى يكتبه هى السمة الدالة والعلاقة التى تميزها من سائر ضروب الكتابة النثرية ٠

وتمتاز المقالة فى العصر الحاضر بالايجاز ٠ ولكنها لم تكن كذلك فى مختلف مراحل تقدمها ٠ فقد جـاء وقت كانت المقـالة تسـتغرق عشرات الصفحات ، وقد كان « ماكولى » و « كارلايل » من أقدر كتاب المقالة فى الأدب الانجليزى خلال القرن التاسع عشر ، ولكن مقالاتهما كانت طويلة ضافية ، أقرب الى أن تكون بحثا شاملا مع احتفاظها بالمميزات الأصيلة للمقالة ، والمقالة بطبيعتها لا تحاول ـ قصرت أو طولت ـ استيفاء الحقائق جميعها أو حشد المعلومات الغزيرة ، وانما يختار كاتب المقال جوانب مـن الموضوع الذى يطرقه ، ويعرضها للبحث والنظر ، ويسلط عليها أضـواء

---

(١) فيض الخاطر ـ جزء أول ـ للدكتور أحمد أمين ٠

فكرة ، ويلونها بلون شخصيته ، وهو فى هذا العرض يكشف عن مدى قدرته الفنية ، لان عليه ان يتحرى اظهار النواحى التى تثير الاهتمام بموضوعه ويغفل التفصيلات المملة ، ولا يستلزم هذا البراعة وحسن التأنى فى اختيار الموضوعات فحسب ، بل يستلزم كذلك القدرة على انتقاء المواد المناسبة وانماء الفكرة ، وتحديد الهدف ، ولا بد من ان يرزق كاتب المقالة المجيد اجادة الاستهلال وبراعة المقطع ٠

الغاية الأساسية للمقالة هى الامتاع ٠ فاذا انحرفت المقالة عن هذا الهدف الرئيسى ، أصبحت غايتها اعطاء دروس فى الأخلاق ، أو عظات أدبية ، أو رسم صورة تامية ، أو سرد قصة عاطفية ، أو أى لون آخر من الوان الأدب ، والمقالة بطبيعتها تقدم لك الكاتب كما تقدم لك الموضوع الذى يكتبه بوحى من شعره وفكره والحالة النفسية المستولية عليه ٠

واستجابة الكاتب للحالة النفسية الغالبة عليه وصياغتها ، قد يكون باعثها تبرمه بعادة من اعادات ، أو كراهيته لتقليد من التقاليد ، أو ارتياحه لشدو طائر مغرد ، أو اعجابه بصفة تستوجب الاعجاب ، أو تأثره بوعكة طارئة ، أو تسجيل خاطرة عابرة ، فالحالة التى تحدثها أمثال هذه الأمور هى موضوع المقالة ولب لبابها ٠

وما دامت المقالة تتناول موضوعها يعبر عن عقل الانسان وشخصيته ، فلا بد أن تكون حرة طليقة غير خاضعة لدعوة من الدعوات ، أو محبذة لمبدأ من المبادىء ، أو مسخرة من أجل عقيدة من العقائد ، أو مذهب من المذاهب ٠ حالة الكاتب وانماء فكرته ، لابد من اجادة تصميم المقالة ومراعاة الانسجام بين الفكرة وأسلوب الأداء ، والمقالة فى العادة تقوم على فكرة رئيسية ، وعلى الكاتب أن يختار اللفظ الملائم الذى لا يبعده عن الهدف المقصود ، فالوحدة والتماسك والتدرج فى الانتقال من خاطرة الى خاطرة أخرى من الخواطر التى تتجمع حول موضوع المقال ، من ألزم ما يلزم فى أدب المقالة ، والمقالة قبل كل شىء عمل فنى يستدعى اتقانه والتبريز فيه اقتران الموهبة بالممارسة والتجربة ، فتلتقى حينئذ فى كاتب المقال الصفات العقلية بالمزايا الشخصية لأنها ــ أى المقالة ــ تعبير عن وجهة نظر خاصة ٠

وهناك تجارب بين التطورات التى حدثت فى كتابة المقالة والأحوال التى احاطت بكتابتها ، فهى مثل سائر فروع الأدب ، تتأثر بالبيئة وتعمل على أن تلائم بين طبيعة فنها وبين التيارات الفكرية ، والاتجاهات النفسية، والأحوال الغالبة ، وربما كانت الصحافة أقوى المؤثرات فى كتابة النفسية ، الحديثة ، فالصحافة تتحرى خدمة عدد ضخم من القراء مختلفى المشارب

والأذواق ومتفاوتي القدرة على الفهم والتقدير ، ولما كان الكاتب يكتب المقال ليتمتع القارئ ، لذلك أصبح لزاما عليه أن يراعي أحوال القراء الاجتماعية ومدى ما يملكون من الوقت ، فمن القراء من يحاولون قراءة المقال وهم في احدى مركبات الترام أو السكة الحديدية في طريقهم الى مقار أعمالهم التي تستأثر بوقتهم وجهدهم ، ومنهم من يعمد الى قراءة المقال بعد عودته من عمله متعبا ، هذا فضلا عن تفاوت المستويات الثقافية ومعايير التقييم والتقدير ٠

والمقالة في الأدب العربي ليست من فنون الأدب المجهولة ، فكانت قديما تعرف باسم الرسالة ، وليس المقصود الرسائل الديوانية أو الرسائل التي تتبادل بين الكتاب ، وانما المقصود الرسالة التي كانت تدور حول موضوع يختاره الكاتب ، مثل رسائل الجاحظ وابن المقفع وابن شهيد وغيرهم من كتاب العرب ، ولكن المقالة في الأدب العربي الحديث مختلفة بطبيعة الحال عما كان يعرف قديما بالرسالة ، فقد تأثر كتاب المقالة الحديثة باتجاهات السائدة في الآداب الغربية ، وفي الحق أن تاريخ المقالة العربية الحديثة متصل اتصالا وثيقا بتاريخ الصحافة في الشرق الأوسط ، ومعنى ذلك انه يرجع الى عهد غزو نابليون بونابارت للشرق ووجود المطابع الحديثة وانشاء الصحف ، وهذه العلاقة الأكيدة بين تاريخ الصحافة في الشرق الأوسط وكتابة المقالة ، جعل ظهور المقالة الأدبية مقترنا ومعاصرا لظهور المقالة الصحفية ، وقد ظلت الجرائد فترة طويلة محتفظة بطريقة المقال الافتتاحي ، وكان يدور في الغالب حول الموقف السياسي وما يعرض فيه من الأحوال والتقلبات والاصلاح الاجتماعي بوجه عام ، ومحاولته ايجاد وعي قومي ، وحينما تألفت في مصر الأحزاب السياسية ، رأى زعماء الأحزاب أن يكون لكل حزب جريدة تعبر عن وجهة نظره وتؤيد مبادئه ، وكان يراعى في كتابة المقال الافتتاحي المبادئ الأساسية التي تألف من أجلها الحزب ٠

وقد ظهر المقال الأدبي الى جانب المقال الصحفي ، فالمقال الصحفي يتناول المشكلات القائمة والقضايا العارضة من الناحية السياسية ، والمقال الأدبي يعرض لمشكلات الأدب والفن والتاريخ والاجتماع ، وبضرورة الحال كانت المقالة الأدبية أقرب الى طبيعة المقالة وفنها الأصيل من المقالة الصحفية ، وقد وجد بين كتابنا من استطاع الاجادة في النوعين مثل عباس محمود العقاد ، فقد اشتهر في مقالاته السياسية ، بحملاته الشعواء على خصومه السياسيين والدكتور حسين هيكل امتازت مقالاته الصحفية بالفقه القانوني والتأثر بالمذاهب السياسية والاجتماعية الحديثة ، والدكتور طه حسين كانت مقالاته الصحفية تظهر فيها ذخائر اطلاعه على الأدب العربي والتاريخ الاسلامي ٠

واشتهر بعض الكتاب باجادة المقالة الصحفية دون ان تكون لهم مشاركة مأثورة فى كتابة المقالة الادبية ، ومن هؤلاء الكاتب الصحفى القدير عبد القادر حمزة ، وقد كان فى مقالاته الصحفية ، من اقدر الكسب على الدفاع عن ارائه السياسية ، واحمد حافظ عوض ، وكان يمزج مقالاته الصحفية بالفكاهة اللطيفه والسخرية اللاذعة ، والدكتور محمود عزمى ، وكانت تبدو من خلال مقالاته الصحفية ثقافته الاقتصاديه واطلاعه على تيارات السياسة الغربية ، ومن أقدر كتاب المقالة الادبية الخالصة ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران والانسةمى وعبد العزيز البشرى ، ولابد من توفر شرط مهم فى كاتب المقالة الصحفية وكاتب المقاله الادبية على السواء ، وهو أن يعرف الكاتب كيف يكتب ، وأن يكون غزير العلم ، واسع الاطلاع ، متنوع الثقافة ، مع توقد القريحة ، ونفاذ البصيرة ، ودقة الملاحظة ، ورهافة الذوق ، حتى يعرف كيف يخلب القارئ ويستهويه دون أن يركب الشطط ويعتسف الطريق ، وكلما كان الكاتب موفور الحظ من الثقافه الادبية جاءت مقالته مل كمة النسج شائقة العرض قويمة التفكير متماسكة المنطق ٠

والمقالة الصحفية أو الأدبية معرض لدقائق الأحاسيس وشريف الخواطر ويمكن أن تكون مرآة جيدة الصقل تعكس صورة الكاتب وظلال العصر الذى يعيش فيه والبيئة الاجتماعية والسياسية التى تحتويه (١) ٠

واذا حاولنا دراسة المقالة عند أديب معاصر كالعقاد فاننا نلاحظ أنه لم يعن كثيرا باللون الأدبى الصرف من المقالة لاسيما فى طور أدبه الأخير ، وانما كان يلبس مقالاته فى العلم والاجتماع ثوب الأدب الشائق ، ومع هذا فان ما كتبه مما يقع تحت هذا الضرب من المقالة كان يضمنه فى الغالب فكرة اجتماعية أو انسانية سامية ، ففى مقال له فى « الهلال » (نيسان ١٩٥٠) عن « زهرة الربيع » يقول فى خاتمته « ولعلنا لا نتمنى لهذه الأرض المضطربة أمنية هى أسلم لها وأكرم عليها من أن تتسع فيها فيها رقعة الزهر ولو جارت على رقعة المصانع والمعامل والدكاكين » أو مقالة الذى نشره فى الهلال » (عدد تشرين الأول ١٩٤٧) بعنوان « حديث مع هرون الرشيد » ضمنه أكثر من متعة أدبية عابرة ورأيا خاصا فى حياة العرب السياسية من وجوه ٠

وهو على كل لون تتجلى فيه الحلاوة فى السرد ، والتماسك بين أجزاء الموضوع ، والفكرة المكتملة بنفسها ، فلو توقفت عند فقرة معينة انتهت

---

(١) راجع مجلة القافلة عدد رجب ١٣٨٥ ، من مقال لعلى أدهم ، د٠ عبد العزيز شرف : فن التحرير الاعلامى ، القاهرة (هيئة الكتاب) ١٩٧٨ ٠

عندما مطالعتك ثم عدت لما يليها بعد انقطاع عن القراءة لما احسست أنها دخيلة على البحث ، وانما هى فى موضعها على قدرها الملائم ذات صـورة منفصلة متصلة فى آن واحد ٠

أما « الشكل » فى مقالة العقاد الأدبية فغنى عن الوصف : بيان صاف متين ، وسبك جلى ، جيـد متراص ، وطلاقة بفصاحة ، ولغـة وضـاحة لا تعوزها الصحة ولا الروعة ، ولا الفكـرة الصـائبة التى أنهكت درسـا وتمحيصا ومعالجة ٠

فالمقالة لدى العقاد هى مزيج من الأدب والعلم والاجتماع معا ، وانكانت الصبغة الطاغية عليها هى صبغة الأدب أسلوبا ولغة وشكلا ، ولكنها ذات موضوعات ليست أدبية خالصة فى الغالب ، وهكذا ٠ والحـديث عـن أدب المقالة عند العقاد هو حديث عن المقالة الأدبية والعلمية والاجتماعية مجتمعة ٠ ومقالاته التى كان يوالى نشرها فى « أخبار اليوم » نموذج صالح لذلك ، وقد يكون العقاد على حق فى هذا الجمع اذ هو فهم المقالة كفهم الكاتب « دوجلاس ميد » لها ، حيث يقول فى كتابة « القراءة الجيدة » عن المقالة : « هى نزهة حافلة بالمفاجآت كاتبها القائد وقارئها الجندى فيها ، يجول الكاتب بين النقد اللاذع أو البحث فى الجمال أو التاريخ » وتلك ميزة فى نظرى لمقالة العقـاد الجامعة ، وأول ما يلفت انتباهك فى مقالات العقاد تلك الاستهلالات البارعة العنيفة التى تصور من شخصية العقاد كثيرا من المعالم ، فتحس من أول وهلة أنك قد أخذت وانصرفت لتتبع ما يكتب صاحب هذه البداية المتميزة بحق ، يقول الأديب « مادوس » فى كتابة « المقالة وكتابتها » : « أما بداية المقالة فعلى غاية من الأهمية والبراعة والتأثير » ٠٠٠ وهذا بالضبط ما أشرنا اليه كسمة بارزة فى مقالة العقاد ٠

والمادة فى مقـالة العقـاد ميسرة تحس أن كاتبها قـد ألم بدقائقها واكب عليهـا درسـا وتمحيصا وترتيبا ، ثم هى مسكوبة بنظـام واحكام بعد أن جازت فى مخيلة الكاتب أطوارا عديدة من التصميم ، وهـذا بالضـبط ما ذهب اليـه الدكتور اسحق موسى الحسينى حين قال فى أدب المقـالة من أن كاتب المقـالة لابـد من أن يقيم لها صـورة مصـغرة تحتوى على كل دقائقها وأفكارها والا فهى ضرب من التأنق اللفظى لا طائل تحتـه ولا غنـاء فيـه ، الا بضع أفكار تأتت بكد الذهن ، فتبعثرت فى ثنايا الالفاظ بعثـرة قبضة من الدر فى كيس من الرمل ٠

ولا تعوز العقـاد الحقـائق فى مقالته أبـدا ، وانما هو يحشـدها لك حشـدا مسلحا بعتاد البلاغة النفاذة ، وهكذا فهـو أقدر على الاقناع والتأثير

دون أن يجهد لهذا · وهى مادة قوامها لديه العمق بل التعميق أحيانا حتى ليهيم القارىء فى شبه مهامه من الافكار والآراء الشائكة وهى ليست فى الغالب الا جدا لا هزل فيه ولا دعابة الا قليلا ، او هزل فى جد ان شئت، ولكنه مصيب بكلا الأمرين أو بدونهما فيما يبغيه من قارئه من متعة وايناس بما يدخله احيانا من روح تلطيف ولذعات فما تحس فيما تقرأ له بسام وان كنتتحس احيانا بتعب ، تغوص فى أجزاء بعض الاراء التى يعرضها ، أو حين تضطر لنقرأها من جديد مثنى وربما ثلاث ، وهى مقالة هادئة متزنة ولكنها قوية صلبة فيها كثير من العنف المكبوت ، أو الجبروت المتطامن على الاصح أما ثقة العقاد فيها بنفسه فتدانى الاعتداد على الدوام· لهذا كان عامل شخصيته فيما يكتب بارزا أجلى بروز فما تخطىء أسلوبه حواسك بين ركام من أساليب سواه وآثارهم · ولعل من آثار هذا الاعتداد أنه واحد من نفر ضئيل من الكتاب لا يستعمل ضمير المتكلم الا جمعا على الدوام ، وقد يشت قلمه فيكتب بضمير المتكلم المفرد سهوا ، فيعود مستدركا يستأنف بضمير المتكلم الجمع ·

ان روح النقد والتعالى والكبرياء والاقناع والقدرة على التأثير هى من أهم مقومات المقالة عند العقاد ·

- ٢ -

والعقاد الكاتب تسنده أصالة كبيرة وثقافة واسعة وخبرة وتجربة للحياة ، ويعد أكبر كاتب عربى معاصر كما يقول شوقى ضيف(١) ، وكتاباته تشيع فيها روح فلسفية قوية ، وتحدث الناس عن عبقرياته طويلا (٢) ، وقد شغل العقاد الناقد الكثير من الدراسات والدارسين (٣) ، والدراسات الادبية عند العقاد منوعة ، ومنها دراسته عن « ابن الرومى » وقد استخدم مذهب التحليل النفسى فيها فى فهم حياة الشاعر ، وكذلك دراسته الاصيلة عن المتنبى فى كتابه « مطالعات » ·

وقد عاش العقاد يرفض الشعر الحر ، ويدافع عن العربية ·

ويقول عثمان أمين (٤) فيه : العقاد أديب وفيلسوف ومن المفكرين المعدودين ، وكتاباته تزود المكتبة العربية بذخيرة رائعة من مختلف

---

(١) ٥٧ مع العقاد ـ سسلة أقرأ ـ أشواقى ضيف ـ عدد ٢٥٩ ·

(٢) راجع فى مجلة الأزهر عام ١٣٨٦ مقالات لنعمات فؤاد عن عبقريات العقاد الاسلامية ·

(٣) راجع كتاب عبد الحى دياب الضخم « العقاد ناقدا » وهى رسالة نال بها الماجستير من دار العلوم وكان يكتب فيها حياة العقاد ·

(٤) راجع ص ١٣ وما بعدها من كتاب نظرات فى فكر العقاد لعثمان أمين ·

الثقافات ، وأدبه يتميز بالاصالة والاحتفال بالتجربة والمعاناة ، والتعبير الجميل عن الشعور الصادق والأدب ما هـ والا محاولة للفهم بتجربة شاملة، وتفكير الأديب ما هو الا جـز ءمن الحياة ونوع من الابوة ٠

والعقاد باحث معتد برايه وناقد نافذ البصيرة ، وجدلى بارع الحجة ٠ والعقاد يرفض المحاكاة ، والفن عنده مراتب بحسب وفرة نصيبه من الحرية والابداع والبعد عن المحاكاة (١) ٠

والعقاد يربط الجمال بالحرية ، وكان رأى شلى الشاعر الانجليزى الكبير ، وقد توسع العقاد فى معنى الحرية ، فلم يقتصر على فهمها بالمعنى الارادى البشرى ، بل جعلها تتسع لبعض الأشياء الطبيعية الماثلة ، فالجمال والحرية عنده وجهان لحقيقة واحدة ، ويربط الجمال بالحياة أيضا من خلال وسيط مهم هو الحرية ٠

والعقاد مع ما بلغه من المنزلة العالية فى النثر الأدبى ، ومع ما أحدثه من التطور فى الاسلوب ، هو شاعر ، وشاعرية العقاد يمثلها ديوانه بأجزائه الاربعة ، التى سماها : يقظة الصباح ووهج الظهيرة وأشباح الاصيل وأشجان الليل ، وقد أعاد نشر هـذه الدواوين عام ١٩٢٨ م ٠

ثم نشر للعقاد ديوناه : وحى الاربعين وهدية الكروان عام ١٩٢٣ ، وفى عام ١٩٣٧ نشر ديوانه عابر سبيل ، وفى عام ١٩٤٢ نشر ديوانه « أعاصير مغرب » وكان قد نيف على الخمسين من عمره ، وفى عام ١٩٥٠ نشر ديوانه « بعد الاعاصير » وهذه كلها ثروة شعرية أصيلة تمثل جانب تجديديا واضحا فى شعرنا المعاصر ٠

---

(١) مجلة القافلة ـ رمضان ١٣٨٥ هـ ـ من مقال زكريا ابراهيم ٠

الفصل الثـالث

العقـاد ومدرسـة شـعراء الديوان

كيف نشأت هذه المدرسة :

مدرسة الديوان من المدارس الشعرية الجديدة بعد مدرسـة البارودى وشوقى وحافظ ومطران ، تزعمت حركة التجـديد فى الشـعر ، وألحت فى الدعوى اليه ٠

أعلامها الثلاثة شكرى والمازنى والعقاد قاموا بدور كبير فى خدمة نهضتها الشعرية ، وفى نشر حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث ٠ وتسـمى مدرسة شعراء الديوان نسبة الى هذا الكتاب النقدى المشهور ، الذى ألفه اثنان من هذه المدرسة ، وهما العقاد والمازنى ، وأصدراه فى جزءين ، وبسطا فيه دعوتهما الجديدة ، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطى ، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكرى ، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجـة كبيرة فى الجو الأدبى والشعرى فى مصر والعالم العربى ، وكان له تأثيره على شوقى والمنفلوطى ، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة ، وعلى الرغم من أن عبد الرحمن شكرى فارق زميليه وتركهما وحدهما فى الميدان الا أنه يعد رائد هذه المدرسـة الأول ، وامامها الذى اقتدت به ، وهؤلاء الثـلاثة ثقافتهم انجليزية ووجهتهم هو الأدب الانجليزى ٠

وقد احتدم الخـلاف بين المازنى وشكرى ، وأسرفا فى نقـد بعضـهما لبعض ، فكتب المازنى فى كتاب « الديوان » نفسه يهاجم عبد الرحمن شكرى فى مقال نقدى بعنوان « صنم الألاعيب » ، وكتب شكرى يهاجم فى مقـدمة الجزء الخامس من ديوانه زميله القديم المازنى ، كما كتب رمزى مفتـاح كتابه المشهور « رسائل النقد » يهاجم فيه العقاد ويتهمه بالسرقة من شكرى،

وقد ذكر العقاد فى كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية ، عن طريق الأدب الانجليزى ، وأنها استفادت من النقد الانجليزى فوق استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى ، وأنها اتخذت هازلت اماما لها فى النقد ، وكان مرجعها الأول مجموعة « الكنز الذهبى » وهى مختارات مشهورة من الشعر الانجليزى من عهـد شكسبير الى أوائل القرن العشرين ٠

وذكر العقاد كثيرا أن شوقيا وحافظا تأثرا بمدرسة الديــوان ، وهــو فى ذلك ــد مسرف فى المغالاة والادعاء ٠ ج

وقد كرر العقاد فى كتبه ومقالاته فى حياته أن مدرسة الديوان هى أول مدرسة تجديدية ٠

ومن حيث كان مطران يتزعم حركة الدعوة الى الشعر الموضوعى فى الأدب الحديث ، كانت مدرسة شعراء الديوان تدعو الى الجانب الذاتى أو الغنائى منه ، فشعرها هو شعر الوجدان الذى يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته ابلغ التعبير ، واتخذ شكرى شعارا له على الجزء الأول من ديوانه الذى سماه ضوء الفجر ، وهو اسم رومانسى ، هذا البيت من شعره :

ألا يا طائر الفردو س ان الشعر وجدان

وأدخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقــاد الى شعر الفكرة ودافع عنه فى ديوانه « بعد الأعاصير » ونقد مندور العقاد فى شعره فى كتابه « الميزان الجديد » (١) ، ونقــده الرافعى فى كتابه « على السفود » ودواوين العقاد هى : ديوانه (الجزء الأول ١٩١٦) ، الأربعة الاجزاء الأولى من ديونه (١٩٢٨) ، وحى الأربعين ، هدية الكروان (١٩٣٣) ، عابر سبيل (١٩٣٧) ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير (١٩٥٠) ٠

لقد حمل العقاد وشكرى والمازنى لواء الثورة ضد الشعر الكلاسيكى والشعر القديم ، وحالوا هدم زعماء الشعر العربى المعاصر ، وكتبــوا أعنف الفصــول النقدية التى حفظها تاريخنا الأدبى وثائق ذات قيمة كبيرة فى تاريخنا الفكرى والشعرى المعاصر ٠

ولنتحدث عن رواد مدرسة الديوان ، واحدا واحدا ، لنتعرف اليهم والى أفكارهم فى الجتديد ٠

كان شـــكرى (١٢ أكتـوبر ١٨٨٦ ـ ١٥ ديســـــمبر ١٩٥٨) من رواد المدرســــــة الحديثـــة فى الشــــعر العــربى ، وهى المدرســـة التى خلفت المدرسة القديمة التى تمثلت فى شوقى وحافظ واضرابهما ، والتى ورثت بلاغة البارودى ومذهبه ، والتى بقيت امتداداتها حتى اليوم ممثلة فى شعراء كثيرين لا يؤثرون بالشعر العمودى المجـدد شـيئا ٠

وكان شكرى من أشهر هؤلاء الرواد ، وأكثرهم دعوة الى التجـديد ، وحرصا عليه ، وايمانا به ٠٠ ولداته وزملاؤه فى الدعوة الى التجديد والجديد : خليل مطران ، وأحمد زكى أبو شادى ، وعبد القادر المازنى ، والعقاد ٠

وقد تأثر الدكتور أبو شادى ومدرسته بمطران ، وعدوه رائد الشـعر الجديد وامامه ، تأثر كثيرون بشكرى وعدوه عميدهم ورائدهم ، ومن أوائل من تأثر بشعره وشاعريته عبد القادر المازنى زميل شكرى فى مدرسة المعلمين العليا ، والذى كتب الكثير فى شتى المناسبات عن أستاذية شكرى وامامته ، ومما قاله المازنى عنه : كان شكرى أول من أخذ بيدى ، وسدد خطـاى ، ودلنى على المحجة الواضحة ، ويقول كذلك : « كان الجزء الاول من ديوان شكرى ، ويوميات العقاد ، بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب ، وفاتحـة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقى وحافظ واضرابهما ، وبعـد وفاة شكرى كتب العقاد ينوه بألمعيته وسعة اطلاعه ، وتعدد مواهبه ، وان كان لم يعترف بأستاذيته ، ولم يجعل نفسه عالة على احد فى المذهب الجديد فى الشعر ٠

وقد تعارف شكرى والمازنى والعقاد من عهد طويل ، عرف المازنى شكرى فى دار المعلمين العليا ، ثم تعرف بالعقاد ، وعرف به شـكرى ، وجمعت ثلاثتهم روابط الأدب وصلات الشعر ، والدعوة الى المذهب الجديد فيـه ، وقدم العقاد الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣ ، وأثنى على شاعريته وموهبته ، وكتب المازنى عام ١٩١٣ مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية يوازن بين شكرى وحافظ ويفضل شكرى عليه ٠٠ وقد استطاع الوشـاة فيما بعد أن يفرقوا بين هؤلاء الثلاثة ، فأخذ المازنى ينقد شكرى ٠

وكتب شكرى عام ١٩١٦ فى الجزء الخامس من ديوانه ينقد المازنى ويعيب عليه سرقاته الشعرية من الشعر الغربى ، وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام ، ونقد شكرى المازنى والعقاد على صفحات عكاظ فى مقالات نشرها

عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ونقد المازنى شكرى فى كتاب الديوان ، الذى ظهر عام ١٩٢١ وسماه صنم الألاعيب ، ورماه بالشعوذة والجنون ، ولم يعد الصفاء بين الشاعرين الا عام ١٩٣٤ ، حيث كتب المازنى من جديد ينوه بشكرى ، ويقر باستاذيته ٠ وظل طول حياته بعد ذلك وفيا له ٠

وكان ابو شادى أكثر الناس حبا لشكرى وتقديرا له ، وانصافا لمواهبه ، وكتب عنه الكثير من الآراء النقدية ، التى ضمنتها كتابى « رائد الشعر الحديث » وكذلك كان شعراء مدرسة أبولو ، ممن عدوا شكرى ينبوعا من ينابيع الشعر الحديث فى مصر والعالم العربى ٠

وشكرى يتمثل تجديده فى ديوانه الذى ظهر الجزء الأول منه « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، وأعيد طبعه عام ١٩١٤ ، ثم الجزء الثانى منه « لآلى الأفكار » عام ١٩١٣ ، والثالث « أناشيد الصبا » عام ١٩١٥ ، والرابع « زهر الربيع » ، والخامس « خطرات » عام ١٩١٦ ، والسادس « الأفنان » عام ١٩١٨ والسابع « أزهار الخريف » عام ١٩١٩ ٠ ثم أعيد طبع الديوان فى مجلد واحد عام ١٩٦٠ بعد وفاة شكرى فى طبعة ضخمة على نفقة الاستاذ عبد العزيز مخيون وبتقديم الأستاذ نقولا يوسف ، وأضيف الى الأجزاء السبعة، جزء ثامن ، جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩ حتى وفاة الشاعر ٠

كما يتمثل كذلك فى كتبه المطبوعة : الثمرات ، والاعترافات ، وحديث ابليس ، التى ظهرت عام ١٩١٦ ، والصحائف وقد طبع عام ١٩١٨ ، والحلاق المجنون ، وقد نشر عام ١٩١٩ ، وفى كتبه المخطوطة التى نشرت فصولها فى الصحف والمجلات ولم تطبع فى كتاب بعد ، والكثير منها وثائق حية لحياة شكرى الانسانية والفنية ٠

وكان شكرى كما يقول العقاد من أوائل من دعا الى وحدة القصيدة ، ونظم من الشعر المرسل ، وعدد صور القافية ، وجدد فى بحور الشعر ، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية ٠٠ ولم يحفل بشعر المناسبات ، وليس فى ديوانه الكبير منه شىء ٠

وشعره الغنائى الوجدانى المعبر عن ذات الشاعر وعاطفته مثل للتجديد فى الشعر المعاصر ٠

وكان شكرى كذلك من أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة فى الأدب العربى ، وسار على المذهب النفسى ، وطبقه فى دراساته للشعراء القدامى والمعاصرين ٠

وقصائده : فى سبيل الجامعة ، ومصرى عربى ، والتأليف ، ورثاء مصطفى كامل ، وهى مما تضمنه الجزء الأول من ديوانه ، وكذلك قصائده : التجدد والتغير ، وليتنى كنت الها ، والحجاب ، والحرية والايمان بالحياة ، التى تضمنها الجزء الثانى من ديوانه ، وكذلك قصائده · صوت النـــذير وهى من أعز قصائده التى احتوى عليها الجزء الثالث ، وكذلك قصائده : نجى النجوم وليلة الحسن · والبطل المنتظر ، وخميلة الحب ، وعيش الأدباء ، وشقوة العيش ، والآمال الذاوية ، وقد تضمنها الجزء الخامس من ديوانه ، وقصائده: أبو الهول ، وهرم خوفو ، والمثل الأعلى ، والفصول ، وهى من عيون قصائده فى الجـزء السادس ، وقصائده آية الحسن ، والشلال ، وياوضىء البسمات ، والموت وهى من قصائد الجزء السابع ، وقصائده : الطفل ونحو الفجر ، وسر الحياة ، وصوتك · وشفق الغروب ـ وهى مما تضمنه الجزء الثامن ، وغيرها من قصائده ·· كل هذه القصائد صور حية ناطقة بتجديد شكرى ، ومذهبه الجديد فى الشعر ، كما يتمثل فى قصيدته « خميلة الحب » التائية التى تأثر فيها بابن الفارض ، وكان شعره من أوائل ما قرأه شكرى من دواوين الشعراء القدماء ، وكان فى مقدمة من قرأ لهم : ابن الفارض والبارودى والمتنبى والشريف الرضى والمعرى وابن الرومى ، كما قرأ لشعراء الغرب مختارات من شـــعرهم تمثلت فى كتاب « الكنز الذهبى » ، وكان يدرس بالمعلمين العليا · ويقـول شكرى فى مطلع قصيدته « خميلة الحب » :

تمهـل رعـــاك الله أقضى لبـــانتى

وأتلـو عـلى تلك الرياض تحيتى

فانى تعلمت الهـــوى فى ظلالهـــا

وفيهـا رأيت الحســـن أول رؤية

وشعره فى الطبيعة تأثر فيه شكرى بحياته وبيئته وبشعراء الغـرب ، وبالطبيعة الانجليزية التى سحر بها أيام دراســته فى انجلترا ، ويقول من قصـــيدة له :

قــم فان الدهـــر غفــــلان — وقضـــــاء النحس وســـنان

رق ليـــل أنت راقـــــده — فكـــأن الليـــل ولهــــان

إن جــــرما أن تنـــــــام — ما لهـــذا الجـــرم غفـــران

ومن أشهر قصائده : ظالى ما أعدلك ، وهى فى الجزء الثالث من ديوانه ، ويقـول فى مطلعهـا :

ظـــــالمى ما أعــــدلك — فاقض إن الحـــــكم لـــك

وقصيدته شكوى شاعر ، ونبوءة شـــاعر » وهما فى الجزء الثانى من ديوانه ومطلع الأولى :

قد طال نظمى للأشعار مقتدرا   والقوم فى غفلة عنى وعن شانى

وفى الثانية يقول :

اثن خاننى الذكر الجليل وملنى   مسامع قومى أو غلبت على أمرى
سيروى عظامى شاعر بدموعه   وينثر أزهار الربيع على قبرى

وفى ديوانه كثير من القصائد التى تحدثت عنها ، وعن شعره وشاعريته ، وعن مذهبه الجديد فى الشعر »

هذا هو شكرى الشاعر الكبير المجدد الرائد ، الذى فقـدناه فى الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ ، والذى كان ميـلاده فى بورسعيد الخالـــدة فى الثانى عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ م ٠

عاش شكرى اثنتين وسبعين سنة قضى منها أيام نشأته الاولى فى مدينة بورسعيد حتى نال الابتدائية من احدى مدارســها عام ١٩٠٠ ، ثم عاش فى الاسكندرية بعد ذلك أربع سنوات هى أيام تعليمه الثانوى فى مدرســة رأس التين الثانوية » ثم سافر الى القاهرة والتحق بالحقــوق الى أن فصل منها عام ١٩٠٦ ، لاشتراكه فى المظاهرات الوطنية ، ونظمه الشعر فى التنديد بالاحتلال ، فاضطر الى الالتحاق بالمعلمين العليا (١) ، حيث تخرج منها عام ١٩٠٩ ، وأوفد فى بعثــة دراســية الى انجلترا لتفــوقه ، فســافر اليهـــا وأقام فيها ثلاث ســنوات حتى انتهى من دراســته عام ١٩١٢ وعــاد الى وطنــه مدرســا فى مدرسة رأس التين الثانوية » ثم فى المدرســة العباســية ، ورقى بعد ذلك عام ١٩٣٤ ناظرا بالمدارس الثانوية ، وعمل مفتشـــا فى التعليم

---

(١) فى عهد النفوذ الغربى فى مصر أريد للأزهر العزلة عن المجتمع فأنشئت دار العلوم عام ١٨٧١ ، ثم أنشئت مدرسة المعلمين العليا عام ١٨٨٠ للنهوض بالتعليم ولايجــاد مدرسين للعلوم والرياضة والآداب وقد ظلت مدرسة المعلمين العليا قائمة حتى بدأ الغاؤها بالتدريج منذ عام ١٩٢٨ لاحلال معهد التربية محلها ، وكان مقــر المعلمين العليا فى حارة العسيلى بحى درب الجنينة بالقرب من ميدان العتبة فى المبنى الذى تشغله الآن محكمة ونيابة الموسكى ٠ ثم نقلت عام ١٨٨٨ الى المدرسة التوفيقية ـ قصر النزهة الذى شاده محمد سعيد باشا والى مصر عام ١٨٥٥ ـ ثم نقلت عــام ١٩٠٦ الى درب الجماميز (مكان المدرسة الخديوية الآن)٠ وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، ثم خفضت الى عامين ، وكان من أساتذة اللغة العربية بها : حسن الطويل وضيف وأبو النصر (ص ١٣ و ١٤ الكتاب الذهبى لمدرسة المعلمين العليا مطبوع عام ١٩٣٥)) ٠

الثانوى بعد ذلك ما بين عام ١٩٣٥ و ١٩٣٨ ، الى أن اعتزل الخدمة وآثر التفرغ لنفسه وللشعر .

وعاد الى العزلة فى مدينته الاولى بورسعيد ، فأقام فيها سبعه عشر عاما * ما بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٥٥ ، وكان قد أصيب بالشلل النصفى فى يناير عام ١٩٥٢ ، وفى عام ١٩٥٥ انتقل الى الاسكندرية حتى استأثرت به رحمه الله .

ويقول المازنى عن شكرى وبدء صلته به : « كنا طالبين فى مدرسة المعلمين العليا وكانت صلتى به وثيقة * وكان كل منا يخلط صاحبه بنفسه ، ولكننى لم أكن يومئذ الا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى الى مذهب معين فى الأدب ، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه . ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من اخذ بيدى ، وسدد خطاى * ودلنى على المحجة الواضحة ، واننى لولا عونه المستمر لكان الارجح أن أظل أتخبط أعواما أخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن أضل طريق الهدى

ويذكر صديقه العقاد – عام ١٩٥٩ – بعضا من تلك الذكريات فيقول: « عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة * فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية ، وأدب اللغة الانجليزية ، وما يترجم اليها من اللغات الاخرى . ولا اذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته الا وجدت منه علما به وأحاطة بخبر ما فيه ، وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت اليها * ولا سيما كتب القصة والتاريخ ، وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة . قوى الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها . لانه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه . فلا يكلفه نقد الادب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره فى الجلسات الطوال » .

لقد كان شكرى أحد الشعراء العصريين من دعاة مذهب التجديد فى مصر * نبغ فى الشعر صغيرا ، ونظم فى الموضوعات الجديدة محتذيا شعراء الافرنج . ألف كتابا فى أدب الشعر نم عن اطلاعه الواسع فى هذا الباب ، وله سبعة دواوين فيها قصائد عامرة بالمعانى المستحدثة والافكار العصرية . كما أن له كتابات تدل على فكر ينزع الى التحرر من ربقة التقليد فى الأدب والاجتماع والأخلاق ، وهو أحد الأركان الكبيرة فى حركة التجديد الأدبى فى مصر : أبى شادى والعقاد والمازنى وشكرى ، ومن

العاملين على نقل الادب الغربى الى الغربية بالترجمة والحذو حذو ادباء الغرب فى الفكر والأسلوب ٠

ويقول مندور عنه : انه شاعر التأملات النفسية والاستنبطان الذاتى ، وقد تحدث عنه وعن شعره الدكتور محمد مندور فى كتابه « الشعر المصرى بعد شوقى (١) » ٠٠

ويقول فيه الدكتور احمد زكى ابو شادى وفى مطران ٠

كان مطران بعد أن تشرب كلا من الأدبين العربى والاوربى اسمعت قيثارته العرب فى العقد الأخير من القرن الماضى الحانا لا عهد لهم بها من قبل ، وقد دار ابتكاره حول التناول الفنى للطبيعة البشرية فى صورها المتعددة ، ومن بينها نفسه فى حالالتها المختلفة ، مراعيا وحدة القصيدة غير متهيب تطويع اللغة للمعانى والأخيلة الشعرية ، مرفرفا شعره بالرومانطيقية الفرنسية اللطيفة ، وخالقا بجرائته ومواهبه الفذة مدرسة متحررة نمت رويدا رويدا ، وأثر فى ادباء كثيرين من الشبان فى ذلك الحين : كأحمد شوقى ، ومصطفى نجيب ، واسماعيل صبرى ، واستمر تاثيره بصور شتى جيلا بعد جيل ، كما تفرعت على تعاليمه مدارس شعرية متحررة منوعة ، منها مدرسة شكرى التى انتسب اليها المازنى والعقاد ، ولكن البون الشاسع بين الاستاذ وتلاميذه ، وان آثر شكرى التوارى بعد أن أصدر سبعة من دواوينه العامرة القوية الحيوية٠

وقال فيه العقاد : « ان شعر شكرى لا ينحدر انحدار السيل فى شدة وصخب وانصاب ، ولكنه ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعة وسكون » ٠

ولقد عنى شكرى بالجانب الفكرى التأملى فى شعره ، وبتجديد خلفه الرواد له من أمثال المعرى وابن الرومى وملتون وبوب ، وبالمزاوجة بين هذه التأملات الفكرية النفسية ، والتأثرات الوجدانية ، والانطباعات الصوفية والذاتية والطبيعية ، وقد شجعته والهمته وثبات مطران الرومانطيقية قبل عهده بعقدين ٠٠٠ ولكن شكرى عب من الأدب الانجليزى بدل أن يعب من الأدب الفرنسى الذى استهوى مطران فى صباه دون أن تستهويه الآداب الاخرى ٠

كذلك نجد شكرى الرائد المحلق فى الشعر المرسل ، ونفائسه فى هذا المجال فرائد باقية وفخر للشعر العربى ، ولا تقل عنها عظمة معانيه

---

(١) ج ٦٦ ـ ٨٦ المرجع ـ الحلقة الاولى ٠

انه شاعر عبقرى لا يقف دون التعبير عن شعوره وحيال الكون كله شيء » ·

ويقول شكرى : ان وظيفة الشاعر فى الابانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره ، والشعر يرجع الى طبيعة التأليف بين الحقائق ، ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظرة عير أخذ عواء المظاهر مأخذ نور الحق ، فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة واهل الغفلة وبين معانى الحياة التى يوحى اليه بها الابد ، وكل شاعر عبقرى خليق بأن يدعى متنبئا ، اليس هو الذى يرمى مجاهل الابد بعين الصقر فيكشف عنها غطاء الظلام وكل شيء فى الوجود قصيدة من قصائد الله والشاعر أبلغ قصائده ·

الشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس مقبورا فى الأحوال التى تحوطه ، هو الذى اذا عاش كان له من شاعريته وقاء من عداء قتلى المظاهر ، فاذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره ، فاذا لم تسعده شهرة هبطت روح الطبيعة على قبره ، تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء ، تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان ·

وليس الشاعر الكبير من يفى بصغيرات الامور ، ولكنه الذى يحلق فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذا بأطراف ما مضى وما يستقبل ، فيجيء شعره أبديا مثل نظرته ، وهو الذى يلج الى صميم النفس فينزع عنها غطاءها ، وهو الذى اذا قذف بأشعاره فى حلق الابد ساغها · فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر · لقد كان بالأمس نديم الملوك وحلية فى بيوت الامراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزودا بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نورا ونارا ، فعظم الشاعر فى عظم احساسه بالحياة ، وفى صدق السريرة الذى هو سبب احساسه بالحياة ، واذا رأيت شاعرا يأخذ الحقير مأخذ الجليل من الامور ، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة ، فأعلم أنه ضئيل الشعر ، فان ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ، ولا يعلم أن حوادث النفس على صحتها أجل الحوادث ·

سئل وردزورث الشاعر الانجليزى عن شعر شاعر فقال : انه نيس من الحتم فى شيء ، فكأنه يقول ان أجل الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء لابد من حدوثها ، فاذا اردت أن تميز بين جلالة الشعر وحقارته فخذ ديوانا واقرأه ، فاذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة مثل النجم

او السماء او البحر فاعلم أنه خير الشـعر ، واما اذا رأيت اكثره صنعة كاذبة فاعلم أنه شر الشـعر » فالشـعر هو ما اتفق على نسـجه الخيـال والفكـر ايضـاحا لكلمـات النفس ٠

الشـعر هـو كلمات العواطف والخيـال والذوق السـليم ، فاصـوله ثلاثة متزاوجـة ، فمن كان ضئيل الخيـال أتى شـعره ضئيل الشـأن ٠ ومن كان ضعيف العواطف أتى شـعره ميتا لا حيـاة له ، فان حياة الشـعر فى الابانة عن حركات تلك العواطف وقوتـه مستخرجة من قوتهـا ، وجـلاله من جلالهـا ، ومن كان سقيم الذوق اتى شعره كالجنين ناقص الخلقـة ، غير أن بعض النـاس يحسـب أن سـلامة الـذوق فى رصف الكلمـات كأنما الشـعر عنده جلبـة وقعقعة بـلا طائل معنى أو كأنما هو طنين الذباب ، ولا يكون الشـعر سـائرا الا اذا كان عند الشـاعر مقـدرة على التأليف بيـن اللفظ والمعنى ، ولسـت أعجب من أحـد عجبى من الادبـاء الذين ينظمـون الشـعر فى مواضيع تطلب منهم الكتـابة فيهـا فينظمون من أجل ارضـاء من سألهم ذلك ، كأنمـا الشـاعر آلـة وزن ٠ ولكن الشـاعر هو الذى لا ينظم حتى تنوبه تلك النـوبة التى تدفعه الى قـول الشـعر بالرغم منـه فى الامر الذى تتهيـأ له نفسـه ٠

لقد أصبح الشـعر عندنا كلمـات ميتـة ليس تحتهـا طائـل معنى ، يحسب الناس أنه اذا أخـذ فى النحـو والصرف والعروض كفاية ، وأصاب من طرف الشـعر غاية ، فقـد أجاده ، وانما الشعر كلمـات تخرج من النفس بيضـاء مشبوبة ، وكما أن العاطفة تنطق الشـاعر كذلك قد تخرسه شدتها ، ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفـة والتفكير فيهـا شـعرا ، وانمـا نعنى الذكرى التى نعيـد العاطفة والتفكير الذى يحييها ، وليس شـعر العاطفة بابا جديدا من أبـواب الشـعر كما ظن بعض الناس ، فانه يشـمل كل أبواب الشـعر وبعض النـاس يقسم الشـعر الى ابواب منفردة فيقول : باب الحكم وباب الغـزل وباب الوصف ٠٠ الخ ٠

ولكن النفس اذا فاضت بالشـعر أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة فى القصـيدة الواحدة ، فان منزلة أقسـام الشعر فى النفس كمنزلة المعـانى من العقـل ، فليس بكل معنى منهـا حجرة من العقـل منفردة بل تتزاوج وتتوالد فيـه ، فلا رأى لمـن يريد أن يجعـل كل عاطفة من عواطف النفس فى قفص وحـدها ٠

ويقول شكرى : لو كانت الحيـاة شجرة لكان الجمـال زهرها والشعر طائرها ، لولا الشـعر افتقـدنا جمـال الحيـاة » وكل حى شـاعر بمقدار ما

يحس الجمال فى الاشياء والاخلاق والاعمال التى ينشدها ، والعالم عالمان: عالم الجمال وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه منعدم فيه ، والشاعر رسول الجمال يسعى فى تحقيق عالمه ، وانما الخير ضرب من الجمال . والشر ضرب من القبح ، والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضا الطموح الى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم ، ومن أجل ذلك كان كل شاعر كماليا سواء أعرف أم لم يعرف ، وهو اذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير انما ينبذها شوقا اليها كما يهجر المحب عشيقته من هجرها اياه ، وانما الحياة أو الحق كالميزان لا يعتدل اعلاه الا اذا استوى جانباه ٠

ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون قرض الشعر ومنزلته فى الحياة ، كما يعدل كل نقيض نقيضه وهذا أساس الحياة ، الا ترى كيف عدل عيسى عليه السلام روح الاثرة فى دولة الرومان وكيف أن رفض شوبنهور للحياة يعدل تقديس نيتشه اياها وتقديس كل ما تغرى به ، ومنزلة السعادة فى الحياة كمنزلة الشعر من النثر ، والذين يسعون فى نصرة الخير واستخلاص السعادة التى فيما دون الجمال يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه اوزانا وأنغاما ٠

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه فى مداواة قبح الحياة ولو لم يكن فى ذرعه من المكافحة كى يستخلص من الحياة جمالها الا التغنى بما يلهى المكافحين ويليح لهم بمثال الجمال المنشود ، ولا ريبأن شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه وأنالشعرضروبمتغايرة ٠

وذلك لا ينفى ما ذكرناه ٠ هذا شكسبير ما ترك جانبا من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ، ولكنك لا تجد فيه تزيينا للباطل الا على لسان أهله وصفا لهم كما أنك لا تجد فيه وعظ من لا يرى الا جانبه من الحق ، وانما نريد بذكر ما ذكرنا أن الرغبة فى الشعر من أجل أنه شعر لا من أجل مقصد خلقى حق ، اذا عنى الراغب أن الشاعر ينبغى أن لا يتجاوز أصول فنه التى يهىء بها لذات الفنون كى يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات ، وأما اذا قيل ان الشعر لهو ساعة فهذا قول من اللغو ٠

ويمثل شعر شكرى قصيدته « بعد الاخاء والعداء » ومنها :

حنوت على الود الذى كان بيننا وان صد عنه ما جنيبا عنى الود
حنوت ولو أنى حنوت وماحنا ولو أنه يبغى هلاكى من الحقد
ولا اكذبن الناس قلبى كقلبه له آنة ميل عن النصف والقصد
كلانا جنى شرا فعاد اخاؤنا محالا حكى ذكرى الشبابعلى بعد
فياطيب ذكراه ويا بعد عهده وأين قديم الود من حاضر الصد؟

مضى حيث يمضى عابر بعد عابر
من الأهل والأصحاب والذخر والولد

مضى حيث يمضى كل رأى ومذهب
له أجل كالناس ظعن بلا عود

اذا أنا أنسيت الاساءة من أخ   ذكرت له منى اساءة ذى عمد
فياليت أنى قد غفرت جفاءه   ونبوته حتى يصد عن الصد

ويذكر لى صبرى على الضيم والاذى
فيأسى على ما كان منه من الكيد

وتكسبنى منه الندامة ألفة   وانكان لى من قبلكالحجر الصلد
أعيش بصفو منه يوما فان جنى   على اثره غدرا ذخرت له ودى
واذكر نفسى منه عند انصرافها   شمائل تستدعى المغيظ إلى الحمد
أبعد بلائى العيش أبغى مبرأ   وكيفونفسى لى كما الضد للضد

يروقك حسن الفجر والنجم فى الدجى
ومرأى رياض من عرار ومن ورد

وأحسن منها البشر فى وجه صاحب
حليفك منه ما استسر ولم يبد

فياليت لى دنيا أبيع حطامها   بود أخ لو يشترى الود بالنقد

اذا الحب لم يخلص من البغض والأذى
فكيف خلاص الود من عنت الحقد ؟

وخلاننا مثل الجوارح أيهم   فقدنا فبعض النفس فى ذلك الفقد

فمن لى بعود الدهر للود والصبى
اليقين ما كانا كما الند للند

اذا انفلت السهم الطليق فما له   ولو أنه سهم النميرى من رد
ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله   ألا وهو الدهر المصرف ذو الايد

وقد كتبها اثر الصلح الذى تم بينه وبين المازنى .

ومن تجارب شكرى فى الشعر المرسل قصائده :

١ ـ كلمات العواطف وهى منشورة فى ديوانه ص ٧٠ ـ ط ١٣٢٧ ـ ١٩٠٩ م .

ـ قصيدته « الجنة الخراب » وهى فى الجزء الثانى من ديوانه (ص ٢/١٠١) . وهى شبيهة بقصيدة « اليوت » الارض الخراب

٣ ـ قصيدته « عتاب الملك حجر لابنه امرى القيس » ص ١٠٢ ج ٢ .

٤ ـ قصيدته واقعة أبى قير .

٥ ـ قصيدته نابليون والساحر المصرى ـ ١٠٦ ج ٢ ديوان شكرى .

عباس محمود العقاد :

عباس محمود العقاد (٢٨ يونيو ١٨٨٩ ــ ١٢ مارس ١٩٦٤) فيلسوف المدرسة ، وهو عبقري موهوب : وأديب مفكر،وناقد زكي ، وكاتب عصامي،وامام مشهور من ائمة الأدب والشعر في العالم العربي ، كان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة وعمق الفكرة ، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر من أوائل القرن العشرين ، واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكريه ، ونال الصدارة في كل مجال وميدان ·

ظهر في سنة ١٩١٣ الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري وفيه مقدمة قيمة بقلم العقاد عن الشعر ومزاياه يقول في مستهلها عن الشعر : « ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها ، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة النفس ، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والعقول · وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها » ·

وفي عام ١٩١٤ ظهر الجزء الأول من ديوان المازني ، وفيه مقدمة رائعة بقلم العقاد عنوانها « الطبع والتقليد » يقول في أولها : « حسب بعض الشعراء اليوم انه ليس على أحدهم ان أراد أن يكون شاعرا عصريا الا أن يرجع الى شعر العرب بالتحدي والمعارضة ، فان كانت العرب تصف الابل والخيام والبقاع ، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار ، وان كانوا يشببون في أشعارهم بدعد ولبنى والرباب ، ذكر اسما من أسماء نساء اليوم ، ثم يحور تشبيهاتهم ، ويغير مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي ، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصري ، وليس بمقلد قديم ، وهذا حسبان خطأ ، فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع ، والاخلق به أن يسمى الابتداع التقليدي ، لانه ضرب من ضروب التقليد فلولا أن شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعارضوه » ·

وفي سنة ١٩١٦ وكان قد ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذي اسماه في الطبعات التالية «يقظة الصباح» ، وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما كان يسميه العقاد « الوحدة العضوية » فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه ، في وحدة مسلسلة ، وترابط يكاد يكون منطقيا ، في

خلاف ما الفناه فى الشعر القديم وفى شـــعر الشـعراء الذين كانوا يتبعــون فى نظم قصائدهم طرائق القدماء ، وقد أعجبتنى هذه الطريقة فى ديوان شكرى وديوان المازنى وديوان العقاد • ولا شك أنهم تأثروا بأدب الغرب فى اتباع هذه الطريقة ، وبخاصة فى العهد الذى ساد فيه الأدب الرومانسى •

وظهرت الحركة القومية التى قادها المرحوم سعد زغلول ، وكان العقاد فى طليعة الكتاب الوفديين المناضين عن مبادىء الوفد وخطته ، وقد ناصره العقاد بقلمه ، ووقف بالمرصاد لخصومه ، وبرز فى الجدل السياسى ، والحملات الحزبية ، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الادبية ، فظهر فى سـنة ١٩٢١ الجزء الأول والثانى من كتاب الديوان ، وقد اشترك معه فى تحريره الأستاذ المازنى ، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوما عنيفا ، ونقـده نقدا مريرا • على أنه لم يكن دائما البادىء • بل كان موقفه موقف المدافع الذى يرد الهجوم ، وكان شوقى لا ينفك يغرى به صاحب جريدة عكاظ الشيخ مهيم تنديل ، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد أدخل فى باب الهجاء والسباب منه فى باب النقد الأدبى •

وكان فى العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة احاطته . وكان العقاد يلتزم القصد فى حياته ويتحرى الاعتدال ، فيعيش فى كتبه ومطالعاته ، ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيـــا ولكن فى غير اسراف ، وكان حريصا على حياته وصحته ووقته ولم يكن بخيلا بماله ، وكان يعتز بلغته ودينه وعروبته ، ومع ذلك كان واسع الأفق انسانى النظرة ، يكتب عن غاندى ويشيد به كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق ، ويعجب بالزعيم الباكستانى جناح كما يعجب بمحمد فريد وسعد زغلول ، ويكتب عن عبقرية محمد كما يكتب عن عبقرية المسيح •

وكان يؤمن بالحياة والعظمة والبطولة ، ويشـــك فى الذين يتقمصون مواقف الابطال ويسفهون احلامهم ، ويحيطون بواعثهم بالريب ، او يردونها الى التماس المصلحة الشخصية وطلب المجـد الذاتى •

وكان أدب العقاد وشعره كذلك سواء فيما قدمه من خواطر انســانية أو فيما جعله صورة كذلك لمجتمعه وبيئته •

وقد استغل هذا فى شعره الوطنى والاجتماعى ، فهو عندما اراد أن يدعو مواطنيه الى العــزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الواعظ ، ولكنه وقف موقف الأديب الثائر فصور مجتمعه وكأنه متشائم من الأوضاع التى يراها ، فالمائعون المتملقون يتولون أسمى الوظائف ، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم وفشت خستهم ودناءتهم وكثر نفاقهم

وتملقهم وجثوا خاضعين تذلــلا ، واللئام قد بلغوا اسمى الدرجات فكانهم القـرود قد اعتادوا التسـلق ، فهـو الذى يقـول فى قصيدة جعـل عنوانها « زماننـا »(١) ٠

فشت الجهالة واستفاض المنـكر	فالحق يهمس والضـلالة تجهر
والصدق يسرى فى الظلام ملثما	ويسير فى الصبح الرياء فيسـفر
انا لفى زمـن كأن كبـــــاره	بسـرى الكبائر شـأنها لايكبر
من كل ذى وجه لو ان صـفاته	تندى لكان من الفضيحة يقطـر
بئس الزمان لقـد حسبت هواءه	دنسا وان بحـاره لا تطهـر
وكأن كـل الطيبـات يردهـا	فيـه الى شر الامـور مدبر
سبق اللئـام الى ذراه فتهقهوا	ان القـرود لبالتسلق أخبـــر
ما نيـل فيـــه مطـلب الا له	ثمـن من العـرض الوفـير مقدر
وبقدر ما بذل أمرؤ مـن قـــدره	يجزى فاكبر من تراه الاصـــغر

كان العقاد مولعا بالتجديد والابداع والابتكار ، وقد دفعه هـذا النوع الى الاسهام فى خلق مدرسة شعرية جديدة ، هى مدرسة شعراء الديوان التى تعد إساسا للأدب الرومانسى فى الأدب العربى الحديث ٠

وأهم البواعث عند رواد هذه المدرسة فى نظم الشعر ، الحب وصدق العاطفة وجمال الطبيعة وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليد مظاهر البطولة وابراز الخواطر والتأملات ، فهى قد حررت الشاعر من ربقـة العبـودية وأبعدته عن التملق والتكسب ٠

وكان العقاد يتناول الأغراض الشعرية المتنوعة ، ولكنه كان يبـدع فى الوصف وفى ابراز عواطف الحب الكامنة فى النفس ، وفى ابداء خواطـره الفلسفية التى اقتبسها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التى روضت فكره على التعمق فى البحث والامعان فى الملاحظات ٠

فقد تحدث فى شعره عن الانسان وعن سر وجوده وعن عجزه عن معرفة سر الكون الغامض وعن حاجته الى الايمان ، كما عبر عن كثير من خوالجه وتأملاته وارتساماته التى كانت مرآة لآرائه فى الحياة ومن ذلك قوله (١)

ما وجــدنا مــن البـرية الا	خلقا زائفـا وجهـلا مبينا
حشرات لاتعـرف الخـير والشر	وفيهـــا الهـلاك للعارفينــــا

---

(١) الجزء الأول من ديوانه ــ ص١١١ ٠

(١) ديوان وحى الأربعين ٠

وقوله :

أنصفت مظـلوما فأنصف ظالمـا ... فى ذلة المظلوم عـذر الظـــالم
من يرض عـدوانا عليـه يضيره ... شر من العـادى عليه الغانم(١)

وقـــوله :

اذا ساحت الأطماع فاصبر فانها ... تنام اذا طال الصباح على النهم
وقهـر الفتى آلامـه فيـــه لـذة ... وفى طاعة اللذات شى-من الألم(٢)

والذى يتتبع شعر العقاد يجد فيه طابع التبرم والشكوى ، يظهر ذلك فى جل الأغراض التى نظم فيها ، ولقد كان يحاول أن يخفف بالشعر عن نفسه من حين لاخر ، لكنه لم يزده الورد الا عطشا ، فهو الذى يقول (٣) :

ظمآن ظمآن لا صـوب الغمـام ... عذب المدام ولا الأنـداء ترويني

وهاته القصيدة تعد بحق من أجمل قصائد العقاد ، فهى نفثة من نفثاته، وعصارة نفسه ، ومرآة وضاءة لروحه الرقيقة الحزينة القلقة (٤) .

انه ظمآن حيران يقظان ، انه غصان أسوان حزين ، يستعمل الشعر للتخفيف عن آلامه وأحزانه ، ولكن الشعر لا يطفىء أواره كما لا تطفىء الدموع أحزان المحبين ، انه يعيش وحيدا فى هذه الحياة لا يجد قلبا يسعده ولا خلا يأسوه ، انه يتمنى أن تنتهى حياته وأن يمحوه الموت من الوجـود لتفنى حسراته وأناته ، وهكذا نجد العقاد يصور خوالجه وفيها من رنات الاحزان مايسترق القلوب ويستجلب المدامع ، ولعل هذا القلق من الحياة هو الذى دفعه الى الحذر منها والى التفكير فى مصير الطارئين عليها ، انهـا ما دامت حياة آلام وأحزان ، فلماذا يعمل من جديد على ايجاد أبناء له فيها ، لهذا آثر حياة الوحدة ، فهو من هذا الجانب شبيه بالمعرى الذى كان يقول :

واذا أردتم بالبنـين كرامـة ... فالحـزم أجمـع تركهم فى الاظهر

وقد كتب العقاد قصيدة رائعة جعلها حوارا بين المعرى وابنه ، الأبن يريد أن يخرج الى الوجود وأن يستمتع بالحياة ، فقد ضاق بالعدم ، وأحب أن يرى مفاتن الطبيعة ، وأن يستلذ بمحاسنها ، انه يتوق الى رؤية الوجوه الحسان ، ويود أن يرى الورود والازهار والفلاة والبحار ، ولكن الاب يشرح لابنه أسباب اعراضه ، فيقول عن الحياة (١) :

---

(٢) عن الديوان الأول ص ٢٧ .
(٦) الجزء الثانى من ديوان العقاد ص ١٩٤ .
(٤) غوة بها النقاد جميعا .
(١) الديوان الثانى صفحة ١٨٤ .

شرها يا بنى شر ثقيــــل خـــيرها يا بنى خـير قليـــــل
أهلهــا يابنى أهــل حقود

قف بباب الحيــاة لا تدخلنها واعتصم يابنى ما اسطعت منها
سوف ألقاك ــ فانتظر ــ بالوصيد

وكان العقاد جعل هاته القصيدة تعبيرا عما يحس به ، لذلك قدمها بتعليق وجيز ، قال فيه عن المعرى أنه رؤوف ، صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ، فيالها من رحمة لايعرفها له أبناؤه ٠

وكان العقاد يقصد من تشاؤمه أن يستغله لاثـارة غريزة الخـير فى الانسان ، فهو اذا صور الرذيلة فانما يريد بذلك أن ينفر الانسان منهـا ، واذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فانما يريد بذلك أن يخفف من سورة الظلم فى النفوس الطاغية عساها أن تشعر بالشر الذى ترتكبه متزق أخلاقها وتعمل للمصلحة الانسانية عامة ، وقد حقق بعض الباحثين أن الادب كلمـــا كان هادفا الى اصلاح المجتمعــــات فهو أدب ملتزم ، وان قدم فى صورة تشاؤمية ٠

وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر ، وثار على الابتذال والعامية والسوقية ، ورأى الشعر فنا يجب أن ترتفع الاذواق الى مسـتواه ، لا أن ينزل هو الى مستوى الناس ، وكتب فى « مجلة الهلال » (١) يقول :

ليس فى وسع « المتحررين » أن يحاربوا الشعر القديم بتحريره كما يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية ، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار فى طبيعة الشعب ، كما نرى من أوزان الازجال والمواويل وتراتيل الفرح والنواح فى كل بيئة من بيئات الحضر والريف ٠٠ وبعض هؤلاء المتحررين يهل أو يتجاهل معنى العروض فيقول : انه يزن الشعر بالتفعلية وهى كلمة لا فرق بينها وبين ألوف الكلمات فى الأوزان العروضية ، اذ ليس فى اللغة كلمة تتجرد من أوزان التفاعيل بين فعل وفاعل وفعولن وفاعلاتن ومستفعلن ومفاعيلن وغيرها وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال ، وانما يأتى الوزن من جمع التفعيلات معا ويختلف بين بحر وبحر باختـلاف التركيب واختلاف حركات الحروف ٠ ومن قال ان التفعيلة هى « تصميم » البيت فهو كمن يقول ان الحجر الواحد هو « تصميم » المنزل أو الحجرة أو النافذة أو الباب ، ولن يقوم بناء فوق وجه الأرض على مثل هذا التصميم ٠

(١) عدد فبراير ١٩٦٢ ٠

وقد عجزت هذه الدعوات ـ قديما وحديثا ـ عن المساس بتراكيب الأغانى الشعبية التى يمكن أن يقال انها تستغنى بأنغام الآلات عن الأوزان العروضية ، وعجزت عن المساس بتراكيب الزجل وهى مقياس للشعر الذى يمكن أن يشيع فى اللغة العامية ، فاذا عجز هذا الشعر المتحرر ـ كما يقولون ـ عن الشيوع فى الكلام الدارج فهو أعجز من الشيوع فى اللغة الفصحى ، وهو على هذا أعجز من أن يتهم بالتأثير فى هبوط الشعر الحديث ٠

ولسنا نبرىء الأسباب الأخرى جميعا ، من هذا التأثير الا لأننا نستبعد أن نجرد الطبيعة الانسانية من حاسة الشعر فى فترة من الزمن ، لأن التجرد من هذه الحاسة هو بعبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة ٠٠ وقد تقوى هذه البواعث أو تضعف ، قد تصح أو تفسد ، قد تحسن أو تقبح ، ولكنها لا تموت كل الموت فى وقت من الأوقات ٠

وقد خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الاسلام وتحليل عبقرياته ، وكتابه « ابن الرومى » مشهور ، ومن أوائل كتبه : مراجعات ومطالعات ، وسواهما ٠

وقد حارب بعض الشباب العقاد فى حياته ، وكتب العقاد يقول (١) : انه يكتب للخاصة ، ولا يسوءه أن يقرأه العامة ، وكان يعجب بتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وصوفى عبد الله وجاذبية صدقى فى القصة ٠٠ وأكد العقاد أن الشعر الحديث كافة ليس شعرا على الاطلاق ، اذ تنقصه الموسيقى والوزن ، والشعر وزن قبل كل شىء ، وقال : ان الأدباء وشبابهم يعيشون فى عصرى أنا ، عصر العقاد ٠

---

(١) عدد المساء الأسبوعى ـ نوفمبر عام ١٩٦٦ ٠

المازنى وحوار المدرسة مع خصومها :

فى المعلمين العليا اتصل المازنى ١٩ أغسطس ١٨٩٠ ــ ١٠ أغسطس ١٩٤٩ بزميله الشاعر « عبد الرحمن شكرى » ووثقت الزمالة الصلة بينهما، واجتمعا ومعهما العقاد على حب الادب الانجليزى ، وقرأوا للشعراء الانجليز وخاصة مجموعة « الكنز الذهبى » التى تم اختيارها وجمعها « بلجريف » أستاذ الشعر بأكسفورد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالاخيلة والمعانى والصور الغربية ، ويكتبون فى وحدة القصيدة ، ويدعون الى الاصالة وصدق الشاعر فى العاطفة والاحساس ، وفى التعبير كذلك ، والى ظهور شخصيته الفنية ، واستلهام الشاعر للطبيعة ، وتناوله لشتى الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد والزيف والافتعال والتكلف وشعر المناسبات الطارئة ٠

وصدر الجزء الاول من ديوان شكرى عام ١٩٠٩ ، والديوان الاول للمازنى عام ١٩١٣ ، والاول للعقاد عام ١٩١٦ ، من حيث ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ ، وديوان انداء الفجر لابى شادى عام ١٩٠٩ ٠

وحدثت بين مدرسة الديوان ومدرسة شوقى وحافظ معارك نقدية ، ظهر فيها عام ١٩١٥ كتاب للمازنى فى نقد شعر حافظ ، عنوانه « شعر حافظ » ، وأعلن شكرى بعد ذلك انفصاله عن زميليه ، وثارت الخصومة بين ثلاثتهم ، وأخذ شكرى يعيب على المازنى انتحاله لبعض الاشعار الانجليزية ، مما دون فى « الكنز الذهبى » مما أحفظ صدر المازنى عليه ٠

وفى عام ١٩٢١ أصدر المازنى والعقاد كتاب « الديوان » فى جزءين ينقدان فيه أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ، ونقد المازنى فيه المنفلوطى ، كما نقد شكرى بعد أن مدحه فى مقدمة كتاب لشعر حافظ » ٠

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية ، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه ، وأساس الحكم بموهبة شاعر عند شعراء مدرسة الديوان هو ظهور شخصية والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية ، وعند مطران النزعة الموضوعيه ــ الشاعر فى شعره وصدقه فى الاحساس والتعبير ٠

وشكرى فى الحقيقة هو الذى الهب احساب المازنى الفنى ودله على مناحى التجديد ٠ ولكن المازنى هو بطل الحوار والمعارك الأدبية والنقدية مع خصوم مدرسة شعراء الديوان ٠

وقد بدأ المازنى حياته الادبية شاعرا يتأثر بالشعراء الانجليز وبالشعراء العرب وبخاصة ابن الرومى والمتنبى والشريف ومهيار ٠

ويأخذ المازنى على شعراء المدرسة المحافظة تفكك الوحدة الموضـوعية والعضوية فى قصائدهم ، واسرافهم فى شعر المناسبات وتقليدهم للقدماء ، ويصور ذلك فى مقدمة كتابه « شعر حافظ » الصـادر عام ١٩١٥ ، ونقـد فيه حافظا ٠ ويدعو الى رومانسية الموضوع ورمزية التعبير الشعرى ، والى الصدق فى الاحساس والاداء فى كتابه « الشعر غاياته ووسائطه » الصادر عام ١٩١٥ أيضـا ٠

وللمازنى من القصص الكثير ، وله فى فـن المقالة الكثير أيضا ، وهـو من طليعة الكتاب المحدثين ، وأجاد المازنى فى أدب الترجمة اجادة كبيرة ٠

بين شكرى والمازنى والعقاد :

- ١ -

جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة « المعلمين العليا » فى القاهرة فى أوائل القرن العشرين بين ابراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى وكانا طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة ، وربطت بينها هذه الزمالة بصلات وثيقة ، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد، وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا اليه ، وكتبوا حوله ، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله ٠

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين ، وهم يقرأون للشعراء الرومانسيين الانجليز من أمثال : ورد زورث ، وبيرون ، وكيتس وغيرهم ، ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى ٠ وكانت بأيدى الشباب فى مصر آنذاك وفى عهد سطوة الاحتلال الانجليزى وتشديده قبضته على التعليم فى ذلك العهد مجموعة شعرية مشهورة ، اسمها مجموعة « الكنز الذهبى » اختارها وجمعها مشرف انجليزى فى وزارة المعارف المصرية حينئذ اسمه « فرانسيس بالجريف » وكان أستاذ الشعر فى جامعة أكسفورد ، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع ، وقرأها شكرى والمازنى وتأثرا بطابعها ، وكان العقاد آنذاك صحافيا صغيرا يكتب مقالاته وقصائده فى جريدة الدستور التى كان يصدرها الكاتب المعروف محمد فريد وجدى ، وفى غيرها من الصحف ، وجمعت النزعة الأدبية بين العقاد وشكرى والمازنى أحبابا وأصدقاء ودعاة الى الجديد ٠

وفى عام ١٩١٣ أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه ، وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات ، وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء (الثانى) وأثنى على شاعرية صديقة شكرى وعلى موهبته ، وكتب المازنى فى العام نفسه عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية المصرية وازن فيها بين حافظ وشكرى ، وفضل صديقه شكرى على حافظ ، ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى ، وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية ٠

وفى العام نفسه أصدر المازنى الجزء الاول من ديوانه ، فكتب العقاد مقدمته ، يرحب فيه بالديوان ورفع من شأن المازنى الشاعر واتجاهه الرومانسى الغالب على شعره ٠

وكان الاتجاه الرومانسى ذائعا فى الأدب المصرى آنذاك بتأثير المنفلوطى وكتاباته وبتأثير ذيوع أدب لامرتين وهو جو وغيرهم من الشعراء الغربيين فى محيط الأدباء المصريين آنذاك ، وبتأثير مطران وكتاباته كذلك ·

ـ ٢ ـ

وأكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة الى مذهبهم الجديد فى الشعر والنقد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالاخيلة والمعانى والصور الغربية ، ويكتبون فى وحدة القصيدة ، ويدعون الى الأصالة وصدق الشاعر فى العاطفة والاحساس والتعبير ، وظهور شخصيته الفنية واستلهام الشاعر للطبيعة ، وتناوله لشتى الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد وشعر المناسبات الطارئة ·

ومن حيث كان مطران ينادى بالشعر الموضوعى ، والجانب الوجدانى فى الوصف ، كان العقاد وزميلاه يدعون الى الجانب الذاتى أو الغنائى منـه ، وخرجوا بنظرية جديدة أسموها « شعر الوجدان » واتخذ شكرى شعارا له على الجزء الأول من ديوانه ، الذى سماه « ضوء الفجر » هذا البيت مـن شعره ·

ألا يا طــــائر الفــردو   س ان الشــــعر وجــدان

ومن نظرية الشعر الوجدانى عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة الى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته ، وأن يبعـد عن المناسبات ، وان يغلب عليه طابع الألم والأنين وحب الطبيعة وتصويرها ، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة ، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة ، وأدخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الى شعر الفكرة ، وأخـذ المازنى على شعر شوقى ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية فى قصـائدهم واغراقهم فى شعر المناسبات ، وفى التلقليد للقدماء ، وصور ذلك فى مقـدمة كتابه « شعر حافظ » الذى صدر عام ١٩١٥ ونقد فيه حافظا نقدا لاذعا ، ودعا المازنى لذلك الى الرومانسية فى كتابه « الشعر : غايته ووسائطه » الذى صدر عام (١٩١٥) كذلك ·

ويقول المازنى : كان شكرى أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على المحجة الواضحة ، وكان الجزء الأول من ديوان شكرى ، ويوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقى وحافظ واضرابهما كما يقول المازنى ·· وعندما يقول وردزورث ان الشعر انفعال يسترجعه الشاعر فى هدوء ، كان المازنى يعود

به الى منبعة الأول وهو العاطفة والوجدان • وكان شكرى كما يقــول العقاد من أوائل من دعــا الى وحدة القصيدة ، وجــدد فى موسيقى الشعر ، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية ، بل كان شكرى من أوائل من مهدوا للمذاهب النقدية الحديثة فى الادب المصرى الحديث •• ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل فى كتابه « رواد الشعر الحديث فى مصر » ــ ص ٤٦ » : « ان شاعريته تحتضن الحياة جميعها وتصور الوجود بأسره » •• وفى عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الأول من ديوانه ، وسماه فى الطبعات التالية « يقظة الصباح » وقصائده فيه تحتفى بالوحدة العضوية للقصيدة احتفاء ظاهرا « والعقاد حريص كل الحرص فى شعره على نظرية « الوجدان الشعرى » فها هو ذا يقول فى الجزء الثانى من ديوانه ص ١٩٤ :

ظمآن ظمآن ، لاصــوب الغمام ولا

عــذب المــدام ، ولا الانــداء ترويني

وهكذا صار المضمون الشعرى عند هؤلاء الثلاثة لابد وان يتخذ فى الشعر الغنائى الطابع الوجدانى سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية •

ويرجع هؤلاء الثلاثة فى النقد الى هازليت وماكولى وأرنولد وشاسترى وأغلب آراء العقاد فى النقد تعود الى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الانجليز « ويشبهه العقاد كثيرا فى عنفه النقدى ، مع ايثار للمذهب النفسى فى النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك •

ـ ٣ ـ

وخاض الثلاثة معركة الجدد مع شوقى وحافظ والمنفلوطى ، ولكن الأيام عادت ففرقت بينهم ، ففى عام ١٩١٦ انفصل شكرى عن زميليه بعــد أن استفحلت الوشايات بينهم ، وثارت اثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم ، فأخذ شكرى يعيب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الانجليزية بعامة « وممادون فى « الكنز الذهبى » بخاصة « وكتب فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية ، وتبادلا النقد على صفحات جريدة « النظام » وكتب شكرى يهاجم المازنى والعقاد ــ الذى انتصر لصديقه المازنى ــ معــا على صفحات « عكاظ » فى مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و ١٩٢٠ •

وفى عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزئين من كتاب جديد سمياه « الديوان » نقدا فيه العقاد شوقيا والمنفلوطى ، ونقد المازنى فيه حافظا

وعبد الرحمن شكرى ، الذى سماه « صـنم الألاعيب » ورماه بالشـعوذة والجنون ٠٠

واطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم من أن الكتاب هو للعقاد والمازنى فقط ، وعلى الرغم من أنه يحمل هجوما على زميليهما شكرى ٠

وقد أحدث كتاب « الديوان » ضجة كبيرة فى العالم العربى ، وكان حافزا لظهور كتاب الغربال للشاعر المهجرى نعيمة ، الذى كتب العقاد مقدمته ٠

وبوازع من خصوم العقـاد كتب رمزى مفتاح كتابه « رسائل النقـد يهاجم فيه العقاد ويتهمه بالسرقة من شكرى ٠

ويذكر العقاد فى كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » — الذى كان ينشر ، مقالات فى صحيفة « الجهاد » القديمة التى كان يصدرها الصحفى المصرى محمد توفيق ديـاب ، وكان العقاد يتولى تحـرير الجانب الأدبى فيها : ان ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية ، عن طريق الأدب الانجليزى ، وانها استفادت من النقد الانجليزى ، واتخذت مازلت رائدا لها فى النقد ، وكان مرجعها الأول كتاب « الكنز الذهبى » الذى كان يحتوى على مختارات من الشعر الانجليزى من شكسبير الى نهاية القرن العشرين ٠

ويقول العقاد : ان مدرسة الديوان هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث ، متجاهلا مطران ودعوته التجديدية قبل مدرسة الديوان ، وان كان صوت مطران فى الدعوة الى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهورى ٠

وفى راى هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان ، أن شخصية الشاعر هى كل شىء فى الشعر ، وأن الشعر اذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب أن نتقى به ، وكان وردزورث الشاعر الانجليزى يقول ، وقد سئل عن شعر شاعر : « انه ليس من الحتم فى شىء إ ، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره ، فاذا أصبح شعره على لسان الناس ، ولا غنى لهم عنه ، ويتمثلون به فى مختلف جوانب حياتهم العامة ، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس ٠

ولا ريب أن هؤلاء الشعراء الثلاثة ، على اختلافنا معهم فى كثير من آرائهم فى النقد ، وأحكامهم على الشعر الشعراء ، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم ، وفرضوا وشخصيتهم على الأدب الحديث والشعر المعاصر فرضــا .

ويشاء الله أن يعود الصفاء بينهم فيحل حل العداء والجفاء ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ ، فيتصافون ويمد بعضهم يديه الى البعض الآخر .

ويكتب العقاد والمازنى الفصول الطويلة عن شكرى ، اعترافا بفضله . وأقر المازنى بأستاذية شكرى له ، ونظم شكرى قصيدته الطويلة « بعد الاخاء والعداء » ، ونشرها فى مجلة الرسالة وقال فيها :

حنوت على الــود الذى كان بيننــا
وان صد عنــه ماجنينــا على الود

وفى العاشر من أغسطس ١٩٤٩ توفى المازنى .

وفى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفى شكرى .

وفى التاسع من مارس ١٩٦٤ توفى العقاد .

- ٤ -

ويقول شكرى :

لئن خاننى الذكــر الجليــل وملنى
مسامع قومى أو غلبت على أمــرى
ســيروى عظــامى شــاعر بدموعــه
وينـــثر أزهـــار الربيـــع عــلى قبــرى
اذا جننى لاليــل البهيم أطــاف بى
خيــالا له يزرى على صفحة البــدر
يجئ مجئ النوم من حيث لا أرى
ويسمعنى ما قد قرضت له شــعرى
فياساكنا فى الغيب هــذى نبــوءتى
فذكر بها القــوم الألى جهلوا قدرى

اتيح لهم صـــاد الى النهـلة التى
شربت بهـا ريا يبـل جوى صدرى

فساموه أن يسـعى على منهج عفا
قديمـا كما يسعى المقيـد فى الأسر

وبهذه الأبيـات القليلة عـدا ، الكبيرة مغزى وموضوعا تحدث الشاعر عبد الرحمن شكرى فى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٣ فى قصيدة نبوة شاعر » ، متنبئا ثائرا ، ناقدا لمذاهب التقليديين فى شعرهم ، ولعله كان يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من أمثال شوقى وحافظ وأضرابهم . ويوضح شكرى مذهبه فى الشعر فى قصيدته « شكوى شاعر » التى نشرها فى الجزء الثانى من ديوانه أيضا حيث يقول :

قـد طـال نظمى للأشـعار مقتـدرا
والقـوم فى غفلة عنى وعـن شـانى

قد أولعوا بكبير السـن أو رجـــل
يبنى له الجـاه ما يغلو به البانى

ولو سفلت الى حيث القريض لقـــا
بين الاثاق وربـع المنزل الفـــانى

ولو سفلت فقلت الشـــعر فى خـبر
مـن السياســـة فى زور وبهتـــان

ولو سفلت فقلت الشـــــعر مبتذلا
فى وصــــف مخترع أو ذم أزمـان

لقيـل نعم لعمـرى أنت مـن رجل
جم المحاسـن مـن صـدق وتبيان

وانمـا الشـعر تصـــوير وتذكـرة
ومتعـة وخيـــال غـــير خـــوان

وانمـــا الشـــعر مـرآة لغـــانية
هى الحيـاة فمـن سـوء واحسـان

وانما الشـــعر احساس بما خفقت
له القـــلوب كاقـدار وحـــدثان

قالوا أتيت بشعر كله بدع
فقلت نعم لعمرى قولة الشانى

من كل معنى يروع الفهم طائله
معنى من الجان فى لفظ من الجان

ويشرح شكرى مذهبه فى الشعر فى مقدمته الطويلة التى كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه بعنوان « فى الشعر ومذاهبه » ، التى نادى فيها بوحدة القصيدة ، ودعا الى حرية التعبير ، وطلاقة الاسلوب ، وتصوير الشعر لنفس الشاعر ، وتعبيره عن وجدنه تعبيرا صادقا مباشرا . وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم ·· وبهذا بدأ شكرى دعوته الى التجديد فى الشعر المصرى الحديث الذى كان مطران ينادى به ، ويدعو اليه ·· وبدأ شكرى بعد ذلك كفاح مدرسة شعراء الديوان فى سبيل التحرر الفنى للقصيدة ، وحرية الشاعر فى تعبيره ، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر وأفكاره وموضوعاته » وقد اتسم شكرى فى شعره بنزعة انسانية عميقة تتجلى فى مثل قصائده : اليتيم ، وغلام مريض ، ورثاء عصفور ، وليتنى كنت الها » ينادى فيها بانسانية الحياة والتفكير والعمل · ويسود شعر شكرى النزعة التصويرية العميقة ، التى تتجلى فى عمق حبه للطبيعة وروعة تصويره لها ، ولنقرأ قصيدة شكرى القصيرة « سحر الطبيعة » التى يقول فيها الشاعر :

كؤوس من النور هذى الزهو ... ر أم هى أخيلة الشاعر
وليست بحلم ولكنها ... أجل من الحلم الباهر
وما خلقت لفنون الخيا ... ل فتنة حسن لدى الخابر
وماء الحياة ونبع الخلو ... د فى مائها السلسل المائر
وعشب قشيب وظل ظليل ... أدنيا أرى أم منى الساحر ؟
ومما يزيد رواء الزهور ... اذى العيش والقدر الجائر
لقد خفت أن تنطوى مثلما ... يزول الخيال عن الناظر
فأسلمت نفسى لسحر الخيال ... لأخلد فى حسنها الزاهر
وغبت عن الحس حس الوجود ... كأنى روح لدى العابر
كأنى نقلت الى جنة ... نأت عن سطا القدر الدائر

وايمان شكرى بالطبيعة وحبه لها جزء أصيل من كيانه ، فقد ولد ونشأ على شاطئ البحر الأبيض المتوسط فى بور سعيد فى الثانى عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وعاش فيها أيام عزلته سبعة عشر عام من سنة ١٩٣٨ حتى

عام ١٩٥٥ ، وأصيب فيها بالشلل النصفى فى أواخر عام ١٩٥٢ ، ثم ودعها فى أكتوبر عام ١٩٥٥ ليعيش مع أسرته فى الاسكندرية حيث الشاطىء والبحر والجو الجميل الى أن قضى حياته ، ولفظ أنفاسه الأخيرة فى منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨ ٠

ويؤمن شكرى بالنزعات الانسانية النبيلة ، وبعد من بين شعراء الديوان شاعر الحب والخير والجمال ، الحب الذى يقول فيه شكرى من قصيدته « ليتنى كنت الها » ٠

أنا بالخير قائم وأخى	ابليس بالشر قائم والوعيد
كم سخرنا من خائف غير ندب	انما الجبن آفة الرعديد
أنا والحب خالدان كلانا	ذو خيال ونشوة وجنود

ومن اجل رسالة الانسانية والحب التى آمن بها شكرى ، ترك شكرى زميليه فى مدرسة الديوان ، ثم أعتزل الحياة ٠٠ وبين الحين والحين كان يرسل نفثات يراعه الى مجلتى الرسالة والمقتطف ، وكنا منذ قامت رابطة الأدب الحديث نريد أن نزور شكرى فى عزلته ، لنعرب له عن أعجاب الجيل المعاصر به وبشعره ، ولنكبر جهاده فى سبيل أمته وشعبه ، وفى سبيل الأدب الذى أعزه ، والشعر الذى آمن به ٠٠ ولكننا كنا كمن يبحث عن السراب ، لم نعرف عنوان شكرى لنذهب اليه ، ثم ودع الحياة الوداع الأخير قبل أن نزوره ٠

وكتب نقولا يوسف فى جريدة المساء عن شكرى (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٥٨) يقول :

كانت وصيته الأخيرة ٠٠ المكتوبة بيده اليسرى غير المشلولة : « لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن ، ولكن فى قبر يهال عليه التراب ! » ٠٠

والحق أنه لم يحب القيود ٠٠ فكان متحرر النفس من الرذائل ٠٠ متحرر العقل من الخرافات ٠٠ متحرر الشعر من أغلال الشكل والموضوع ٠٠ منطلق الخيال فى رحب الفضاء ٠٠ معتزلا قيود الوظائف ٠٠ مطالبا فى عهود الاحتلال والاقطاع بتحرير بلاده من ربقة الاستعمار والاستغلال ٠

أما السجن المادى فقد جنى على أبيه وعلى أسرته من قبل ، يوم اعتقل أعوان الخديو ، والده ـ محمد شكرى عياد ـ لمناصرته الثورة العرابية

وصداقته لعبد الله النديم .. فنجم عن هذا السجن وهذا التعطل . وعما كابده من الضيق والارهاق ، أن خرج أبناؤه غير أشداء العود .. كما جنى أعوان المحتلين على الشاعر فى حركة مصطفى كامل عام ١٩٠٦ لما وقف زميل الشاعر عبد الحميد بدوى « القاضى بمحكمة العدل الدولية » والقى على الجماهير قصيدة عبد الرحمن شكرى الوطنية :

ثباتا فان العـار أصعب محملا   من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة وفصلوه من مدرسة الحقوق بعد ان قضى بها عامين . ويلتحق الشاعر بمدرسة المعلمين بالقاهرة .. ويتخرج منها عام ١٩٠٩ ليرسل فى بعثة الى جامعة شيفيلد ، ويعود فى خريف ١٩١٢ ليشتغل بالتعليم مدرسا فناظر فمفتشا بالتعليم الثانوى .. ولكنه يظل ينظم الشعر وينشر الأبحاث الأدبية والنقدية فى الصحف والمجلات .

وكان ديوانه الأول : « ضوء الفجر » قد ظهر عام ١٩٠٩ ــ والشاعر فى الثالثة والعشرين .. يقف على عتبة الحياة « ولم يقتحم بعد ســاحات مشاكلها وتجاريبها . ومع ذلك فان الروح الثائر المجرد الذى سطع فى تلك الباكورة كان باهرا . فانبرى صديقه المازنى يقرظه فى الصحف .

وفى ١٩١٥ يظهر الجزء الثالث « أناشيد الصبا » ويتلوه كل من الرابع والخامس عام ١٩١٦ فالسادس عام ١٩١٨ ، فالسابع : « أزهار الخريف » عام ١٩١٩ ثم تشغله عموم المهنة التعليمية والتنقل فى البلاد عن جميع أشعاره فى دواوين أخرى بعد هذا التاريخ ، فيكتفى بنشر شعره وابحاثه فى عديد الصحف والمجلات مرددا :

ألقى بشــعرى فى حلق الزمان ولا
أبيت منـــه على هـــم وبلبال !

وقد أمكن جمع مانشر من الشعر بعد عام ١٩١٩ فى الجزء الثامن .

وأماكتبه النثرية التى تضم فصوله وأبحاثه فى الأدب والنقد والدراسات النفسية والفلسفية « فقد طبع منها فى حياته خمسة كتب وهى : « الثمرات » و لا حديث ابليس « و « الاعترافات » وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦ .. ثم « الصحائف » ــ ١٩١٨ وقصة « الحلاق المجنون » ــ ١٩١٩ (بتوقيع ع.ش) ولم يطبع منها بعد خمسة أخرى كان قد نشر فصولها فيما بين ١٩١٩ و ١٩٥٢ فى مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال وغيرها .. وهى :

كتابه « نظرات فى النفس والحياة » وقد نشره مسلسلا بمجله المقتطف فيما بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ ٠ و « الشعر العباسى » و « دراسـات نفسـية » و « بين القديم والجديد » و « أبحاث ودراسات شتى » ٠ ولم يضع الشاعر أسماء لهذه الكتب الاربعه الاخيرة التى تفرقت فصولها فى عدد من الصحف الصحف والمجلات ٠٠ وهكذا لم ينقطع الشاعر عن نظم الشعر وكتابه الابحاث حتى عام ١٩٥٢ يوم ارغمه الشلل الذى أفلج نصفه الاين ولازمه الى نهايه حياته على الكف عن الانتاج الادبى وان كان لم ينقطع عن كتابه الرسائل الخاصه بيده اليسرى الى أهله وأصدقائه وتلاميذ حتى نهايه حياته ٠ وماكاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعليم عام ١٩٣٨ بعد ان مارس التعليم نحو ربع قرن حتى رغب فى شبابه أن يوفر على النقاد بعض الجهد ، فأخذ ينشر فصول كتابه « الاعترافات » فى الصحف ثم طبعها عام ١٩١٦ فى كتاب ٠ كما نشر بعض الذكريات عن نشأته وعن التعليم ٠٠ وراح يصحح بعض الأخطاء التى وقع فيها ناقدره فى مقدمات دواوينه وفى مقالاته التى لم تجمع أو رسائله التى لم تنشر ٠٠ ويشرح رايه فى الشعر ومذاهبه ، والشعراء وحقيقتهم » كما عرف لهم الشعر واشاعر نظما ، وتوالت الأنباء عن سوء صحة الشاعر ، وحين جدت الدولة فى تكريمه مات الشاعر العظيم ، وكأنما كان يتمثل ما قاله فى صدر شبابه وهو فى الغربة :

كنت مثل الغريد جىء به مـن   روضـــه والزمان غـير ذميم
حيث وجه النهار جذلان بسـا   م ووجـه الظـلام غير بهيم
ودواع الى الغنـــاء كثـــار   مـن حبيب وموطـن وحميم
أنزلوه فى منزل مثل بطن الأ   رض جهم السماء جهم الاديـم
فقضى عيشه غريبيا عن الأهـل   قليـل العـزاء جـم الهمـوم
الهوى والحياة واليأس والحزن   وريب مـن الحيـــاة خصومى

الفصــل الرابــع

بنـــاء القصــيدة عند العقــاد

- ١ -

يرتكز الأساس الفلسفي لبناء القصيدة عند القدماء على « عمود الشعر »، وقد أقام القدماء نظرية كاملة لهذا العمود الشعرى ..

وجاء العقاد فأقام أساسا فلسفيا جديدا لبناء القصــيدة يرتكز على عمود جديد للشعر .. وذلك ما نحاول شرحه فى هذه الدراسة الموجزة .. متوخين الجانب النقدى وحده فى هذا البحث ، تاركين الجانب التطبيقى على شعر العقاد لغيرنا من الدارسين .

ولقــد كان العقــــاد رحمـــه الله (١٨٨٩ (١) ـ ١٢ مارس ١٩٦٤) رائدا من رواد الأدب والنقد والشعر، وكان كذلك أكبر شعراء مدرسة الديوان أثرا وتأثيرا فى أجيال متعاقبة من أدباء النهضة ، وكان موهبة نادرة وعبقرية قلما تتكرر فى أزمنة متلاحقة ، وكان العقاد عصاميا فى كل شىء حتى فى الثقافة والأدب ، عاش عصره كاملا وكان يقول : « لنا على السـابقين مزية ندين بها للعصر، ولا نلوم السـابقين على خـلو عصرهم منهـا ، وننقص موازينهم من جراء فقدها » (٢) .

وفى العقاد حدس الشاعر ، ورهافة حسه ، ودقة ملاحظة الناقد ، وقدرته على التحليل والتعليل، وعمق الفكر ونفاذ نظرته ، وسعة احاطته ، وكان واسع الأفق ، انسانى النظرة ، للبطولة عنده تقديرها ووزنها .

والعقاد الأديب تسنده أصالة قوية ، وثقافة واسـعة، وخبرة بالحياة

---

(١) من ذكرياتى فى صحبة العقاد لطاهر الجبلاوى ـ ص ١٥ .

(٢) ص ١٤١ شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى العقاد .

وطول تمرس بها • ويعد أكبر كاتب عربى معاصر (١) ، ويتحدث الكاتبون عن عبقرياته طويلا (٢) ، وقد شغل النقاد والدارسين (٣) • وأدبه يتميز بالأصالة وصدق التجربة ، وطول المعاناة ، وبالتعبير الجميل عن الشعور الصادق •

وقد آمن بالأدب ، ورسالة الأدب ، ونذر نفسه لابلاغ هذه الرسالة طول حياته ، وآمن بالحرية كعقيدة تبشر بها رسالة الأديب (٤) •

ويقول عنه محمود تيمور : انه خير من ينطبق عليه ذلك الوصف الدقيق الذى أوجزه ابن العميد فى قوله عن الجاحظ : « كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا » (٥) •

وعاش العقاد معتزا بلغته وعروبته ودينه أيما اعتزاز ، والدين عنده ليس عن وراثة فحسب ، بل عن شعور وتأمل وتفكير طويل (٦) • وكان كل شىء يهون عنده اذا رضى عقله الكبير ، وارتاح ضميره الحى ، واطمأن شعوره المرهف (٧) •

ولقد قامت مدرسة الديوان فى الربع الأول من القرن العشرين ، وتزعمت حركة التجديد فى الشعر ، وروادها هم : عباس محمود العقاد ، وعبد الرحمن شكرى ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، وكانت ثقافة هؤلاء الرواد الانجليزية ووجهتهم هو الأدب الانجليزى •

وتسمى المدرسة بهذا الاسم نسبة الى كتاب الديوان النقدى المشهور ، الذى ألفه اثنان من هذه المدرسة ، هما : العقاد ، والمازنى ، وأصدراه عام ١٩٢١ فى جزءين ، وبسطا فيه دعوتهما الجديدة ، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطى ، كما نقدا فيه زميلهما الثالث عبد الرحمن شكرى ، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير فى حجمه الكبير فى روحه ضجة أدبية كبرى ، وجدد فى نظرية فى نظرية عمود الشعر القديمة •

---

(١) ٥٧ مع العقاد للدكتور شوقى ضيف ـ سلسلة اقرأ العدد ٢٥٩ •
(٢) نعمات فؤاد فى مجلة الأزهر عام ١٣٨٦ هـ من مقال لها عن العبقريات •
(٣) ١٣ نظرات فى فكر العقاد للدكتور عثمان آمين ، والعقاد ناقدا للدكتور عبد الحى دياب
(٤) ١٦ فصول من النقد عند العقاد ـ لمحمد خليفة التونسى ـ نشر مكتبة الخانكى •
(٥) ٣٣ ـ ٣٧ من مقال لمحمود تيمور نشر فى الهلال عدد ابريل ١٩٦٧ •
(٦) مقدمة كتاب (أنا) للعقاد ـ بقلم طاهر الطناحى •
(٧) البلاغ عدد ١٩٣٧/٩/٤ من مقال لابراهيم عبد القادر المازنى •

ويكرر العقاد فى كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث ، وينكر أن يكون مطـران هـو أول الدعاة الى المذهب الجديد • ويعـد ظهـور هذه المدرسـة ـ فى رأيى ـ بدايـة حقيقيـة للأدب المعاصر •

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة الى الشـعر الموضوعى فى أدبنـا الحديث ،، كانت مدرسة شعراء الديوان تدعو الى الجانب الذاتى أو الغنائى منه ، فشعرها هو شعر الوجدان الذى يعبر عن شخصية الشاعر وذاته أبلغ تعبير ، واتخذ شكرى شعارا له هذا البيت م نشعره :

ألا يا طـــائر الفــــــردو   س أن الشـــعر وجـــــدان

وأدخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الى شعر الفكرة ،، ودافع عنه فى ديوانه « بعد الأعاصير » الصادر عام ١٩٥٠ •

ولقد حمل هؤلاء الثـلاثة لواء الثورة على الشـعر والأدب الكلاسـيكى وأعلامهما فى مصر ،، وكتبوا أمتع الفصول النقدية التى حفظها تاريخنا الأدبى وثائق ذات قيمة كبيرة فى تاريخنا الشعرى المعاصر •

ولقد ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ ، والجزء الأول من ديـوان شكرى عام ١٩٠٩ ،، وديوان أنداء الفجر للدكتور أحمد زكى أبو شادى فى العـام نفسه • كما ظهر الديوان الأول للمازنى (١٩ أغسطس ١٨٩٠ ـ ١٠ من أغسطس ١٩٤٩) عام ١٩١٣ ، وفى العام نفسه صدر الجزء الثانى من ديوان عبد الرحمن شكرى ، وفى عام ١٩١٦ ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد ، وكل هذه الدواوين تمثل جوانب المذهب الجديد فى الشعر •

وقد أقبـل العقاد وزميـلاه على الأدب الانجليزى ،، وقرأوا للشـعراء الانجليز ، وبخاصة شعراء « مجموعة الكنز الذهبى » التى اختارها وجمعها فرانسيس بالجريف أستاذ الشعر باكسفورد وكان يعمل موجهـا ومفتشـا للتعليم فى وزارة المعارف المصرية ، وبدأ الثلاثة يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعانى والصـور الغربية ، ويكتبون فى وحـدة القصـيدة ،، ويدعـون الى الذاتية والاصالة وظهور شخصية الشاعر ، واستلهام الطبيعة ،، ويتناولون شتى الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد والتكلف والافتعال وشعر المناسبات الطارئة ، وبهذا بدأ المسار الجديد لعمود الشعر كما دعا اليه العقاد ومدرسته التى تعد أساسا للرومانسية فى شعرنا الحديث • ويقول المازنى : « كان ديوان شكرى كما كانت يوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد

فى الأدب للميدان ،، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما (١) ٠

ويقر المازنى بأن شكرى هو الذى هداه الى الطريق السوى فى الشعر ، ولولاه لاتجه بشعره الاتجاه القديم (٢) ٠

وقد كتب العقاد مقدمة الجزء الثانى من ديوان شكرى ، وبسط فيها أصول المذهب الجديد الذى يدعون اليه ٠ وكتب المازنى فى العام نفسه عدة مقالات فى جريدة « عكاظ » الأسبوعية وازن فيها بين حافظ وشكرى ، وفضل صديقه شكرى على حافظ ٠ ونشر المازنى عام ١٩١٥ كتابا فى نقد حافظ عنوانه « شعر حافظ » ، وشرح شكرى مذهبه فى الشعر فى مقدمته التى كتبها للجزء الخامس من ديوانه بعنوان « فى الشعر ومذاهبه » ٠

ولقد كان العقاد أكثر الثلاثة دعوة الى هذا المذهب ، الذى خط طريق الرومانسية فى شعرنا الحديث ، ونفذ العقاد عن طريقه الى تحويل مسار عمود الشعر العربى ، والى صورة شعرية عربية جديدة (٣) ٠ ولقد خص شوقى بحملة نقدية شديدة فى كتاب الديوان ،، وأكد فساد المنهج الشعر الكلاسيكى الذى يرتكز على عمود الشعر القديم دون تجديد ٠

واذا كان شكرى قد اعتزل المدرسة بعد نقد المازنى له ، وكف المازنى كذلك عن متابعة نشاطه فيها بعد « الديوان » ، فان العقاد هو الذى حمل الراية الى النهاية ، وكان « ثباته فى الميدان وهو يؤدى رسالة مدرسة الديوان هو الذى جعله صاحب رسالة فى الأدب والحياة » (٤) ٠

ويعتبر شكرى فى رأى البعض هو رأس هذه المدرسة الجديدة فى الشعر الحديث (٥) ، ومنهم أبو شادى ومندور والسحرتى ،، وفى رأى الآخرين أن العقاد هو رائد العقاد هو رائد هذه المدرسة (٦) ٠

---

(١) من مقال للمازنى نشر فى أخبار اليوم عدد ١٩٤٧/١٠/٢٥ ٠

(٢) ٢٤٤/١ فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى ـ وذلك عن مقال نشر فى عدد ٥ أبريل من جريدة السياسة بعنوان « التجديد فى الادب » ـ راجع ص ١٠ جـ ٢ من كتاب الأدب العربى الحديث ومدارسه لكاتب هذا البحث ٠

(٣) ٥ و ٦ مع العقاد للدكتور شوقى ضيف ٠

(٤) البلاغ عدد ١٩٣٧/٩/٤ من مقال للمازنى ٠

(٥) راجع ٢١٧ الأدب العربى الحديث ومدارسه (الطبعة الأولى) ، ٢٣٥/١ دراسات أدبية لعمر الدسوقى ٠

(٦) راجع : محمد خليفة التونسى فى « فصول من النقد عند العقاد » ، العوضى الوكيل فى كتابه « العقاد والتجديد فى الشعر » ص ٢٩ و ٣٠ ، وعبد الحى دياب فى كتابه « العقاد ناقدا » ص ١٣٥ ، وسواهم ٠

ويقول المازنى فى مقال له : غير زمن كان شكرى فيه محور النزاع بين القديم والجديد ، وذلك أنه كان فى طليعة المجددين ، اذا هو لم يكن الطليعة ، والسابق الى هذا الفضل ٠ ومن اللؤم الذى اتجافى بنفسى عنه أن انكر أنه أول من أخذ بيدى ، وسد خطاى » ودلنى على المحجة الواضحة (١) ٠

وفى مقدمة العقاد للجزء الأول من ديوان المازنى يحمل العقاد على الشعراء الذين يهيمون بالمعارضة والتقليـد للقـدماء ٠

وفى مقدمته التى كتبها للجزء الثانى من ديوان شكرى يقول : « ان الشعر حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم ، من كل ماله ظاهر فى متناول الحواس والعقول » وهو ترجمان النفس ، والناقل الأمين عن لسانها ٠

ومن نظرية الشعر الوجدانى عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة الى أن يكون الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر وشخصيته ، وأن يبعد عن المناسبات ، وأن يغلب عليه طابع الألم والغـربة والأنين والحنين وحب الطبيعـة والهيـام بالريف والقرية ، وأن تسود القصيدة وحدة عضوية كاملة » وتعبر عن تجربة شعرية عميقة ، ومرجـع الثـلاثة فى آرائهم النقـدية الى هازليت وماكولى وشاسترى وأرنولد ٠

وفى رأى هؤلاء الرواد أن شخصية الشاعر هى كل شئ فى الشعر ، وأن الشعر اذا أشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب أن تحتفى به ٠

ومن كل هذه الآراء بدأ اتجاه هؤلاء الرواد وفى مقدمتهم العقاد الى تغيير صورة عمود الشعر القديمة ٠

- ٢ -

ونسترسل الى عمود القصيدة أو الى عمود الشعر فى رأى قدماء النقاد ، فنقول :

عمود الشعر اصطلاح جديد ظهر فى العصر العباسى وتردد منذ القرن الثالث الهجرى ، وفى القرن الرابع ذاع وتداولته الألسنة ٠

وكان الآمدى (٣٧١ هـ) صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » مـن اشهر النقاد الذين احتفلوا فى النقد بالعمود الشعرى ، ورجعوا اليه وحكموه فى مشكلات النقد وقضايا الشعر ٠ يقول الآمدى فى « الموازنة » : سئل البحترى

(١) جريدة السياسة عدد ١٩٣٠/٤/٥ من مقال بعنوان « التجديد فى الأدب »

عن نفسه وعن أبى تمام ، فقال : كان أغوص على المعانى منى · وأنا أقوم بعمود الشعر (١) ·

والعمود الشعرى فى أبسط صوره : كل التقاليد الفنية الموروثة التى التزمها القدماء فى شعرهم ، فى الأفكار والمعانى والموسيقى الشعرية والالفاظ والأساليب والصور والأغراض · فهذه التقاليد هى عمود الشعر الذى حتم الكثير من النقاد التزامه والسير على منواله ، وسموا ما جاء على نمطه من قصائد الشعر قصائد عمودية ·

وقد حرص النقاد على الاحتكام الى عمود الشعر ، وعلى التزامه ·

ويقول المرزوقى : (ـ ٤٢١ هـ) فى مقدمة شرحه على « حماسة أبى تمام »: كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة فى الوصف ، والمقاربة فى التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها ، على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاركة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية ، فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر (٢) ·

وتعد قصـيدة المعلقات أروع صورة للقصـيدة العمودية ·· وفى العصر العباسى حاول بعض الشعراء كمسلم وأبى تمام وسواهم الخروج على العمود الشعرى قليلا ما ، فاكثروا من البديع ، وطلبوا الصنعة ، وبالغوا فى المعانى ، وأفرطوا فى الاستعارات والمجازات وأغرقوا فى المبالغة ، وأبعدوا فى التشبيه ، وتعقبهم النقاد ، وقامت المعارك حول تجديدهم وخروجهم على عمود الشعر ·

واذا كان هذا هو رأى القدماء فى عمود القصيدة ، فان المحدثين والمعاصرين خرجوا بالقصيدة الى أبواب واسعة من التجديد ، وأمعنوا فى تغيير شكلها ومضمونها امعانا شديدا ، وطلبوا باسم الحرية الفنية والتجديد والعصرية ما يعد خارجا على كل تقليد والتزام ، وعلى كل موروثات القصيدة العربية ، واختل عمود الشعر وميزاته فى أيديهم ، وأصبح الفن عندهم بعيدا عن ماضيه، وعن كل القيم الفنية التى حرص الكلاسيكيون والمحافظون عليها ·

وتجىء مدرسة الديوان ، وفى مقدمتها العقاد ، فتحارب باسم التجديد كل المقومات الفنية القديمة للقصيدة العربية ، ويقول العقـاد (٣) : ان الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة :

---

(١) ١/ ١٢ الموازنة طبع دار المعارف ·
(٢) ١/ص ٩ شرح المرزوقى على الحماسة ·
(٣) ٨٨ النقد العربى الحديث ومذاهبه ، وفصول فى الأدب والنقد ، وهما لكاتب هذا البحث ··

أولها : أن الشعر قيمة انسانية قبل ان يكون قيمة لفظية أو صناعية فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى اذا ترجم الى جميع اللغات ٠

وثانيها : أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ، فالشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع ، وليس ذا شخصية أدبية ٠

وثالثها : أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية ٠

وقـد حارب العقـاد الشعر الجاهلى وعـابه فى كتبه الاولى ومن بينهـا « مراجعات » ٠ كمـا أشتد فى كتاب « الديوان » فى نقد شوقى ٠

وكرر أنه يرفض أن يحجر على الشاعر حتى لا ينسج شعره الا على منوال السابقين القدامى (١) ، ورأى ان المحك الذى لا يخطىء فى نقد الشعر هو ارجاعه الى مصدره : فان كان لا يرجع الى مصدر أعمق من الحواس فذلك هو شعر القشور والطلاء ، وان كنت تلمح وراء الحواس شعورا حيا ووجدانا تعود اليه المحسوسات ، كما تعود الأغذية الى الدم ، ونفحات الزهر الى عنصر العطر ، فذلك شعر الطبع القوى ، والحقيقة الجوهرية ٠ وهناك ما هو أحقر من شعر القشور والطلاء وهو شعر لحواس الضالة ، والمدارك الزائفة (٢) ٠

ودعا العقاد الى التجديد فى المضمون ، ولم يبال بتجديد الشكل (٣) ، وقال : ان التجديد ليس باختيار الموضوع الجديد ، بل بالمضمون الجديد(٤)٠

ورأى أن عصرية الشاعر ليس المعول فيها على وصفه للاختراعات العصرية، بل المعول فيها على كيفية الوصف ووجهة النظر(٥) ، والعصرية هى أن يترجم الشاعر عن زمنـه ٠

---

(١) الديوان – ص ٤٠ فصول من النقد عند العقاد – محمد خليفة التونسى – نشر مكتبة الخانجى ٠

(٢) راجع ص ١٣ مع العقاد للدكتور شوقى ضيف ٠

(٣) ١٣٩ النقد والنقاد المعاصرون – الدكتور محمد مندور – يقول الدكتور مندور أيضا : لا يتحقق التجديد المطلوب باختيار موضوع جديد ، بـل يحقق بالمضمون الجديد الخ (١٣٩ النقد والنقاد المعاصرون) ٠

(٤) ٢٣٠ فصول من النقد عند العقاد ٠

(٥) ٢٩٨ و ٣٠٣ مطالعات للعقاد ، ومقدمة العقاد للجزء الأول من ديوان المازنى

ونستبين من كلامه عن المتنبى كيف أخذ العقاد يصحح مسـار العمود الشعرى ، فهو يقول عن هذا الشاعر الكبير : المتنبى فنان على طريقته التى تناسبه من الفن ، فقد ظفر من المعانى بجمال السلامة والبساطة وراء الصحة والقوة ، وتناسب المتانة والكفاية • أما جمال الزينة والرشاقة ، ومحاسن النظرية والأناقـة فليس له منها نصيب وافـر(١) •

ودافع عن موسيقى الوزن والقافية فى القصيدة دفاعا حـارا ، وبعد أن أجاز فى مطلع حياته الشعر المرسل المطلق من القافية ، حيث كان يكرر أن التزام القافية • فى غير الشعر الغنائى لا مبرر له (٢) ، عـاد يؤكد ضرورة التزام القافية ، ويرى أن ألغاءها كل الالغاء يفسد الشعر العربى ، اذ لا تدعوا اليه الحاجة (٣) • ويلتزم العقاد الوزن فى القصيدة الغنائية ، ويجيز تغيير البحر من فصل الى فصل فى الملاحـم والقصائد المطولة(٤) •

ويقول : ان أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار فى طبيعة الشعر (٥) ورأى أن القيود فى الفن والشعر جزء من كيانهما ، فمن خلال القيود الفنية تظهـر عبقرية الشاعر وموهبته الأصيلة ، والمثل الفرنسى يقول : « لا يحيا الفن بغير قيود » • وفى ذلك يقول العقاد : لا معنى للفن اذا خلا من قدرة خاصة تتجلى فيها الملكة المطبوعة (٦) • ويقول : ان هـدم الفن الجميل الذى امتازت بـه لغـة العرب لا يصدر الا عن عجز أو اصرار على الهدم (٧) •

ونوه العقاد بالشعر المطبوع الاصيل(٨) ، ورفض شعر القشور والطلاء(٩) ، وقال : ان الشعر الصحيح هو ما يقوله الشاعر الممتاز بالعاطفة والنظـرة الى الحياة (١٠) ، والشاعر هو من يشعر بجوهر الاشياء ، والشعر الجيد (١١)

---

(١) ١٧٤ ـ ١٧٩ مطالعات فى الكتب والحياة طبعة القاهرة ١٩٢٤ •

(٢) راجع ٢٩٥ ـ ٢٩٧ مطالعات ، ومقدمة العقاد للجزء الأول من ديوان المازنى •

(٣) ١٠٧ أشتات مجتمعات للعقاد ـ طبع القاهرة ١٩٦٣ •

(٤) ٤١ و ٤٢ دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية للعقاد ـ نشر مكتبة غريب •

(٥) راجع مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٦٢ من مقال للعقاد •

(٦) ١٦٧ مهرجان الشعر الرابع ـ من كلمة للعقاد •

(٧) ٣٦ اللغة الشاعرة للعقاد ـ طبع القاهرة ١٩٦٠ •

(٨) ٣١٢ مطالعات •

(٩) ٣٩ الديوان ـ فصول من النقد عند العقاد •

(١٠) ١/١٢٤ ساعات بين الكتب •

(١١) فصول من النقد عند العقاد •

هو ما كان مصحوبا بالطبيعة الحية والاحساس البالغ (١) ، وهو الشعر الذى يرينا ما فى الدنيا وما فى نفس الانسان ، وتعرف فيه الطبيعة على لون صادق (٢) ، وليس الشاعر هو من يأتى برائع المجازات (٣) ، وانما هو من تتوفر فيه مزية الطبيعة الفنية التى تجعل فن الشاعر جزءا من حياته(٤) ·· ويمثل فكرة العقاد فى الشعر ما قاله هو فيه :

الحب والشعر دينى والحيـاة معـا
دين لعمـرك لا تنفيـه أديـان

والشعر ألسنة تفضى الحياة بها
الى الحياة بمـا يطويه كتمان

لولا القريض لكانت وهى فاتنـة
خرساء ليس لها بالقول تبيان

ما دام فى الكون ركن للحياة يرى
ففى صحائفه ـ لاشك ـ ديوان (٥)

ومن هذا المنطلق سار العقاد بنظرية الشعر وبالعمود الشعرى فى مسار جديد ··

ـ ٣ ـ

وأول ركن فى بناء القصيدة عند العقاد هو ظهور شخصية الشاعر ، ومن أجل ذلك حارب التقليد (٦) والمقلد عنده من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة (٧) ، ويقول (٨) : ان الشاعر هو المتحرر من اسار التقليد وهو الذى يدرك الدنيا كلها فى صورة تختلف كثيرا أو قليلا عن سائر الصور ، وهذا هو ما يعنيه بفلسفة الشاعر ·

---

(١) ص ٧ ابن الرومى للعقاد ـ مطبعة مصر ·

(٢) ١٦٠ شعرا مصر وبيئاتهم فى الجيل ١٩ الماضى للعقاد ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ·

(٣) ١٠٥ خلاصة اليومية ـ ١٩١٢ ·

(٤) ٤ و ٥ ابن الرومى ـ وحول ذلك يقول مندور : ان جودة الشعر تتمثل فى اخلاص الشاعر لنفسه وصدور عما يجده منها راجع ٥٦ ـ ٦٥ الشعر المصرى بعد شوقى ـ الحلقة الأولى ·

(٥) ٤٣ ديوان العقاد ·

(٦) ٩٢/١ فصول من النقد عند العقاد ·

(٧) ١٦٥ فصول من النقد عند العقاد ·

(٨) ٣١٠ ابن الرومى

وتحدث عن حافظ فقال : انه يعجبه منه جلاله فى شعره (١) ، وعندما تحدث عن المتنبى (٢) قال : ان له مذهبا خاصا فى الحياة ٠

ويرى فى شوقى انه ارتفع بشعر الصنعة وهبط بشعر الشخصية (٣)٠

ومن ثم أعجب بابن الرومى وبالمتنبى لقوة شخصيتهما فى شعرهما ، والترجمة لنفس الشاعر ومشاعره هو مظهر شخصيته فى شعره ، والتفاوت فى التعبير علامة الشخصية والطبع ، والا فلن نحصل من الشعراء الا على نسخ معادة مكرورة (٤) ، فالتفاوت فى الأساليب عنده دليل على استقلال الشخصية وظهورها(٥) ، ومن هنا كان أعجابه بابن الرومى كثيرا ٠

ان ظهور شخصية الشاعر فى شعره أحد مقومات القصيدة عن شعراء مدرسة الديوان عامة ، وعند العقاد خاصة ، الذى دعا مع زملائه الى الجانب الذاتى أو الغنائى من الشعر ، وخرجوا بنظرية جديدة سموها « شعر الوجدان » ، ومرد ذلك الى الرومانسية التى التف هؤلاء الرواد حولها ، يدعون اليها ، ويبشرون بها فى الأدب والشعر والنقد ، فشخصية الشاعر هى كل شئ فى الشعر ، والشعر اذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب أن تحتفى به ، وكان ورد زورث الشاعر الانجليزى يقول عندما سئل عن شعر شاعر : أنه ليس من الحتم فى شئ (٦) يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره ، فاذا أصبح شعره على ألسنة الناس ، ولا غنى لهم عنه ، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس ٠

– ٤ –

الوحدة العضوية للقصيدة :

ومن مقومات القصيدة عند العقاد ومدرسته ، الوحدة العضوية وفى ذلك يقول :

---

(١) ٢١٨ فصول من النقد عند العقاد ٠

(٢) ٢٣٦ المرجع نفسه ، وراجع رأيه فى المتنبى فى كتاب « مطالعات فى الكتب والحياة »

(٣) ١٥٦ شعراء مصر – للعقاد ٠

(٤) راجع ٩٨ – ١٠٠ على الاثير للعقاد – طبع دار الفكر العربى – القاهرة : ص ١٤٤ – ١٧٣ ٠

(٥) ٢٩٢ مطالعات ٠

(٦) ٢/٤٧ الأدب العربى الحديث ومدارسه – الطبعة الثانية ٠

القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصور بأجزائها ، واللحن الموسيقى بأنغامه ، بحيث اذا أختلف الوضــع ، أو تغيرت النسبة أخــل ذلك بوحــدة الصنعة (١) ٠

ويقول أيضا : ان القصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغنى عنه غيره فى موضعه (٢) ٠

ويقول : أصبحت القصيدة شيئا يقبل الاسم والعنوان ، وكانت قبلا لا تعــرف الا أنهــا نظمت فى تهنئة زيد ، أو رثــاء فــلان(٣) ٠

ومن ثم عاب بعض قصائد شوقى بالتفكك وفقدان الوحدة المعنوية (٤) ، ويؤكد أن القصيدة وحدة الشعر (٥) ٠

وباشتراط الوحدة العضوية فى القصيدة يبطل تعدد الأغراض فيها عنده ، وتنتفى المقدمات فى مطالعها سواء كانت مقدمات طللية ام مقدمات غزلية ام خمرية ، والمقدمة الطللية جعلها ابن قتيبة (ـ ٢٧٦ هـ) جزءا من البناء الفنى للقصيدة ، وكأنها عنده جزء من عمود الشعر ، وباشتراط العقاد للوحدة تصبح القصيدة الغنائية عضوية ، أى ذات بنية حية تنمو من داخلها فى اتساق تام نحو نهايتها (٦) وتصير بنية حية تامة الخلق والتكوين (٧) ٠

ويؤكد شكرى أنه ينبغى أن ننظر الى القصيدة من حيث هى شىء فرد كامل ، لا من حيث هى أبيات مستقلة (٨) ٠

وكذلك سار المازنى على اعتبار القصيدة كلا واحدا ، وعملا فنيا واحدا ، وبنية حية مترابطة الأجزاء والأفكار والاحاسيس (٩) ٠

---

(١) ٨٠ فصول من النقد عند العقاد ٠
(٢) ٨٠ فصول من النقد عند العقاد ٠
(٣) مجلة الرسالة لعدد ٢٠٩ السنة ١٣ الصفحة ٢١٣ ٠
(٤) ٨١ فصول من النقد عند العقاد ٠
(٥) ١٦٣ المرجع نفسه ٠
(٦) ص ٣٨٣ الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمى هلال ٠
(٧) ١٥٣ فى النقد الأدبى للدكتور شوقى ضيف ٠
(٨) مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى بعنوان « فى الشعر ومذاهبه » ، ٧٩ ـ ٨٠
محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى الحلقة الأولى ـ لمندور ٠
(٩) ص ٩٠ النقد العربى الحديث ومذاهبه لصاحب هذا البحث ٠

ويرى مصطفى السحرتى (١) أنه بالوحدة العضوية نرى ذكاء الشاعر وبراعته فى التوفيق بين الصور والاشكال والظلال والالوان ، وحذقه فى ايقاظ الحياة فى الفاظه وأساليبه وأفكاره وأخيلته ٠

ويرى العقاد أن شكرى أسبق المتقدمين الى توحيد بنية القصيدة كما أنه اسبقهم الى التصرف فى القافية على أنواع من التصرف المقبول (٢) ٠ بينما يقول محمد خليفة التونسى : ان العقاد أول مـن نادى بيننا بوحـدة العمل الأدبى (٣) ٠

ولا شك أن الوحدة العضوية كانت صيحة من صيحات الرومانتيكيين فى الدعوة الى التجديد ، فان القصيدة عندهم تصبح كل صورة من صـورها بمثابة عضو حى فى بنيتها الفنية ، وهو ما يسمى عندهم عضوية الصورة الشعرية ، فالقصيدة الغنائية عندهم وحدة تشبه وحدة المسرحية العضوية ، وأول من قرر ذلك لسنج الألمانى (١٨٢٩ ــ ١٨٧١) وهو رومانتيكى فى فكرته هذه على الرغم من كلاسيكيته فى بعض آرائه الأخرى ، وقد أعجب برأيـه جوته ، وهو من أعلام المدرسة الرومانسية فى ألمانيا ويقرر هذا المبدأ الفنى أيضا أوسكار وايلد ، فالقصـيدة الغنائية عنده ذات وحدة عضـوية حية ناميـة(٤) ٠

وعلى أساس الوحدة العضوية يقوم النقد الحديث الذى ينظر الى القصيدة جملة باعتبارها عملا فنيا واحدا ، من حيث كان النقد العربى القديم فى أغلبه يعول على البيت الواحد من القصيدة ويتكىء عليه فى عملية النقد ٠ على أن بعض النقاد العرب اهتدى الى هذه الوحدة وقررها ، فالحاتمى (ــ ٣٨٨ هـ) يقول : مثل القصيدة مثل الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه ، وقد وجدت حذاق المتقـدمين ، وأرباب الصـناعة من المحـدثين ، يحترسون فى مثل هـذه الحـال احتراسا يجنبهم شوائب النقصـان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جـزء منها عن جزء (٥) ٠

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، والنقد من خلال تجاربى ٠
(٢) راجع ص ٢٠٢ ــ ٢٠٥ حياة قلم للعقاد ــ مطبعة الاستقلال ٠
(٣) ٣٩ فصول من النقد عند العقاد ٠
(٤) ص ٩٠ النقد العربى الحديث ومذاهبه ٠
(٥) ١٦/٣ زهر الآداب تحقيق الدكتور زكى مبارك ٠

ومن قبل الحاتمى دعا ابن طباطبا (ـ ٣٢١هـ) اليها ، فهو يقول : يلتزم الشاعر منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم ، فان للشعر فصولا كفصول الرسائل " فيحتاج الشاعر الى أن يصل كلامه على تصرفه فى فنونه وصلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح الى الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستماحة "ومن وصف الديار والآثار الى وصف الفيافى والنوق بألطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به ، وممتزجا معه (١) .

ويرى مندور أن الوحدة العضوية غير متصورة فى الشعر الغنائى ، انما تتصور فى الشعر الموضوعى : كفن المسرحية ، وفن القصة ، وأما الشعر الغنائى فمن العسير مطالبة الشاعر بمثل تلك الوحدة التى لا تقبل تقديما ولا تأخيرا فى نسق أبياتها (٢) .

وقد أجاز الرمزيون لأنفسهم الانتقال فى قصائدهم من فكرة الى أخرى على أساس الاحساس والشعور النفسى " مع ضعف الرابطة المنطقية بين الفكرتين ، وان حرصوا مع ذلك على الوحدة العضوية فى مجموع القصيدة ، وهذا الانتقال انما قصدوا به اثارة عنصر المفاجأة ، والرغبة فى تقوية جانب الايحاء (٣) .

ان الوحدة العضوية للقصيدة التى دعا اليها العقاد ورواد مدرستى الديوان وأبولو قد غيرت بناء القصيدة تغييرا كاملا ، حيث ذهب منها الاستطراد والحشو والتفكك والاضطراب والانتقال من موضوع الى آخر ، ومن غرض الى غرض ، وخلت من اقتضاب المعانى وتناقضها ، ومحى منها اضطراب العواطف والمشاعر النفسية ، وأصبحت عملا فنيا عاملا مرتبط الأجزاء ، ملتحم المشاعر والعواطف متناسق الدلالات والاشارات ، وأصبحت القصيدة كأنها تمثال نابض الحياة .

ومن ثم حارب العقاد وزملاؤه شعر المناسبات ، لأنه غالبا لا يكون تعبيرا عن أعماق نفس الشاعر ، ولا صدى لانفعال عميق بفكرة القصيد ، وفى الكثير يأتى شعر المناسبات مفكك الأجزاء مضطرب الأفكار .

---

(١) ٦ و ٧ عيار الشعر لابن طبا طبا .

(٢) راجع ١١٣ ـ ١١٧ النقد والنقاد المعاصرون للدكتور محمد مندور .

(٣) ٩١ النقد العربى الحديث ومذاهبه لصاحب هذا البحث .

التجربة الشعرية :

يقول العقاد : ان المحك الذى لا يخطىء فى نقد الشعر هو ارجاعه الى مصدره ، فان كان لا يرجع الى مصدر أعمق من الحواس فذلك هو شعر القشور والطلاء ، وإن كنت تلمح وراء الحـواس شعورا حيا ، ووجدانا تعود اليـه المحسوسات ، كما تعود الأغذية الى الدم ، ونفحات الزهر الى عنصر العطر فذلك شعر الطبع (١) ٠

فهو يدعو الى أن تكون القصيدة معاناة شخصية عاشها الشاعر ، ولاتحمل أثرا للتقليد ، والشاعر عنده هو من يشعر بجوهر الأشياء (٢) ٠

ويقـرر العقـاد (٣) ان التجربة لا تعرف نموذجا واحـدا متفقا عليـه بقدر ما تعنى أن يصف الشاعر ما يحبـه أو يستحسنه أو يـراه ٠

ويرى العقـاد أن التجربة هى تجربة الشاعر وحده ، وليست تجربة أحـد سـواه ، وهى انفعاله وأحساسه هـو ، ومن ثم تكون التجربة مفردة ، وينتفى عنهـا التقليد ٠

ويقـول : انه لا كذب فى الفـن مادامت المطابقة صحيحة بينـه وبين الشعور الذى يصدر عنـه (٤) ، والشاعر حينمـا ينبذ التقليد يتيح بنفسه أن ينقل الينـا احساسه بالشىء القديم الموجود بين جميع الناس ، فـاذا بنـا كانما نحسـه أول مرة ، لما أودع فيـه من شعور ، وما أضـفاه عليه من طرافة وجـدة (٥) ٠

ويرى (٦) أن أحساسنا بالشىء هـو الذى يخلق فيـه اللـذة ، ويبث فيه الروح ، ويجعله معنى شعريا تهتـز له النفس ٠

---

(١) ٣٩ ـ ٤٠ فصول من النقد عند العقاد ٠

(٢) ص ٣٩ المرجع السابق ٠

(٣) ص ١٠٠ على الاثير للعقاد ـ طبعة دار الفكر العربى ٠

(٤) ٣٨٥ حياة قلم للعقاد ٠

(٥) ١٦٨ شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ـ للعقاد ٠

(٦) ١٧١ فصول من النقد عند العقاد ٠

وفى تقديمه للجزء الثانى من ديوان شكرى الذى صدر عام ١٩١٣ يقول : فى هذه الصفحات نظرة المتدبر ، وسجدة العابد ، ولمحة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة الغاضب ، ودمعة الحزين ، وابتسامة السخر ، وبشاشة الرضا ، وعبوسة السخط ، وفتور اليأس وحرارة الرجاء .

وفى هذا تأكيد لما يشتمل عليه هذا الشعر من تجربة شعرية عميقة ، وعاطفة قوية صادقة ، والعاطفة ألزم شيء للحياة الانسانية (١) .

وهذه التجربة صارت عند العقاد وشعراء مدرسة الديوان ثم شعراء مدرسة أبولو أحد المقومات الفنية لبناء القصيدة الحديثة ، وميزة من ميزات القصيدة المعاصرة ، وركنا من أركان العمود الشعرى الجديد ، وبسببها حارب العقاد شعر المناسبات الطارئة ، ورأى انه يضل طريقه الى الاحساس والشعور ، وأنه لا يمت بصلة الى مشاعر الشاعر ونفسه ، ومن ثم حارب التقليد (٢) والتزييف . ورأى ان البهرج لا بلاغة ولا جمال فيه (٣) لأنه بعيد عن أعماق نفس الشاعر وأحاسيسه .

- ٦ -

الصورة الشعرية :

والصورة الشعرية هى أحد مقومات البناء الفنى الجديد للقصيدة الشعرية .

وتتكون الصورة من : المعانى والأفكار والمشاعر بما تشتمل عليه من لفظ وأسلوب وروابط ، ومجازات وخيال وموسيقى ، بشرط أن تنقل مشاعر الشاعر وعواطفه نقلا حيا قويا مؤثرا .

فالخيال هو الملكة التى يستطيع بها الشاعر تأليف صورة وهذه الملكة تتحكم فى الاحساسات السابقة التى لا حصر لها ، والتى تظل محبوسة فى مخيلة الشاعر ، ثم تعيد بناءها من جديد . وكان الكلاسيكيون يعتمدون على العقل ويحذرون من الخيال ويحتقرونه بعكس الرومانسيين الذين اهتموا بالخيال ، لأنهم يلوذون بالعواطف والمشاعر أكثر مما يلوذون

---

(١) ١٧٥ فصول من النقد عند العقاد .

(٢) ٩٢ فصول من النقد عند العقاد .

(٣) ٢٥٩ فصول من النقد عند العقاد .

بالعقل • وكذلك عنى البرناسيون به لعنايتهم بالصور الشعرية وصياغتها ، وبالموضوعية فى هـذه الصور ، فدعـوا الى الوصف الموضوعى والصور المرئية التى يطلق عليهـا أسـم الخيال التصويرى • أما الرمزيون فيرون البدء فى رموزهم من الأشياء المـادية الى التعبير عن أثرها العميق فى النفس عن طريق الايحـاء بالرمز المنوط بالحس • وعلى الشاعر فى رأيهم أن يلجـأ الى الوسائل التى تغنى اللغـة الوجدانية ، كى يقوى على التعبير عمـا يصعب عليه التعبير عنـــه •

ويؤكد العقـاد أن فى الشعر شـيئا غير الألفـاظ والمعـانى الذهنية وهو الصور الخيالية ، وما تنطوى عليه من تداعى الشعور(١) •

ويقول أن الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكـلام ، والشاعر هو كل عـارف بأساليب توليدها بهـذه الواسـطة ، فهـو يستخدم الألفـاظ والقوالب والاستعارات التى تبعث تـوا فى نفس القـارىء ما يقـوم بخاطـر الشاعر من الصـور الذهنية(٢) •

ويرى أن الصور الخيالية هى الأصل فى جمال الأساليب (٣) •

ويؤكد أن الفكر والخيال والعاطفة كلها ضرورية للشعر مع اختلاف فى النسب •

وللموسيقى عنده شأن كبير ، حتى لنراه وهو يتحدث عن حافظ يقول : وتعجبنى منه موسيقية فى شعره ، يوقع لك النغم ثم يتركك تغنى على ليـــلاك (٤) ••

ويرى فى انتظام القافية متعة موسيقية تخف اليها الآذان (٥) •

ويؤكد أن الأسلوب هو صورة الشاعر نفسه (٦) •

---

(١) ٢٥٦ فصول من النقد عند العقاد ـ والخيال عند العقـاد هو ناسج الصور ، وخالع الأجسام على المعانى النفسية ، وهو سلطان متربع فى عرش النفس يخلع الحلل على كل سانحة تمثل بين يديه (٣٠٧ مطالعات) •

(٢) ٢١٤ فصول من النقد عند العقاد •

(٣) راجع ٢٥٢ ـ ٢٥٨ المرجع السابق •

(٤) ١٨ فصول من النقد •

(٥) ٣٠٩ فصول من النقد •

(٦) ٣٠٧ ابن الرومى •

والمعـــانى فى الصورة الشعرية هى عنده الجوهر واللبـــاب الذى تحتويه الفاظهـــا (١) ٠

ولابد ان تكون المعانى هى معانى الشاعر وحده ، وان يكون صادقا فى التعبير عنها فليست البلاغة فى الحروف والكلمات ، بل فيما توحى به الألفاظ والمعانى معا من صور خيالية وما ينطويان عليه من خواطر حية متساوية(٢)٠

ويؤثر العقاد الصور الشعرية التى تنسج كما يسبك الحديد المذاب فى الأتون المتقد ، لا التى ترسل ارسالا ، كما يفيض الماء من الينبوع الجياش(٣) وكان هاردى كما يقول ناقدوه ٠

وفى القديم فان بعض النقاد فى جرير والفرزدق : جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، وعلى هذا يكون شعر الذى نحت من صخر أولى بالايثار عند العقاد ٠

واذا كان أسلوب الصياغة الشعرية بمثابة الجسم فى القصيدة ، فان التجربة هى الروح ، فالصورة الشعرية التى هى وليدة الخيال وسيلة فنية لنقل تجربة الشاعر ، والرمز والايحاء وتداعى الصور واطلاق المعانى الثانوية وتاثيرات الموسيقى والحركة فى الصورة ، كل ذلك مما يساعد على نشاط الخيال ٠

ومن حيث المعانى فى الصورة الشعرية فقد حارب العقاد الاحالة ــ فساد المعنى ــ كما حارب التزييف والصنعة التى عرفها بأنها ضعف التعبير عن نفس الشاعر ووجدانه ، ورفع من شأن الطبع الذى هو عنده قدوة الشاعر فى التعبير عن نفسه ومشاعره ووجداناته ونوازعه وذاته ٠

وبعد فهذه كلهـــا هى صـــورة لآراء العقـــاد النقدية فى بنـــاء القصـــيدة الشـــعرية ٠٠

أعرضها فى ايجاز شديد ، لتكون مقدمة لفهم شاعرية العقـــاد وشعره ٠

ــ ٧ ــ

وكان للعقـــاد مدرسة فى السودان(٤) ، كان هناك تتبع دقيق لكل ما يقول وبخاصة من الوجوه الشـــابة فى هـــذه الفترة التى كانت تعمل على تخطى

(١) ٣٩ فصول من النقد عند العقاد ٠
(٢) راجع ٩٠ وما بعدها من كتاب مراجعات للعقاد ٠
(٣) ٢٧١ فصول من النقد عند العقاد ٠
(٤) ص ١٦٣ العقاد وقضية الشعر ــ من دراسة للدكتور عبده بدوى ٠

الأدب التقليدى والمحافظ الى آفاق أخرى ، والتى كانت لهـا فى الغالب صلات قويـة بالأدب الانجليزى ، والتى كانت نستهويها الدعـوة الى أن تكون الذات الفردية أساسا للشـعر !

والدور الهام الذى قـام به « حمزة الملك طنبل » معروف ، وكيف أن هـذا الدور كان منظور فيـه بعمق الى كتابات العقاد ، والى جعل الـذات محور الشعر • كمـا رأينا هذا فيما كتبه محمد عشرى صديق ، ومعـاوية محمد نـور ، وفى الاتجاه العام لتيـار مجلة « الفجـر » ، ونحن حين نحاول التجول فى حقول الأدب فى السودان فى هذه الفترة المبكرة بصفة خاصـة نجـد أن دور العقـاد كان مشاهدا وملموسا ولا خلاف عليه • فاذا وقفنـا مثلا عند « يوسف التنى » وجدنا أنه كان يذكر دائما أنه نتاج لمدرسـة الديـوان(١) ، وديوانه المسمى « ديـوان التنى يشـهد بهذا ، ونحن حين نتتبع أفكاره وآراءه فى مجلة « الفجر » بصفة خاصة نجـد أن عليها صـبغة عقادية ، فهو مثلا يذكرنا برأى العقـاد فى « الشعر القومى » حين يأخـذ الشاعر التنى فى مقال له على الاستاذ أحمد حسن الزيات أنه لم يسعد لأن على محمود طـه سمى ديوانه (الملاح التائه) ولم يسمه « احـلام النخيل » أو « مناجاة الصحراء » مما يتفق وطبيعة مصر « •• كيف جاز عندهم أن يتأثر الشاعر المصرى بهذه الصحراء التى تلابس جسمه ثـم ينكرون عليه أن يتأثر بوساطة ثقافته الانجليزية التى قد تهىء له أن يفهم الاخلاق الانجليزية أو بـلاد اليونان أو أيطاليا أو سويسرا أكثر مما يتذوق جمال صحراء مصر التى ليس ببعيد أنه لم يرها (٢) » •

•• وقد كان من المواكبين لهـذا التيار « الأمين على مدنى » الذى كان من أقواله المتعددة فى مناصرة اتجاه العقاد : نحن فى حاجة الى كاتب كالعقاد فى فصوله ، ولسنا فى حاجة الى كاتب كعبد الحميد الكاتب •

•• وما أكثر ما حض « محمد أحمد المحجوب » السودانيين على قراءة كتب العقاد ، ولنتأمل قوله « •• وما من كتاب أو شخصية تظفر بتحليل العقاد لهـا الا اذا كانت مما يلفت النظر ، ومما يغرى النـاس بقراءة ذلك الكتاب أو دراسـة تلك الشخصية ، فالعقاد كان مرشدا لنـا فى بيـداء تلك الحيـاة الشائكة ، ونحن حين نتتبع بعض نقـده نجده قريبا من مفاهيم العقـاد (٣) •

---

(١) الشعر الحديث فى السودان • د • عبده بدوى ص ٦٤٥ •
(٢) مجلة الفجر (١٦ يوليو ١٩٣٤) •
(٣) أنظر مثلا كتابه « نحو الغد » •

ونه فى رثائه قصيدة مشجيه مطلعها :

عبقـــر الشـــعر آب قبـــــل أوانـــه

رائـــــد الفـــكر عبقـــرى زمانــــــه

٠٠ أما « محمد محمد على » فكان من الذين تمثلوا تماما آراء مدرســة الديوان ، وجعلوها منطلقا لهم ٠ فقد كان فى كل معاركه الأدبية متكئا على اراء هذه المدرسة ، ولنتأمل قوله « ٠٠ أحب أن أؤكد انى لا اعتبر قوميــــة الأدب فى الموضوعات وحدها » ولا فى الاسلوب والطريقة فحسب ، بل القومية عندى تتمثل فى نوع الشعور ولون النظرة الى الأشياء (١) ، وحملته القاسية على الغموض فى الشعر « التجانى يوسف بشير » منظـور فيهـا الى رأى العقـاد فى هذه القضية بالاضافة الى رأيه فى ابعاد الشعر عن الحياة العاملة الناصية منظور فيها الى بعض آراء العقاد ، ثم انه هو القائل : ٠٠ كتب العقاد تعلم القارىء الصبر على القراءة ، والتأمل والغوص الى أعمق الأشياء ، والنظر الى المجتمع والى خبايا النفس من أبواب كثيرة ، ومن المعروف انه فى الفترات التى أقامها فى القاهرة كان من المترددين على نـــدوة العقـــاد فى بيتـــه ٠

وله فى رثائه قصيدة مؤثرة جاء فيها :

لهفى على منزل شـــعت جوانبـــــه

بالعـلم والفـن ٠٠ لا بالتبـر والمـاس

لهفى على مجلس كنـــــا نطـوف بـه

كأنــه حـــــرم أو قـــدس أقـــداس

لهفى عـــلى نبــرة الجبـــار طائفــة

تقسـم النـور صـدقا بين جـــلاس

كأنمــــا طـــوع الله النجـــوم لــه

فقـــاده زمـــرا من غـــير أمـــراس

وقد جـاء فى مقدمة ديوان « نـار المجاذيب » لمحمد المهدى المجذوب ـ وله فى العقاد قصيدة طويلة قالها فى حفل تكريم العقـاد بالسودان ـ قوله : أذكر أول التحـاقى بالوظيفـة » أن رئيسى فى الديوان ، رآنى أختلس النظر الى ديوان العقـاد ، وكنت خبأته فى أحد أدراجى ٠ وعبس وبسر » وقـال فى اشفاق واستخفاف : شعر ؟ « يابنى الشعر ما يسقيش ميه » ! وأعترف

---

(١) محاولات فى النقد ص ١٨٧ ٠

هنا أننى لم انتفع بنصيحة قط ، وما انتهت نفسى عن غيها » وليس لها منى زاجر ٠٠ ومثل هذه الآراء مبثوثة عند الرواد من أدباء السودان وشعرائه ، ومنها نرى أن العقاد له دور فى توجيه الأدب فى السودان خاصة ٠٠٠ واذا كان العقاد يحس نحو السودانيين بنوع من الرحم ، فان هذا الاحساس كان موجودا عند السودانيين ، والانسان السودانى يميل الى الصراحة والاقتصار فى كل ما يتناول من أشياء والى البعد عن التسيب العاطفى ، والميوعة اللفظية ، والكثير من السودانيين لا ينسى زورة العقاد للسودان فى ظرف عصيب ، وأنه خصه دون بلدان العالم العربى ٠٠ والعالم !٠٠ ثم أنه لم يغلق على نفسه الأبواب فى السودان ، وانما حاضر وأذاع ونشر واستجاب للدعوات التى قدمت اليه ، وترك باب الدار التى يقيم فيها مفتوحا لكل القادمين ، حيث كانت الوفود لا تنتهى من تحيته ، والاستماع اليه ٠ وقد عبر عن أثر هذه الزيارة فى نفسه فى قصيدة من شعره :

وكان لمدرسة الديوان كذلك صداها فى الآداب العربية ، فى كل مكان من أقطار العروبة ، وذاعت آراؤها فى بناء القصيدة ، وفى التجديد فيها ، وفى الدعوة الى الرومانسية ونقد الكلاسيكية على كل لسان ، وأصبحت مبادىء جديدة فى تيار التجديد فى الشعر المعاصر ٠٠

الفصل الخامس

صور من شعر العقاد

جزاء التحدى

سليني كيف كنت وكيف صرت   وقولى ما صنعت وما صنعت
مدرت على الحوادث بعد لأى (١)   وهأنذا كأنى ما قدرت

* * *

أخاف وكان لى قلب قرير   فهأنذا إذا صفر النذير (٢)
أتوق الى غد لتراك عينى   وأرجم من يغار بمن يغير

* * *

وكانت لى سلالم أرتقيها   فرادى لا أبالى ما يليها
فعدت مثنيا عجلا كأنى   أخو العشرين مرتقيا سنيها

* * *

وكنت من السآمة لا أبالى ...   أذم الناس أم حمدوا فعالى
فهأنذا أسائل ما عساها   ستسمع فى من قيل وقال

* * *

وكنت هزئت حتى بالجمال   وحتى بالفنون وبالمعالى
فما لى اليوم لا أرضى بحال   وكنت الأمس أرضى كل حال ؟

* * *

أعود الى الحياة فتلك عندى   هموم المستعيد المستعد

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يعقب الشكوى   فحبى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حجة   فلا نار بعد اليوم .. اليوم للحلوى!

---

(١) الأذى : البطء والجهد .
(٢) النذير : أبوق للاعلان عن الغازات .

ومحضته ماء الشباب فما ارتوى ... فهل فى خريف العمر يطمع أن يروى
رضيت بما أعطى وأحسبه ارتضى ... بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكا ... ووصلا بلا هجر ، وهجرا الى سلوى

زهرة ديسمبر

خل أيار (١) ونوارا له ... ربما أعجب قوما · ربما
خير نوارى الذى أهديكه ... زهر فى شهر كانون (١) نما
عيد ميلادك من بستانه ... يا ربيعا فى الشتاء ابتسما
هات يا كانون زهرا كلما ... سقط الزهر تعالى وسما

من تقليد « نشيد الأناشيد »

أجل تلك خبايا ها ... وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا ... ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فيها من العيب ... سننساه وننساها
وللحسن الذى فيها ... سنحيى الان ذكراها

* * *

سأحصى لك ما يعجب ... منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب ... بعد السعى والدس

* * *

ثناياها · ثناياها ... وهل ذقت ثناياها ؟
وعيناها ، ويا للقلب ... كم تسبيه عيناها !؟

* * *

وتلك الوجنة الخمر ... ية السكران رائيها
أفى الجنة يا رضوا ... ن تفاح يحاكيها ؟!

* * *

---

(١) أيار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء ·

وتلك القامة الهيفاء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

* * *

وتلك النسمة الحلوة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراشية فى النور السماوى !

* * *

دعيها تفسد الخمسين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الأكسير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حميا (١) الشعر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنيا ربيع دائم باق !

اكذبينى

اكذبينى مرة أو فاكذبينى مرتين
ألف ألف من أعاجيبك فى غش ومين
لن تبيد الفارق الخالد يا قرة عينى
والسماوات التى بينك فى الحب وبينى

* * *

اكذبينى واكذبينى كلما شئت اكذبينى
أنا فى ثروة وفر منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضير ؟ درهما أو درهمين !!

تقويم العام

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومى ارفعيه وارفعى عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعه الى رجعاه موقوف عليك

* * *

---

(١) الحميا : سورة الخمر .

واذا انتهت أيامه   ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه ..   وترحبين بما تلاه
ويحى إذا دار المدى   ورعيت وحدى ملتقاه !

هى قبلة ضمت عرى   عام كسابقة مآلا
ومنى الخواطر فى غد   عام كسابقة مآلا
لا تعجلن به فما   أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا فهذا يومنا   وغد ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عينى ومستمع إلى حادى الرجاء
فاذا سمعت حداءه   فدعيه يمضى حيث شاء

وعام ثان

تشراى . ما أنا شاهد   يا عام وحدى ملتقاك
دارت بروجك والهوى   يخطو وتتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا   ومضى " فلم أذمم قفاك

* * *

هذى فتاتى هذه !   هى لا خلاف ولا اشتباه
هى فى بديع قوامها   هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتها وآ   ه من غوايتها وآه

* * *

ضمى ثغيرك يا بنية   وابعثى منه الأمل
لا بالعهود الى مدى   عام ، ولكن بالقبل
ان ساعفتنى ليلة   فدعى العهود الى أجل

* * *

عام تفتح بالرجاء   وبالرجاء ختمته
ودعت ذاك العام فى   قربى كما استقبلته
قولى ، وقد ولى " أفى   شرع الوفاء قضيته ؟

* * *

لا تخدعيني يا بنية   بالوفاء من اللسان
خنا وخنت وَلا أقو   ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معا   والآن نحن الباقيان

* * *

ذهبت خيانتنا كما   ذهب الوفاء ومن يفون
لا ذمة تبقى ولا   يبقى الوف ولا الخئون

* * *

انظر ألست ترى فتا   تى حيث كنت ضممتها
فى جلسة الأمس التى   حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت   صدرى ولا فارقتها

* * *

واذا سألت وربما   جاء السؤال بلا كلام :
« ماذا تقول مودعى   والليل يومىء بالسلام »
حيرتنى يا عام فاستم   ع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندى أيهذا   العام كلك بالسعيد
لكن سويعات مضت   لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها   وطغت علّى العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى   أعطت ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها   وقليلها أبدا كثير
ان عاد يوم غد كأم   س فدر زمان كما تدور

وعام ثالث !

... والثالث الموصول أقـ   بل مرحبا بالثالث
رحبت منه بمقبل   إقبال لاه عابث
ما كان يكرثنا (١) شـ   قا لم يعد بالكارث

* * *

(١) يهمنا ويشغل بالنا .

رضـــنا الغـــرام رياضــة الـ فـــرس العصـــى فأذعنـــا
لا جامحـــا قلقـــا ولا تعبـــا يئـن من الـــونى (١)
أنعـــم بـــذلك مركبـــا بين العـــواثر لينـــا

* * *

ما للغـــرام يســومنا بنعيمــه وشـــقائه
إنا لمغتنمـــو جهنـــ مه اغتنـــام ســـمائه
لســنا على يـــده يجـــو د لنـــا بمحـــض ســخائه

* * *

ما شــب من نـــار طبخـ نا فوقهـــا حلـــوى الهـــوى
أو صــب من غيث غمســـ نا فيـــه آلام الجـــوى
أو زف من ريـــح وهبنـــا ما الشـــراع كمـا اســتوى

* * *

أهـــلا بعـــام ثالـــث يتـــلوه عـــام رابـــع
بل خامســ فيمـــا عهـــد ت وســادس أو ســـابع
ما ضـــاقت الدنيـــا وفى جنبيـــك قلـــب واســـع

* * *

قلـــب تفتـــح بعـــد مـا اســتعصى ببـــاب واحـــد
أو قـــل تشـــقق بالجـــر اح فـلم يضـــق بالـــوارد
ما حيـــلة الاعـــوام فى غـــير الزمـــان الفاســـد

* * *

يا قلـــب إنـــك قـــد أرد ت فأيـــن ويحـــك ما تريـــد ؟
عـــام ســعيد ! إى ور بك ٠٠ قـل إذن عـام ســعيد !
هبـــك اعتـــزلت ســـروره أتـــراه ينقص أو يزيـــد ؟

---

(١) الفتور ٠

بعد سنة

سنة مرت ولا كل السنين
بين صيف من هوانا وشتاء
وربيع كلما غام أضاء
والضحى والليل حينا بعد حين

* * *

سنة كان لها نجم فريد
غمر الشمس وغطى القمرا
ومشى فى حسنه منتصرا
كل برج تحته برج سعيد

* * *

إن يكن لى فى سناه رقباء
فالذى أرصده لم يرصدوه
والذى أنشده لم ينشدوه
والذى هاموا به عندى هباء

* * *

سنة مرت على روض الغرام
أنبتت فيه فنون الشجر
من رياحين وغرس مثمر
وسل الأرواح ما أزكى الطعام !

* * *

يومها الاول وافى ودنا
فانس أيامك فى ساعاته
واجمع الصافى من لذاته
جرعة ، واطرب عليها زمنا

* * *

جرعة نجمع فيها سكر عام
إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
فى الهوى روحين فى كأس وئام

* * *

هات لى الذكرى وقرب لى العيان
فهما يا صاحبى بين يــــدى
حضرا الســاعة يا صــاح لـدى
ربة الـــذكرى وذكراهـــا قـران

* * *

هـات لى الذكرى أراها وترانى
غضــــة ملموســــــة فى راحتى
حلـــوة معســــولة فى شـــفتى
جنـــــةـ تنبـــت فى كل أوان

* * *

جنتـــى لا حيــــة تخرجنـــى
أبـــدا منهـــا ولا أحيـــاؤها
لا ولا إبليـــس أو حــــواؤها
أنا فيهــــا خـــالد كالزمـــن

أنا منهـا وهى منى فى الضـمير
فاذا فارقتهــــا بالنظـــــــر
لم يفارقهـا ضـميرى عمــــرى
وله العصمة من مس الســـعير

ســنة كان لهـا نجم فريـــــد
هات منهــا أيهــا النجم وهات
ســـنة ثانيــة بل ســـنوات
ولنــا منــك مزيــد المســتزيد

أنت يا نجم معيــد ما تشـــاء
لا السماوات ولا داراتهـــــا
غنيــة عنــك ولا أوقاتهـــــا
أنت ميقــات وشمس وســماء

أنت تدنيهـ سماء زلفـا (١)
تنسـج الوقت لنـــا منفـردين

---

(١) الزلف : التقدم والتقرب ٠

لا مشاعا كنسيج النيرين
بل لنا طوع يدينا وكفى

المرأة والخداع

خل الملام فليس يثنيها ،   ... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ،   ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به   من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها   من طول ذل بات يشقيها
أنت الملوم اذا أردت لها   ما لم يرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبدا   تخلص الى أغلى غواليها

رواية

ما غرني إقناعها   كلا ولا امتناعها
ماذا تخبئ طفلة   رقت ورق قناعها
بل غرني علم الطبا   ع ، وللنفوس طباعها
أو ليس علما بالحيا   ة يهون فيه صراعها
إني أشاهد كيف يفـ   طم في القلوب رضاعها
أو كيف يسري في النفو   س الواعيات خداعها
أو كيف ينهض بعد طو   ل سباته دفاعها (١)
أو كيف يومض بعد ما   خفت السراج شعاعها
دعني فتلك رواية   شاقت وشاق سماعها
ألمى الوجيز رقاعها   إن قيل أين رقاعها ؟!
وأنا العليم ، وقد علمـ   ـت ، متى يكون وداعها

---

(١) الدفاع : قوة الموج وكل مدفوع .

خاتمة الكتاب

هذا هو كتابنا « عباس محمود العقاد بين الصحافة والآدب » بأبوابه الثلاثة ، وفصوله الخمسة عشر ، والذى تحدثنا فيه عن العقاد صحفيا ومجددا وأدبيا وناقدا وشاعرا ، والمنا فيه بصورة واضحة عن عصر العقاد ، وحياته من خلال عصره ، واسهامه الكبير فى شتى النواحى السياسية والوطنية والاجتماعية والصحفية والأدبية طيلة حياته ٠

والعقاد كان من أكبر المؤثرات فى حياته الفكرية والسياسية والوطنية والصحفية أمران :

الأول : انتماؤه الى مدرسة الأفغانى والامام محمد عبده ، وفيها : سعد زغلول وحافظ ابراهيم شاعر النيل ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وغيرهم ٠٠ وقد كتب عن الأفغانى ومحمد عبده أروع الفصول والمؤلفات ، ومن العجيب أنه تقد حافظا والمنفلوطى فى كتاب الديوان ، ووقعت بينه وبين الرافعى أعنف المعارك النقدية ٠٠ وهذا يدل على اخلاص العقاد لمذهبه الأدبى قبل اخلاصه للأشخاص ٠٠ وهذا الانتماء يفسر لنا وقوف العقاد بجوار سعد زغلول منذ كان وزيرا للمعارف المصرية حتى وفاته عام ١٩٢٧ ، وتأليفه لكتابه الضخم عنه بعد وفاته ٠

الثانى : انتماؤه الى مدرسة سعد زغلول السياسية الوطنية ، أى الى الوفد ، طيلة أيام سعد ، والجزء الأول من سنى رياسة خليفة سعد زغلول باشا وهو زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا ، حتى اذا ما وجد أن هناك تيارات ومناورات تحدث فى الوفد ضده وضد كرامته ، ويدبرها له سكرتير الوفد انفصل نهائيا عنه ، وانضم الى الأحزاب المعارضة للوفد ، وهى أحزاب القصر والمعارضة ، وكتب أعنف الفصول فى هجاء الوفد وزعيمه ٠

والعقاد مخلص فى كل ذلك لمبدئه وفكره وآرائه وشخصيته ، بل مخلص لكرامته أولا وأخيرا ٠

ومع أن لطفى السيد كان من مدرسة الأفغانى ومحمد عبده الا أنه انضم الى حزب الأعيان والباشوات فأفقده ذلك الشعبية العريضة التى تمتع بها سعد زغلول ورفاقه ، وهذا مما جعل العقاد لا يمكث فى الجريدة ، ومما جعله يبتعد عن الطريق الذى سلكه لطفى السيد ان قليلا وان كثيرا ٠٠٠

والمؤثر الأكبر فى حياته الأدبية هو تعرفه الى زميليه شكرى والمازنى ، وانضمامه فى أول الأمر اليهما ، وظهورهم جميعا مدرسة واحدة فى الأدب والشعر والنقد ، تتأثر دعوة الرومانسية ، كما كتب عنها أعلامها ونقادها فى الأدب الانجليزى ، وكان ذلك سر وقوفه ضد الكلاسيكية وأعلام شعرائها وأدبائها فى عصره : كشوقى والمنفلوطى وسواهما ٠٠ ومع أن العقاد والمازنى بدآ حياتيهما متأثرين بشكرى ، ونهج لهما شكرى الطريق ، الا أنهما سرعان ماراد الطريق وحدهما وسارا فيه بخطى واسعة مستقلين عن شكرى ٠

ان العقاد تاريخ حى مؤثر فى حياتنا الاسلامية والفكرية والأدبية فى حياته وبعد وفاته على السواء ٠ ونحن أى جيلنا المعاصر الذى يحيا اليوم مدينون له ولا ريب ، بأفدح الديون ، وقد مات العقاد عام ١٩٦٤ ، ولكن ذكراه فينا حية خالدة لا تموت أبدا ٠

ومن أجل ما أسداه العقاد لنهضتنا الاسلامية والفكرية والأدبية والصحفية كان هذا الكتاب ، الذى درسنا فيه كل ما يتعلق بالعقاد صحفيا وأديبا وشاعرا ٠٠٠ وبالله التوفيق ٠

المؤلفـان

مصـــــــــادر الكتـــــاب

ـ ١ ـ

عباس محمود العقاد : ر سعد زغلول سيرة وتحية ١ٹ٣٦
: رجال عرفتهـــم ١٩٦٣
: محمد عبده ـ اعلام العرب ـ ١٩٦٢
: خلاصـة اليوميـــة ١٩١٢
: الشـــذور ١٩١٥
: الفصـــول ١٩٢٢
: مطالعات فى الكتب والحياة ١٩٢٤
: مراجعات فى الآداب والفنون ١٩٢٥
: ساعات بين الكتب ١٩٢٧
: يســـألونك ١٩٤٧
: بين الكتب والناس ١٩٥٢
: على الاثـــير ١٩٥٣
: الديوان فى النقد والادب ١٩٢١
: الحكم المطلق فى القرن العشرين ١٩٢٨
: اليد القوية فى مصر ١٩٢٨
: شعراءمصروبيئاتهمفىالجيلالماضى ١٩٣٧
: هتـلر فى الميـــزان ١٩٤٠
: النازية والاديان ١٩٤٠
: فى بيتـــى ١٩٤٥
: عقائد المفكرين فى القرن العشرين ١٩٤٨
: فلاسفة الحكم فى العصر الحديث ١٩٥٠
: ١١ يوليو وضرب الاسكندرية ١٩٥٢
: مطلع النور: طوابع البعثة المحمدية ١٩٥٥
: الشيوعية والانسانية ١٩٥٥
: الصهيونية العـالمية ١٩٥٥
: الاسلام والاستعمار ١٩٥٧

المؤلف		العنوان	السنة
ابراهيم عبده (دكتور)	:	اعلام الصحافة المصرية	١٩٥٠
	:	جريدة الاهــرام	١٩٥٥
	:	تطور الصحافة المصرية	١٩٥١
	:	روز اليوسف سيرة وصحيفة	
أحمـــد اميـــن	:	زعماء الاصلاح فى العصر الحديث	١٩٤٨
احمد حسين الصاوى(دكتور)	:	معالم تاريخ الصحافة المصرية محاضرات لم تنشر القاها على طلبة قسم الصحافة بجامعة القاهرة	
احمـــد خـــاكى	:	قاسم امين ـ أعلام الاسلام	١٩٤٤
احمـــد شـفيق	:	مذكراتى فى نصف قرن ـ الجزء الثانى	١٩٣٦
	:	الاسلام والتجـديد	١٩٣٥
آدمـــــــس	:	وترجمة عباس محمود العقاد	
اسماعيل صـدقى	:	مذكراتى ـ دار الهلال	١٩٥٠
أنـور الجندى	:	الصحافة السياسية	١٩٦٢
	:	نزعات التجديد فى الادب العربى المعـــاصر	١٩٥٧
بلنـــــت	:	التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ترجمة البـلاغ ط ١	
جـلال العشرى	:	العقـاد سـيرة وتحيـة (مقالة العقاد الفيلسوف)	
حلال الدين الحمامصى	:	هذه هى صحافتنا بين الامس واليوم	١٩٥٧
	:	معركة نزاهة الحكم	١٩٥٧
حسين فوزى النجار (دكتور)	:	احمد لطفى السيد ـ اعلام العرب	
	:	رسالة الدكتوراه عن الجريدة	
خليـل صابات (دكتور)	:	الصحافة ـ رسالة استعداد ـ عـلم ـ فـن ـ ط ٢	١٩٦٨
	:	تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ط ٢	١٩٦٧
ســلامة مـوسى	:	الصحافة حرفة ورسالة	١٩٥٨
شوقى ضيف (دكتور)	:	مع العقـــاد	
	:	دراسات فى الادب العربى المعاصر	

الدكتور السيد رجب حراز : ثورة ٢٣ وأصولها التاريخية

عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية
: محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية
: ثورة ١٩١٩ جزآن
: فى أعقــاب الثــورة

عبد الرحمن صدقى : العقاد ـ دراسة وتحية
(مقالة العقاد كما عرفته)

عبد الحى دياب : عباس العقادناقدا(دراسة ماجستير)

عبد اللطيف حمزة (دكتور) : أدب المقالة الصحفية فى مصر (٨أحزاء)
: المدخل فى فن التحرير الصحفى ط ٣ ١٩٦٥
: مستقبل الصحافة جـ١ ـ الادب الصحفى

عبد الفتاح الديدى : عبقــرية العقــاد ١٩٦٦

عبد العزيز شرف (دكتور) : لطفى السيد فيلسوف ايقظ امة ١٩٥٨

العوضى الوكيل : العقاد دراسة وتحية
(مقالة العقاد ناثرا)

عبده بدوى : الشــعر الحــديث فى الســـودان ١٩٦٥

لويس عوض (دكتور) : فى الادب والنقــد ١٩٦٥
دراسات غربية وعربية ١٩٦٦

فاطمة اليوسف : ذكريـــــات

محمد طاهر الجبلاوى : فى صحبة العقــاد ١٩٦٦
: ذكريات فى صحبة العقاد ١٩٦٧

محمد خليفة التونسى : العقاد دراسة وتحية (مقالة العقاد
بين أوليائه وأعدائه)

محمد زكى عبد القادر : محنـــة الدســـتور

محمد رشيد رضـــا : تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده
٣ أجزاء ط المنار ١٣٥٠ هـ ـ

محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية
: مذكرات فى السياسة المصرية ـ
جزآن ٥١ ـ ١٩٥٣

محمد مندور (دكتور) : محاضرات عن ابراهيم المازنى
بمعهد الدراسات العربية العالمية

محمد انيس (دكتور) : وثائق ثــورة ١٩١٩

مصطفى عبد اللطيف السحرتى :

الشعر المعاصر ـ على ضـوء النقد الحديث المقتطف ١٩٤٨ ·

محمد عبد المنعم خفـاجى :

رائـد الشعر الحديث ـ جـزآن ١٩٥٥ ·

ـ دراسات فى الحديث ومدارسه ـ جزآن ١٩٧٥ ·

ـ صـور من الأدب الحديث ـ ٤ أجـزاء ـ مكتبة الأنجلو ١٩٥٨ ·

ـ الأدب العـربى الحديث ـ ٤ أجـزاء ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٥

ـ ٣ ـ

مقالات فى صحف ومجلات

مجـلة آخـر سـاعة	١٩٦٣
الاخبـار (يوميـات)	١٩٦٣
مجلة الهلال ـ عدد خاص عن العقاد	
مجـلة الكتـاب	
مجـلة الكاتب المصرى	

ـ ٤ ـ

الصـحف والمجـلات

الجـريدة	الاهالى	روز اليوسف اليومية
المؤيــد	المقتطف	كوكب الشرق
الدسـتور	البـلاغ	المؤيـد الجديد
البيـان	الجهـاد	الضيـاء
مصر الفتاة	الكتـلة	الدسـتور
الاسـاس	البلاغ الاسبوعى	السياسة الأسبوعية
السياسة	الاخبار (امين الرافعى)	

فهرست

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٠١/٨٥
× ـ ٠٣١٠ ـ ٠٥ ـ ٩٧٧